

الإبدال الصوتي في الأصوات العربية الصامتة والصائتة

لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها

أطروحة مُعدّة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها

إعداد: عبد القادر أحمد عبد الله الحمزي

إشراف

أ.د. عبده بي

رئيس قسم اللغة والدراسات العربية "سابقاً"

كلية السنسكريتية الحكومية - بتامبي

مشرف البحوث بقسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها

كلية إم إي إس مامباد مالابورام، كيرالا، الهند

المشرف المساعد: د. سابق إم كي

أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية، عميد كلية إم إي إس مامباد مالابورام، كيرالا، الهند



قسم اللغة العربية

كلية مامباد

جامعة كاليكوت

٢٠٢٦



الشكر والعرفان

الحمد لله أولاً وآخراً، ظاهراً وباطناً، الذي منّ عليّ بتوفيقه وإعانتته، وهياً لي الأسباب، ويسّر لي الصعاب، حتى اكتمل هذا الجهد العلمي على النحو الذي أرجوه، وما كان لذلك أن يتم لولا فضله سبحانه، ثم بفضل من سخّرهم في طريقي من أهل الفضل والمعروف.

وإني لأجد من الوفاء أن أخصّ بالشكر أستاذي الجليل الأستاذ الدكتور عبده بي، رئيس قسم اللغة والدراسات العربية سابقاً بكلية "السنسكريتية الحكومية- بتامي"، ومشرف البحوث بقسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها، الذي تفضل بقبول الإشراف على هذه الأطروحة، فكان نعم الموجه والأب الحاني والصديق الصادق، لم يبخل عليّ بوقته ولا بخبرته، وكان دائم التشجيع والتوجيه، حاضراً كلما لجأت إليه، ساعياً في رفدي بالنصح والرأي الرشيد حتى أتممت هذه الرحلة العلمية.

كما أتوجه ببالغ الامتنان والعرفان إلى الأستاذ الدكتور سابق سليمان، المشرف المساعد على البحث، ورئيس قسم اللغة العربية سابقاً وعميد كلية مامباد حالياً، الذي كان أول من تواصلت معه، فاستقبلني بترحاب كبير، ورافقني منذ خطواتي الأولى، مقدماً لي النصح والإرشاد والدعم العلمي والفكري والمعنوي، حتى غدا سنداً أعتز به، ومعلماً أفتخر بفضلته، وصديقاً في الغربة.

ولن أنسى أن أخصّ بالشكر السادة الأفاضل من أساتذة كلية مامباد الذين قدموا لي عونهم العلمي والمعنوي، وفي مقدمتهم عميد الكلية السابق الدكتور أنس، وخلفه الدكتور منظور علي، وأمين

الكلية الدكتور عبد الرحمن، وهيئة التدريس الكريمة بقسم اللغة العربية، وأمناء المكتبة، لما قدموه من دعم صادق وتعاون كريم.

كما أعرب عن تقديري العميق للأساتذة الكرام الذين كان لمساندتهم أثر بالغ في إنجاز هذا البحث، ولا سيما في مرحلة جمع البيانات، وفي مقدمتهم الدكتور عبد الودود النزيلى، رئيس قسم اللغة الإنجليزية في كلية اللغات بجامعة صنعاء - اليمن، والدكتور محمد عبد الله الشلبي، رئيس جامعة المحويت - اليمن، والدكتور محمد صنعة، نائب رئيس جامعة المحويت - اليمن، والدكتور نبيل شمسان، رئيس قسم اللغة العربية بكلية التربية المحويت - اليمن، والدكتور نسيم أخطر الندوي، رئيس قسم اللغة العربية بالجامعة الملوية الإسلامية - نيودلهي، والدكتور عبد المجيد إي، رئيس قسم اللغة العربية بجامعة كاليكوت - كيرالا، على ما قدموه من دعم لا محدود أسهم في إتمام مراحل هذا العمل.

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر الخالص للدكتور علي محمد صالح الحمزي، عضو هيئة التدريس بجامعة المحويت - اليمن، الذي كان خير سند في الغربة، ورفيقاً كريماً في تبادل المراجع والمعلومات. كما أخص بالشكر الأخ أمجد سديم من "أرمبرا" - كيرالا، الذي كان أول من استقبلني في هذه الولاية، فكان مثال الأخوة والمودة.

وإلى كل من أسدى إليّ معروفاً، أو قدم لي دعماً - مادياً أو معنوياً - من قريب أو بعيد، أرفع أسمى عبارات الشكر والعرفان، وأجزل كلمات الامتنان، وأسأل الله أن يجزيهم جميعاً عني خير الجزاء.

عبد القادر أحمد عبد الله الحمزي

الملخص

يتناول هذا البحث ظاهرة الإبدال الصوتي في نطق متعلمي العربية من الناطقين بغيرها في الهند، بوصفها مظهراً لغوياً يعكس التفاعل المعقد بين البنية الصوتية للغة الأم والمتطلبات الفونولوجية للعربية. تنبع أهمية الدراسة من ندرة البحوث التي تقدم توصيفاً علمياً شاملاً لهذه الظاهرة، مع الأخذ بعين الاعتبار التباين الجغرافي والفونولوجي للمتعلمين في السياق الهندي، وقد هدفت الدراسة إلى رصد أنماط الإبدال في الصوامت والصوائت، وتحليل أثر العوامل الجغرافية والتركيبية والإدراكية والفسولوجية، وصياغة تفسير تكاملي يمكن أن يوجّه المعالجة التربوية لهذه الظاهرة. اعتمد البحث منهجاً مختلطاً (كمي + نوعي)، إذ استند الجانب الكمي إلى قياس نسب الإبدال وتحليل تبايناته باستخدام أدوات إحصائية ورسوم بيانية، في حين تناول الجانب النوعي الوصف التفصيلي للظاهرة وتفسيرها في ضوء النظريات الفونولوجية والاجتماعية. جُمعت البيانات من متعلمي العربية في شمال الهند وجنوبها عبر اختبارات نطقية، وتسجيلات صوتية، ومقابلات شبه مهيكلية، مما أتاح الدمج بين الدقة الرقمية وعمق التحليل الوصفي.

أظهرت النتائج أن الإبدال في الصوامت يتسم بانتظام واضح، مع ارتفاع نسبته في الأصوات غير الموجودة في النظام الصوتي للغة الأم، بينما شملت الصوائت نسباً مرتفعة في الفتحة والسكون والتضعيف مع استقرار بعض الألفاظ ذات الطابع الديني، كما برز أثر الموقع الجغرافي في اختلاف الأنماط الإبدالية، وأثر موقع الصوت في الكلمة، إضافة إلى دور العوامل الإدراكية والفسولوجية في ترسيخ الظاهرة، وانتهت الدراسة إلى تفسير تكاملي يربط بين أثر النظام الفونولوجي للغة الأم،

واستراتيجيات الاكتساب الفردية، ومبدأ الجهد الأقل في النطق، بما يفسر تفضيل البدائل الأسهل إنتاجاً.

يسهم هذا البحث في إثراء الدراسات الصوتية التطبيقية من خلال تقديم توصيف دقيق ومقارن لأنماط الإبدال الصوتي في السياق الهندي، ويقترح تطوير مناهج تعليمية تراعي الفروق الفردية والجغرافية، وتدمج بين التدريب السمعي والفسولوجي والتصحيح النطقي المستمر، مع التوصية بتوسيع الدراسات الميدانية لتشمل بيئات لغوية أخرى بهدف بناء تصور شامل لظاهرة الإبدال الصوتي في تعليم العربية للناطقين بغيرها.

المحتويات

الشكر والعرفان	١
الملخص	٣
فهرس الجداول	١٢
الافتتاحية	١٥
أ. المقدمة	١٥
ب. دوافع الباحث	١٧
ج. مشكلة البحث	١٨
د. أسئلة البحث	١٨
هـ. أهداف البحث	١٩
و. أهمية البحث	٢٠
ز. منهجية البحث وإطاره	٢١
ح. فرضية البحث	٢٢
ط. الدراسات السابقة	٢٢
ي. تبويب البحث	٢٦
ك. التعريف بمصطلحات البحث	٢٨
١: الباب الأول: الأسس اللسانية والصوتية لظاهرة الإبدال الصوتي	٢٩
١-١: مدخل إلى مفاهيم الإطار النظري للدراسة	٣٠
١-١-١: اللغة	٣٠
١-١-٢: اللغة العربية الفصحى	٣٥
١-١-٣: اللغة العربية (الكلاسيكية، الحديثة، العامية)	٤١

٤٤	٤-١-١ : اللهجة
٤٧	٥-١-١ : اللغة الأم (الأولى)
٥٥	٦-١-١ : اللغة الثانية
٥٧	٧-١-١ : اللغة الأجنبية
٥٨	٨-١-١ : الفرق بين اللغة الأجنبية واللغة الثانية
٦١	٢-١ : علم الصوت الحديث
٦٢	١-٢-١ : الفوناتيک
٦٣	٢-٢-١ : الفونولوجيا
٦٤	٣-٢-١ : علاقة الفوناتيک بالفونولوجيا
٦٧	٣-١ : الصوت
٧٨	١-٣-١ : الفونيم
٨٤	٢-٣-١ : المورفيم
٨٤	٣-٣-١ : الألفون
٨٥	٤-٣-١ : العلاقة بين الألفون والفونيم
٨٦	٥-٣-١ : المقطع الصوتي
٨٩	٦-٣-١ : السكون
٩٣	٤-١ : الصوامت
٩٤	١-٤-١ : صفات الأصوات الصامتة باعتبار الأوتار الصوتية
١٠٤	٢-٤-١ : صفات الأصوات الصامتة باعتبار المخارج والأحياز
١٠٩	٣-٤-١ : صفات الأصوات الصامتة باعتبار مرور الهواء
١١٧	٤-٤-١ : التصنيفات الفرعية للأصوات الصامتة
١١٩	٥-٤-١ : قياس شدة تردد الأصوات الصامتة
١٢٣	٥-١ : أشباه الصوائت

١٢٤	١-٥-١ : خصائص أشباه الصوائت
١٢٥	٢-٥-١ : أشباه الصوائت في الدراسات اللغوية القديمة
١٢٦	٣-٥-١ : أشباه الصوائت في الدراسات الصوتية الحديثة
١٢٧	٤-٥-١ : تحديات التصنيف الصوتي لأشباه الصوائت
١٢٨	٥-٥-١ : أثر أشباه الصوائت على البنية المقطعية
١٢٨	٦-١ : الصوائت
١٢٩	١-٦-١ : نقاط اختلاف الصوائت عن الصوامت وأشباهها
١٣٢	٢-٦-١ : المواضع المميزة للصوائت
١٣٣	٣-٦-١ : الصوائت المرجعية
١٣٥	٤-٦-١ : درجات ارتفاع الصوائت
١٣٨	٥-٦-١ : أهمية الصوائت في بنية المقطع الصوتي
١٤٣	٢ : الباب الثاني: الإبدال الصوتي في اللغة العربية: المفهوم، المسارات، والتطبيقات
١٤٤	١-٢ : تعريف الإبدال الصوتي
١٤٧	١-١-٢ : الإبدال في النحو والصرف
١٤٨	٢-١-٢ : الإبدال والقلب
١٥٠	٣-١-٢ : الإبدال والإعلال
١٥٥	٤-١-٢ : الاشتقاق
١٥٧	٥-١-٢ : علاقة الإبدال بالاشتقاق
١٦٢	٢-٢ : مسوغات الإبدال الصوتي
١٦٢	١-٢-٢ : علاقات تسويغ الإبدال الصوتي
١٦٤	٣-٢ : الإبدال في اللهجات العربية
١٦٦	١-٣-٢ : الإبدال في اللهجات العربية الفصحى
١٦٧	٢-٣-٢ : أثر الإبدال في توحيد اللغة العربية

١٦٩	٢-٣-٣: الإبدال بين المنظور العربي القديم والحديث
١٧١	٢-٤: الإبدال في فونيمات اللغة العربية
١٧١	٢-٤-١: الإبدال في الفونيمات الصامتة
١٧٢	٢-٤-٢: الإبدال في الفونيمات الصائتة
١٧٤	٢-٥: تفسير ظاهرة الإبدال قديماً وحديثاً
١٧٤	٢-٥-١: آراء القدماء في تفسير الإبدال
١٨٤	٢-٥-٢: آراء المحدثين في تفسير الإبدال
١٨٨	٢-٥-٣: مقارنة بين تفسير القدماء والمحدثين
١٩١	٢-٦: عوامل ظاهرة الإبدال
١٩١	٢-٦-١: اللهجات
٢١١	٢-٦-٢: التغيرات التاريخية في النظم الصوتية
٢١٢	٢-٦-٣: العوامل النفسية
٢١٥	٢-٦-٤: السهولة والتيسير
٢٢٠	٢-٦-٥: اكتساب الأصوات
٢٢٢	٢-٦-٦: الذبوع والشيوع
٢٢٤	٢-٦-٧: التصحيف
٢٢٦	٢-٦-٨: الاشتقاق كعامل من عوامل الإبدال
٢٢٨	٢-٦-٩: قوانين التفاعلات الصوتية
٢٣١	٢-٧: الإبدال في علم الأصوات الطبيعي
٢٣٤	٢-٧-١: فرضية استبدال النمط الصوتي
٢٣٧	٢-٧-٢: اكتساب اللغة الأم
٢٥١	٢-٧-٣: اكتساب اللغة الأجنبية
٢٦٠	٢-٨: مبدأ: الجهد الأقل أو أقل جهد

٢٦٥	٢-٨-١: أسباب استخدام مبدأ الجهد الأقل
٢٧١	٣- الباب الثالث: اللغة العربية في الهند: الامتداد التاريخي والواقع التعليمي
٢٧٢	٣-١: تاريخ اللغة العربية في شبه القارة الهندية
٢٧٢	٣-١-١: اللغة العربية في الهند بعد الإسلام
٢٧٤	٣-١-٢: اللغة العربية في جنوب الهند بعد الإسلام
٢٧٦	٣-١-٣: اللغة العربية في شمال الهند بعد الإسلام
٢٧٨	٣-١-٤: اللغة العربية في عصر الاحتلال البريطاني للهند
٢٨٢	٣-١-٥: اللغة العربية في الهند بعد الاستقلال
٢٨٣	٣-٢: تعليم اللغة العربية في الهند حالياً
٢٨٥	٣-٣: الصحافة العربية في الهند
٢٨٩	٣-٣-١: الدوريات والمجلات الناطقة بالعربية في الهند حالياً
٢٩٧	٤: الباب الرابع: منهجية الدراسة وإجراءاتها التطبيقية
٢٩٨	٤-١: الخلفية المنهجية وإشكالية الدراسة
٢٩٩	٤-٢: منهج البحث
٣٠١	٤-٣: تصميم البحث
٣٠٣	٤-٤: تحديد مجتمع الدراسة وأبعاده
٣٠٤	٤-٤-١: البعد الزمني
٣٠٦	٤-٤-٢: البعد المكاني
٣١٢	٤-٤-٣: البعد البشري (الديمقراطي)
٣١٥	٤-٥: عينة البحث
٣١٨	٤-٦: مصادر البيانات
٣٢٠	٤-٧: أدوات جمع البيانات

٣٢٩.....	٨-٤ : استراتيجية التثليث
٣٣٣.....	٩-٤ : التحقق من صدق البيانات وصحة التحليل
٣٣٥.....	١٠-٤ : حدود الدراسة والاعتبارات الأخلاقية
٣٣٨.....	١١-٤ : إجراءات جمع البيانات
٣٣٩.....	١٢-٤ : تحليل البيانات
٣٤١	٥ : الباب الخامس: نتائج البحث ومناقشتها
٣٤٣.....	١-٥ : أنماط الإبدال الصوتي في الصوامت
٣٤٤	١-١-٥ : الفونيمات الصامتة المستهدفة وبدائلها
٣٤٨	٢-١-٥ : الصوت (ث/θ/)
٣٥٢	٣-١-٥ : الصوت (ح /ħ/)
٣٥٦	٤-١-٥ : الصوت (ذ /ð/)
٣٦١	٥-١-٥ : الصوت (ص /s/)
٣٦٤	٦-١-٥ : الصوت (ض /d/)
٣٦٧	٧-١-٥ : الصوت (ط /t/)
٣٧١	٨-١-٥ : الصوت (ظ /z/)
٣٧٥	٩-١-٥ : الصوت (ع /ʕ/)
٣٧٩	١٠-١-٥ : الصوت (غ /ɣ/)
٣٨٢	١١-١-٥ : الصوت (ق /q/)
٣٨٦	١٢-١-٥ : الصوت: (و /w/)
٣٩٤.....	٢-٥ : أنماط الإبدال الصوتي في الصوائت
٤٠٣.....	٣-٥ : التباين الجغرافي في الإبدال الصوتي
٤١٢.....	٤-٥ : أثر موقع الصوت داخل الكلمة

٤٢٤.....	٥-٥ : العوامل المؤثرة في الإبدال الصوتي
٤٣٤.....	٥-٦ : أثر اللغة الأم واستراتيجيات الاكتساب ومبدأ الجهد الأقل
٤٤٣.....	٥-٦ : مناقشة النتائج
٤٨٧	الخاتمة
٤٨٩	التوصيات
٤٩١	المقترحات البحثية
٤٩٣	المراجع باللغة العربية
٥١١	المواقع الإلكترونية
٥١٢	المراجع باللغة الإنجليزية
٥١٨	الملحقات

فهرس الجداول

جدول (١-٠): مقارنة بين الدراسات السابقة والدراسة الحالية	٢٥
جدول: (١-١) الفرق الجوهرى بين اللغة الثانية واللغة الأجنبية.....	٦٠
الجدول: (٢-١) الأصوات المهموسة.....	٩٥
الجدول: (٣-١) صفات ومخارج الأصوات المجهورة.....	٩٨
جدول: (٤-١) صفات ومخارج الأصوات الانفجارية.....	١١١
جدول: (٥-١) صفات ومخارج الأصوات الاحتكاكية.....	١١٥
جدول (١: ٦) ترتيب الأصوات الصامتة حسب شدة تردددها	١٢٠
جدول: (٧-١) الصوائت والصوامت وأشباه الصوائت.....	١٣١
جدول: (٨-١) الرموز الصوتية لأصوات اللغة العربية المستخدمة فى الدراسة الحالية	١٣٩
جدول: (١-٢) مقارنة بين الإبدال والاشتقاق	١٦٠
جدول: (٢-٢) آراء القدماء والمحدثين حول الإبدال	١٩٠
جدول: (١-٤): توزيع أفراد العينة حسب الموقع الجغرافى والمؤسسة التعليمية	٣١٦
جدول: (٢-٤): توزيع أفراد العينة حسب اللغة الأم والموقع الجغرافى	٣١٧
جدول: (٣-٤) الكلمات المفردة للاختبار الصوتى للأصوات الصامتة المستهدفة.....	٣٢٢
جدول: (٤-٤) الاختبار الصوتى للأصوات الصامتة فى السياق.....	٣٢٥
جدول: (٥-٤): مفردات الاختبار الصوتى للأصوات الصائتة	٣٢٦
جدول (١-٥): صفات ومخارج الأصوات الصامتة المستهدفة والبديلة.....	٣٤٤
جدول (٢-٥): نسب إبدال الصوت (ث /θ/) فى الكلمات المفردة.....	٣٤٩
جدول (٣-٥): نسب إبدال الصوت (ث /θ/) فى الجمل (السياق التركيبى).....	٣٥٠

٣٥٢	جدول (٤-٥): نسب إبدال الصوت (ح/ħ/) في الكلمات المفردة
٣٥٥	جدول (٥-٥): نسب إبدال الصوت (ح/ħ/) في الجمل (السياق التركيبي)
٣٥٧	جدول (٦-٥): نسب إبدال الصوت (ذ/ð/) في الكلمات المفردة
٣٥٩	جدول (٧-٥): نسب إبدال الصوت (ذ/ð/) في (الجمل) السياق التركيبي
٣٦٢	جدول (٨-٥): نسب إبدال الصوت (ص/š/) في الكلمات المفردة
٣٦٣	جدول (٩-٥): نسب إبدال الصوت (ص/š/) في الجمل (السياق التركيبي)
٣٦٤	جدول (١٠-٥): نسب الإبدال الصوتي للصوت (ض/d/) في الكلمات المفردة
٣٦٥	جدول (١١-٥): نسب الإبدال الصوتي للصوت (ض/d/) في الجمل (السياق التركيبي)
٣٦٨	جدول (١٢-٥): نسب إبدال الصوت (ط/t/) في الكلمات المفردة
٣٧٠	جدول (١٣-٥): نسب إبدال الصوت (ط/t/) في الجمل (السياق التركيبي)
٣٧١	جدول (١٤-٥): نسب إبدال الصوت (ظ/z/) في الكلمات المفردة
٣٧٣	جدول (١٥-٥): نسب إبدال الصوت (ظ/z/) في الجمل (السياق التركيبي)
٣٧٥	جدول (١٦-٥): نسب إبدال الصوت (ع/ġ/) في الكلمات المفردة
٣٧٧	جدول (١٧-٥): نسب إبدال الصوت (ع/ġ/) في الجمل (السياق التركيبي)
٣٧٩	جدول (١٨-٥): نسب إبدال الصوت (غ/ġ/) في الكلمات المفردة
٣٨١	جدول (١٩-٥): نسب إبدال الصوت (غ/ġ/) في الجمل (السياق التركيبي)
٣٨٢	جدول (٢٠-٥): نسب إبدال الصوت (ق/q/) في الكلمات المفردة
٣٨٤	جدول (٢١-٥): نسب إبدال الصوت (ق/q/) في الجمل (السياق التركيبي)
٣٨٧	جدول (٢٢-٥): نسب إبدال الصوت (و/w/) في الكلمات المفردة
٣٩٠	جدول (٢٣-٥): نسب إبدال الصوت (و/w/) في الجمل (السياق التركيبي)
٣٩٥	جدول (٢٤-٥): نسب إبدال الصوائت في الكلمات المفردة

- جدول (٥-٢٥): نسب الإبدال في الأصوات الصامتة حسب العامل الجغرافي ٤٠٤
- جدول (٥-٢٦): نسب الإبدال في الأصوات الصائتة حسب العامل الجغرافي ٤٠٩
- جدول (٥-٢٧): نسب إبدال الصوامت في المفردات حسب موقع الصوت ٤١٣
- جدول (٥-٢٨): العوامل المؤثرة في إبدال الأصوات الصامتة المستهدفة ٤٢٦
- جدول (٥-٢٩): العوامل المؤثرة في إبدال الأصوات الصائتة المستهدفة ٤٢٨
- جدول (٥-٣٠): العوامل الإدراكية والفسولوجية المؤثرة في الإبدال الصوتي ٤٣٢
- جدول (٥-٣١): العوامل المؤثرة في الإبدال الصوتي حسب نوع الصوت ٤٣٥
- جدول (٥-٣٢): أثر اللغة الأم، مبدأ الجهد الأقل، واستراتيجيات الاكتساب ٤٤٠

الافتتاحية

أ. المقدمة

تمثل الدقة الصوتية حجر الأساس في اكتساب العربية كلغة ثانية أو أجنبية، إذ ينعكس ضبط المخارج والصفات بدقة على وضوح النطق وكفاءة التواصل، وفي بيئات متعددة اللغات كاليهند، حيث تتعايش أُسر لغوية مختلفة في الخصائص الصوتية، يواجه المتعلمون تحديات خاصة عند إنتاج أصوات غير مألوفة في لغاتهم الأم، ويؤدي ذلك إلى ظهور الإبدال الصوتي، وهو استبدال الفونيم العربي المستهدف بآخر يختلف عنه في المخرج أو الصفة أو كليهما، مثل استبدال (/ث/) ب(/س/) أو تغيير نوع الحركة في مواضع محددة من الكلمة.

رغم أن الإبدال الصوتي ظاهرة معروفة في العربية ودُرست في سياقات متعددة، فإن معظم البحوث السابقة اتسمت إما بالطابع النظري أو ركّزت على لهجات عربية أو على متعلمين من بيئات لغوية غير هندية، ولا توجد حتى الآن دراسة ميدانية شاملة ترصد الظاهرة لدى متعلمي العربية في الهند، مع مقارنة منهجية بين الشمال والجنوب، وتحليل أثر موقع الصوت في الكلمة، ودراسة العوامل الإدراكية والفسولوجية المؤثرة.

تهدف هذه الدراسة إلى تقديم توصيف علمي مقنن لأنماط الإبدال الصوتي في الصوامت والصوائت لدى متعلمي العربية في الهند، وتحليل العوامل التي تؤثر فيها، وصولاً إلى صياغة توصيات تعليمية قائمة على الدليل لتحسين النطق العربي في برامج تعليم العربية للناطقين بغيرها.

اعتمد البحث منهجاً مختلطاً (كمي + نوعي)، حيث جُمعت البيانات من متعلمين هنود في جامعات شمالية وجنوبية عبر اختبارات نطقية للكلمات والجمل التي تتضمن الأصوات المستهدفة في مواقع مختلفة (بداية، وسط، نهاية الكلمة). سُجلت الاستجابات في بيئة هادئة، ثم قورنت بنطق عينة معيارية من ناطقين أصليين بالعربية، وقد حُللت النتائج إحصائياً لاستخراج نسب الإبدال، ودُعمت بتحليل وصفي يفسر الظاهرة في ضوء النظريات الفونولوجية والإدراكية.

تقتصر هذه الدراسة على العربية الفصحى المعيارية، ولا تشمل اللهجات أو الأشكال الهجينة إلا إذا اقتضى التحليل ذلك، وبذلك؛ تسعى إلى سد فجوة معرفية واضحة، وتقديم إضافة علمية وتطبيقية تسهم في تطوير استراتيجيات تعليم النطق العربي في بيئات متعددة اللغات.

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من كونها تقدم أول توصيف ميداني شامل لظاهرة الإبدال الصوتي لدى متعلمي العربية في الهند، مع تحليل فروق الأداء بين الشمال والجنوب وربطها بالعوامل الفونولوجية والإدراكية والفسولوجية، فهي لا تقتصر على إثراء المعرفة النظرية في مجال علم الأصوات وتداخل اللغات، بل توفر أيضاً أساساً عملياً لتطوير مناهج تعليم النطق العربي، وتصميم مواد تدريبية قائمة على بيانات واقعية، وتوجيه المعلمين إلى استراتيجيات أكثر فاعلية في معالجة الأخطاء النطقية الشائعة، كما يمكن لنتائجها أن تسهم في تعزيز كفاءة التواصل بين الناطقين بالعربية والمتعلمين الهنود، ودعم الجهود الرامية إلى توسيع انتشار العربية في بيئات لغوية متعددة.

ب. دوافع الباحث

تبلورت فكرة هذه الدراسة خلال مرحلة الماجستير في جامعة اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية بحيدر آباد/الهند (EFLU)، وهي مؤسسة متخصصة في تعليم اللغات ذات طابع دولي تستقطب طلاباً من مختلف أقاليم الهند (شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً) ومن دول متعددة. وفّر هذا التنوع الجغرافي والثقافي واللغوي بيئة ميدانية غنية لرصد الأداء الصوتي للناطقين بغير العربية في سياقات تواصلية طبيعية.

أظهرت الملاحظة المباشرة وجود فروق واضحة في النطق، إذ يميل بعض المتعلمين إلى استبدال صوامت أو صوائت معينة ببدائل أخرى، الأمر الذي كان يفضي أحياناً إلى غموض الكلمة أو تغيير معناها، بل وتعدّر فهمها في بعض المواقف، وقد تبين أن بعض أنماط الإبدال مشتركة بين ناطقين بلغات مختلفة، فيما ترتبط أنماط أخرى بخلفيات لغوية أو ثقافية محددة؛ وهو ما يعكس أثر العوامل الجغرافية والاجتماعية والعرقية في تشكيل الأداء الصوتي.

هذا الواقع الميداني، مقروناً بندرة الدراسات التي تناولت ظاهرة الإبدال الصوتي في سياق تعليم العربية للناطقين بغيرها في شبه القارة الهندية، حفّز الباحث على اختيار هذا الموضوع قصد رصد الظاهرة وتصنيف أنماطها وتحليل أسبابها ضمن إطار لساني-صوتي مُقنّن، وبما يسهم في إثراء المعرفة العلمية وتطوير طرائق تعليم العربية للناطقين بلغات أخرى.

ج. مشكلة البحث

تتناول هذه الأطروحة ظاهرة الإبدال الصوتي لدى متعلّمي العربية الناطقين بغيرها في السياق الهندي متعدّد اللغات؛ ويُقصد بالإبدال استبدالُ فونيمٍ عربيٍّ مستهدف بفونيمٍ آخر يختلف عنه في المخرج أو الصفة أو الموقع المقطعي، بما قد يفضي إلى آثارٍ ملحوظةٍ في البنية الصوتية وإدراكها، وتمثّل هذه الظاهرة تحدياً جوهرياً لوضوح النطق وسلامة التواصل، ويُتوقّع أن يسهم التنوّع اللساني للغات الأم الهندية—بما تحمله من منظوماتٍ صوتية متباينة—في تشكيل أنماط الإبدال أثناء اكتساب أصوات العربية، وعليه ترمي الدراسة إلى توصيفٍ مُقنّن للأنماط الأكثر شيوعاً من الإبدال وتحليل العوامل الكامنة وراءها، بما في ذلك التأثيرات اللغوية والإدراكية والعوامل البيئية/التعليمية، مع فحص الفروق الإقليمية المحتملة بين شمال الهند وجنوبها وأوجه التشابه والاختلاف بين المتعلمين، كما تستكشف أثر اللغة الأم وطرائق التعرّض للعربية ومبدأ الجهد الأقل في توجيه المتعلمين نحو بدائل صوتية أقرب إلى منظوماتهم الأصلية، وصولاً إلى توصياتٍ مبنيةٍ على الدليل لتحسين منهجيات تعليم النطق في البيئات متعدّدة اللغات.

د. أسئلة البحث

سعيّاً إلى معالجة مشكلة الدراسة وتحقيق أهدافها، تستهدف هذه الدراسة الإجابة عن تساؤلات تتناول جوانب ظاهرة الإبدال الصوتي من حيث المقاطع المتأثرة، والعوامل المحفّزة، والفروق الإقليمية بين المتعلمين في الهند، وتتحدد الأسئلة فيما يأتي:

١. ما الصوامت التي يظهر فيها الإبدال الصوتي لدى متعلّمي العربية الناطقين بغيرها في الهند؟

٢. ما الصوائت التي تتعرض لإبدال صوتي لدى متعلمي العربية الناطقين بغيرها في الهند؟

٣. كيف تتباين أنماط الإبدال في الصوامت والصوائت بين متعلمي العربية في شمال الهند وجنوبها؟

٤. إلى أي حد يتأثر الإبدال الصوتي بموقع الصوت في الكلمة (بدايتها، وسطها، نهايتها) لدى متعلمي العربية في الهند؟

٥. ما مدى إسهام العوامل الفسيولوجية والإدراكية في هذه الظاهرة؟

٦. ما حجم أثر اللغة الأم، واستراتيجيات اكتساب العربية، ومبدأ الجهد الأقل في تشكيل ظاهرة الإبدال الصوتي لدى متعلمي العربية في الهند؟

هـ. أهداف البحث

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل ظاهرة الإبدال الصوتي لدى متعلمي العربية الناطقين بغيرها في الهند، عبر توصيف طبيعتها، وتحديد محدداتها، وتصنيف أنماطها، بغية استخلاص نتائج علمية قابلة للتطبيق في تطوير مناهج تعليم العربية للناطقين بغيرها، وتحدد الأهداف فيما يأتي:

١. تحليل أنماط الإبدال الصوتي في الصوامت لدى متعلمي العربية في الهند.

٢. تحليل أنماط الإبدال الصوتي في الصوائت لدى الفئة نفسها.

٣. مقارنة مظاهر الإبدال بين متعلمي الشمال والجنوب في الهند مع مراعاة الفروق الجغرافية والبيئية.

٤. اختبار أثر موقع الصوت داخل الكلمة (البداية، الوسط، النهاية) في حدوث الإبدال.

٥. تحليل إسهام العوامل الفسيولوجية والإدراكية في الظاهرة.

٦. تقويم أثر اللغة الأم، واستراتيجيات اكتساب العربية كلغة ثانية، ومبدأ «الجهد الأدنى» في

بروز الإبدالات الصوتية.

و. أهمية البحث

تنبع أهمية هذه الدراسة من الحاجة إلى فهم علمي دقيق لظاهرة الإبدال الصوتي لدى متعلمي العربية من الناطقين بغيرها في الهند، في ظل بيئة لغوية معقدة ومتعددة اللغات، فهي تمثل محاولة منهجية لرصد أنماط الإبدال في الصوامت والصوائت وتحليل العوامل المؤثرة فيها، مثل الموقع الجغرافي، والخلفية اللغوية، والعوامل الإدراكية والفسيولوجية، مع الاستعانة ببيانات ميدانية موثوقة ومقارنة نطق المتعلمين بنطق الناطقين الأصليين.

تكمّن القيمة العلمية للدراسة في كونها تسد فجوة واضحة في ميدان علم الأصوات التطبيقي، إذ تجمع بين التحليل الكمي والوصفي، وتربط النتائج بواقع تعليم العربية في شمال الهند وجنوبها، وهو جانب لم يُتناول بشمولية في البحوث السابقة، كما تقدم الدراسة نموذجاً يمكن الاستفادة منه في أبحاث مشابهة داخل بيئات لغوية أخرى.

أما من الناحية التطبيقية، فإن النتائج تمثل أداة مساعدة لمطوري مناهج تعليم العربية للناطقين بغيرها، إذ تتيح تصميم أنشطة تدريبية وبرامج نطق تراعي الفروق الفردية والجغرافية، وتوظف استراتيجيات سمعية ونطقية فعّالة لمعالجة الأخطاء الشائعة، وبذلك، تسهم الدراسة في تحسين

وضوح النطق، وزيادة كفاءة التواصل لدى المتعلمين، وتعزيز انتشار العربية في بيئات متعددة اللغات، بما يحقق تفاعلاً ثقافياً أوسع بين العالم العربي والهند.

ز. منهجية البحث وإطاره

اعتمدت هذه الدراسة منهجاً وصفيّاً تحليلياً يجمع بين البعدين الكمي والنوعي، بهدف رصد وتحليل ظاهرة الإبدال الصوتي في الأصوات العربية الصامتة والصائتة لدى متعلمي العربية من الناطقين بغيرها في الهند، وتحديد العوامل المؤثرة في هذه الظاهرة، وقد شمل مجتمع الدراسة طلاباً من جامعات هندية موزعة على الشمال والجنوب، هم طلاب من المراحل الجامعية الثلاث: البكالوريوس، والماجستير، والدكتوراه، بما يتيح تمثيلاً واسعاً لمستويات التعلم المختلفة.

تكوّنت عينة البحث من عدد من الطلاب الذين خضعوا لاختبار صوتي أُعدّ خصيصاً للدراسة، وتضمّن كلمات مفردة وجملاً تتضمن الأصوات المستهدفة في مواقعها المختلفة (بداية الكلمة، وسطها، نهايتها)، مع مراعاة التنوع في البنية المقطعية والسياق التركيبي.

تم جمع البيانات الميدانية خلال ثلاثة أشهر، بحيث خُصّص شهر كامل لكل جامعة، وتولّى الباحث عملية التسجيل الصوتي الفردي للمشاركين في بيئة صفية هادئة. عُولجت البيانات من خلال تفريغها صوتياً وتصنيف نطق كل صوت في فئتين أساسيتين: مطابق إذا جاء وفق النطق العربي الفصيح، ومبدل إذا طرأ عليه تغيير فونولوجي ملحوظ.

عُرِضت النتائج في جداول إحصائية ورسوم بيانية توضح نسب الإبدال ومعدلات المطابقة، مع تحليل الفروق تبعاً للمتغيرات الجغرافية والاجتماعية، بالإضافة إلى الاستفادة من بيانات

استبيانات أُجريت مع المعلمين والطلاب لتفسير بعض الظواهر الصوتية التي ظهرت في النطق، كما أُرفقت الملاحظات الميدانية لتدعيم القراءة التحليلية للنتائج وربطها بالإطار النظري للدراسة.

ح. فرضية البحث

تفترض هذه الدراسة أنّ الإبدال الصوتي لدى متعلّمي العربية الناطقين بغيرها في الهند ظاهرة منهجية نسبياً تنشأ عن تفاعل عوامل فونولوجية وإدراكية وتعليمية؛ إذ يُتوقَّع أن يستعيض المتعلّمون عن بعض الصوامت والصوائت بأصواتٍ أكثرُ ألفةً في منظوماتهم الصوتية الأم، اتساقاً مع التقارب الصوتي ومبدأ الجهد الأقل، كما تتباين معدّلات الإبدال وأنماطه تبعاً لـ الإقليم (شمال/جنوب) والخلفيات اللغوية، ووفق موقع الصوت في الكلمة وفئته، بما يشي بأثرٍ إدراكي-نطقي قابلٍ للتحقّق في البيانات الكمية وتعضده الشواهد النوعية.

ط. الدراسات السابقة

تُعد ظاهرة الإبدال الصوتي من الموضوعات التي حظيت باهتمام متنوع في الدراسات اللغوية العربية، بدءاً من المعالجة التراثية في كتب النحو والصرف والبلاغة والتجويد، وصولاً إلى التحليلات الحديثة التي استفادت من مناهج علم الأصوات وفونولوجيا اللغات، وقد تباينت مقاربات الباحثين بين البعد التاريخي الوصفي، والبعد المقارن بين اللغات، والبعد الميداني القائم على بيانات النطق الفعلية. غير أن معظم هذه الدراسات لم تُعالج الظاهرة معالجة شاملة لدى متعلّمي العربية في السياق الهندي، ولم تجمع بين تحليل الصوامت والصوائت معاً أو تربط النتائج بالعوامل الجغرافية والفسولوجية والإدراكية.

تنوعت المعالجات السابقة للظاهرة، ومن أبرزها:

١. سميرة شيخ (تجليات ظاهرة الإبدال الصوتي في اللهجات العربية):

تناولت الظاهرة في اللهجة الجزائرية ضمن إطار اللهجات المحلية، معتمدة على تحليل وصفي للنطق الميداني. ركزت على التحولات الصوتية داخل اللهجة دون أن تتناول تعليم العربية للناطقين بغيرها أو أثر اللغة الأم.

الفجوة: عدم ارتباط النتائج بتعليم العربية كلغة ثانية أو السياق الهندي.

٢. محمد عبد الله أبو الرب (الإبدال في الأصوات المستعالية):

درس الإبدال في أصوات محددة (ص، ض، ط، ظ، ق، خ، غ) من منظور تاريخي، مستنداً إلى كتاب سر صناعة الإعراب لابن جني. قدّم تحليلاً تراثياً دقيقاً لكنه افتقر إلى البيانات الميدانية المعاصرة.

الفجوة: غياب التحليل الميداني وارتباط النتائج بمتعلمي العربية المعاصرين.

٣. عمر بوبفار (ظاهرة الإبدال بين الصوامت: مقارنة صوتية دلالية)

بحث الإبدال بين الصوامت في القراءات الشاذة للقرآن الكريم. ركز على البعد الدلالي دون معالجة الصوائت أو السياقات التعليمية.

الفجوة: حصر الظاهرة في النص القرآني وعدم تناول المتعلمين أو الصوائت.

٤. عبد الكريم بورنان (الاستبدال الصوتي وأثره الدلالي في العربية)

حلّل أثر الإبدال على المعجم العربي من منظور دلالي، مع الاستناد إلى أمثلة تراثية. لم يدرس الظاهرة ميدانياً أو يقارن بين فئات المتعلمين.

الفجوة: غياب الجانب الصوتي التجريبي وارتباط النتائج بواقع النطق الحديث.

٥. حسام محمد رمضان (الإبدال الصوتي في المعجم السواحلي)

تناول الظاهرة في اللغة السواحلية، محلاً الأثر الدلالي من منظور مقارن. الابتعاد عن السياق العربي الحديث جعل النتائج محدودة التطبيق على العربية الفصحى.

الفجوة: لغة الدراسة مختلفة وعدم معالجة الأداء الفعلي في العربية.

٦. أحمد الخالدي (ظاهرة الإبدال الصوتي في اللغة العربية مقارنة بالإنجليزية)

أجرى دراسة مقارنة بين العربية والإنجليزية، معتمدة على متعلمين من خلفيات لغوية متنوعة. ركز على المقارنة النظرية ولم يُجرِ مقارنة مباشرة مع أداء الناطقين الأصليين.

الفجوة: عدم تناول البيئة الهندية أو الفروق الجغرافية، وغياب بيانات ميدانية من الهند.

٧. مروة القحطاني (تأثير اللغة الأم على الإبدال الصوتي في تعلم العربية)

حللت دور اللغة الأم في تحديد أنماط الإبدال الأكثر شيوعاً لدى المتعلمين، لكنها لم تفحص أثر البيئة الجغرافية أو العوامل الاجتماعية.

الفجوة: غياب المقارنة بين مناطق جغرافية مختلفة داخل الدولة الواحدة.

جدول (١-٠): مقارنة بين الدراسات السابقة والدراسة الحالية

الدراسة	مجال التركيز	منهجية البحث	الفجوة البحثية	ما يميز الدراسة الحالية
سميرة شيخ – تجليات ظاهرة الإبدال الصوتي في اللهجات العربية	الإبدال في اللهجة الجزائرية	تحليل وصفي للهجات محلية	لم تتناول متعلي العربية كلغة ثانية أو أجنبية	تركيز على متعلي العربية من الناطقين بغيرها (هنود)
د. محمد عبد الله أبو الرب – الإبدال في الأصوات المستعلية	أصوات مستعلية (ص، ض، ط، ظ، ق، خ، غ)	تحليل تاريخي استناداً لكتاب سر صناعة الإعراب	غياب المنهج الميداني وعدم دراسة المتعلمين	استخدام تسجيلات ميدانية وتحليل أداء صوتي فعلي
عمر بوبفار – ظاهرة الإبدال بين الصوامت: مقارنة صوتية دلالية	الإبدال بين الصوامت في القراءات الشاذة	دراسة نصية	لم يشمل الصوامت ولم يتناول المتعلمين	شمول الصوامت والصوامت معاً وتحليل ميداني
د. عبد الكريم بورنان – الاستبدال الصوتي وأثره الدلالي في العربية	الأثر الدلالي للإبدال	دراسة نظرية	غياب التحليل الصوتي الميداني	تحليل نطق فعلي مع دراسة الأثر الصوتي
حسام محمد رمضان – الإبدال الصوتي وأثره الدلالي في المعجم السواحلي	الإبدال في السواحلية وأثره الدلالي	تحليل معجمي	لغة مختلفة وعدم تناول الجانب الصوتي الفعلي	دراسة عربية ميدانية مع تحليل نطق حقيقي
د. أحمد الخالدي – ظاهرة الإبدال الصوتي في اللغة العربية مقارنة بالإنجليزية	مقارنة لغوية بين العربية والإنجليزية	تحليل مقارنة	لم يقارن بالمتحدثين الأصليين للعربية	مقارنة المتعلمين الهنود بالناطقين الأصليين
د. مروة القحطاني – تأثير اللغة الأم على الإبدال الصوتي في تعلم اللغة العربية	أثر اللغة الأم في الإبدال	دراسة نظرية	لم تتناول أثر البيئة الجغرافية أو تسجيلات ميدانية	مقارنة بين مناطق جغرافية داخل الهند مع بيانات صوتية حقيقية

يتضح من مراجعة هذه الدراسات أن أغلبها:

١. يركز على جانب واحد من الظاهرة (الصوامت فقط أو الجانب الدلالي فقط).
٢. يفتقر إلى الجمع بين التحليل الكمي والوصفي القائم على بيانات ميدانية حديثة.
٣. لا يربط النتائج بالعوامل الجغرافية أو الفسيولوجية أو الإدراكية لدى المتعلمين.
٤. لا يعالج الظاهرة في السياق الهندي متعدد اللغات، ولا يقارن بين الشمال والجنوب.

من هنا، تأتي أهمية هذه الدراسة في تقديم تحليل شامل يجمع بين الصوامت والصوائت، ويعتمد على بيانات ميدانية من متعلمي العربية في شمال الهند وجنوبها، مع مقارنة نطقهم بنطق الناطقين الأصليين، وربط النتائج بعوامل متعددة (لغوية، إدراكية، جغرافية، فسيولوجية).

ي. تبويب البحث

تتألف هذه الأطروحة من افتتاحية وخمسة أبواب رئيسة وخاتمة، يضم كل باب مجموعة من

الفصول والمباحث التي تتدرج من الإطار النظري إلى التحليل الميداني وطرح النتائج، كالآتي:

الافتتاحية: تتضمن: المقدمة، دوافع الدراسة، مشكلة البحث وأسئلته، الأهداف، الأهمية، منهجية البحث وفرضياته، عرض الدراسات السابقة، تبويب البحث، والتعريف بالمصطلحات الأساسية.

الباب الأول: الأسس اللسانية والصوتية لظاهرة الإبدال الصوتي:

يعرض الإطار النظري المتعلق بمفاهيم اللغة، والفروق بين اللغة الأم والثانية والأجنبية، وتعريف الصوامت والصوائت وأشباه الصوائت، وخصائصها الصوتية والمقطعية، بوصفه أساساً لفهم الظاهرة.

الباب الثاني: الإبدال الصوتي في اللغة العربية:

يتناول مفهوم الإبدال وأنواعه، وعلاقته بظواهر صوتية أخرى، ومسوغاته، وأشكاله في اللهجات العربية، ورؤى القدماء والمحدثين حوله، إضافة إلى العوامل المؤثرة فيه في ضوء علم الأصوات الطبيعي ومبدأ الجهد الأقل.

الباب الثالث: اللغة العربية في الهند – الامتداد التاريخي والواقع التعليمي

يستعرض تاريخ العربية في شبه القارة الهندية، وواقع تعليمها المعاصر، ودور الصحافة العربية في نشرها، بما يمهد لفهم بيئة الدراسة الميدانية.

الباب الرابع: منهجية الدراسة وإجراءاتها التطبيقية:

يشرح تصميم البحث، ومجتمع الدراسة وعينتها، وأدوات جمع البيانات، واستراتيجية التثليث والتحقق من صدق البيانات، مع بيان أساليب التحليل الإحصائي والصوتي المعتمدة.

الباب الخامس: نتائج البحث ومناقشتها:

يقدم عرضاً وتحليلاً لأنماط الإبدال في الصوامت والصوائت، والتباين الجغرافي، وأثر موقع الصوت في الكلمة، والعوامل المؤثرة في الظاهرة، مع مقارنة الأداء بين المتعلمين والناطقين الأصليين.

الخاتمة والملحقات: تتضمن الاستنتاجات، والتوصيات، والمقترحات البحثية المستقبلية، وقوائم

المراجع العربية والأجنبية، والملحقات

ك. التعريف بمصطلحات البحث

١. الإبدال الصوتي: عملية استبدال صوت معين بصوت آخر يختلف عنه في المخرج أو الصفة الصوتية، نتيجة لتأثير اللغة الأم أو صعوبة النطق، ويعد من الظواهر الشائعة لدى متعلمي العربية الناطقين بغيرها، مثل استبدال صوت (ث /θ/) بصوت (س /s/) لدى بعض المتعلمين الهنود.
٢. الأصوات العربية الصامتة (الصوامت): هي حروف اللغة العربية التي تعتمد في نطقها على إغلاق أو تضيق مجرى الهواء، مثل الباء والتاء والجيم والحاء، وتفاوت في صفاتها بين مجهورة ومهموسة، وانفجارية واحتكاكية، ويحدث الإبدال الصوتي فيها عند المتعلمين الهنود بسبب الاختلافات الفونولوجية بين العربية ولغاتهم الأم.
٣. الأصوات العربية الصائتة (الصوائت): هي الحركات القصيرة والطويلة في اللغة العربية، مثل الفتحة والضمة والكسرة والألف والواو والياء، وتؤثر في وضوح النطق وسلامة التواصل اللغوي، وقد يتعرض بعضها للإبدال الصوتي، مثل إبدال الفتحة بالسكون في بعض الكلمات عند المتعلمين الهنود.
٤. متعلمو اللغة العربية الناطقون بغيرها: هم الطلاب الهنود الذين يتعلمون اللغة العربية كلغة أجنبية، وفي هذا البحث؛ تشمل العينة طلاب الجامعات وطلاب الدراسات العليا في الهند، حيث تختلف أنماط الإبدال الصوتي لديهم باختلاف خلفياتهم اللغوية بين شمال الهند وجنوبها.

١ : الباب الأول: الأسس اللسانية والصوتية لظاهرة الإبدال الصوتي

شهدت العلوم الإنسانية في العصر الحديث تطوراً ملحوظاً وتحولاً جذرياً، على غرار العلوم التجريبية التي استفادت من التقدم التكنولوجي بشكل كبير، ويُعد علم اللسانيات من أبرز هذه العلوم التي تأثرت بهذا التطور، نظراً لكون اللغة أداة التواصل بين الشعوب، والأساس الذي يُبنى عليه هذا المجال، وقد انعكس هذا التطور بشكل خاص على علم الأصوات، حيث استفاد من التقدم العلمي في تطوير المختبرات والتقنيات الحديثة، مما أدى إلى توصيف الظواهر الصوتية بدقة غير مسبوقة، وأسهم في الارتقاء بالدراسة الصوتية إلى مستويات متقدمة.

وإذا كانت اللسانيات الحديثة قد شهدت قفزة نوعية في البحث والدراسة، فمن المؤكد أن هذه النهضة لم تكن وليدة اللحظة، بل استندت إلى إرث معرفي متين، لا سيما الأبحاث العربية القديمة، التي شكّلت حجر الأساس لكثير من المنطلقات التي تعتمد عليها الدراسات اللغوية المعاصرة اليوم.

يعد علم الصوتيات من الفروع الأساسية في الدراسات اللغوية، إذ يهتم بدراسة الأصوات اللغوية من حيث طبيعتها، وإنتاجها، وصفاتها، ووظائفها في بناء اللغة، كما يسهم في تحليل البنية الصوتية للكلمات، مما يساعد على فهم الفروق الصوتية بين اللهجات واللغات المختلفة.

لذا يركز هذا الباب في إطاره النظري على نظريات علم الصوت، حيث يتناول المفاهيم الأساسية المتعلقة بالصوتيات، بدءاً من تعريف اللغة، وطبيعة اللغة العربية، وأهم الفروقات بين اللغة الفصحى واللهجات، وصولاً إلى دراسة الأصوات اللغوية من حيث تصنيفها ووظيفتها، كما يستعرض

الباب الفروق بين الصوامت والصوائت، ويقدم تحليلاً علمياً لمخارج الأصوات وصفاتها، إلى جانب الإشارة إلى دور الأصوات في تشكيل المعنى داخل النظام اللغوي.

يهدف هذا الباب إلى وضع الأسس النظرية اللازمة لفهم ظاهرة الإبدال الصوتي، من خلال تقديم رؤية واضحة حول طبيعة الأصوات وتحولاتها داخل اللغة، مما يمهد للبحث في التغيرات الصوتية التي تشكل جوهر الدراسة.

١-١ : مدخل إلى مفاهيم الإطار النظري للدراسة

١-١-١ : اللغة

يُعرِّف ابن منظور -في لسان العرب- اللغة من خلال بيان جذرها اللغوي، حيث يقول: "لغا"، مشيراً إلى أن اللُّغُو واللَّغَا يُطلقان على السَّقَط، أي ما لا يُعتد به من كلام أو غيره، وما لا يُستفاد منه أو يُجني منه نفع، كما يوضح أن اللُّغُو واللَّغَا واللُّغُو تشير إلى الكلام غير المعقود عليه، أي غير المُعتد به، وينقل عن الفراء قوله: "قالوا: كل الأولاد لغاً، أي لغوً، إلا أولاد الإبل، فإنها لا تُلغى"، كما يورد عن الأصمعي قوله: "ذلك الشيء لك لغوً ولغاً ولغوى"، أي أنه أمر لا يُعتد به ولا يُقيم له الإنسان وزناً،^(١) إذن فللغة معجمياً معنيان هما: الأول: لغا بالأمر، أي (تكلم به)، والثاني: لغا يلغو لغواً: بطل؛ أي (أبطله وألغاه).^(٢)

(١) (ابن منظور ١٩٧٠)، ص: (٤٩، ٤٠)، الجزء: (٤٦)، المجلد: (٥)

(٢) (الخاني، تعريف اللغة ٢٠١٦)

يذكر الأزهري في معجمه التهذيب أن اللغة من الأسماء الناقصة، وأصلها لُغوةٌ مشتقة من الفعل لَغَا، الذي يدل على الكلام، كما يشير إلى أن "اللَّغَا" يُطلق على صغار أولاد الإبل التي لا يُعتد بها في الدية أو غيرها نظراً لحدائثة سنّها،^(١) ويورد الأزهري في تهذيبه قولاً عن ابن السكيت: "لَغَوَى الطير أصواتها"، ويورد -أيضاً- في الباب نفسه قولاً لأبي سعيد: "إذا أردت أن تنتفع بالأعراب فاستلغهم، أي: اسمع من لغاتهم"^(٢)، ويعرف ابن جني اللغة من حيث تصريفها وعدد حروفها فيقول: "وأما تصريف اللغة ومعرفة حروفها فإنها فُعْلة من لغوت أي: تكلمت، وأصلها لُغوة ككرة، وقُلَّة، وثُبَّة، كلها لاماتها واوات، لقولهم ثبة كأنها من مقلوب ثاب يثوب"^(٣).

تعريف اللغة اصطلاحاً: يُعرِّف ابن جني اللغة بأنها "أصواتٌ يُعبّر بها كلُّ قومٍ عن أغراضهم"، مما يؤكد على الطبيعة الصوتية للغة ودورها الأساسي في التواصل، حيث تُستخدم كوسيلة للتعبير عن الأفكار والحاجات بين أفراد المجتمع الواحد، لكن ابن جني؛ ذلك النابغة الذي لولاه ما تطورت علوم اللغة العربية، كان فطناً حذقاً متنبهاً لكل زلل؛ فهو لم يعرّف اللغة إنما بين حدّها بقوله: "باب القول على اللغة وماهي، أما حدها (فإنها أصوات) يعبر بها كلُّ قومٍ عن أغراضهم، هذا حدها"^(٤)، وقد قسّم ابن جني بهذا التعريف اللغة إلى عدة جوانب كالآتي:

الجانب الصوتي: أي أن اللغة تتكون من أصوات مختلفة تحمل معاني محددة.

(١) (الأزهري ١٩٦٤)، ص: (١٩٧)، الجزء: (٨)

(٢) المرجع نفسه، ص (١٩٨)، الجزء: (٨)

(٣) (ابن جني، الخصائص ١٩٥٨)، ص ٣٣، الجزء: (١)

(٤) المرجع نفسه، ص: (٣٣)، الجزء: (١)

الجانب التعبيري: أن اللغة تُستخدم للتواصل، والتفاهم بين الناس عما يريدون ويحتاجون.

الجانب الاجتماعي: أن اللغة تختلف من قوم إلى قوم، وتعكس ثقافتهم وهويتهم؛ فهو يقصد بهذا مادتها أو بنيتها بأنها (منظومة صوتية)، ويذكر استخدامها (للتعبير والتواصل)، ويذكر وظيفتها (التعبير عن الأغراض والحاجات).

كما إن ابن جني عرف اللغة في كتابه "سر صناعة الإعراب" بقوله: "وأما اللغة فهي ما يفهم من القول بالاستعانة بالمعنى المتفق عليه بين المتكلم والمخاطب، وإن كان ذلك مختصراً أو مطولاً، أو مبيناً أو مشكلاً، أو عربياً أو عجمياً، أو مشهوراً أو نادراً، أو حسناً أو قبيحاً".^(١)

يجدر بالذكر؛ إن ابن جني اختص في كتابه "سر صناعة الإعراب" بدراسة علم الصوت وعلم الصرف، ويُعدُّ سرّ الصناعة أول كتاب مستقل في علم الأصوات، وأحد أوائل الكتب العربية التي تناولت التصريف بشكل موسّع، وقد اشتمل هذا المؤلف على مجموعة من المباحث اللغوية المهمة، من بينها صفات الحروف، وزيادتها، وإبدالها، والزوائد، والتصريف، والجمع، والاشتقاق، مما يجعله مرجعاً بارزاً في الدراسات اللغوية والصوتية العربية.

وفي نفس الصدد من وجهة نظر حديثة حول تعريف اللغة؛ يقول أستاذ اللغات السامية في الجامعة الأمريكية -لبنان، أنيس فريحة: "إن صوغ تعريف علمي شامل للغة ليس بالأمر اليسير، فقد يتبادر إلى الذهن حسب العادة أن بإمكاننا القول بأنّ اللغة: "أصوات للتعبير عن الفكر"؛ إلا إن هذا التعريف ليس شاملاً، على الرغم من أن اللغة يمارسها البشر جميعهم على اختلاف أجناسهم

(١) (ابن جني، سر صناعة الإعراب ١٩٨٥)، ص ٢٠

بشكل عفوي، ولا يتطلب جهداً أو تفكيراً، فلو عرّفنا اللغة بأنها: مجموعة أصوات للتعبير عن الفكر، وحاولنا تطبيقه على واقع اللغة لوجدنا التعريف لا يعبر عن ماهية اللغة، فهي بهذا التعريف لا تشمل دور العقل الذي يترجم الأصوات إلى معنى، كما أن فيه شمولاً للثرثرة وهي لا تعد فكراً، فهذا التعريف ليس شاملاً لديه ولا يعبر عن كنه اللغة أو يشمل معناها الحقيقي، فهي أكثر من أصوات وهي أكثر من أنها وسيلة للتعبير، وقد خلص أخيراً للقول بأن اللغة ظاهرة بسلوكولوجية اجتماعية ثقافية مكتسبة، لا صفة بيولوجية ملازمة للفرد، فهي تتألف من مجموعة رموز صوتية لغوية اكتسبت عن طريق الاختبار لمعاني مقررة في الذهن، وبهذا النظام الرمزي الصوتي تستطيع جماعة ما أن تتفاهم وتتفاعل.^(١)

يبدو هذا التعريف شاملاً، وملخصاً لجهود عظيمة قام بها علماء اللغة على مختلف ألسنتهم ومشاربهم وحضاراتهم، فقد كان لعلماء العربية في القرنين التاسع والعاشر الميلادي دور بارز في جميع الفروع العلمية المعروفة آنذاك في العالم، وليس صحيحاً بأن اللغة العربية وعلمائها لم يكونوا سوى نَقْلَة لكنوز الحضارات القديمة.^(٢)

إذن لدينا تعريف حديث شامل؛ أورده الدكتور أنيس فريحة، حيث كان خلاصة دراسات قديمة وحديثة، وتعريف قديم أيضاً شامل؛ جاء به عبقرى العربية وأول متفرد في زمانه، وأول مختص في علم الأصوات العربية "ابن جني" والذي كان لديه نظريات في شتى مجالات الدراسات اللسانية

(١) (فريحة، نظريات اللغة ١٩٨١)، ص: (١٤)

(٢) (روشيل ١٩٩٠). ص: (٦٢)

والأدبية والمعجمية أيضاً، وكان لابد على الباحث من إيراد تعريف لمؤسس الدراسات اللغوية الحديثة صاحب المنهج البنيوي اللغوي السويسري "فرديناند دي وسير" "Ferdinand de saussure".

يُعرّف دي سوسير اللغة تعريفاً شاملاً ومُهماً، ففي البداية قال: "بأن اللغة نسق من العلامات، وأية ضوضاء ليست لغة بحد ذاتها؛ إلا حين تستخدم للتعبير عن الأفكار أو لإيصالها، ولا بد أن تكون تلك النسق من العلامات عبارة عن اتحاد بين الدال والمدلول، فالدال والمدلول كينونتين مستقلتين لا يوجدان في الحقيقة إلا بوصفهما العنصرين المكوّنين للعلامة، فالعلامة هي الحقيقة المحورية للغة، فإذا أردنا أن نفصل بين الجوهرى والثانوي لابد أن نبدأ من طبيعة العلامة ذاتها".^(١)

إذن فاللغة عند فرديناند دي سوسير علامات مكونة من قسمين هما: قسم يقوم به المتحدث؛ وهذه هي العلامات الصوتية، وقسم يختص بالمدلول الموجود في ذهن الفرد الذي يكون لديه في دماغه مدلول تلك الصورة الصوتية، وهي أيضاً في دماغ المتكلم، فالعلامات الصوتية تعتبر رموزاً أو علاماتٍ لترجمة الأفكار في ذهن الفرد، والتي تحمل نفس المدلول في ذهن الآخر.

مكونات اللغة لدى فرديناند دي سوسير

١. جزء خارجي: يضم الرنات الصوتية؛ التي تسير من الفم إلى الأذن، وجزء داخلي: يضم الأشياء الأخرى.

٢. جزء سيكولوجي، وآخر غير سيكولوجي؛ والذي يضم الأعمال الفسيولوجية التي تقوم بها الأعضاء الصوتية، كما يضم الحقائق الفيزيائية الواقعة خارج الفرد.

(١) (كلر ٢٠٠٠)، ص: (٣٠-٣١)

٣. جزء إيجابي فعّال، وآخر غير إيجابي فعّال، فكل شيء ينتقل من مركز الارتباط للمتكلم إلى

أذن السامع هو إيجابي فعّال، وكل شيء ينتقل من أذن السامع إلى مركز الارتباط عنده سلبى

فعّال.

٤. تقوم كل الأشياء الفعالة في الجزء السيكولوجى بدور التنفيذ.^(١)

١-١-٢: اللغة العربية الفصحى

تناقل اللغويون العرب تعريف ابن جني للغة، ذلك التعريف الذي استند إلى دراسة اللغة العربية الفصحى، فتميز بشموله ودقته في تحديد مفهوم اللغة وفقاً للمنظور السائد آنذاك وما تلاه من تطورات، مما جعله مرجعاً أساسياً في الدراسات اللغوية العربية، وقد عرّف ابن خلدون اللغة في مقدمته بأنها قدرة ذهنية مكتسبة، يمثلها نسقٌ من الرموز الاعتبارية المنطوقة، تُستخدم وسيلةً للتواصل بين أفراد المجتمع، مما يعكس البعد الاجتماعى والذهنى للغة بوصفها ظاهرة إنسانية متطورة تتأثر بالسياقات الثقافية والحضارية.

تُعد اللغة العربية إحدى أكثر اللغات انتشاراً ضمن أسرة اللغات السامية، حيث تمتد رقعتها الجغرافية عبر دول الوطن العربى، فضلاً عن انتشارها في مناطق أخرى مثل تركيا، والأحواز، ومالى، وتشاد، والسنغال، وإثيوبيا، وأريتيريا، وإيران، وجنوبى السودان، وتكتسب اللغة العربية مكانةً فريدة نظراً لكونها لغة القرآن الكريم، فهي ليست مجرد أداة تواصل، بل ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالهوية الإسلامية، إذ تُعتمد في أداء الصلوات والعبادات والشعائر الدينية، علاوةً على ذلك؛ تُعد العربية

(١) (الحمد، فكرة الصوت الساذج وأثرها في الدرس الصوتى العربى ٢٠٠٧)

لغة شعائرية لدى بعض الكنائس المسيحية في العالم العربي، حيث تُستخدم في الطقوس الدينية، كما كانت وسيلة للتعبير الفكري والديني في الأعمال اليهودية، لا سيما خلال العصور الوسطى، مما يعكس حضورها العابر للحدود الدينية والثقافية.^(١)

أدى انتشار الإسلام إلى تعزيز مكانة اللغة العربية على المستويين المباشر وغير المباشر، حيث أصبحت لغةً للعلم، والأدب، والسياسة على امتداد فترات طويلة في الأراضي التي خضعت للحكم الإسلامي، وقد ساهم ازدهار الحضارة الإسلامية في جعل العربية لغة العلم والمعرفة في مجالات الطب، والفلك، والفلسفة، والرياضيات، إذ ترجمت إليها المؤلفات اليونانية والهندية والفارسية، مما أدى إلى إثرائها وتطوير مصطلحاتها، ولم يقتصر تأثير اللغة العربية على النطاق الإسلامي فحسب، بل امتد ليشمل العديد من اللغات الأخرى مثل الفارسية، والتركية، والأوردية، والهندية، والمالايالامية، والكردية، والأمازيغية، والماليزية، والألبانية، والإندونيسية، بالإضافة إلى بعض لغات جنوب إفريقيا كالسواحلية، والهاوسا، والأمهرية، والتجينية، والصومالية، كما تركت العربية بصمتها في بعض اللغات الأوروبية، لا سيما البرتغالية، والإسبانية، والصقلية، والمالطية، حيث أدت عوامل عدة، مثل التفاعل التجاري والثقافي والحروب الصليبية، إلى انتقال العديد من المفردات والمفاهيم العربية إلى تلك اللغات.

ونتيجة لهذا التأثير الواسع؛ أصبحت اللغة العربية تُدرّس بشكل رسمي أو اختياري في عددٍ من الدول الإفريقية والإسلامية المجاورة للوطن العربي، بل حتى في بعض الدول الغربية التي أدركت

(١) (ابن خلدون ١٩٠٠)

أهمية العربية في فهم التراث الإسلامي والثقافة الشرق أوسطية، وقد لعبت المؤسسات الأكاديمية، مثل الجامعات ومراكز البحوث، دوراً كبيراً في نشر اللغة العربية وتعليمها للناطقين بغيرها، مما يسهم في تعزيز مكانتها على الصعيد العالمي.

وعلى الرغم من هذا الانتشار، تواجه اللغة العربية في العصر الحديث تحديات عدة، أبرزها التأثير المتزايد للغات الأجنبية نتيجة العولمة والتطور التكنولوجي، مما يتطلب جهوداً حثيثة للحفاظ على الهوية اللغوية العربية، سواء من خلال المؤسسات التعليمية أو السياسات اللغوية التي تهدف إلى تعزيز مكانة العربية في مختلف المجالات^(١)

١-٢-١-١ : الفصاحة

ترتبط الفصاحة في اللغة العربية بالبيان والوضوح، وهي مظهر من مظاهر اكتمال أدوات التعبير، بحيث يكون اللفظ مطابقاً للمعنى، وخالياً من العيوب التي قد تُضعف التأثير أو تُخلّ بالفهم، ويُقال في اللغة: "فصح الرجل فصاحة"، أي أصبح بليغاً قادراً على التعبير الواضح، فهو فصيح، وجمعه فصحاء وفصاح وفصح، وقد أوضح سيبويه أن الجمع الصحيح لفصيح على وزن "فصاح" يماثل جمع "قضيّب" على "قضب"، مما يعكس مرونة بنية اللغة العربية وقدرتها على التعبير الدقيق، وتُستخدم الفصاحة لوصف الأفراد واللغة على حد سواء، فيُقال: "رجل فصيح" إذا امتلك القدرة على البيان، و"كلام فصيح" إذا كان بليغاً واضحاً، و"لسان فصيح" إذا كان طلقاً لا

(١) (Ryding and Mehall 2005)

تعتريه عجمة أو تعقيد، كما يُقال: "أفصح الصبي" إذا بدأ بالكلام، و"أفصح عن الأمر" إذا كشفه وأوضحه بجلاء.^(١)

في السياق اللغوي؛ يُنظر إلى الفصاحة باعتبارها قدرة لغوية تُمكن المتحدث من التمييز بين جيد الكلام ورديئه، إذ يُقال: "أفصح الكلام" إذا كان واضحاً لا غموض فيه، و"أفصح به" أي أوضحه ببيان قاطع، وقد أورد ابن سنان الخفاجي تعريفاً للفصاحة بأنها "الظهور والبيان"، مستشهداً بتعابير العرب مثل: "أفصح اللبن" إذا انجلت رغوته، و"أفصح الصبح" إذا بان ضوءه، مما يدل على ارتباط الفصاحة بمفهوم الجلاء والانكشاف في التعبير.

اصطلاحاً: تُعرّف الفصاحة بأنها التعبير البليغ المؤثر الذي يجمع بين جمال الصياغة ودقة المعنى ووضوح الدلالة، ويشمل هذا المفهوم عدة مستويات من التعبير، وهي:

الفصاحة في الكلمة المفردة؛ تتمثل في خلو الكلمة من تنافر الحروف، والغموض، والشذوذ عن القياس اللغوي، بحيث تكون سلسلة النطق، واضحة المعنى، متوافقة مع القواعد الصرفية والنحوية المألوفة.^(٢)

تتجلى في التناسق اللفظي بين الكلمات، وخلو النص من ضعف التأليف أو التعقيد الذي يؤدي إلى اللبس، بحيث يكون الأسلوب منسجماً متين البناء.

(١) (ابن منظور ١٩٧٠)، الجزء: (١١)، ص: (٥٤٦)

(٢) (الخفاجي ١٩٨٢م)، ص: (٥٦-٥٧)

الفصاحة بالنسبة المتحدث: هي الملكة اللغوية التي تمكن الشخص من التعبير عن أفكاره بوضوح وطلاقة، بحيث يوصل المعاني بدقة، ويستخدم الألفاظ المناسبة للسياق والمقام، وتمثل اللغة العربية الفصحى النموذج الأمثل للفصاحة، إذ إنها اللغة التي عبّر بها الشعراء والبلغاء في عصور الازدهار الأدبي، وأصبحت ديوان العرب ومدونتهم الكبرى التي سجّلت تراثهم وثقافتهم، وقد اختارها الله عز وجل لإنزال القرآن الكريم بمختلف قراءاته، مما جعلها معياراً لغوياً شاملاً ومصدراً أساسياً في تقعيد اللغة، كما أنها لغة الحديث النبوي الشريف، الذي ورد بالسند الصحيح، مما أكسبها بُعداً دينياً يرسّخ مكانتها بين العرب والمسلمين.

لقد أسهمت اللغة العربية الفصحى في تشكيل الهوية الثقافية والحضارية للأمة العربية، حيث دوّنت بها أعظم الكتب التراثية في العلوم الدينية، والفلسفية، والأدبية، فكانت وسيلة التواصل بين العلماء في مختلف أرجاء العالم الإسلامي، ونتيجة لذلك، أصبحت اللغة العربية الفصحى المعيار الذي يُحتذى به في الخطاب الرسمي والأدبي، إذ التزم بها فصحاء العرب وشعراؤهم وكتّابهم عبر العصور.

على الرغم من أن الفصاحة ترتبط بالثبات في أصولها القاعدية والبلاغية، إلا أنها شهدت تطوراً في أساليب استخدامها عبر الزمن، نتيجةً لتفاعلها مع الثقافات واللغات الأخرى، وظهور الأساليب الأدبية الجديدة التي أثرت في بنية النصوص، ومع ذلك، ظلّت اللغة العربية الفصحى تحتفظ بجوهرها الفصيح الذي يجمع بين الإيجاز والوضوح والعمق، مما يجعلها قادرة على استيعاب المستجدات دون أن تفقد أصالتها.

في ظل العولمة والانفتاح الثقافي، تواجه الفصحاة العربية تحديات عدة، أبرزها التأثير المتزايد للغات الأجنبية على اللغة العربية، سواء في المصطلحات أو التراكيب اللغوية، كما أن التطور التكنولوجي وانتشار وسائل التواصل الاجتماعي أدى إلى شيوع الأساليب التعبيرية المختصرة، مما يستدعي تكثيف الجهود للحفاظ على أصالة الفصحاة العربية وتعزيزها في المناهج التعليمية والوسائط الإعلامية.

رغم التحديات التي تواجه اللغة العربية الفصحى، سواء من هيمنة اللغات الأجنبية في مجالات التعليم والبحث العلمي، أو من انتشار اللهجات العامية في وسائل الإعلام والتواصل اليومي، فإنها تظل ركيزة أساسية في حفظ التراث الثقافي العربي والإسلامي، فهي ليست مجرد وسيلة تواصل، بل تمثل هوية جامعة توحد الناطقين بها عبر الأزمان والأماكن، وتضطلع المؤسسات التعليمية والدينية والأكاديمية بدور محوري في تعزيز مكانة الفصحى، حيث تعتمد في المناهج الدراسية، والخطاب الديني، والنشاط الأكاديمي، ما يساهم في ترسيخها في الوجدان اللغوي والثقافي للأجيال الناشئة.^(١)

ولذلك؛ فإن الجهود المبذولة لدعم العربية الفصحى، سواء عبر تحديث المناهج، أو تعزيز استخدامها في الإعلام، أو تفعيل سياسات لغوية واضحة، تمثل ضرورة للحفاظ على مكانتها واستمرارها كلغة علم وفكر وإبداع، قادرة على التفاعل مع معطيات العصر دون أن تفقد أصالتها وعمقها الحضاري.

(١) (ع. حسين ١٩٨٤م)، ص: (٦٥)

١-٣: اللغة العربية (الكلاسيكية، الحديثة، العامية)

تطورت اللغة العربية إلى ثلاثة أصناف أساسية:^(١)

١. اللغة العربية الكلاسيكية.

٢. اللغة العربية الفصحى الحالية أو الحديثة.

٣. اللهجات العربية العامية الحالية.

اللغة العربية الكلاسيكية هي أقدم أشكال اللغة العربية الناشئة منذ القرن السابع وحتى القرن التاسع، وهي الشكل المستخدم في القرآن الكريم، أما اللغة العربية الفصحى الحالية؛ فهي الشكل الذي يظهر بعد القرن العاشر الميلادي حتى وقتنا الحالي، وهو الشكل الأكثر تشابهاً مع اللغة العربية الكلاسيكية من حيث المعجم والقواعد النحوية، والواقع أن المتحدثين الحاليين باللغة العربية لا ينظرون إلى أنهما لغتين منفصلتين؛ بل يعتبرونهما لغة واحدة يسمونها "العربية الفصحى".^(٢)

من المقبول على نطاق واسع أن اللغة العربية الكلاسيكية هي مجموعة صلبة مغلقة من المفردات والقواعد، أي أنها لا تسمح بالتجديد في معجمها اللغوي وهيكلها، في حين أن ما يُسمى باللغة العربية الفصحى الحالية أو الحديثة تعتبر معياراً من حيث مسماها ووصفها بالحالية أو الحديثة تنم عن أنها الشكل النموذجي، وهي المستخدمة في المدارس والجامعات والصحف والمجلات ومعظم المنشور التي طبعتها جامعة الدول العربية.

(١) (Alanazi 2024)

(٢) (Badawi 1985)

بمعنى أن اللغة العربية الفصحى الحديثة مفتوحة وليست مصمتة كالكلاسيكية، فالحديثه تستطيع استيعاب أسماء الآلات الحديثة كمصطلح "ورشة عمل"، وكلمة "طائرة"، و"تلفون"، وكلمة "تلفزيون" إلخ...

ومما يجدر ذكره أن معاجم اللغة الفصحى الكلاسيكية والفصحى الحديثة تختلف من حيث الكتابة، فكما كان هناك معاجم قديمة للغة الكلاسيكية "لغة القرآن الكريم"، فقد تم إصدار معجم حديث، حيث يسمح بكتابة المفردات فيه بأشكال مختلفة عن تلك التي في المعاجم القديمة، على سبيل المثال: يقبل المعجم الحديث كتابة كلمة "مسؤول" بهذا الشكل بالهمزة على الواو، وتكتب أيضا بهذا الشكل "مسئول" والهمزة على الياء كأشكال صحيحة، في حين أن اللغة العربية الكلاسيكية تؤيد كتابتها على هذا الشكل (مسؤول) فقط كشكل صحيح، كما يسمح معجم اللغة الحديثة بتباينات مختلفة في النطق، مع التسامح مع تحقيق كلمة (فَقْرَة)؛ فيجوز فيها نطقها بفتح الفاء أو كسرهما "فِقْرَة، وعلى العكس من ذلك، فاللغة العربية الكلاسيكية تعتبر أن "الفَقْرَة" هي النطق المؤهل الوحيد الذي أنتجه العرب القدماء، وتوضح الأمثلة المذكورة أن اللغة العربية الحديثة تسمح بمزيد من التنوع في النطق والكتابة في اللغة العربية الفصحى.

ما يتعلق بالنحو؛ فإن اللغة العربية الفصحى الحالية لا تختلف تماماً عن اللغة العربية الفصحى الكلاسيكية، فقد قام النحويون المعاصرون ببناء قواعد اللغة الفصحى في ضوء اللغة الكلاسيكية

لغة العربية، فالاختلافات بين اللغة العربية الحديثة، والعربية الفصحى الكلاسيكية تكمن في المقام الأول في أسلوب المفردات فقط.^(١)

اللهجات العامية الحالية هي اللهجات العربية غير الفصيحة التي يتم التحدث بها في دول مختلفة عبر العالم العربي، ويكتسب العرب لغتهم العامية الخاصة بهم ك لغات أولى من آبائهم ويستخدمونها في التواصل معهم، مع أفراد أسرهم وأقاربهم وأصدقائهم ومجتمعهم بأكمله، ومع ذلك فإنهم "يتعلمون" اللغة العربية الفصحى كلغة ثانية فاللغة الفصحى الحديثة يستخدمونها في المدارس والكلية والجامعات، كما تستخدم في المجالات الحكومية كلغة رسمية.^(٢)

إن وجود كل من اللغة الفصحى الحديثة، واللغة العامية في كل دولة عربية على حدة، يؤدي إلى ظهور ديغلوسيا بالإنجليزية: "diglossia" أو ازدواجية لغوية، وهو مصطلح اقترحه "فيرغسون" عام (١٩٥٩)^(٣) يشير إلى الحالة التي يتم فيها استخدام مجموعة متنوعة عالية المكانة، والمراد هنا هي اللغة العربية الفصحى الحديثة المستخدمة في النظام التعليمي، بينما يتم استخدام مجموعة متنوعة ذات حالة منخفضة أي اللهجات العامية للمحادثات العادية.^(٤)

يتضح من العرض السابق أن اللغة العربية في أنماطها الثلاثة (الكلاسيكية، الفصحى الحديثة، واللهجات العامية) تتميز بتباينات صوتية ومعجمية وأسلوبية، وهو ما ينعكس على المتعلم الأجنبي

(١) (Ryding and Mehall 2005)

(٢) (Alanazi 2024)

(٣) (Badawi 1985)

(٤) (Alanazi 2024)

عند تعرضه لها في سياقات التعليم أو التفاعل الاجتماعي. وفي السياق الهندي تحديداً، يواجه متعلمو العربية تحدياً مضاعفاً، إذ تأتي هذه التباينات فوق اختلاف النظام الصوتي للعربية عن أنظمتهم الصوتية الأم. فعلى سبيل المثال، قد يتأثر الإبدال الصوتي لديهم ليس فقط بالفروق بين العربية ولغاتهم، بل أيضاً بالفروق داخل العربية نفسها بين النمط الفصح القياسي الذي يدرّس في المؤسسات التعليمية، والأنماط العامية التي قد يتعرضون لها عبر الإعلام أو التواصل مع العرب. ومن ثم فإن فهم هذه التباينات البنيوية ضروري لتفسير أنماط الإبدال الصوتي المرصودة في هذه الدراسة وربطها بالعوامل التعليمية والاجتماعية والجغرافية في البيئتين الشمالية والجنوبية للهند.

١-٤-١: اللهجة

يرد الباحثون مفهوم اللهجة في سياق دراساتهم اللغوية للتمييز بينها وبين اللغة الفصحى، وذلك لما تحمله اللهجات من خصائص صوتية وتركيبية ومعجمية تميزها عن الفصحى، رغم اشتراكهما في أصل لغوي واحد، ومن المصطلحات ذات الصلة بظاهرة اللهجات ما يُعرف بالإبدال اللهجي، الذي يُصنّف ضمن الإبدال الشكلي أو الإبدال اللهجي عندما لا يؤدي إلى تغيير في المعنى، وهو ما سيتم توضيحه بشكل أكثر تفصيلاً في الفصل التالي، حيث سيتم التعريف بمفهوم اللهجة وتوضيح أنواع الإبدال.

وردت كلمة "اللهجة" في معاجم اللغة العربية بمعنيين؛ اللهجة بفتح اللام، واللهجة بتسكينها، وكلاهما يشيران إلى طبيعة نطق الكلام وجرسه، وتُستخدم كلمة "اللهجة" للإشارة إلى الأسلوب اللغوي الخاص بالفرد أو الجماعة، فيُقال: "فلان فصيح اللهجة" سواء بالفتح أو التسكين، أي أنه

يتحدث بأسلوب يتميز بخصائص لغوية معينة، كما ورد في الحديث الشريف: "ما من لهجة أصدق من أبي ذر"، أي لا أحد أصدق لساناً منه، مما يدل على ارتباط مفهوم اللهجة باللسان والنطق الطبيعي الذي ينشأ عليه الإنسان في بيئته.^(١)

تُعرف اللهجة اصطلاحاً: بأنها صفات لغوية تتميز بها بيئة معينة، يشترك كل أفراد تلك البيئة في تلك الصفات المعينة، وفقاً لما يراه الدكتور إبراهيم أنيس، كما يؤكد أن بيئة اللهجة ليست كياناً مستقلاً، بل هي جزء من بيئة لغوية أوسع تضم عدة لهجات، لكل منها خصائصها المميزة التي تميزها عن غيرها ضمن الإطار العام للغة الأم، إلا أنها تتشارك في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تمكن الأفراد الناطقين بها من التواصل بسهولة، وتبرز هذه النظرة الطابع الديناميكي للهجات باعتبارها وسيلة للتواصل داخل المجتمع المحلي.

وفي السياق ذاته، يُعرف محمد علي الخولي اللهجة بأنها الطريقة التي يتكلم بها الناس اللغة، حيث تعكس في كثير من الأحيان الانتماء الجغرافي أو الاجتماعي أو الثقافي للمتحدثين، وبناءً على ذلك، يُمكن تصنيف اللهجات إلى الآتي:

- اللهجات الجغرافية: التي تختلف بناءً على الموقع الجغرافي للمتحدثين.
- اللهجات الاجتماعية: التي ترتبط بالمستوى التعليمي أو الطبقة الاجتماعية.
- وتتميز كل لهجة بمجموعة من الخصائص التي تميزها عن غيرها في ثلاث جوانب هي:
- الصوتية: من حيث النطق واستخدام الأصوات.

(١) (ابن منظور ١٩٧٠)، الجزء: (١٣)، ص: (٨٦)

- اللفظية: من حيث تنوع المفردات والمصطلحات المحلية.
 - النحوية والصرفية: من حيث التركيب النحوي واستخدام الأفعال والصيغ المختلفة.
- تُعتبر اللهجات العربية امتداداً طبيعياً للغة الفصحى، وقد نشأت نتيجة لعوامل متعددة، منها:
- أ. التنوع القبلي: حيث أثرت لهجات القبائل العربية القديمة في تشكيل اللهجات المعاصرة، ما أدى إلى اختلافات في الأصوات والتركيب.
 - ب. التأثيرات التاريخية: حيث لعبت الفتوحات الإسلامية والاحتكاك بالثقافات المختلفة دوراً في تطور اللهجات واكتسابها سمات لغوية جديدة.
 - ت. الاستعمار: الذي شجّع على استخدام اللهجات العامية بدلاً من الفصحى؛ بهدف إضعاف الوحدة اللغوية بين الشعوب العربية.
- ويُنظر إلى اللهجة من قبل بعض الباحثين باعتبارها انحرافاً عن الفصحى في الأصوات والصرف والنحو، إلا أن هذا الرأي يواجه معارضة من قبل علماء اللغة الحديثة، الذين يعتبرون اللهجات تطوراً طبيعياً للغة نابعاً من الاستخدام اليومي والتغير الاجتماعي والثقافي.^(١)
- إن دراسة اللهجات تسهم في فهم طبيعة التنوع اللغوي العربي، وتساعد في عدة أمور؛ أبرزها:
- أ. الكشف عن تطور اللغة عبر الزمن.
 - ب. التعرف على أثر العوامل الاجتماعية والجغرافية في تشكيل أنماط الكلام.

(١) (أنيس، في اللهجات العربية ٢٠٠٣)، ص: (١٥)

ت. تحديد مدى تأثير اللهجات على اللغة الفصحى والعكس.^(١)

إذن فاللهجة جزء لا يتجزأ من الكيان اللغوي للمجتمعات، وتتميز بتنوعها داخل إطار اللغة الأم، وتظل دراسة اللهجات ضرورية لفهم تطور اللغة العربية وعلاقتها بمتحدثيها في مختلف البيئات والحقب الزمنية.^(٢)

هناك اختلاف بين مفهوم اللغة الأم أو اللغة الأولى، واللغة الثانية، واللغة الأجنبية، حيث يظهر هذا الاختلاف؛ من حيث الاستخدام الوظيفي للغة، فلكل مفهوم من هذه المفاهيم دور كبير في حياة الإنسان، وهنا يوضح الباحث هذه المفاهيم من خلال التعريف بكل مفهوم على حدة.

١-١-٥: اللغة الأم (الأولى)

تُعرّف اللغة الأم (Mother Tongue) بأنها اللغة الأولى التي يتعلمها الطفل في مرحلة الطفولة المبكرة، إذ يتشربها عقله منذ نعومة أظافره من خلال والديه وبيئته المحيطة، مما يجعلها جزءاً أساسياً من كيانه اللغوي والثقافي، وتُعدّ اللغة الأم الركيزة الأساسية التي يعتمد عليها الطفل في اكتساب اللغات الأخرى، حيث تؤثر في تطوير مهاراته اللغوية والإدراكية في المراحل اللاحقة من حياته، وفي هذا السياق؛ تحتفل الأمم المتحدة باليوم العالمي للغة الأم في الحادي والعشرين من فبراير من كل عام، وذلك بهدف رفع مستوى الوعي بأهمية التعدد اللغوي وتعزيز جهود الحفاظ على التنوع الثقافي، إدراكاً لدور اللغة الأم في تشكيل الهوية الشخصية والاجتماعية للأفراد.^(٣)

(١) (مغلي ٢٠١٣)، ص: (١٠٧)

(٢) (الخولي ٢٠٠٢م)، ص: (١٢٧)

(٣) (عدرة ٢٠٢٢)

تُعتبر اللغة الأم من العناصر الجوهرية التي تساهم في بناء هوية الفرد، حيث تُعكس من خلالها القيم الثقافية والأنماط الاجتماعية التي يكتسبها الطفل من محيطه، كما تُعدّ من أهم الركائز التي تحدد كفاءة الفرد اللغوية، إذ تمكّنه من التفاعل والتواصل بفعالية ضمن مجتمعه، ويُنظر إلى اللغة الأم على أنها الأداة التي تُكوّن وعي الإنسان وتُعمّق إحساسه بالانتماء إلى مجتمعه وثقافته.

١-١-٥: المتحدث الأصلي للغة

يُعدّ الشخص متحدثاً أصلياً إذا نشأ في بيئة لغوية تستخدم هذه اللغة كلغة رئيسية، حيث يكتسبها بطريقة طبيعية منذ ولادته أو خلال الفترة الحرجة لاكتساب اللغة، والتي حددها العالم اللغوي الأمريكي نعوم تشومسكي (Noam Chomsky) بالفترة الممتدة من الولادة وحتى سن الثانية عشرة، وذلك وفقاً لنظريته "فطرية اللغة (Innateness Hypothesis)"، التي تؤكد أن الإنسان مزود بآلية فطرية تمكّنه من اكتساب اللغة تلقائياً خلال هذه الفترة.

ويُنظر إلى المتحدثين الأصليين باعتبارهم السلطة اللغوية في لغتهم، نظراً لاكتسابهم اللغة بطريقة طبيعية، مما يمنحهم طلاقةً وتمكناً يختلف عن الذين يتعلمون اللغة لاحقاً كلغة ثانية، فمنذ الولادة، يتعرض الطفل لأصوات اللغة الأم، وتبدأ أجهزته الصوتية بالتكيف من خلال المحاكاة والتكرار، مما يجعله قادراً على تركيب الأصوات والكلمات بشكل تلقائي.

١-١-٥-٢: معايير الاكتساب والكفاءة

يُعد تحديد ما إذا كان الفرد متحدثاً أصلياً بلغة معينة مسألة معقدة تستند إلى مجموعة من المبادئ الأساسية التي تعكس مدى عمق ارتباطه بهذه اللغة واستمراريتها في استخدامها، ومن أبرز هذه المبادئ؛ ما يأتي:^(١)

١. الاكتساب المبكر والاستمرارية

يجب أن يكون اكتساب اللغة قد حدث خلال الطفولة المبكرة، إذ يُعتبر التعرض المبكر عاملاً حاسماً في التطور اللغوي السليم، كما أن استمرارية الاستخدام في مختلف مناحي الحياة اليومية تعزز رسوخ اللغة في الذهن، مما يساهم في تطوير المهارات اللغوية بشكل طبيعي.

٢. البديهة اللغوية

يتميز المتحدث الأصلي بامتلاكه حدساً لغوياً يمكنه من فهم اللغة والتفاعل بها دون الحاجة إلى تحليل القواعد بشكل صريح، وهذه البديهة تتجلى في قدرته على تمييز التراكيب الصحيحة من الخاطئة تلقائياً، مما يعكس عمق ترسخ اللغة في وعيه الباطن.^(٢)

(١) https://ar.wikipedia.org/wiki/اللغة_أم

(٢) <https://www.youtube.com/watch?v=rISEvEkyGgU>

٣. الطلاقة والعفوية في التعبير

يتحدث المتحدث الأصلي بلغته الأم بسلاسة ودون تردد، مما يسمح له بالتعبير عن أفكاره بانسيابية ووضوح، وتُعد هذه الطلاقة نتيجة طبيعية للاستخدام المستمر للغة في مختلف السياقات الحياتية.

٤. الكفاءة التواصلية

لا يقتصر إتقان اللغة على المعرفة النحوية والمفردات فحسب، بل يشمل أيضاً القدرة على التفاعل بفعالية ضمن سياقات اجتماعية مختلفة، فيجب أن يمتلك المتحدث الأصلي مهارات تواصلية تمكنه من استخدام اللغة بأسلوب مناسب لمقتضى الحال، وفقاً للعادات الثقافية والاجتماعية السائدة.

٥. الهوية الاجتماعية والانتماء اللغوي

يُعرف المتحدث الأصلي بأنه شخص يُنظر إليه داخل مجتمعه اللغوي على أنه ينتمي إلى هذه اللغة ويستخدمها بوصفها لغته الأساسية، ويعزز هذا الانتماء الشعور بالهوية اللغوية ويؤكد ارتباط اللغة بالهوية الثقافية للفرد.

٦. النطق السليم والخلو من التأثير الأجنبي

يتميز المتحدث الأصلي بقدرته على نطق الأصوات اللغوية بطريقة طبيعية خالية من التأثيرات الأجنبية، بحيث تتوافق مع النظام الصوتي للغة الأم دون تأثر واضح بلغات أخرى.

١-١-٥-٣: أهمية اللغة الأم في اكتساب اللغات الثانية

تُعَدُّ اللغة الأم الركيزة الأساسية التي يُبنى عليها تعلم اللغة الثانية، حيث تشكل الإطار المرجعي الذي يساعد الفرد على استيعاب التراكيب اللغوية الجديدة من خلال عمليات التداخل اللغوي والمقارنة بين اللغتين، فالفرد الذي يمتلك أساساً متيناً في لغته الأم يكون أكثر قدرة على فهم البنى النحوية، والصوتيات، والدلالات في اللغة الثانية، مما يسهل عملية التعلم ويجعلها أكثر كفاءة، ويمكن إيضاح الفكرة من عدة جوانب أهمها:

١. التداخل اللغوي الإيجابي

عندما تكون هناك تشابهات بين اللغة الأم واللغة الثانية، يمكن للمتعلمين الاستفادة من هذه القواسم المشتركة في التراكيب النحوية، والصوتيات، والمعجم، مما يجعل عملية الاكتساب أكثر سهولة، فعلى سبيل المثال، يجد الناطقون باللغات ذات الأصل اللاتيني، مثل الإسبانية والإيطالية، سهولة نسبية في تعلم الفرنسية نظراً للتشابه الكبير في المفردات والقواعد.^(١)

٢. التداخل اللغوي السلبي

في بعض الحالات؛ قد يؤدي الاعتماد على اللغة الأم إلى حدوث أخطاء عند تعلم اللغة الثانية، وذلك بسبب الاختلافات البنيوية بين اللغتين، فعلى سبيل المثال؛ قد يواجه المتحدثون الأصليون للغة العربية صعوبة في تمييز الأصوات غير الموجودة في نظامهم الصوتي عند تعلم الإنجليزية، مثل الفرق بين /p/ و /b/، ومع ذلك؛ فإن الوعي بهذه الفروقات يساعد في تحسين عملية التعلم وتقليل الأخطاء.

(١) (رزيقة ٢٠٢٢/٦/٣٠)

٣. أثر إتقان اللغة الأم على المهارات المعرفية واللغوية

تشير الأبحاث إلى أن إتقان اللغة الأم يعزز المهارات المعرفية مثل التفكير النقدي، وحل المشكلات، وتنظيم المعلومات، مما ينعكس إيجاباً على تعلم اللغات الثانية، وقد أظهرت دراسة أجراها Cummins (٢٠٠٠) أن الطلاب الذين يتمتعون بمهارات قوية في لغتهم الأم يظهرون أداءً أفضل في اكتساب اللغات الثانية، حيث إن تطور المهارات القرائية والكتابية في اللغة الأم يسهل الانتقال إلى لغات أخرى بطريقة أكثر سلاسة.^(١)

٤. دور اللغة الأم في التعليم ثنائي اللغة

يُعتبر استخدام اللغة الأم في مراحل التعليم المبكرة استراتيجية فعالة لتحسين اكتساب اللغات الأخرى، إذ أظهرت الدراسات أن الأطفال الذين يتلقون تعليمًا بلغتهم الأم في السنوات الأولى يحققون نتائج أفضل عند الانتقال إلى لغة ثانية مقارنةً بمن يتعلمون اللغة الثانية دون أساس متين في لغتهم الأصلية.^(٢)

(١) (Cummins 2000)

(٢) (Baker 2006)

٥. تأثير اللغة الأم على تعلم اللغات الأجنبية في مرحلة البلوغ

حتى في مراحل متقدمة من الحياة، يستمر تأثير اللغة الأم في تشكيل تجربة تعلم اللغات الثانية، فالبالغون الذين يمتلكون كفاءة عالية في لغتهم الأم يكونون أكثر قدرة على تحليل التراكيب اللغوية وفهم الفروق الدقيقة في اللغات الجديدة التي يتعلمونها، مما يساعدهم على تطوير استراتيجيات تعلم فعالة.

إن إتقان اللغة الأم ليس مجرد وسيلة للتواصل، بل هو حجر الزاوية في تطوير المهارات اللغوية والمعرفية التي تسهم في تعلم اللغات الثانية بفعالية، ولذا؛ فإن تعزيز مهارات اللغة الأم يُعد أمراً حيوياً، ليس فقط للحفاظ على الهوية الثقافية، ولكن أيضاً لدعم نجاح عملية اكتساب اللغات الأخرى.

١-١-٥-٤ : اللغة الأم والهوية الثقافية

تُعدُّ اللغة الأم أكثر من مجرد أداة تواصل، فهي عنصر جوهري في تشكيل الهوية الفردية والجماعية، حيث تعكس القيم الثقافية والتقاليد الاجتماعية للمجتمع الناطق بها، فهي الوعاء الذي يحفظ التراث الفكري، والأدبي، والتاريخي، إذ تنقل الأجيال عبرها معارفها وتصوراتها عن العالم، مما يجعلها جزءاً لا يتجزأ من البناء الثقافي للمجتمعات ويمكن إيضاح الموضوع من عدة نقاط أبرزها:

١. اللغة والهوية الشخصية والاجتماعية

يكتسب الأفراد من خلال لغتهم الأم إحساساً بالانتماء إلى مجموعة ثقافية معينة، حيث تؤثر اللغة في طريقة تفكيرهم وتفاعلهم مع العالم، فاللغة ليست مجرد وسيلة لنقل الأفكار، بل هي منظومة تعكس نظرة المجتمع إلى ذاته وإلى الآخرين، كما أن تنوع اللهجات والأساليب اللغوية ضمن اللغة الواحدة يعكس تعددية الهويات داخل المجتمع نفسه، مما يعزز غنى التجربة الثقافية.

٢. اللغة الأم بوصفها حافظة للتراث الثقافي

تلعب اللغة الأم دوراً أساسياً في الحفاظ على التراث الثقافي، إذ إنها تحمل في طياتها الحكم، والأمثال، والمعتقدات، والقصص التي تشكل وعي الأفراد وتربطهم بماضيهم، لذلك؛ فإن فقدان اللغة الأم أو تراجع استخدامها يؤدي غالباً إلى تآكل الهوية الثقافية واندثار جزء من الذاكرة الجماعية.^(١)

٣. التنوع اللغوي والتعددية الثقافية

يُعتبر الحفاظ على اللغة الأم أحد العوامل الأساسية في صون التنوع اللغوي والتعددية الثقافية، مما يساهم في إثراء الحضارة الإنسانية، فالتنوع اللغوي لا يعكس فقط اختلاف الأنظمة الصوتية والنحوية بين اللغات، بل يعبر عن تنوع الأساليب الفكرية وأنماط الإدراك التي تميز كل ثقافة عن غيرها.

(١) (Fishman 1991)

٤. العلاقة بين اللغة الأم واكتساب اللغات الأخرى

لا تقتصر أهمية اللغة الأم على الهوية الثقافية فقط، بل تمتد إلى دعم تعلم اللغات الثانية، إذ توفر أساساً قوياً لتطوير المهارات اللغوية، مما يجعل انتقال الفرد إلى لغة جديدة أكثر سلاسة وفعالية، فاللغة الأم تشكل البنية المعرفية والإدراكية التي يعتمد عليها الفرد في فهم الأنماط اللغوية الجديدة، مما يساهم في تسهيل عملية الاكتساب اللغوي.^(١)

١-١-٦: اللغة الثانية

يشير مصطلح "اللغة الثانية" (Second Language – L2) إلى اللغة التي لا تنطبق عليها المعايير الستة التي تُحدد اللغة الأم، حيث يتم تعلمها في مرحلة لاحقة من الحياة، غالباً في المؤسسات التعليمية مثل المدارس والجامعات، وعلى الرغم من أن تعلمها يبدأ في بيئة رسمية، فإن استخدامها قد يمتد إلى مجالات الحياة اليومية، بما في ذلك أماكن العمل، والتواصل الاجتماعي، والمعاملات الحكومية. تتميز اللغة الثانية بأنها غالباً ما تحظى بوضع رسمي داخل الدولة، حيث يتم اعتمادها كلفة رسمية ثانية إلى جانب اللغة الأم، ويبرز هذا بشكل واضح في الدول متعددة الأعراق واللغات، كما هو الحال في الهند، حيث تُعتبر اللغة الإنجليزية لغة ثانية تُستخدم إلى جانب اللغات المحلية المتعددة، التي تختلف حسب كل إقليم تبعاً للثقافة والتاريخ اللغوي لكل منطقة، ومن المثير للاهتمام أن اللغة

(١) (Lee 2005)

الهندية نفسها تُعد لغةً أجنبية بالنسبة لمعظم سكان جنوب الهند، رغم كونها لغة رسمية في العديد من الأقاليم الشمالية.^(١)

١-٦-١: الخصائص المميزة للغة الثانية

تتميز اللغة الثانية بعدد من السمات التي تميزها عن اللغة الأم واللغة الأجنبية، ومن أهم هذه الخصائص؛ ما يأتي:

١. تعلمها في بيئات رسمية: غالباً ما يتم اكتساب اللغة الثانية من خلال المؤسسات التعليمية، سواءً في المدارس أو الجامعات أو برامج تعليم اللغات.
٢. استخدامها خارج الفصول الدراسية: على الرغم من أن اكتسابها يبدأ في بيئة رسمية، فإنها تُستخدم في الحياة اليومية، مما يسهم في ترسيخها لدى المتعلمين.
٣. غالباً ما تكون لغة رسمية أو معترف بها في الدولة: في كثير من البلدان، يتم تبني اللغة الثانية لأغراض رسمية، مثل الإدارة الحكومية، والقضاء، والتعليم، كما هو الحال مع اللغة الإنجليزية في العديد من الدول غير الناطقة بها أصلاً.
٤. أداة تواصل بين الجماعات العرقية المختلفة: تُستخدم اللغة الثانية بوصفها وسيلة مشتركة للتواصل بين المجتمعات ذات الخلفيات اللغوية المتعددة داخل الدولة، مما يسهم في تعزيز التفاعل بين المجموعات المختلفة.

(١) (Ellis 1997a)

٥. تمنح الفرد فرصاً أوسع في التفاعل اليومي: بخلاف اللغة الأجنبية التي قد تقتصر على

سياقات محدودة، فإن اللغة الثانية تلعب دوراً محورياً في تسهيل التواصل بين الأفراد في

مختلف مجالات الحياة اليومية، مما يزيد من أهميتها في السياق الاجتماعي والاقتصادي.

تُعد اللغة الثانية مكوناً أساسياً في المجتمعات متعددة اللغات، حيث تلعب دوراً في تسهيل التواصل،

وتعزيز الفرص الاجتماعية والاقتصادية، وتقوية التفاعل بين المجموعات العرقية المختلفة، كما

أن تعلم اللغة الثانية يفتح آفاقاً جديدة أمام الأفراد، سواء في سوق العمل أو في المجالات

الأكاديمية، مما يجعلها ذات أهمية كبرى في عالمنا المعاصر الذي يشهد تزايداً في التنوع اللغوي

والثقافي.

١-١-٧: اللغة الأجنبية

اللغة الأجنبية (Foreign Language)، فهي اللغة التي تخص شعباً آخر ولا تُستخدم بشكل أساسي في

بيئة المتعلم، حيث يتم تعلمها بصورة اختيارية لأغراض متعددة مثل الثقافة، أو الوظيفة، أو

السفر، ويقتصر استخدامها عادةً على الفصول الدراسية في المدارس والمعاهد والجامعات، دون

أن تكون جزءاً من الحياة اليومية للمتعلم في بيئته المحلية.

لا يستطيع متعلم اللغة الأجنبية ممارستها بطلاقة في مجتمعه ما لم يسافر إلى بلد تكون فيه هذه

اللغة لغة رسمية، مما يجعل فرص التطبيق العملي للغة محدودة للغاية.

الخصائص المميزة للغة الأجنبية^(١)

- تُتَعَلَّم في بيئات أكاديمية بحتة، ويقتصر استخدامها على مواقف محددة مثل التعليم أو السفر.
- لا تُستخدم كلغة رسمية أو تواصل يومي في بيئة المتعلم.
- يواجه المتعلم صعوبة في ممارستها الفعلية إلا من خلال السفر أو في مجالات وظيفية محددة.
- تُكتسب عادةً لتحقيق أهداف شخصية أو مهنية دون الحاجة إلى الاستخدام اليومي المنتظم.

١-٨: الفرق بين اللغة الأجنبية واللغة الثانية

تُعدّ اللغة الأجنبية واللغة الثانية من المفاهيم الأساسية في دراسة اللغات، لكنهما يختلفان من حيث البيئة التي تُستخدم فيها ومدى تعرّض المتعلم لها في حياته اليومية.

أولاً: اللغة الأجنبية

اللغة الأجنبية هي اللغة التي لا تُستخدم في الحياة اليومية داخل مجتمع المتعلم، بل يتعلمها في بيئات أكاديمية مثل المدارس والجامعات، حيث تظل بعيدة عن الممارسات الطبيعية في الحياة العامة، لا يتفاعل المتعلم مع هذه اللغة إلا في سياقات محدودة، مثل الحصص الدراسية أو بعض الأنشطة الثقافية، مما يجعل فرص استخدامها العملي محدودة، فعلى سبيل المثال؛ عندما يتعلم

(١) (ن. خرما ١٩٨٨)

شخص في الهند اللغة العربية، فإنه لا يجد مجالاً واسعاً لممارستها خارج الفصل الدراسي، ما لم يكن له تواصل مباشر مع متحدثيها عبر السفر أو الوسائل الرقمية.

ثانياً: اللغة الثانية

أما اللغة الثانية، فهي لغة غير أصلية للمتعلم لكنها تُستخدم في محيطه الاجتماعي على نطاق واسع، سواء في التواصل اليومي، أو التعليم، أو وسائل الإعلام، أو المجال المهني، ويكتسبها الأفراد ليس فقط من خلال التعلم الرسمي، بل أيضاً عبر التفاعل الطبيعي مع الناطقين بها، فعلى سبيل المثال، تُعدّ اللغة الإنجليزية لغة ثانية في الهند، حيث تُستخدم في المدارس، والجامعات، والمكاتب، ووسائل الإعلام، مما يمنح المتعلمين فرصاً مستمرة لممارستها خارج الفصول الدراسية.^(١)

ثالثاً: نقاط الفروق الجوهرية بين اللغة الثانية والأجنبية

هناك نقاط جوهرية وبارزة تميز اللغة الأجنبية عن الثانية، وتتجلى من خلالها نوع اللغة، ويسهل تصنيفها أهي أجنبية أم ثانية، وهذه النقاط تتبلور فيما يأتي:

١. بيئة الاستخدام: تبقى اللغة الأجنبية محصورة في نطاق التعليم الرسمي، بينما تكون اللغة

الثانية جزءاً من الحياة العامة.

٢. فرص الممارسة: يقتصر استخدام اللغة الأجنبية على مواقف محدودة، بينما يتفاعل

المتعلم مع اللغة الثانية بشكل طبيعي ويومي.

(١) (هجمان ١٩٨٩م، ص: ٨٦)

٣. طبيعة الاكتساب: يعتمد تعلم اللغة الأجنبية على التلقين الأكاديمي، في حين تُكتسب اللغة

الثانية عبر الاحتكاك المباشر مع المجتمع.

٤. مدى الإتقان: غالباً ما يكون المتعلمون أكثر طلاقة في اللغة الثانية مقارنةً باللغة الأجنبية،

نظراً لفرص التطبيق العملي المستمرة.

جدول: (١-١) الفرق الجوهرية بين اللغة الثانية واللغة الأجنبية

وجه المقارنة	اللغة الثانية	اللغة الأجنبية
الاستخدام اليومي	تُستخدم في الحياة اليومية والعمل	محدودة الاستخدام داخل الفصول الدراسية فقط
الوضع الرسمي	غالباً ما تكون لغة رسمية ثانية في الدولة	لا تتمتع بوضع رسمي في بيئة المتعلم
الاكتساب والتطبيق	تُكتسب من خلال التعليم والممارسة الفعلية في المجتمع	تُكتسب نظرياً دون ممارسة حقيقية إلا في السفر
الانتشار والتأثير	تُستخدم على نطاق أوسع داخل الدولة لأغراض مختلفة	تقتصر على احتياجات شخصية أو مهنية ضيقة

رابعاً: التأثيرات الاجتماعية والثقافية

يرتبط تعلم اللغة الثانية بالاندماج الاجتماعي والانفتاح الثقافي، حيث تتيح للمتعلمين فرصة

التواصل مع فئات أوسع من المجتمع، في المقابل؛ قد تبقى اللغة الأجنبية مرتبطة بالنخبة الأكاديمية

أو بمن لديهم دوافع خاصة لتعلمها، مثل السفر أو البحث العلمي.

يؤثر تصنيف اللغة على كيفية تعلمها ومدى إتقانها، إذ يمنح التعلم في بيئة طبيعية فرصاً أكبر

للتطور اللغوي مقارنةً بالتعلم في بيئة أكاديمية مغلقة، وبالتالي؛ فإن فهم الفروق بين اللغة الأجنبية

واللغة الثانية يساعد على تطوير أساليب تعليمية أكثر فاعلية تتناسب مع احتياجات المتعلمين وسياقاتهم الاجتماعية.

يمكن القول إن اللغة الثانية تُعدّ امتداداً لغوياً مكماً للغة الأم، تُستخدم على نطاق واسع في المجتمعات متعددة الثقافات، وتؤدي دوراً وظيفياً في شتى المجالات، بينما تظل اللغة الأجنبية لغة تُكتسب لأغراض محددة دون أن تصبح جزءاً من التواصل اليومي، مما يجعلها مقيدة ببيئة التعلم الأكاديمي فقط.

١-٢: علم الصوت الحديث

شهد علم الأصوات في العصر الحديث تعدداً في التصنيفات والتقسيمات، وذلك باختلاف زاوية النظر والغاية التي يستهدفها الباحث، فإذا نظرنا إلى الصوت اللغوي من حيث مدى شموليته أو خصوصيته، أمكننا التمييز بين نوعين رئيسيين هما:

أ. علم الأصوات العام: يهتم بدراسة الأصوات اللغوية بوصفها ظاهرة إنسانية مشتركة، دون التقيّد بلغة بعينها، بل يتناول الصفات الصوتية العامة لدى البشر.

ب. علم الأصوات الخاص: يُركّز على أصوات لغةٍ محددةٍ، كدراسة أصوات العربية وحدها أو أصوات الإنجليزية وحدها، مما يسمح بفهم أدقّ لطبيعة النظام الصوتي في تلك اللغة.

وفي سياقٍ آخر؛ عندما ننظر إلى الصوت اللغوي من حيث الجانبين المادي والوظيفي، نجد أن الدراسة الصوتية تتشعب إلى مجالين متكاملين هما:

١. الجانب المادي (الفوناتيک – Phonetics): يركز على البنية الفيزيائية للصوت وآليات إنتاجه

وانتقاله وإدراكه من الناحية النطقية والسمعية.

٢. الجانب الوظيفي (الفنولوجيا – Phonology): يهتم بدور الأصوات في بناء النظام اللغوي،

أي كيفية تنظيمها وتفاعلها ودلالاتها البنيوية داخل كل لغة على حدة.^(١)

١-٢-١: الفوناتيک

يعالج هذا العلم الجانب المادي للصوت، إذ يدرس الأصوات اللغوية بوصفها أحداثاً فيزيائيةً

ومنطوقةً، تنتقل من المتكلم إلى المستمع عبر وسط (كالهواء)، ويسعى إلى وصفها وصفاً علمياً

موضوعياً، ولذا، تشعب علم الأصوات إلى عدّة فروع، من أهمها:

١. علم الأصوات النطقي أو الفسيولوجي

يركّز على كيفية إصدار الأصوات، ويدرس أجهزة النطق البشرية، مثل الحنجرة واللسان

والشفيتين، كما يبحث في مخارج الحروف وخصائصها النطقية (مثل الشدة والهمس

والجهر).

٢. علم الأصوات الفيزيائي أو الأكوستي

يهتم بدراسة الذبذبات والموجات الصوتية الصادرة عن النطق، وكيفية انتقالها في الهواء أو

في أوساط أخرى، ويستخدم أجهزة حديثة لقياس هذه الذبذبات ومعالجتها رقمياً.

(١) (Howard 2006)

٣. علم الأصوات السمعي

يبحث في الأثر الذي تتركه الأصوات على الجهاز السمعي، من الناحيتين الفيزيولوجية (الأذن والدماغ) والنفسية (كيفية إدراك المستمع للتباينات الصوتية).

٤. علم الأصوات المعلمي أو التجريبي

يُخضع البيانات والنتائج المستخلصة من الفروع السابقة إلى الاختبار والتجريب في المختبرات، بغية توثيقها والتأكد من صحتها عبر أدوات القياس والتحليل المتطورة.

يركز على دراسة الأصوات دراسةً وصفية وبنوية، دون تخصيصٍ للغة بعينها، وإنما يعدّ الصوت مادةً لغويةً عامّة، وقد رأى بعض الباحثين في هذا المجال أنه ينبغي إدراجه ضمن العلوم الفيزيائية نظراً لطبيعة دراسته.

١-٢-٢: الفونولوجيا

يتناول هذا العلم الدور الوظيفي للأصوات في بناء اللغة، إذ يركّز على تنظيم الأصوات وتفاعلها وقيمتها في النظام اللغوي الداخلي للغات مختلفة، ويسعى لوضع قواعد أو نظم تحدد مكانة كل صوت ودوره في التفريق بين المعاني، ويرى كثير من اللغويين أن الفونولوجيا تمثل تطبيقاً لنتائج الفوناتييك على لغةٍ معيّنة، ما يجعلها ذات طبيعة خاصة مقارنةً بعمومية الفوناتييك.

قدم علماء اللسانيات في الولايات المتحدة مفهوم "الفونيم (Phoneme)" ضمن دراساتهم الفونولوجية، إذ يُقصد به الوحدة الصوتية التي تحمل قيمة دلالية في لغة معيّنة، وتطوّر عن ذلك مجال الفونيمات (Phonemics).

١-٢-٣: علاقة الفوناتيک بالفونولوجيا

شهدت الدراسات اللغوية جدلاً حول تحديد المهام الدقيقة لكل من الفوناتيک (Phonetics) والفونولوجيا (Phonology)، حيث انقسم الباحثون بين من يرى أن الفوناتيک يهتم فقط بجوانب نطق الأصوات، بينما يركز الفونولوجيا على الوظائف اللغوية لهذه الأصوات ضمن النظام اللغوي، ولفهم علاقتهما ببعض لابد من توضيح عدة جوانب أهمها ما يأتي:

١. التمييز بين الفوناتيک والفونولوجيا

تأثر بعض الباحثين بالتفرقة التي وضعها اللغوي السويسري فرديناند دي سوسير (Ferdinand de Saussure) بين اللغة (Langue) والكلام (Parole)، فاعتبروا أن الفوناتيک يُعنى بأصوات الكلام الفعلية كما تُنطق وتُسمع، بينما تتناول الفونولوجيا هذه الأصوات في سياقها النظامي داخل اللغة، أي بوصفها جزءاً من البنية التجريدية التي تميز لغة معينة عن غيرها.^(١)

٢. تكامل الفوناتيک والفونولوجيا

رغم اختلاف وجهات النظر، هناك إجماع بين الباحثين على أن الفوناتيک والفونولوجيا حقلان مترابطان ومتكاملان، حيث يؤدي كل منهما دوراً مكملًا للآخر يوضحه ما يأتي:

أ. الفوناتيک يهتم بدراسة الأصوات اللغوية من منظور فيزيائي، فسيولوجي، وإدراكي، بغض النظر عن أي لغة بعينها، حيث يتناول الجوانب الآتية:

(١) (بشر، علم الأصوات ٢٠٠٠، ص: ١١٨)

- الفوناتيک النطقي: دراسة كيفية إنتاج الأصوات عبر أعضاء النطق.
 - الفوناتيک الصوتي: تحليل الخصائص الفيزيائية للموجات الصوتية.
 - الفوناتيک الإدراكي: دراسة كيفية إدراك الأصوات وتمييزها من قبل المستمع.
- ب. الفونولوجيا تهتم بدراسة الأنظمة الصوتية في اللغات، وتحليل كيفية تنظيم الأصوات داخل النظام اللغوي، وذلك من خلال ما يأتي:
- دراسة الفونيمات: وهي الوحدات الصوتية المميزة في كل لغة.
 - تحليل البنية المقطعية: فهم كيفية ترتيب الأصوات داخل المقاطع.
 - دراسة العمليات الصوتية: مثل الإدغام والحذف.

٣. العلاقة بين الفوناتيک والفونولوجيا

من المستحيل الفصل التام بين الفوناتيک والفونولوجيا، لأن الأولى توفر المادة الخام التي تعتمد عليها الثانية في تحليل النظام الصوتي للغة، فعلى سبيل المثال؛ يتم استخدام بيانات الفوناتيک لتحديد الاختلافات بين الأصوات المتشابهة، والتي يمكن للفونولوجيا لاحقاً تصنيفها كميزات تمييزية داخل النظام اللغوي.^(١)

٤. أهمية العلاقة بين الفوناتيک والفونولوجيا في الدراسات اللغوية

تلعب العلاقة بين علم الأصوات (الفوناتيک) وعلم الفونولوجيا دوراً محورياً في الدراسات اللغوية، حيث يتكامل المجالان لفهم النظام الصوتي للغات البشرية من زوايا متعددة.

(١) (Watt 2001)

أولاً: التكامل بين الفوناتيک والفونولوجيا

يُعنى علم الأصوات بدراسة الأصوات من حيث طبيعتها الفيزيائية، بما في ذلك كيفية إنتاجها (المخرج والصفات)، وانتقالها عبر الوسط الهوائي، واستقبالها وتحليلها سمعياً، أما علم الفونولوجيا، فيبحث في كيفية تنظيم هذه الأصوات داخل الأنظمة اللغوية، ودورها في التمييز بين المعاني، والقواعد التي تحكم التغيرات الصوتية داخل اللغة.

ثانياً: المجالات التطبيقية لهذه العلاقة

تؤثر هذه العلاقة في عدة مجالات لغوية وعملية، أبرزها:

- علم الأصوات التجريبي (Experimental Phonetics): استخدام التكنولوجيا لتحليل الأصوات ودراستها مخبرياً.
- تعليم النطق وتصحيح الأخطاء الصوتية: من خلال الاستفادة من الفوناتيک في فهم كيفية إنتاج الأصوات، واستخدام الفونولوجيا في تحديد الأخطاء النطقية الشائعة.
- تحليل اللهجات والتغيرات الصوتية: حيث يساعد الفوناتيک في توثيق الفروقات الصوتية، بينما تفسر الفونولوجيا كيفية تحول هذه الاختلافات إلى أنماط لغوية، يظل الفوناتيک والفونولوجيا مجالين متداخلين لا يمكن عزلهما عن بعضهما البعض، إذ يدرس الفوناتيک الصوت البشري في مستواه الفيزيائي، بينما تحلل الفونولوجيا هذه الأصوات في إطارها الوظيفي

داخل اللغة، وهذا؛ يشكلان معاً حجر الأساس لفهم الأنظمة الصوتية اللغوية، سواء من

منظور نظري أو تطبيقي.^(١)

١-٣: الصوت

الصوت في اللغة

الصوت في اللغة العربية يُطلق على الجرس أو النبرة، وهو اسم مذكر، وقد يُستخدم بصيغة التأنيث عند بعض اللغويين، ويقال: "صَاتَ يَصُوتُ" و"يَصَاتُ صَوْتًا" و"أَصَاتَ"، كما يُقال "صَوَّتَ به" بمعنى ناداه أو دعاه، وجاء في المعاجم اللغوية أن "الصائت" هو الصائح، بينما يُستخدم الفعل "أَصَاتَ" للإشارة إلى من يُشيع أمراً لا يُرغب فيه.

عرّف ابن السكيت الصوت بأنه يشمل صوت الإنسان وغيره من الكائنات، في حين يرى ابن بزرج أن الصوت يرتبط بالشهرة والانتشار، كما يُقال: "أَسْمَعُ صَوْتًا وَأَرَى قَوْتًا"، أي أسمع شيئاً لكن لا أرى نتيجة ملموسة له، ويُستخدم الصوت أيضاً للدلالة على الذكر أو الشهرة، كأن يُقال: "ذهب صِيتُهُ في الناس"، أي ذاع صيته بينهم،^(٢) كما أن الصوت هو الأثر السمعي الذي تحدثه تموجات ناشئة عن اهتزازات جسمنا، ويقال عنه صوتاً أي مذكر وقد أنثته بعضهم.^(٣)

(١) (بشر، علم الأصوات ٢٠٠٠)، ص: (١٠).

(٢) (ابن منظور ١٩٧٠)، ص: (٢٥٢١)، الجزء: (٣٦)، المجلد: (٤).

(٣) (مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٧٢)، الجزء: (١)، ص: (٥٢٧).

الصوت في الاصطلاح

الصوت في الاصطلاح العلمي يُعرف بأنه ظاهرة طبيعية تنشأ عن اهتزاز الأجسام، وتحدث تموجات تنتقل عبر الأوساط المختلفة، مثل الهواء أو الماء، وتُدركها الأذن البشرية كأثر سمعي، ويُعد الصوت وسيلة أساسية للتواصل بين الكائنات الحية، حيث تستخدمه الحيوانات للتعبير عن المشاعر والحاجات الأساسية مثل:

- التنبيه والتحذير: كالنباح والهدير.
- التواصل الاجتماعي: كإشارات الحب والمودة.
- التهديد والغضب: كزئير الأسد وصياح الطيور.

إلا أن الصوت عند الإنسان يختلف اختلافاً جوهرياً عن الأصوات الحيوانية؛ إذ يتميز بقدرته على التعبير الرمزي والتجريدي، فهو لا يقتصر على إيصال المشاعر والانفعالات، بل يُستخدم في التعبير عن الأفكار والمفاهيم المعقدة، مما يجعل اللغة الصوتية وسيلة أساسية لنقل الثقافة والمعرفة عبر الأجيال.

تميز الصوت الإنساني

يُعد الصوت البشري ظاهرة فريدة ومعقدة، تتشكل من مجموعة من الخصائص الفيزيائية والفسولوجية التي تميزه عن غيره من الأصوات الطبيعية والصناعية، وتؤدي هذه الخصائص دوراً أساسياً في تحديد هوية الصوت الفردي، مما يجعله أداة اتصال فعالة ودقيقة، وفيما يلي أبرز الخصائص التي تحدد الصوت البشري:

١. التردد والطول الموجي:

يُعد التردد والطول الموجي من العوامل الأساسية التي تؤثر في نبرة الصوت وحدته، فكلما ارتفع التردد، زادت حدة الصوت، والعكس صحيح، وعادةً ما تكون أصوات الرجال ذات ترددات أقل مقارنةً بأصوات النساء والأطفال، مما يمنحها طابعاً أعمق وأكثر انخفاضاً في النبرة الصوتية.

٢. المدى الصوتي:

يشير المدى الصوتي إلى نطاق الترددات التي يمكن للفرد إنتاجها، بدءاً من أدنى نغمة يمكنه إصدارها وصولاً إلى أعلى نغمة، ويتفاوت هذا المدى بين الأفراد تبعاً لعوامل فسيولوجية، مثل تكوين الحبال الصوتية، بالإضافة إلى مدى التدريب الصوتي والخبرة في التحكم بنغمة الصوت.

٣. الرنين الصوتي (الطنين):

يُضفي الرنين الصوتي الطابع الفريد لكل صوت بشري، حيث يسمح بتمييز صوت شخص عن آخر حتى وإن تطابقت الترددات الصادرة عنهما، ويتأثر الرنين بتجاويف الفم والأنف والجيوب الأنفية، حيث تعمل هذه التجاويف على تعديل الصوت وتعزيز خصائصه الفردية.^(١)

(١) (عبدالطوب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ١٩٨٥، ص: ٧٣)

٤. القوة والاتساع:

تعكس قوة الصوت مقدار الطاقة الصوتية المبذولة أثناء إنتاجه، في حين يشير الاتساع إلى مدى انتشار الصوت وقدرته على الوصول إلى مسافات بعيدة، وتتأثر هذه الخصائص بكفاءة عمل الرئتين والتحكم في عملية التنفس، مما يسهم في تحسين القدرة على إصدار أصوات قوية ومتزنة.

٥. المرونة الصوتية:

تشير المرونة الصوتية إلى قدرة الشخص على التنقل بسلاسة بين الترددات والنغمات المختلفة دون بذل جهد كبير، مما يمنح صوته طابعاً ديناميكياً ويزيد من تنوعه التعبيري، وتُعد هذه الخاصية ضرورية للأداء الصوتي الفعّال، سواء في الخطابة أو الغناء أو غيرها من مجالات التواصل الصوتي.

٦. البصمة الصوتية:

يتميز كل فرد ببصمة صوتية فريدة تنتج عن تركيبته الفسيولوجية الخاصة والخصائص الصوتية المميزة له، مما يجعل من الممكن التعرف على الأشخاص من خلال أصواتهم فقط، وتُستخدم هذه الخاصية في تقنيات التعرف الصوتي، حيث يتم تحليل السمات الصوتية للتأكد من هوية المتحدث.

تشكل هذه الخصائص منظومة متكاملة تميّز الصوت البشري عن غيره، مما يجعله أداة تواصل غنية بالتعبير والدقة، وتساهم العوامل الفيزيائية والفسولوجية في إكساب الصوت البشري سماته الفريدة، مما يسمح بالتفاعل الفعّال في مختلف السياقات اللغوية والتواصلية.^(١)

الصوت البشري يُعتبر أعقد أشكال الأصوات الطبيعية، حيث يتميز بعدة خصائص، منها:

- **التحكم الواعي:** إذ يستطيع الإنسان إنتاج أصوات محددة وفقاً لمتطلبات السياق اللغوي والاجتماعي.
- **التنوع الفونولوجي:** حيث تتنوع الأصوات وفقاً للغات واللهجات المختلفة.
- **التركيب الدلالي:** حيث ترتبط الأصوات بدلالات ومعاني محددة يتم فهمها داخل المجتمعات.
- **الفرق بين الصوت البشري والصوت الحيواني**
- على الرغم من اشتراك الإنسان والحيوان في إصدار الأصوات، إلا أن الصوت الإنساني يتميز بخصائص إضافية تجعله أكثر تعقيداً وتطوراً، ومن أهم الفروقات ما يأتي:
- **الإنتاج الواعي للصوت:** فالإنسان قادر على تشكيل الأصوات وفق نظام لغوي مدروس، بينما تعتمد الحيوانات على الفطرة والغريزة.
- **استخدام الأصوات للتعبير عن المفاهيم المجردة:** مثل القيم الثقافية والاجتماعية، وهو ما تفتقر إليه الحيوانات.

(١) (م. إبراهيم ٢٠٢٠م)

• التراكيب الصوتية المعقدة: التي تتطلب تنسيقاً بين الجهاز الصوتي والجهاز العصبي

المركزي.^(١)

ومن هنا نفهم أن الصوت يمثل حجر الأساس في عملية التواصل البشري، فهو المادة الأولية للغة، وأساس جميع أشكال التفاعل الاجتماعي والثقافي، ومع تطور علم الأصوات، بات بالإمكان دراسة خصائص الصوت بشكل أكثر دقة، مما يساهم في فهم طبيعة اللغات البشرية وآليات تشكيلها ونقلها عبر الزمن

يتميز العقل البشري بقدراته الفريدة في التفكير والتحليل، مما يتطلب نظاماً صوتياً متطوراً يحمل مدلولات متعددة تعكس معاني مختلفة، ويظهر التنوع في مخارج الأصوات عبر المجتمعات أن اللغة ليست مجرد وسيلة للتواصل، بل هي الركيزة الأساسية التي مكنت الإنسان من السيادة على الأرض بوصفه خليفة لله، حيث منح الله الإنسان القدرة على التعبير والتواصل بطرق تعجز عنها الكائنات الأخرى.

تعد اللغة إحدى أبرز السمات التي تميز الإنسان، حيث تتكون من أصوات تُشكل الكلمات، ومنها تتألف الجمل التي تنقل الأفكار والمعارف، وتساهم في بناء الحضارات وانتشار العلوم بين الأمم، ومع ذلك، قد يرى البعض أن الكتابة ليست سوى وسيلة لنقل المعرفة والتاريخ، وليست امتداداً للأصوات البشرية، غير أن الباحث يرى أن الكتابة ليست الوسيلة الوحيدة، فقد لجأ الإنسان إلى الرسم والنقوش والصور كأدوات توثيقية تشهد على الحضارات القديمة، فضلاً عن استخدامه

(١) (بركة ١٩٨٨)، ص: (٥)

الإشارات الجسدية وتعايير الوجه واليد في التعبير عن ذاته، ولكن؛ رغم أهمية هذه الوسائل، تبقى الكتابة امتداداً طبيعياً للأصوات، حيث إنها تجسيد مرئي لما ينطق به اللسان، وقد تطورت الكتابة عبر الزمن بتوافق مجتمعي، حيث اعتمد البشر أصواتهم في وضع رموز مكتوبة تعكس تلك الأصوات المنطوقة.

لم يكن اكتشاف الكتابة سوى إحدى صور الوعي الإنساني بمدى أهمية الصوت اللغوي في التواصل، إذ أن الإنسان أدرك ضرورة توثيق اللغة لحفظ العلوم والمعارف للأجيال القادمة، وفي هذا السياق، برزت جهود ابن جني، العالم العربي المسلم الذي أسهم بشكل كبير في تطوير علم الأصوات، إذ كان أول من خصص لهذا المجال علماً مستقلاً أطلق عليه اسم "علم الأصوات".

تناول ابن جني في كتابه "سر صناعة الإعراب" دراسة معمقة للأصوات اللغوية، حيث تناول كل صوت على حدة، مبيناً ما يأتي:

- مخرجه الصوتي: أي الموقع الذي يُنتج منه الصوت في الجهاز النطقي.
 - صفاته الصوتية: كالجهارة والهمس والشدة والرخاوة.
 - التغيرات الصوتية: التي تطرأ على الأصوات بفعل العوامل اللغوية والاجتماعية.
- تُظهر دراسة ابن جني إدراكاً مبكراً لأهمية علم الأصوات في فهم اللغة بشكل أعمق، حيث وضع الأسس التي بُني عليها علم الفونولوجيا الحديث، وأرسى قواعد لدراسة التغيرات الصوتية في اللهجات واللغات المختلفة.

يتضح أن اللغة ليست مجرد أصوات، ولا الكتابة مجرد رموز، بل هناك تكامل بين النطق والكتابة؛ فالكلام هو الوسيلة الطبيعية للتواصل، بينما جاءت الكتابة كضرورة لحفظ ذلك التواصل للأجيال اللاحقة، ولهذا، فإن الكتابة ليست منفصلة عن الصوت، بل هي انعكاس له، وقدرة الإنسان على تطوير أنظمة صوتية وكتابية يعد علامة على تقدمه الفكري والثقافي.

عرّف ابن جني الصوت في كتابه "سر صناعة الإعراب" بأنه "عَرَض يخرج مع النفس الذي يتنفسه الإنسان بشكل مستطيل ومتصل، فيتعرض له في الحلق والفم والشفيتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيُسمّى المقطع أينما تعرض له حرفاً"، وفق هذا التعريف، يرى ابن جني أن أي هواء يخرج من الفم دون أن تعترضه حواجز يُعتبر صوتاً، سواء كان صادراً من الإنسان أو من غيره، مثل الحيوانات أو الأشياء التي تصدر أصواتاً نتيجة ارتطامها أو سقوطها،^(١) ويؤكد ابن جني أن الصوت لا يقتصر على الإنسان، بل يشمل أصوات الحيوانات والأشياء التي تصدر أصواتاً عند ارتطامها أو سقوطها،^(٢) يعرف ابن جني الصوت بقوله: "فإن الصوت مصدر صات الشيء يصوت صوتاً، فهو صائت، وصوتٌ تصويئاً، فهو مُصَوِّتٌ"، مشيراً إلى أن الصوت ليس مقصوراً على الإنسان، بل هو ظاهرة عامة تُنسب إلى مختلف الكائنات والأشياء، كما يُقال: "سمعتُ صوتَ الرجل، وصوتَ الحمار"، مما يبرز شمولية الصوت كمفهوم يشمل جميع المصادر القادرة على إصدار الذبذبات الصوتية،^(٣) ويستشهد ابن جني بقول الله تعالى: (وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَآغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ

(١) (ابن جني، سر صناعة الإعراب ١٩٨٥)، ص ١٩.

(٢) (عطاي، الحركات ووظائفها الدلالية في النظم القرآني (آيات من سورة يوسف نموذجاً) ٢٠١٥).

(٣) (ابن جني، سر صناعة الإعراب ١٩٨٥)، ص ٢٢.

أَلْصَوْتُ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ^(١)، يرى ابن جني أن مصطلح "حرف" يشير إلى الصوت المتحدد بحدود، مشيراً إلى أن العرب أطلقوا هذا المصطلح على أدوات المعاني مثل: من، قد، هل، بل، لأنها تشكّل حدوداً داخل النصوص.^(٢)

أما ابن سينا؛ قدّم تفسيراً علمياً دقيقاً للصوت في رسالته "أسباب حدوث الحروف"، وعرفه بأنه نتيجة لتموج الهواء بسرعة وقوة، معتبراً أن القرع (الاصطدام)^(٣) ليس السبب الوحيد للصوت، بل هناك سبب آخر وهو القلع (الانفصال)، ووفقاً لرؤيته، فإن التموج السريع للهواء هو الشرط الأساسي لحدوث الصوت، بغض النظر عن طبيعة السبب المؤدي له.

تُظهر هذه الدراسات جهوداً وصفية علمية أسهمت في تقديم فهم متكامل لبنية الصوت وآلياته، حيث اعتمد ابن جني على المنظور اللغوي، في حين استند ابن سينا إلى التحليل الفيزيائي الفسيولوجي لجهاز النطق.^(٤)

على الرغم من المحاولات المبكرة التي قام بها علماء اللغة العرب وغيرهم عبر التاريخ، فإن دراسة الصوت اللغوي بالأساليب العلمية الدقيقة لم تتبلور بوضوح في العصر الحديث إلا في القرن التاسع عشر، على يد باحثي علم اللغة المقارن، وقد تسارعت وتيرة تطور نظريات هذا المجال بفضل

(١) سورة لقمان، الآية (١٩)

(٢) (ابن جني، سر صناعة الإعراب ١٩٨٥)، ص ١٩

(٣) القرع: تقريب جرمٍ إلى جرمٍ مقاوم له يزاخمه فتبعه مماسة عنيفة لسرعة حركة التقريب وقوتها، يقصد: الاحتكاك في جهاز النطق بين الحبال الصوتية ببعضها أو احتكاك مثلاً اللسان بالحنك.

(٤) (ابن سينا ١٩٨٣)، ص: (٥٩-٦٠)

جهود رواد علم اللغة الحديث، وفي مقدمتهم العالم فرديناند دي سوسير ومؤسسو "مدرسة براغ"،

إذ أنتجت أبحاثهم إطاراً نظيرياً وتنظيماً منهجياً حددوا بوضوح مجال الدراسة الصوتية.^(١)

من أبرز تلك الإسهامات نظرية الملاءمة، التي قدمت تحديداً واضحاً لميدان الدرس اللغوي، ثم تطرقت بعده لتعريف الصوت وتوضيح ماهيته وخصائصه، وقد أكدت الدراسات الصوتية الحديثة أن الصوت يمتلك خصائص متعددة تجعله فريداً، ليس فقط بين الأصوات المختلفة التي يصدرها المتكلمون، بل حتى بالنسبة للصوت الواحد ذاته في ظروف وأزمنة مختلفة، وهو ما يعني أن الصوت المنطوق لا يشابه ذاته بصورة مطلقة عند تغير السياق أو الظروف المحيطة.^(٢)

يملك الصوت جملة من الخصائص، مثل الجدة والخشونة والطول والقوة، إضافةً إلى مكان النطق وطريقة الإدراك، وكلها تتفاوت من شخص لآخر باختلاف الزمان والمكان، وقد دفع هذا التنوع علماء اللغة إلى التركيز على تحديد العوامل التي تُعين على رصد خصائص صوت معين والتحقق من تحولاتها، وقد تمخّض عن هذه الجهود ولادة فرعين علميين يدرسان الصوت من منظورين مختلفين هما:

(١) تُعد حلقة براغ اللغوية (Prague Linguistic Circle) مجموعة مؤثرة في مجالي النقد الأدبي واللغوي، نشأت في مدينتي براغ وبرنو. وطور أعضاؤها، خلال الفترة الممتدة بين عامي ١٩٢٦ و ١٩٣٩ م، أساليب التحليل الأدبي البنيوي ونظرية اللغة القياسية. وقد تأسست هذه المدرسة الفكرية والتحليلية في براغ خلال عشرينيات القرن العشرين، وكان من أبرز أعضائها اللغوي الروسي نيكولاي تروبيتزكوي (Nikolai Trubetzkoy) واللغوي الأمريكي من أصل روسي رومان جاكوبسون (Roman Jakobson). وبلغ نشاطها أوجهه في عشرينيات وثلاثينيات القرن الماضي، حيث أسهمت بشكل كبير في تطور الدراسات اللسانية والبنيوية..

(٢) (بركة ١٩٨٨)، ص: (٥-٦)

• علم الأصوات العام: يختص بدراسة الجوانب الفيزيائية والفسولوجية للصوت.

• علم وظائف الأصوات: يركز على دراسة الأدوار الوظيفية للصوت في بنية اللغة ونظمها.

وفي سياق هذه الأبحاث، تبني الباحثون تعريفاً حديثاً للصوت، يرى بأنه اضطرابٌ ماديٌّ في الهواء يتمثل في قوة أو ضعف يتلاشى تدريجياً إلى أن يبلغ نقطة الزوال، يعكس هذا التعريف النظرة العلمية المعاصرة إلى الصوت، بوصفه ظاهرةً فيزيائيةً قابلةً للقياس والتحليل، وفي الوقت ذاته تؤثر فيها العوامل اللغوية والاجتماعية والثقافية،^(١)

قدّمت الدراسات اللسانية الغربية مصطلحات جديدة بهدف سدّ بعض الفجوات التي كانت موجودة في علم الأصوات، كما تم توضيحه سابقاً في هذه الدراسة، وقد أسهمت هذه المصطلحات في تطوير المناهج الصوتية، مما أتاح فهماً أدق للظواهر اللغوية وتحليلاً أكثر منهجية للأصوات في مختلف اللغات، وكان مصطلح الفونيم (Phoneme) في طليعة هذه المفاهيم المستحدثة، إذ ميّزت هذه الدراسات بينه وبين الصوت (Phone)، واعتمدت في ذلك على تقنيات المعامل الصوتية وأجهزتها الدقيقة، وقد اعتبرت تلك الأبحاث الحروف الهجائية في كل نظام لغوي بمثابة فونيمات، وأضافت أصواتاً أخرى قد لا تتمثل في الأحرف المكتوبة، وعدّها بدورها فونيمات قائمة بذاتها.

تجدر الإشارة إلى أن هذه الأحرف كانت معروفة لدى العلماء العرب بدلالات متعدّدة، فقد استخدموها في دراساتهم اللغوية للإشارة إلى نوعين من الحروف هما: حروف الهجاء (مثل: أ، ب،

(١) (العطية ١٩٨٣)، ص: (٦)

ت، إلخ..)، وحروف المعاني (مثل: هل، في، لم...)، مميّزين بينها من حيث الوظيفة والمكانة في البناء اللغوي.

من جهة أخرى، يُؤكّد اللغويون—وفي مقدمتهم الجرجاني، ولاحقاً دي سوسير—أن اللفظ لا يكتسب أهميته إلا في سياق يجمعه مع غيره، فاللفظ داخل المنظومة اللغوية يحيا بعلاقاته مع الألفاظ الأخرى، وبالمثل، لا يمكن للفونيم أن يكون ذا قيمة بمفرده خارج اللفظ؛ إذ تتجلى أهميته في تفاعله مع بقية الفونيمات، مما يخلق بنية دلالية متكاملة (دالاً ومدلولاً)،^(١) وفيما يأتي تفصيل لعناصر الصوت ومصطلحاته الجديدة.

١-٣-١: الفونيم

يُعدّ مصطلح الفونيم من أبرز المفاهيم التي أحدثت نقلة نوعية في حقل اللسانيات عموماً، وعلم الأصوات على وجه الخصوص؛ فقد بات يُمثّل الأساس الذي يقوم عليه التحليل الفونولوجي للغات، ويؤكد كرامسكي (Kramsky) على أهمية هذا المصطلح بقوله: "إن اكتشاف الفونيم يُعدّ واحداً من أهم الإنجازات التي حققها علم اللغة، وهو يعادل الطاقة النووية من حيث إحداثه ثورة في التفكير اللغوي، تماماً كما أحدثت الطاقة النووية ثورة في المجال العلمي."

طُرِح مصطلح الفونيم (Phoneme) لأول مرة من قبل العالم دوفريش ديجينيت (Dufriche-Desgenettes)، حيث استخدمه خلال اجتماع الجمعية اللغوية الفرنسية عام ١٨٧٣ م، ثم واصل العالم لويس هافيت (Louis Havet) تطوير هذا المفهوم، مما أسهم في ترسيخه ضمن الدراسات

(١) (أ. سيوييه ١٩٩٩)، الجزء: (١)، ص: (٤٠)

اللسانية ومهد لاحقاً لظهور التحليل الفونولوجي البنيوي، قبل أن يتبنّاه عالم اللغة السويدي الشهير فردينان دي سوسير (Ferdinand de Saussure)، والذي أحدث ثورة حقيقية في اللسانيات الحديثة.

اعتبر دي سوسير الفونيم عنصراً مركباً من جانب سمعي وجانب عضوي، محذراً من الاختصار على الجانب العضوي وحده في تحديد ماهية الفونيم، ويرى دي سوسير أن تجاهل الجانب السمعي خطأ منهجي، وأن التكامل بين الجانبين ضروري لفهم الفونيم بصورة شاملة، ويعرّف دي سوسير الفونيم بقوله: "هو مجموعة الانطباعات السمعية والحركات النطقية للوحدتين الكلامية والمسموعة، اللتين تشترط إحداهما الأخرى".

١-٣-١: دور الفونيم في التمييز الدلالي

يُعرّف الفونيم في الدرس اللغوي الحديث بأنه أصغر وحدة صوتية مجردة قادرة على إحداث فرق دلالي عند استبدالها بصوت آخر في البيئة الصوتية نفسها، مما يجعله حجر الأساس في بنية النظام الصوتي لأي لغة، ويُعد هذا المفهوم محورياً في علم الصوتيات الفونولوجية (Phonology)، حيث يشكل الفونيم الأساس الذي يُبنى عليه التمييز بين الكلمات، مما يؤثر بدوره على فهم المتكلمين للمعاني المختلفة داخل نسقهم اللغوي.

الفونيم والتمييز الدلالي من خلال الثنائيات الدنيا

يتم التحقق من وجود الفونيمات في أي لغة باستخدام الثنائيات الدنيا، وهي أزواج من الكلمات التي تتطابق في جميع أصواتها باستثناء صوت واحد فقط، بحيث يؤدي هذا التباين الصوتي إلى اختلاف دلالي واضح، كما في الأمثلة الآتية:

- سال /sa:l/ وزال /za:l/، حيث أدى استبدال /s/ بـ /z/ إلى تغييرٍ في المعنى من "جَرى" إلى "زَالَ أو اختفى"
- بيت /bayt/ وحيث /hayt/، حيث يميز استبدال /b/ بـ /h/ بين معنى "مسكن" ومعنى "حائط"
- فوق /fawq/ وشوق /ʃawq/، حيث يغير استبدال /f/ بـ /ʃ/ معنى الكلمة من "أعلى" إلى "اشتياق"

في هذه الأمثلة؛ نجد أن الفونيم ليس مجرد صوت عابر، بل هو مكوّن أساسي في تشكيل المعاني، إذ يمكن أن يؤدي استبداله إلى خلق كلمات جديدة ذات معانٍ مختلفة تماماً.^(١)

تباينات الفونيم الصوتية والدلالية في اللغات

يختلف دور الفونيمات من لغة إلى أخرى، حيث قد يكون لبعض الأصوات تباين دلالي واضح في لغة معينة، بينما يُنظر إليها كتنويعات لنفس الصوت في لغة أخرى، ومن أبرز الأمثلة ما يأتي:

(١) (N. M. Arafa et al. 2018)

• في اللغة الإنجليزية، يُعد الفرق بين /p/ و /b/ فونيمياً، حيث يميز بين كلمات مثل /pat/ و /bat/

و /bat/، لكن في بعض اللغات، مثل الكورية، لا يُعد هذا الفرق ذا دلالة فونيمية.^(١)

• في اللغة العربية، يُشكل الفرق بين /ʔ/ و /h/ تمييزاً دلالياً، كما في عَلم /ʔalam/ (راية) و حَلم

/halam/ (رأى رؤيا)، بينما في لغات أخرى قد لا يُوجد هذا الفرق أو لا يكون دالاً على المعنى.

الفونيم والتمييز الدلالي في اللهجات واللغات المختلفة

لا يقتصر تأثير الفونيم على التمييز بين الكلمات، بل يمتد إلى التأثير على الاختلافات اللهجية

(Dialectal Variations) بين المتحدثين، ففي بعض اللهجات العربية، يحدث تباين في نطق بعض

الأصوات بطريقة تؤثر على الفهم، لكنها لا تغير المعنى كلياً، ومن الأمثلة ما يأتي:

• في بعض لهجات الخليج، يتم نطق /q/ ك /g/، فيُقال "جلب" بدلاً من "قلب"، ومع ذلك

يظل الفهم متاحاً نظراً للسياق.

• في لهجات أخرى، يتم نطق /θ/ ك /t/، فيقال "تلاتة" بدلاً من "ثلاثة"، وهو ما لا يغير المعنى

لكنه يشير إلى انتماء المتكلم لهجة معينة.^(٢)

(١) (Fikkert 2007)

(٢) (Trask 2004)

١-٣-٢: أهمية دراسة الفونيم في علم الصوت

تساعد دراسة الفونيمات في فهم كيفية تطور اللغة ونظامها الصوتي، كما تساهم في مجالات متعددة؛ كالآتي:

- تعليم اللغات: حيث تساعد معرفة الفونيمات والمتغيرات الصوتية في تطوير مناهج تعليم النطق الصحيح للغات الأجنبية.
- تحليل الأخطاء اللغوية: إذ يمكن تفسير صعوبات النطق التي يواجهها متعلمو لغة ما استناداً إلى الاختلافات الفونيمية بين لغتهم الأم واللغة المستهدفة.
- اللسانيات الحاسوبية: حيث تستخدم الفونيمات في تقنيات التعرف على الكلام والترجمة الآلية.

يُعد الفونيم عنصراً أساسياً في بنية اللغة، حيث يشكل الفارق بين الكلمات من حيث اللفظ والمعنى، كما أنه يلعب دوراً محورياً في التمييز بين اللغات واللهجات، ويعتمد تحديد الفونيمات على الثنائيات الدنيا التي تكشف عن الفروق الدلالية الدقيقة بين الكلمات، مما يجعل دراسته ضرورية لفهم كيفية عمل النظام اللغوي في مختلف السياقات.^(١)

(١) (Koerner 1993)

أنواع الفونيمات

قسم بعض الباحثين الفونيمات إلى نوعين أساسيين:

١. الفونيمات الرئيسة (الفونيمات التركيبية)

يُقصد بها تلك الوحدات الصوتية التي تكوّن جزءاً أساسياً من الكلمة المفردة، وتُعدّ أبسط

الصيغ اللغوية التي تمتلك معنى مستقلاً عن السياق، ومثال ذلك الحروف العربية

الأساسية، كالـ/ب/ والـ/ت/ والـ/ث/.

٢. الفونيمات الثانوية (الفونيمات ما فوق التركيبية)

تُشير إلى الظواهر أو الصفات الصوتية التي تحمل مغزى في الكلام المتصل، مثل النَّبر (Stress)

والتنغيم (Intonation)، وهذه الصفات لا تؤثر في بنية الكلمة المفردة فقط، بل يتجاوز تأثيرها إلى

مستوى الجملة أو السياق العام.

لقد أحدث ظهور مصطلح الفونيم ثورة في الدرس الصوتي والتفكير اللغوي، إذ وفر إطاراً نظرياً

لتحليل الأصوات والتمييز بينها وفق قيمتها الوظيفية في بنية اللغة، ومن ثمّ، غدا الفونيم اللبنة

الأساسية في التحليل الفونولوجي، لكونه يُحدّد الجوانب المهمة في نظام الأصوات التي تساعد على

التمييز الدلالي داخل اللغة.^(١)

(١) (أ. عمر، دراسة الصوت اللغوي ١٩٩٧)، ص: (١٦٦)

١-٣-٢: المورفيم

يعود أصل مصطلح المورفيم (Morpheme) إلى الكلمة اليونانية Morphe، التي تعني "شكل" أو "صورة" ذات دلالة محددة، وإذا كان الفونيم يُعالج في إطار التحليل الفونولوجي، فإن المورفيم يُدرّس ضمن البنية النحوية، وبالأخص في علم الصرف، حيث يُعنى بتحليل الوحدات الصرفية التي تحمل معاني لغوية مميزة، حيث يُعدّ أصغر وحدة لغوية ذات معنى في الدراسات المورفولوجية، ويتكوّن من وحدات صغرى تتتابع فيها الفونيمات (الأصوات) مكوّنة بُنيةً صرفيةً لها دلالة وظيفية أو معجمية.

يعرّف المورفيم في الدرس الصرفي بأنه أصغر عنصر لغوي يحمل دلالةً، بحيث لا يمكن تجزئته دون المساس بالمعنى الأصلي الذي يؤديه، ويُقصّد بالمعنى هنا ما يُسمّى المعنى الوظيفي، الذي قد يكون:

- معجمياً: كدلالة الجذر (ض ر ب) على حدث الضرب.
- اشتقاقياً: كدلالة الألف وكسرة الراء في كلمة (ضارب) على معنى اسم الفاعل.
- نحوياً: كدلالة الضمة في (ضارب) على حالة الرفع، المُعبّرة عن الفاعلية أو الابتداء أو غير ذلك من الوظائف النحوية.^(١)

١-٣-٣: الألفون

يشير مصطلح الألفون إلى أصغر وحدة صوتية تظهر في بيئة نُطقية معيّنة، واستبدالها بأخرى لا يؤدي إلى تغيير في المعنى، وتنقسم الألفونات إلى صنفين رئيسين:

(١) (حركات، الصوتيات والفونولوجية ١٩٩٨)، ص: (٩)

١. الألفونات المتكاملة: لكل ألفون سياقٌ صوتيٌّ خاصٌّ به، بحيث لا يمكن لألفونٍ آخر -

تابعٍ للفونيم نفسه - أن يظهر في السياق الصوتي نفسه.

٢. الألفونات الحرة: يمكن أن يحلَّ أحد الألفونات محلَّ الآخر في السياق نفسه دون أن

يطرأ أي تغيير في المعنى، ويشيع استخدام هذا النوع في اللهجات المختلفة.^(١)

١-٣-٤: العلاقة بين الألفون والفونيم

الألفون هو مظهرٌ متعدّد لفونيمٍ واحد؛ أي للصوت المُطْلَق عينه، حيث يُمثّل كل ألفون شكلاً أو تنوعاً من تنوّعات الفونيم الواحد، وعلى ذلك؛ لا حياة للألفون منفرداً خارج السياق اللغوي الفعلي، إذ تكمن قيمته في تفاعله مع الألفونات الأخرى ضمن الكلمة أو الكلام المتصل.

مثال (الفرق بين الفونيم والألفون): عند استبدال الصوت /ق/ في الفعل "قال" بصوت /م/ لتصبح الكلمة "مال"، يتغيّر معناها تغيّراً جوهريّاً، ومن ثَمَّ، يعدّ كلٌّ من /ق/ و/م/ فونيمين مستقلين، لأن هذا الاستبدال سبّب اختلافاً في المعنى، أمّا الألفون؛ فمثاله النون في الكلمات "نحن"، و"ينصهر"، و"انقشع"؛ إذ تختلف النون المنطوقة في كل كلمةٍ نُطْقاً وصفةً، رغم أنها تمثّل الحرف نفسه (الفونيم /ن/)، وهذا هو ما يتحقق في الكلام الواقعي "التنوّعات الصوتية المتعددة"، والتي تسمّى الألفونات.^(٢)

(١) (قدور، مبادئ اللسانيات ١٩٩٩)، ص: (١٠١)

(٢) (لوشن ٢٠٠٨)، ص: (١٢٤-١٢٥)

١-٣-٥: المقطع الصوتي

يُعرّف المقطع الصوتي بأنه وحدة صوتية متكاملة لا يمكن فصل أصواتها عن بعضها أو تفكيكها. وهو يشابه في كثير من الجوانب مفهوم القطع عند اللغويين القدماء، الذين اعتبروا أن المقطع الصوتي يمثل حرفاً قائماً بذاته، وقد تأثرت الدراسات الحديثة ببعض المفاهيم المطروحة في اللسانيات الغربية، مما أدى إلى تصنيف المقطع الصوتي ضمن خمسة أشكال رئيسية وفق التحليل الصوتي الحديث؛ ثلاثة منها ضمن اللغة الفصحى وهي:

١. المقطع القصير المفتوح: يتألف من صوت صامت، وحركة قصيرة أي: (صامت + حركة

قصيرة)، ومثاله كلمة: (كُتِبَ) فالكلمة هنا بها ثلاثة مقاطع قصيرة هي: (الكاف والضم، والتاء

والكسر، والباء والفتح)، ومثلها (كُتِبَ)

٢. المقطع الطويل المفتوح: يتألف من صوت صامت وحركة طويلة وصوت لين طويل أي:

(صامت + حركة قصيرة + حركة طويلة)، ومثاله كلمة (لَأَ) حيث تكون المقطع من (حرف

اللام الصامت، وحركة الفتح، وصوت اللين "الألف")، وكذا مثل (فِي)، و(مَا) في (مال)،

و(سا) في كلمة (سال).

٣. المقطع الطويل المغلق: يتألف من صوتين صامتين تتوسطهما حركة قصيرة أي " (صامت +

حركة قصيرة + صامت)، ومثاله كلمة (هَلْ)، حيث يتكون المقطع من حرف الهاء الصامت،

والفتح، ثم حرف اللام الصامت الساكن، وكذا في مثل: (عن)، و(يد) في كلمة (يدعو).

واثنان يستعملان في الوقف وعند الضرورة وهما:^(١)

١. مقطع الطويل حركته طويلة: يتألف من صوتين صامتتين بينهما حركة طويلة أي: (صامت

+ حركة طويلة + صامت)، ومثاله كلمة (مَال، باب)، حيث يتكون المقطع حرف صامت

"الميم"، وحركة "الفتحة"، وصوت الألف الساكن، وصوت اللام الصامت.

٢. المقطع الطويل مزدوج الإغلاق أو (مقطع طويل زائد في الطول): الذي يتألف من (صامت

+ حركة قصيرة + صامت + صامت)، مثاله: أَرْضٌ، حيث يتكون من الهمزة "صوت صامت"،

الفتحة "الصوت القصير"، الراء "صوت صامت"، الضاد "صوت صامت"

أضاف الدكتور تمام حسان مقطعاً صوتياً اعتبره الأقصر ضمن التصنيفات الصوتية، ويتمثل في

حرف صحيح مشكّل بالسكون، مثل لام التعريف وسين الاستفعال، وبحسب وصفه، يجب أن

يكون هذا المقطع ساكناً، يليه حرف متحرك، وأن يقع في بداية الكلمة، مما يجعله متميزاً عن

الأنماط المقطعية الأخرى المتعارف عليها.^(٢)

ويرى الباحثون بأنّ كلاً من (المقطع الطويل المغلق، والمقطع الطويل مزدوج الإغلاق) -أصلاً- مكون

من مقطعين، فلو تأملنا في الأمثلة أعلاه نلاحظ إنّ كل مثال يتكون من مقطعين أصلاً ذكرهما

القدماء، لذا لا يعد الباحثون الجدد هذان المقطعان من أنواع المقاطع الصوتية.^(٣)

(١) (مدكور ١٩٨٦)، ص: (١١٣).

(٢) (حسان، اللغة العربية مبناها ومعناها ٢٠٠٦)، ص: (٦٩)

(٣) (ص. حسين ٢٠٠٩)، ص: (١٢٧)

إن أول من فهم القطع في الصوت هو ابن جني حيث عرف المقطع في الصوت حرفاً بقوله: "فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً"^(١)، وللأمانة العلمية فابن جني لم يُعرّف المقطع الصوتي بنفس الاصطلاح الذي نعرفه اليوم، قدّم الدكتور صلاح الدين في رسالته للدكتوراه تلخيصاً لمجهودات اللغويين القدماء في دراسة المقطع الصوتي، حيث لخصها في النقاط التالية:

- اعتبر القدماء أن الحرف هو الصوت الصامت.
- أكدوا أن الصوت الصامت لا يُنطق منفرداً دون أن يصاحبه صوت صائت.
- أوضحوا أن الحرف يتشكل نتيجة قطع أو تضيق في التيار الصوتي الأملس.
- عرّفوا الحرف بأنه أقصر أنواع المقاطع الصوتية في اللغة العربية.

ويُعرف المقطع الصوتي عدة تعريفات من قِبَل باحثين معاصرين؛ أبرز هذه التعريفات ما يأتي:

١. يُعرّف المقطع الصوتي بأنه كمية من الأصوات تحتوي على حركة واحدة يمكن الابتداء بها والوقوف عليها.

٢. يقدّم الدكتور أحمد مختار عمر تعريفاً آخر للمقطع الصوتي، حيث يصفه بأنه قطاع من تيار الكلام يحوي صوتاً مقطوعاً ذا حجم أعظم، يحيط به قطاعان أضعف من الناحية الصوتية (أكوستيكياً).

٣. يعرّف الدكتور عصام نور الدين من جانبه؛ المقطع الصوتي بأنه نوع بسيط من الأصوات التركيبية في السلسلة الكلامية، وهو وحدة صوتية أكبر من الفونيم، تأتي بعده من حيث

(١) (ابن جني، سر صناعة الإعراب ١٩٨٥)، الجزء: (١)، ص: (١١)

البعد الزمني في النطق، والبعد المكاني في الكتابة، ويشير إلى أن المقطع الصوتي يتكون من نواة مقطعية، غالباً ما تكون صائتاً (Vowel) مصحوباً بصامت (Consonant) واحد أو أكثر، أو قد يكون غير مصحوب بصامت، كما يقسم المقاطع الصوتية إلى قسمين رئيسيين هما:

١. الوحدات المقطعية: وتشمل المقطع المفتوح، والمغلق المنتهي بصامت.

٢. الوحدات فوق المقطعية: وهي الوحدات التنغيمية، كالنبر والوقف والمفصل والانتقال.^(١)

١-٣-٦: السكون

شهدت الدراسات اللغوية العربية اهتماماً بالغاً بالسكون، حيث أُخضع للمناقشة في مستويات عدة، بدءاً بالجانب الصوتي مروراً بالصرفي وصولاً إلى النحوي، وعلى الرغم من هذا الاهتمام، ظلّت معالجة السكون مشوبةً ببعض الاضطراب، ما استدعى إعادة النظر في المسلّمات التقليدية، ولعل أبرز مظاهر هذا الاهتمام تتجلى في محاولات تمثيل السكون في الكتابة العربية عبر وضع علامة مميزة، أضحت جزءاً من نظام الكتابة العربي.^(٢)

أصول رسم علامة السكون

اختلفت الآراء حول أصل العلامة المستخدمة للدلالة على السكون، ويمكن حصر أبرز تلك الآراء فيما يأتي:

(١) (نورالدين ١٩٩٢)، ص: (١٨٩-١٩٠)

(٢) (بشر، دراسات في علم اللغة ١٩٩٨ م)، ص: (١١٤)

- الخاء غير المنقوطة (ح): يُعتقد أنّ شكل الخاء غير المنقوطة استُخدم رمزاً للسكون اختصاراً للكلمة خف أو خفيف.

- رأس الجيم (ح): يدلّ على فعل اجزم، إشارةً إلى وظيفة الجزم في اللغة.

- رأس الميم (م): يرى بعضهم أنه يشير أيضاً إلى اجزم.

- رأس الحاء (ح): اختصاراً للكلمة استرح، نظراً لارتباط الوقف بالاستراحة.

- الدائرة (ه): تُمثّل الصفر الذي لا قيمة عددية له، متوافقاً بذلك مع خلو السكون من تحقيقٍ صوتي.

- الدال (د) يُرى أنها نتيجة تشابه رسم الخاء غير المنقوطة مع حرف الدال في بعض الخطوط،

ويُرجّح العديد من الباحثين أن الدائرة (ه) هي الأقرب من حيث الشكل والوظيفة إلى العلامة المستخدمة اليوم في الكتابة العربية، إذ تتناسب دلالتها (الصفر، أو العدم) مع خلو السكون من أي قيمة صوتية، ومع ذلك؛ يبدو أن رأس الخاء غير المنقوطة قد استُخدم فترةً ما للإشارة إلى السكون، إمّا مستقلاً أو متطوراً إلى الشكل الدائري، ومن ثمّ؛ يُحتمل أن العلامة الحالية (ه) تطوّرت عن شكل الخاء أو عن الصفر، فغدت الرمز الأكثر شيوعاً وديمومةً للسكون في الكتابة العربية.

١-٣-٦-١ : بنية السكون وقيّمته الصوتية

يُجمع الباحثون القدماء والمحدثون على أن السكون ليس صوتاً لغوياً، لأن الأصوات اللغوية في العربية تنقسم إلى صوامت (Consonants) وصوائت (Vowels)، أو ما يُسمّى بـ"أصوات اللين" في التراث العربي، وبما أنّ السكون لا ينتمي إلى أيٍّ من هاتين الفئتين، فقد عدّ غياباً للصوت أو عدماً للحركة، وفيما يلي توضيحٌ لأهم ملامح هذه البنية:

١. التحقق الصوتي: لا يتمتع السكون بتحقيقٍ صوتيٍّ مستقل؛ فهو لا يُنطق ولا يُسمع، ما يعني

افتقاره للخصائص التي تميّز الأصوات اللغوية.

٢. التأثير السمعي: لا يملك السكون أي أثر سمعي، إذ يكمن دوره في الإشارة إلى توقّف أو

انقطاع مؤقت في سلسلة الأصوات، دون توليد صوتٍ جديد.

٣. العلاقة بالحركات: الحركات في العربية هي أصواتٌ (فتحة، ضمة، كسرة، وأشباهاها

المطوّلة) تضاف إلى الحرف، بينما السكون يمثل نقيض الحركة، فلا يمكن وصفه بالصوت

أو الحركة.

٤. النظر النطقي: من منظور علم الأصوات النطقي، لا يُعدّ السكون حركةً أو صامتاً، بل يعبر

عن غياب كليّ لأي تحرّك للهواء عبر مواضع النطق.

على الرغم من وجود آراءٍ متباينةٍ بين اللغويين العرب حول طبيعة السكون، تتقاطع هذه الآراء في

نقطةٍ أساسيةٍ مفادها أن السكون يمثل حالة الانعدام أو الوقف، فلا يمتلك خصائصً صوتيةً

تماثل ما لدى الحركات أو الصوامت.

١-٣-٢: السكون في بنية الكلمة والنظام المقطعي

من الناحية الفونولوجية، يُمكن للسكون أن يحدث فرقاً وظيفياً في بناء الكلمة والمقطع، فعلى

سبيل المثال، في اللغة العربية:

- كلمة "بَحْرٌ" ببنية مقطعية (فَعْل) تحتوي على حرفٍ ساكنٍ في المرتبة الثانية.
- كلمة "جَبَلٌ" ببنية مقطعية (فَعْل) تحتوي على حرفٍ متحرّكٍ في المرتبة الثانية.

يسفر هذا الاختلاف عن تباين في البنية المقطعية بين الكلمتين، وبالرغم من أن السكون لا يمثل صوتاً في حد ذاته، فإنه قد يكون أصلياً في بعض الكلمات، مثل "كَلْب" و"بُئْر" و"مَكْتَب"، أو قد ينشأ نتيجة تغيرات صوتية، كما في "شَدَّ" و"مَدَّ"، حيث الأصل فيهما "شَدَدَ" و"مَدَدَ".

كذلك، تحكم اللغة العربية قواعد عدّة تخص السكون، منها:

- عدم بدء الكلمة بحرف ساكن
- يستلزم هذا اللجوء إلى همزة الوصل عند الحاجة إلى النطق بالساكن ابتداءً.
- التقاء الساكنين: لا يجوز التقاء ساكنين في العربية الفصحى، ويُحذف أولهما إن وجد.
- طول الكلمة: إذا زاد عدد أحرف الكلمة عن ثلاثة، فعادةً ما تُدرج فيها علامة السكون أو أكثر لتنظيم المقطع الصوتي.

يلعب السكون دوراً محورياً في البناء الصوتي والكتابي للغة العربية، رغم غيابه الصوتي الفعلي، وقد تعددت آراء اللغويين حول أصل رمزه، إلا أن الشكل الدائري ظل الأكثر شيوعاً، أما فونولوجياً؛ يسهم السكون في تحديد المقاطع والبنية اللفظية للكلمات دون أن يُعد صوتاً بحد ذاته، مما يبرز طبيعته كغياب للحركة أو الصوت، وتؤكد الدراسات الصوتية الحديثة أهميته في النظام الصوتي العربي، حيث يساهم في تنظيم المقاطع والحروف، مانحاً اللغة انتظاماً مقطعياً مميزاً دون أن يكون حركة أو صوتاً مستقلاً.^(١)

(١) (ع. عبدالواحد، السكون ٢٠١٨)

١-٤: الصوامت

تُمثّل الصوامت (الحروف في التراث العربي) ركيزة الأبجدية العربية، إذ تشمل الحروف التالية:

(ء /p/، ب /b/، ت /t/، ث /θ/، ج /dʒ/ أو /ʒ/، ح /ħ/، خ /x/، د /d/، ذ /ð/، ر /r/، ز /z/، س /s/، ش /ʃ/، ص /sˤ/، ض /dˤ/، ط /tˤ/، ظ /ðˤ/، ع /ʕ/، غ /ɣ/، ف /f/، ق /q/، ك /k/، ل /l/، م /m/، ن /n/، هـ /h/، و /w/، ي /j/)، واكتسبت تسمية "الصوامت" لأنها أقل وضوحاً في السمع من الصوائت (الحركات)، وذلك بسبب اعتراض مجرى الهواء في مواضع النطق (الحلق والفم والشفيتين) عند إصدارها، مما يُقلّل من علوّها النسبي مقارنة بالحركات.^(١)

وللأصوات الصامتة صفات لعدة اعتبارات، حيث تختلف الأصوات الصامتة أو ما يسمى بالصوامت من لغةٍ إلى أخرى من حيث العدد والصفات، وقد جرت عادة اللغويين على تقسيمها إلى فئات وفق اعتبارات عدّة، أهمّها:^(٢)

- وضع الأوتار الصوتية.
- مخارج النطق.
- كيفية مرور الهواء.

وتُسهّم هذه التقسيمات في فهم طبيعة كل صوت، وتسهيل دراسته من الناحية الصوتية.

(١) (أنيس، الأصوات اللغوية ١٩٧٥)

(٢) (Catford 2001)

١-٤-١: صفات الأصوات الصامتة باعتبار الأوتار الصوتية

تقسم الأصوات الصامتة إلى فئات أو مجموعات بحسب وضع الأوتار الصوتية، أي من حيثذبذب هذه الأوتار أو عندذبذبها في أثناء النطق، ويهمنامن هذه الأوضاع ثلاثة:

١-٤-١-١: الأصوات المهموسة

تُصنّف الأصوات المهموسة على أنها تلك التي لا يحدث فيها اهتزاز للأوتار الصوتية أثناء النطق، حيث يكون الوتران الصوتيان في وضع منفرج، مما يسمح بمرور الهواء دون انقطاع أو اهتزاز، يُحدد هذا النوع من الأصوات بناءً على خاصية الصوتية المرتبطة بالنشاط العضلي في الحنجرة أثناء إنتاج الصوت.^(١)

في اللغة العربية، يمكن تحديد خمسة عشر صوتاً مهموساً وفقاً للتوصيف الأكثر انتشاراً، وهي: (هـ)

/h/، /k/، /q/، /f/، /tʃ/، /sʃ/، /ʃ/، /s/، /x/، /h/، /θ/، /t/

الخصائص الفونيتيكية والفونولوجية للأصوات المهموسة

تتسم الأصوات المهموسة بعدد من الصفات الصوتية التي تميزها عن الأصوات المجهرية، ومن أبرز هذه الصفات:

- عدم اهتزاز الأوتار الصوتية أثناء الإنتاج الصوتي.
- انتشار في مجموعة واسعة من المخارج الصوتية، مما يجعلها أكثر تنوعاً من حيث الموقع النطقي.

(١) (AlGhamdi 2018)

- وجود بعض الأصوات المفخّمة التي تمتلك خاصية الإطباق، مثل /s^ʔ/ و /t^ʔ/.
- توزيعها على مخارج صوتية متعددة، مما يتيح إمكانية دراسة تأثير البيئة الصوتية في تحقيقها

النطقي.^(١)

١-٤-١-١-١: تصنيف الأصوات المهموسة وفقاً للصفة والمخرج

يمكن تصنيف الأصوات المهموسة وفقاً لمخرجها الصوتي كما يلي:

الجدول: (١-٢) الأصوات المهموسة

الحرف	الرمز الصوتي	المخرج الصوتي	الصفة الفونولوجية
ت	/t/	أسناني-لثوي	انفجاري مهموس
ث	/θ/	أسناني	احتكاكي مهموس
ح	/ħ/	حلقي	احتكاكي مهموس
خ	/x/	لهوي	احتكاكي مهموس
س	/s/	لثوي	احتكاكي مهموس
ش	/ʃ/	لثوي	احتكاكي مهموس
ص	/s ^ʔ /	لثوي مفخم	احتكاكي مهموس
ط	/t ^ʔ /	لثوي مفخم	انفجاري مهموس
ف	/f/	شفوي-أسناني	احتكاكي مهموس
ق	/q/	لهوي	انفجاري مهموس أو مجهور
ك	/k/	لهوي	انفجاري مهموس
هـ	/h/	حنجري	احتكاكي مهموس

(١) (Catford 2001)

يقدم الجدول تصنيفاً عاماً لبعض الحروف العربية وفقاً لخصائصها الصوتية، موضحاً رمزها الصوتي، ومخرجها، وصفاتها الفونولوجية.

- من حيث المخرج الصوتي: تتوزع هذه الحروف على عدة مناطق في جهاز النطق، حيث تشمل المخارج الأسنان، اللثوية، الشفوية-الأسنانية، اللهوية، الحلقية، والحنجرية.
- من حيث الصفة الفونولوجية: تنقسم إلى حروف انفجارية، والتي تتشكل عند إغلاق تام يتبعه انفجار هوائي مثل (ت /t/، ط /tʰ/، ك /k/، ق /q/)، وحروف احتكاكية، التي تنتج عن احتكاك مستمر في موضع النطق دون انغلاق كامل، مثل (ث /θ/، ح /h/، خ /x/، س /s/، ش /ʃ/، ص /sˤ/، ف /f/، هـ /h/).
- من حيث الجهر والهمس: جميع الحروف في الجدول مهموسة باستثناء القاف (/q/) التي قد تكون مهموسة أو مجهورة حسب سياق النطق.

بوجه عام، يعكس هذا التصنيف التنوع الصوتي للحروف العربية ويساعد في فهم علاقتها بالنظام الصوتي للغة، لا سيما فيما يتعلق بتمييز الأصوات والمقاطع اللفظية.

١-٤-١-٢: التباينات الصوتية في الأصوات المهموسة
بعض الأصوات العربية تتباين أصواتها أبرز هذه الأصوات كالآتي:

١. صوت القاف /q/

يُعدّ تصنيف /q/ أحد أكثر القضايا الجدلية في الفونولوجيا العربية، حيث يُعتبر في الفصحى صوتاً مهموساً انفجارياً، إلا أن بعض اللهجات تعيد إنتاجه بطرق مختلفة:

- في بعض لهجات الجزيرة العربية، يتحول إلى صوت مجهور جزئياً.
- في اللهجات الحضرية في بلاد الشام، يتحول إلى /ʔ/ (وقفية حنجرية).
- في اللهجة المصرية وبعض اللهجات المغاربية، ينطق كـ /g/.

٢. صوت الطاء /tʰ/

رغم كونه مصنفاً ضمن الأصوات المهموسة، إلا أن الدراسات الصوتية الحديثة تشير إلى أنه يمتلك درجة من الجهر، خصوصاً في البيئة المحيطة بأصوات مجهورة، حيث قد يُنطق في بعض اللهجات بخصائص صوتية أقرب إلى الجهر الجزئي.

٣. صوت الحاء /h/

يعد من الأصوات التي تحتفظ بوضوح بصفة الهمس، إلا أن بعض المتحدثين يميلون إلى إنتاجه بدرجة جهرية خفيفة، خصوصاً في اللهجات التي تتميز بخفض مستوى الاحتكاك الحلقي.

يُظهر التحليل الصوتي والفونولوجي للأصوات المهموسة في العربية المعاصرة مدى تعقيد تصنيفها، لا سيما في ظل التباينات اللهجية، وبينما تُحدد الفصحى مجموعة واضحة من هذه الأصوات، تكشف الدراسات الميدانية عن تداخلات نطقية تجعل بعض الأصوات تتأرجح بين الهمس والجهر، مما يعكس التفاعل الديناميكي بين النظام الصوتي الفصيح والنظم الصوتية اللهجية.

١-٤-٢: الأصوات المجهورة

تُعرّف الأصوات المجهورة بأنها تلك التي يحدث فيها اهتزاز واضح للأوتار الصوتية أثناء النطق، حيث تقترب الأوتار الصوتية من بعضها وتهتز نتيجة مرور الهواء عبرها، ويؤدي هذا الاهتزاز إلى إنتاج صوت أكثر غنى ووضوحاً من الأصوات المهموسة، مما يميزها في النظام الفونولوجي للغة.

في اللغة العربية المعاصرة، تشتمل قائمة الأصوات المجهورة على خمسة عشر صوتاً وفقاً للتصنيف الأكثر انتشاراً، وهي: (ن/n، م/m، ل/l، غ/ɣ، ع/ʕ، ق/θ، ض/dʒ، ز/z، ر/r، ذ/ð، د/d، ج/dʒ، ز/ʒ، ب/b)، ورغم هذا التصنيف العام، فإن بعض هذه الأصوات قد تتغير أو تتأثر بعوامل اللهجة والبيئة الصوتية المحيطة.

١-٤-٢-١: تصنيف الأصوات المجهورة وفقاً للمخارج والصفات

يمكن تصنيف الأصوات المهموسة وفقاً لمخرجها الصوتي كما يلي:

الجدول: (١-٣) صفات ومخارج الأصوات المجهورة

الحرف	الرمز الصوتي	المخرج الصوتي	الصفة الفونولوجية
ب	/b/	شفوي	انفجاري مجهور
ج	/dʒ/ أو /ʒ/	لثوي-غاري	احتكاكي أو تراكي مجهور (يختلف بين اللهجات)
د	/d/	أسناني-لثوي	انفجاري مجهور
ذ	/ð/	أسناني	احتكاكي مجهور
ر	/r/	لثوي	مكرّر مجهور
ز	/z/	لثوي	احتكاكي مجهور
ض	/dʒ/	أسناني-لثوي مفخم	انفجاري مجهور
ظ	/ðʒ/	أسناني مفخم	احتكاكي مجهور

ع	/ʕ/	حلقي	احتكاكي مجهور
غ	/ɣ/	لهوي	احتكاكي مجهور
ل	/l/	لثوي	انسيابي مجهور
م	/m/	شفوي	أنفي مجهور

يُقدّم الجدول تصنيفاً لبعض الحروف العربية وفقاً لخصائصها الصوتية، حيث يوضّح الرمز الصوتي لكل حرف، ومخرجه، وصفاته الفونولوجية.

تحليل الجدول وفقاً للخصائص الصوتية:

١- المخرج الصوتي: تتوزع الحروف في هذا الجدول على عدة مخارج نطقية، تشمل:

- الحروف الشفوية: مثل الباء /b/ والميم /m/ التي تُنطق بالشفيتين.
- الحروف الأسنانية: مثل الذال /ð/ والظاء /ðˤ/، التي تُنطق باستخدام الأسنان.
- الحروف اللثوية: مثل الدال /d/، الراء /r/، الزاي /z/، اللام /l/، التي تعتمد على التقاء اللسان باللثة.

- الحروف اللهوية: مثل الغين /ɣ/، التي تُنطق في المنطقة الخلفية من الفم عند اللهاة.
- الحروف الحلقية: مثل العين /ʕ/، التي تُنطق من الحلق.
- الحروف اللثوية-الغارية: مثل الجيم /dʒ/ أو /ʒ/، حيث يختلف نطقها بين اللهجات.

٢- الصفة الفونولوجية: تختلف هذه الحروف من حيث الصفات الصوتية، وأبرزها:

- الانفجارية المجهورة: وتشمل الباء /b/، الدال /d/، الضاد /dˤ/، حيث يحدث انغلاق تام ثم انفجار عند النطق.
- الاحتكاكية المجهورة: مثل الذال /ð/، الزاي /z/، الغين /ɣ/، حيث يتم إنتاج الصوت بمرور الهواء عبر تضيق في المخرج دون انغلاق تام.
- المكررة: مثل الراء /r/، حيث يحدث اهتزاز للسان أثناء النطق.
- الانسيابية: مثل اللام /l/، حيث يتدفق الهواء بسلاسة حول جانبي اللسان.
- الأنفية: مثل الميم /m/، حيث يخرج الصوت عبر الأنف.
- التراكبية أو الاحتكاكية: كما في الجيم /dʒ/ أو /ʒ/، والتي يختلف نطقها بين اللهجات العربية.

٣- الجهر والهمس:

على عكس الجدول السابق الذي تضمّن حروفاً مهموسة، جميع الحروف في هذا الجدول مجهورة، أي أن الأحبال الصوتية تهتز عند نطقها.

يُبرز هذا التصنيف التنوع الصوتي في الحروف العربية من حيث مخارجها وصفاتها الفونولوجية، مما يساعد في فهم الفروق الدقيقة بين الأصوات وتأثيرها في بنية الكلمات، كما يعكس الاختلافات بين اللهجات في نطق بعض الحروف، مثل الجيم، ويُظهر دور المجهورة في تشكيل نغمة اللغة وتماسكها الصوتي.

١-٤-٢-٢: التباينات الصوتية في الأصوات المجهورة

هناك أصوات مجهورة لها تباينات صوتية بسبب اللهجات كما هو موضح في الجدول ولتوضيحها

لابد من دراسة كل على حدة كالآتي:

١. صوت الجيم /dʒ/ أو /ʒ/

يُعتبر نطق الجيم من أكثر التباينات الصوتية وضوحاً في العربية، حيث يختلف بين اللهجات كما يلي:

- في العربية الفصحى، يُنطق /dʒ/ كتركي لثوي غاري مجهور.
- في لهجات الشام والمغرب العربي، يُنطق /ʒ/ كاحتكاكي لثوي غاري مجهور.
- في اللهجة المصرية وبعض لهجات الخليج، يُنطق ك /g/.

٢. صوت الراء /r/

يُصنّف /r/ ضمن الأصوات المكررة (Trill)، مما يعني أنه يُنطق بذبذبة طرف اللسان على اللثة، لكن في بعض اللهجات الحضرية، يتحول إلى راء مفخمة /rˤ/ أو إلى صوت تقريبي شبيه بـ /l/ كما في بعض مناطق الخليج.

٣. صوت الضاد /dˤ/

يعد من الأصوات الفريدة في العربية، ويتميز بصفة الإطباق التي تجعله مختلفاً عن /d/، في بعض اللهجات الحديثة، قد يُنطق قريباً من /dˤ/، أو حتى كـ /zˤ/ في بعض مناطق المغرب العربي.

٤. صوت العين /ʕ/

يُعرف بكونه صوتاً حلقياً مجهوراً، لكنه قد يُخفف أو يختفي تماماً في بعض اللهجات الحضرية، مما يؤدي إلى تحولات فونولوجية في الكلمات التي تحتوي عليه.

تمثل الأصوات المجهورة في العربية جزءاً أساسياً من النظام الصوتي، وتُظهر تباينات مهمة بين اللهجات المختلفة. وبينما يُنظر إليها كفئة صوتية متجانسة في الفصحى، فإن الدراسات الفونولوجية الميدانية تكشف عن تغيرات صوتية مثيرة للاهتمام تسهم في فهم تطور العربية عبر الزمن.

١-٤-٣: الأصوات المقطوعة

تُعرف الأصوات المقطوعة بأنها الأصوات التي ينطبق فيها الوتران الصوتيان تماماً، مما يؤدي إلى انحباس الهواء كلياً في الحنجرة، ثم ينفجران فجأة، مما يُنتج صوتاً انفجارياً مميزاً، ويُعد هذا النوع من الأصوات ظاهرة صوتية شائعة في العديد من اللغات، إلا أنه يتمثل في اللغة العربية بشكل خاص في همزة القطع /ʔ/.^(١)

همزة القطع /ʔ/ كصوت مقطوع: تُعتبر همزة القطع /ʔ/ في اللغة العربية صوتاً صامتاً مستقلاً (consonantal phoneme)، حيث تُنتج من خلال إغلاق الحنجرة تماماً لفترة قصيرة، ثم فتحها فجأة، مما يؤدي إلى خروج الهواء بشكل انفجاري، ومن أهم خصائص هذا الصوت:

(١) (بشر، علم الأصوات ٢٠٠٠)

- ليس صوتاً مهموساً ولا مجهوراً: إذ لا يوجد تدفق هوائي مستمر كما في الأصوات المهموسة، ولا اهتزاز للأوتار الصوتية أثناء النطق كما في الأصوات المجهورة، بل هو صوت ناتج عن توقف الهواء ثم انطلاقه فجأة.

- يؤثر على بنية الكلمة: وجود همزة القطع في بداية أو وسط أو نهاية الكلمة قد يؤثر على بنية المقاطع الصوتية، كما في الكلمات:

أكل /ʔakala/، سؤال /suʔa:l/، ملجأ /malʔaʔ/

١-٤-١: دور الصوت المقطوع في اللغات الأخرى

على الرغم من أن همزة القطع تُعد عنصراً أساسياً في النظام الصوتي للعربية الفصحى، إلا أن الأصوات المقطوعة توجد أيضاً في لغات أخرى، لكنها قد تؤدي وظائف مختلفة، مثل:

- اللغة الإنجليزية: يظهر الصوت المقطوع في بعض اللهجات، مثل اللهجة البريطانية (Cockney) أو الأمريكية في بعض الكلمات مثل bottle التي قد تُنطق /bɒʔl/، حيث يتم حذف صوت /t/ وإبداله بوقف حنجري.

- اللغة المالايوية والتايلاندية: يستخدم الصوت المقطوع كفونيم مستقل يغير معنى الكلمات.

- اللغة الألمانية: يظهر في بداية الكلمات التي تبدأ بحرف متحرك، مثل /Abend/ ʔa:bənt.

أهمية دراسة الأصوات المقطوعة

تلعب الأصوات المقطوعة دوراً مهماً في تحليل النطق، حيث تؤثر على:

- الفروق المعجمية: إذ يمكن أن يؤدي وجود أو غياب الهمزة إلى اختلافات دلالية في اللغة

العربية، مثل:

أمر /ʔamar/ (بمعنى "طلب") مقابل مرّ /marr/ (بمعنى "عبر").

- التطور الصوتي: إذ أن بعض اللهجات العربية تميل إلى إسقاط الهمزة أو تحقيقها بدرجات

متفاوتة، كما في اللهجة المصرية حيث تُنطق كلمة "رأس" أحياناً /raːs/ بدلاً من /raʔs/.^(١)

تأثير الأصوات المقطوعة على النحو والصرف

حيث إن بعض الأفعال تتغير تصريفاتها بناءً على وجود الهمزة، كما في أكل – يأكل – مأكول، تُعد الأصوات المقطوعة، ممثلةً بهمزة القطع /ʔ/ في العربية، من العناصر الصوتية المهمة التي تؤثر على بنية الكلمات والمعاني، كما تلعب دوراً في تشكيل الفروق بين اللهجات واللغات، وبفهم طبيعة هذا الصوت، يمكن تحليل تطورات النطق بين المتحدثين الأصليين للغة، والتعرف على آليات تحوله في سياقات لغوية متعددة.^(٢)

١-٤-٢: صفات الأصوات الصامتة باعتبار المخارج والأحياز

يشير المخرج إلى الموضع المحدد الذي يخرج منه الصوت، حيث يكون نقطة محددة يتشكل فيها الصوت، مثل التقاء طرف اللسان باللثة أو تلامس الشفتين، أما الحيز؛ فهو المنطقة الأوسع التي تشمل مجموعة من الأصوات المتقاربة في مخرجها، مثل منطقة الحنك الأوسط أو اللثة.

(١) (أنيس، الأصوات اللغوية ١٩٧٥)

(٢) (شاهين، في علم اللغة العام ١٩٨٤م)

لقد أشار الخليل بن أحمد الفراهيدي إلى أهمية التمييز بين النقطة الدقيقة التي يصدر منها الصوت (المخرج) والمنطقة الأوسع التي قد تنسب إليها مجموعة من الأصوات (الحيز)، ويُعد هذا التمييز ضرورياً في التصنيفات الصوتية الحديثة، حيث يساعد في فهم العلاقات الفونولوجية بين الأصوات المختلفة.

١-٤-٢-١ : مخارج وأحياز أصوات اللغة العربية ١. الأصوات الشفوية

تخرج هذه الأصوات من التقاء الشفتين أو تفاعل الشفتين مع اللسان، وهي:

- الباء /ب/ (/b/) : صوت انفجاري مجهور، ينتج عن التقاء الشفتين مع انفراج بسيط.
- الميم /م/ (/m/) : صوت أنفي مجهور، يتشكل عند التقاء الشفتين مع مرور الهواء عبر التجويف الأنفي.
- الواو /و/ (/w/) : رغم ارتباطه بالشفيتين، إلا أن بعض القدماء يلحقونه بالأصوات الشفوية، بينما يعتبره المحدثون صوتاً حنكياً تقريباً.

٢. الأصوات الأسنان الشفوية

تتميز هذه الفئة بتفاعل الشفة السفلى مع الأسنان العليا، وهي:

- الفاء /ف/ (/f/) : صوت احتكاكي مهموس، يُنطق عبر تماس الشفة السفلى مع أطراف الأسنان العليا.

٣. الأصوات ما بين الأسنان

تنطق هذه الأصوات بوضع طرف اللسان بين الأسنان الأمامية العليا والسفلى، وتشمل:

- الثاء /ث/ (/θ/): صوت احتكاكي مهموس.
- الذال /ذ/ (/ð/): صوت احتكاكي مجهور، ينطق بنفس طريقة الثاء لكن مع اهتزاز الأوتار الصوتية.
- الدال المطبقة /ذ/ (/d̥/): صوت مطبق مجهور، يختلف عن الدال العادية بإضافة صفة التفخيم والإطباق.

٤. الأصوات الأسنانية اللثوية

تُنتج هذه الأصوات عند تماس طرف اللسان مع اللثة خلف الأسنان الأمامية، وهي:

- التاء /ت/ (/t/): صوت انفجاري مهموس.
- الدال /د/ (/d/): صوت انفجاري مجهور.
- الضاد /ض/ (/d̥/): صوت انفجاري مفخم، يُنطق بنفس مخرج الدال مع تضيق أكبر في المجرى الهوائي.
- الطاء /ط/ (/t̥/): صوت انفجاري مطبق مهموس، يُنطق بنفس مخرج التاء لكن مع تفخيم وإطباق.
- اللام /ل/ (/l/): صوت جانبي مجهور، يُنطق عند تلامس طرف اللسان مع اللثة.

- النون /ن/ (/n/): صوت أنفي مجهور، ينتج عند ملامسة طرف اللسان للثة مع مرور الهواء عبر التجويف الأنفي.

٥. الأصوات اللثوية

تنطق هذه الأصوات عندما يلامس طرف اللسان منطقة اللثة، وتشمل:

- الرء /ر/ (/r/): صوت مكرر مجهور، يُنطق بارتجاج طرف اللسان عند اللثة.
- الزاي /ز/ (/z/): صوت احتكاكي مجهور، يتشكل عند احتكاك طرف اللسان باللثة.
- السين /س/ (/s/): نفس مخرج الزاي، لكنه مهموس.
- الصاد /ص/ (/sʔ/): صوت مطبق احتكاكي مهموس، يُنطق بنفس مخرج السين لكن مع تفخيم.

٦. الأصوات اللثوية الحنكية

تميل هذه الأصوات إلى النطق في منطقة بين اللثة والحنك الصلب، وهي:

- الجيم /ج/ (/ʒ/ أو /dʒ/): يُنطق عند تماس مقدمة اللسان مع الحنك اللين.
- الشين /ش/ (/ʃ/): نفس مخرج الجيم لكنه مهموس.

٧. أصوات وسط الحنك

تتشكل هذه الأصوات عند تقارب وسط اللسان مع الحنك الصلب، وهي:

- الياء /ي/ (/j/): صوت تقريبي مجهور، يُنطق عند تقارب وسط اللسان من الحنك الصلب.
- تُلحق بعض الدراسات الجيم والشين بهذه الفئة، نظراً لتشابه مخارجهما مع الياء.

٨. أصوات أقصى الحنك

تنطق هذه الأصوات عند تقارب أقصى اللسان مع الحنك الرخو، وتشمل:

- الخاء /خ/ (/x/): صوت احتكاكي مهموس، يُنطق عند تقارب أقصى اللسان من الحنك الرخو.

- الغين /غ/ (/ɣ/): نفس مخرج الخاء لكنه مجهور.

- الكاف /ك/ (/k/): صوت انفجاري مهموس، يُنطق عند تلامس أقصى اللسان مع الحنك الرخو.

- الواو /و/ (/w/): يلحق بهذه الفئة عندما يُنطق كتقريب بين اللسان والحنك.^(١)

١-٢-٢: التمايز بين المخرج والحيز في التصنيف الصوتي

يُظهر التحليل الصوتي أن بعض الأصوات قد تتشارك في الحيز الصوتي لكنها تختلف في المخرج الدقيق، مما يوضح أهمية الفصل بين هذين المستويين من التصنيف، فعلى سبيل المثال:

- الفاء /ف/ (/f/) والباء /ب/ (/b/) يتبعان الحيز الشفوي، لكن الأول صوت احتكاكي والثاني صوت انفجاري.

- التاء /ت/ (/t/) والسين /س/ (/s/) كلاهما أسناني-لثوي، لكن الأول انفجاري والثاني احتكاكي.

(١) (أمنزوي ٢٠٢٠)

• الخاء /خ/ (/x/) والكاف /ك/ (/k/) ينتميان إلى الحيز الحنكي الخلفي، لكن الأول احتكاكي

والثاني انفجاري.

يعدّ التمييز بين المخرج والحيز ضرورياً لفهم العلاقات الصوتية في العربية، إذ يساعد في إدراك طبيعة التباينات الفونولوجية بين الأصوات، وبينما تمثل المخارج النقاط الدقيقة للنطق، فإن الأحياز تعكس البنية العامة للنظام الصوتي، مما يعزز من قدرة الباحثين على تحليل التغيرات الصوتية وتطور اللهجات.^(١)

١-٤-٣: صفات الأصوات الصامتة باعتبار مرور الهواء

يعد تدفق الهواء أثناء النطق أحد المعايير الأساسية في تصنيف الأصوات الصامتة، حيث يحدد طبيعة الصوت وصفاته الفونولوجية، بناءً على ذلك؛ يقسم اللغويون الأصوات الصامتة إلى مجموعتين رئيسيتين هما الأصوات الانفجارية والأصوات الاحتكاكية، بالإضافة إلى فئات فرعية أخرى ذات أنماط تدفق هوائي مختلفة.

١-٤-٣-١: الأصوات الانفجارية

الأصوات الانفجارية هي مجموعة من الأصوات التي تنتج عن انحباس الهواء تماماً في موضع معين من الجهاز النطقي، ثم إطلاقه فجأة بعد إزالة العائق، مما يؤدي إلى حدوث انفجار صوتي مسموع،

(١) (الجندي ١٩٨٣م)

تُعرف هذه الأصوات أيضاً بالأصوات الوقفية (Stops) لأنها تتضمن توقفاً تاماً لتدفق الهواء قبل إطلاقه.^(١)

الصفات العامة للأصوات الانفجارية

مرحلتان للإنتاج الصوتي: تتكوّن هذه الأصوات من مرحلتين رئيسيتين:

- مرحلة الانحباس: حيث يُغلق مجرى الهواء تماماً عند موضع معين.
- مرحلة الانفجار: حيث يتم تحرير الهواء فجأة، مما يولّد صوتاً انفجارياً مميزاً.

الصفات الصوتية للأصوات الانفجارية

- المجهورة: تحدث عند اهتزاز الحبال الصوتية أثناء الإنتاج.
- المهموسة: تحدث دون اهتزاز الحبال الصوتية.
- المفخمة: تُنتج مع استعلاء الجذر اللساني، مما يضيف عليها طابعاً مفخماً.^(٢)

(١) (Association 1999)

(٢) (Menn 1983)

١-٤-٣-١: الأصوات الانفجارية في اللغة العربية

تشمل الأصوات الانفجارية في العربية الفصحى الأصوات التالية:

جدول: (١-٤) صفات ومخارج الأصوات الانفجارية

الصوت	الرمز الصوتي (IPA)	الموضع النطقي	الجهر	الترقيق/التفخيم
الباء /ب/	/b/	شفوي	مجهر	مرقق
التاء /ت/	/t/	أسناني-لثوي	مهموس	مرقق
الدال /د/	/d/	أسناني-لثوي	مجهر	مرقق
الضاد /ض/	/dˤ/	أسناني-لثوي	مجهر	مفخم
الطاء /ط/	/tˤ/	أسناني-لثوي	مهموس	مفخم
الكاف /ك/	/k/	لهوي	مهموس	مرقق
القاف /ق/	/q/	لهوي	متغير	مفخم
الهمزة /ء/	/ʔ/	حنجري	متغير	مرقق

ملاحظات صوتية وسياقية

- الهمزة /ʔ/: يمكن أن تكون مهموسة أو مجهورة حسب السياق، كما أنها قد تُخفف في بعض اللهجات العربية، أو تُستبدل بحروف أخرى كما في بعض اللهجات المصرية والشامية.
- القاف /q/: يختلف نطقها بين اللهجات العربية، حيث تُنطق في بعض اللهجات ك /g/ (كما في اللهجة الخليجية)، أو تتحول إلى /ʔ/ كما في بعض لهجات بلاد الشام.

- الضاد /dʕ/: يُعتبر من أكثر الأصوات تميّزاً في العربية، إلا أنه في بعض اللهجات ينطق قريباً

من /zʕ/ أو /ðʕ/.^(١)

١-٣-٤-٢: تباينات الأصوات الانفجارية

في السياقات غير الفصحى، قد تتعرض بعض الأصوات الانفجارية إلى تحولات صوتية متنوعة،

مثل:

- تبديل القاف /q/ بـ /ʔ/ في اللهجة المصرية والشامية.
- تحول الكاف /k/ إلى تش /tʃ/ في بعض اللهجات الخليجية.
- استبدال الجهر بالهمس كما يحدث أحياناً مع الهمزة /ʔ/ في الكلمات السريعة.

تلعب الأصوات الانفجارية دوراً أساسياً في تشكيل الفروق الدلالية بين الكلمات في العربية، كما أن فهم خصائصها يساعد في دراسة التطور الصوتي في اللغات السامية عموماً.

١-٣-٤-٢: الأصوات الاحتكاكية

تُعدّ الأصوات الاحتكاكية من المكونات الأساسية في النظام الصوتي للغة العربية، حيث تتشكل نتيجة مرور الهواء عبر ممر ضيق نسبياً في الجهاز النطقي، مما يؤدي إلى احتكاك بين الهواء والأسطح النطقية، فينتج عنه صوت مستمر يمكن نطقه لفترة أطول مقارنة بالأصوات الانفجارية، وتتميّز هذه الأصوات بتنوعها الفونولوجي وقدرتها على التكيّف مع البيئات النطقية المختلفة.

(١) (أيوب، اللغة والتطور ١٩٦٩م)

١-٤-٣-٢: الصفات العامة للأصوات الاحتكاكية

١. الإنتاج الصوتي: يحدث الصوت الاحتكاكي عند تدفق الهواء عبر ممر ضيق دون انغلاق كامل، مما يخلق احتكاكاً مسموعاً، وتتميز هذه الأصوات بإمكانية استمرارها زمنياً دون انقطاع واضح، خلافاً للأصوات الانفجارية التي تعتمد على انغلاق وانفراج سريع، ويتفاوت مستوى الاحتكاك بناءً على ضيق المجرى الهوائي وشدة تدفق الهواء.

٢. التصنيف الفونولوجي

تنقسم الأصوات الاحتكاكية إلى عدة فئات بناءً على طريقة إنتاجها وتأثير الحبال الصوتية عليها:

أ. الأصوات المهموسة الاحتكاكية: وهي الأصوات التي تُنطق دون اهتزاز الحبال الصوتية، حيث يعتمد إنتاجها على تدفق الهواء فقط، ومن أمثلتها في العربية:

- الثاء /θ/ (أسناني احتكاكي)
- الحاء /ħ/ (حلقي احتكاكي)
- الخاء /x/ (لهوي احتكاكي)
- السين /s/ (لثوي احتكاكي)
- الشين /ʃ/ (لثوي احتكاكي)
- الصاد /sˤ/ (لثوي مفخم احتكاكي)
- الفاء /f/ (شفوي-أسناني احتكاكي)
- الهاء /h/ (حنجري احتكاكي)

ب. الأصوات المجهورة: وهي الأصوات التي تُنطق مع اهتزاز الحبال الصوتية أثناء مرور الهواء، ومن أمثلتها:

• الذال /ð/ (أسناني احتكاكي)

• الزاي /z/ (لثوي احتكاكي)

• الظاء /ðˤ/ (أسناني مفخم احتكاكي)

• العين /ʕ/ (حلقى احتكاكي)

• الغين /ɣ/ (لهوي احتكاكي)

ج. الأصوات المفخّمة: تتميز بعض الأصوات الاحتكاكية في العربية بصفة التفخيم، حيث تُنطق باستعلاء الجذر اللساني مما يمنحها طابعاً أكثر عمقاً ورنيناً، وتشمل: (الصاد /sˤ/، الظاء /ðˤ/)

١-٤-٢: الخصائص الصوتية للأصوات الاحتكاكية العربية

١. التوزيع النطقي: تتوزع الأصوات الاحتكاكية في اللغة العربية على مختلف مناطق جهاز النطق، مما يمنحها مرونة في التوظيف الصوتي، ويأتي بعضها في مواقع متعددة داخل الكلمة، مثل:

• أول الكلمة: (فهم، ساعة، حياة)

• وسط الكلمة: (ضحك، مغفرة، ظلام)

• آخر الكلمة: (نفخ، بحث، نهج)

٢. التباين الفونولوجي: تتفاوت بعض الأصوات الاحتكاكية بين اللهجات العربية، فمثلاً:

• الجيم /dʒ/ تُنطق /ʒ/ في بعض اللهجات، كالمصرية والشامية.

- القاف /q/ قد تتحول إلى /g/ في بعض اللهجات الخليجية والريفية.

٣. التأثير على الإيقاع والمقاطع

نظراً لطبيعتها المستمرة، فإن الأصوات الاحتكاكية تلعب دوراً مهماً في تحديد بنية المقطع الصوتي، حيث تسهم في ضبط الإيقاع العام للكلمة وتوزيع الحركة داخلها، تُمثّل الأصوات الاحتكاكية مكوناً أساسياً في النظام الصوتي العربي، حيث تمنح اللغة ثراءً صوتياً وتنوعاً في التباين الفونولوجي، وتختلف هذه الأصوات من حيث الهمس والجهر والتفخيم، مما يسهم في تكوين أنماط نطقية معقدة تلعب دوراً جوهرياً في تمييز الكلمات ودلالاتها.^(١)

١-٤-٣-٢: تصنيف الأصوات الاحتكاكية

تشمل الأصوات الاحتكاكية في العربية الفصحى الأصوات التالية:

جدول: (١-٥) صفات ومخارج الأصوات الاحتكاكية

الصوت	التمثيل الصوتي (IPA)	الموضع النطقي	الجهر	الترقيق/التفخيم
الفاء /ف/	/f/	شفوي-أسناني	مهموس	مرقق
الثاء /ث/	/θ/	بين الأسنان	مهموس	مرقق
الحاء /ح/	/h/	حلقي	مهموس	مرقق
الخاء /خ/	/x/	لهوي	مهموس	مرقق
الذال /ذ/	/ð/	بين الأسنان	مجهور	مرقق
الزاي /ز/	/z/	لثوي	مجهور	مرقق
السين /س/	/s/	لثوي	مهموس	مرقق

(١) (العطية ١٩٨٣)

الشين /ش/	/ʃ/	لثوي-حنكي	مهموس	مرقق
الصاد /ص/	/sˤ/	لثوي	مهموس	مفخم
الظاء /ظ/	/ðˤ/	بين الأسنان	مجهور	مفخم
العين /ع/	/ʕ/	حلقي	مجهور	مرقق
الغين /غ/	/ɣ/	لهوي	مجهور	مرقق
الهاء /ه/	/h/	حنجري	مهموس	مرقق

ملاحظات صوتية وسياقية

- الظاء /ðˤ/ في بعض اللهجات العربية الحديثة، يتم نطقه قريباً من /zˤ/ أو حتى /dˤ/.
- الذال /ð/ والطاء /θ/ في بعض اللهجات، تتحول إلى أصوات لثوية /z/ و /s/ على التوالي.
- الخاء /x/ والغين /ɣ/ في اللهجات المغاربية قد تُدمجان مع أصوات أخرى أو يُنطقان بصيغ مختلفة.

- العين /ʕ/ والحاء /h/ تُعتبران أصواتاً مميزة للغات السامية، وتندر في كثير من اللغات الأوروبية.^(١)

الأصوات الاحتكاكية في اللهجات العربية

في اللهجات العامية، تخضع بعض الأصوات الاحتكاكية لتغيرات واضحة:

- استبدال الثاء /θ/ بـ التاء /t/ كما في بعض لهجات مصر والخليج.

(١) (قدور، مبادئ اللسانيات ١٩٩٩)

- تحول الذال /ð/ إلى الزاي /z/ أو الدال /d/ في بعض البيئات.
- تحول الظاء /ðˤ/ إلى الضاد /dˤ/ أو الزاي المفخمة /zˤ/ في بعض اللهجات.
- تخفيف نطق العين /ʕ/ في بعض المناطق، مثل الشام والخليج.
- تحول الغين /ɣ/ إلى قاف /q/ في بعض لهجات الجزيرة العربية.

أهمية الأصوات الاحتكاكية في علم الأصوات

تلعب الأصوات الاحتكاكية دوراً أساسياً في تكوين الفروقات الدلالية، إذ تُحدث تغييرات في المعاني إذا تم استبدالها بأصوات أخرى، مثل الفرق بين: ("ثوب" /θawb/ و "توب" /tawb/، "ذنب" /ðanb/ و "دنب" /danb/)، كما أن دراسة هذه الأصوات تفيد في تحليل التحولات الصوتية التاريخية بين العربية واللهجات المختلفة، وكذلك في دراسة تأثير العربية على اللغات الأخرى، فالأصوات الاحتكاكية تُعدُّ جزءاً محورياً في النظام الصوتي للغة العربية، حيث توفر تبايناً صوتياً واضحاً يسهم في بناء الكلمات والمعاني، كما أنها تشكل مجالاً غنياً للدراسة، خاصة في سياق اللهجات العربية وتأثيرها على النطق الحديث.

٤-٤-١: التصنيفات الفرعية للأصوات الصامتة

١. الصوت المركَّب: الصوت المركَّب هو الذي يبدأ كصوت انفجاري، لكنه ينتهي كصوت احتكاكي بسبب استمرار تدفق الهواء بعد الانفجار الأولي، ففي اللغة العربية المعاصرة؛

يمثل الجيم /ج/ (/dʒ/ أو /ʒ/) هذا النوع، حيث ينطق في بعض اللهجات كصوت مركّب (/dʒ/) وفي لهجات أخرى كاحتكاكي (/ʒ/).^(١)

٢. الصوت الجانبي: يحدث الصوت الجانبي عندما يمر الهواء من جانبي اللسان بدلاً من الوسط، ففي العربية؛ ينتمي صوت اللام /ل/ (/l/) إلى هذه الفئة، حيث يكون مجهوراً ويتشكل عند تماس طرف اللسان مع اللثة، مع السماح للهواء بالخروج من الجانبين.

٣. الأصوات الأنفية: تحدث الأصوات الأنفية عندما ينخفض الحنك اللين، مما يسمح للهواء بالمرور عبر الأنف أثناء النطق، تشمل الأصوات الأنفية في العربية:

• الميم /م/ (/m/): شفوي، مجهور.

• النون /ن/ (/n/): لثوي، مجهور.

٤. الصوت المكرّر: يحدث الصوت المكرّر عند تكرار اللسان في موضع النطق، مما ينتج عنه سلسلة من الذبذبات السريعة، ففي العربية؛ ينتمي صوت الراء /ر/ (/r/) إلى هذه الفئة، حيث يتميز بارتجاج سريع لطرف اللسان عند اللثة.

٥. أنصاف الصوائت: تشبه أنصاف الصوائت (أو التقريبيات) الصوائت من حيث الحركة والتردد، لكنها تتميز بوجود تضيق طفيف يمنع تحولها إلى صوائت كاملة، وتشمل هذه الفئة:

• الواو /و/ (/w/): تقريبي شفوي مجهور، ينطق عند تقارب الشفتين دون غلق تام.

(١) (بركة ١٩٨٨)

- الياء /ي/ (/i/) :تقريبي وسطي حنكي مجهور، ينطق عند تقارب وسط اللسان مع الحنك الصلب.

٦. العلاقة بين طبيعة الهواء والصوتيات العربية: يتضح من التصنيف أعلاه أن الأصوات العربية تعتمد على تنظيم دقيق في تدفق الهواء لإنتاج فروقات صوتية دقيقة، فالأصوات الانفجارية تعتمد على انحباس مفاجئ للهواء، بينما تتيح الأصوات الاحتكاكية مروراً مستمراً للهواء عبر ممر ضيق، في حين أن التصنيفات الأخرى تعتمد على تغير اتجاه تدفق الهواء، كما هو الحال في الأصوات الجانبية والأنفية والمكررة.

تمثل دراسة الأصوات الصامتة وفقاً لتدفق الهواء أحد الجوانب الأساسية في الفونولوجيا العربية، حيث يساعد هذا التصنيف في فهم طبيعة النطق الصوتي وكيفية إنتاج الأصوات المختلفة في الجهاز النطقي، ويعكس هذا التصنيف العلاقة الوثيقة بين البنية الفسيولوجية للأعضاء النطقية والخصائص الصوتية للأصوات العربية، مما يجعل دراستها ضرورية لفهم التطورات الفونولوجية في اللغة واللهجات المختلفة.^(١)

١-٤-٥: قياس شدة تردد الأصوات الصامتة

أجرى الباحث هانز (Hans, 1952) دراسةً على شدة تردد الصوامت العربية، فوجد ترتيباً لها من الأشد تردداً إلى الأقل، وسأنضم هذه الترددات في جدول لعرضه بشكل يُبرز نسبة تكرار الأصوات في اللغة العربية، موضحاً شدة تردد كل صوت في الاستخدام اللغوي، يساعد تحليل هذه النسب

(١) (أنيس، الأصوات اللغوية ١٩٧٥، ص: ٢٧)

في فهم مدى انتشار الأصوات المختلفة ودورها في التفاعل اللغوي، سواء في النطق اليومي، أو في البناء الفونولوجي للكلمات، وتعكس هذه النسب مدى شيوع بعض الأصوات مقارنة بغيرها، مما يسهم في دراسات الصوتيات التطبيقية وتحليل اللغة من منظور إحصائي.^(١)

جدول (٦:١) ترتيب الأصوات الصامتة حسب شدة ترددها

الصوت	شدة تردده
ا	٢٤٪
وا	١٨٪
اا	١٧٪
ام	١٧٪
ان	١٧٪
اب	١٦٪
اف	١٤٪
اع	١٣٪
اقا	١٣٪
ادا	١٣٪
اسا	١٣٪
اح	١٢٪
اي	١٢٪
اشا	١١٪
اج	١٠٪
اك	٩٪
ها	٨٪

(١) (أنيس، الأصوات اللغوية ١٩٧٥، ص: ٢٧)

ا\	٨٪
ط\	٨٪
خ\	٨٪
ص\	٧٪
ء\	٧٪
ت\	٦٪
ض\	٥٪
غ\	٥٪
ث\	٣٪
ذ\	٣٪
ظ\	١٪

يُظهر الجدول تفاوتاً في استخدام الصوامت ضمن المنطوق اللغوي، مما يفيد الدارسين في فهم ظواهر مثل الاستبدال أو الإبدال؛ إذ غالباً ما يُستبدل الصوت الأقل تردداً بصوت أعلى تردداً تطبيقاً لمبدأ "أقل جهد" في بعض اللهجات أو لدى متعلمي العربية، وهكذا فقد تناول الباحث في هذا الجانب الأصوات الصامتة بكل جوانبها، وخصائصها وصفاتها، وشدة ترددها، ومما لا شك فيه أن هناك أصوات شبه صامتة أو شبه صائتة؛ تتميز عن الأصوات الصامتة وستتضح فيما يأتي، وقد وضح الجدول أموراً أبرزها:

١. الأصوات الأكثر تكراراً: يتضح من الجدول أن أكثر الأصوات شيوعاً هي:

- الرّاء /ر/ بنسبة ٢٤٪، مما يعكس دورها الأساسي في التراكيب اللغوية، خاصة في تصريف

الأفعال والأسماء.

- الواو /و/ بنسبة ١٨٪، نظراً لاستخدامها كحرف عطف وكحركة طويلة في المد.
- اللام /ل/ بنسبة ١٧٪، كونها من الأحرف الأساسية في الأسماء والأفعال العربية.
- الميم /م/ والنون /ن/ بنسبة ١٧٪، وهما من الأصوات الأنفية التي تلعب دوراً مهماً في تركيب الكلمات.

٢. الأصوات متوسطة التردد: تشمل هذه الفئة الأصوات التي تتراوح نسبة تردها بين ١٠٪ و ١٤٪،

مثل: (الباء/ب/ ١٦٪)، (الفاء/ف/ ١٤٪)، (العين/ع/ ١٣٪)، (القاف/ق/ ١٣٪)، (الدال/د/ ١٣٪)، (السين/س/ ١٣٪)، (الحاء/ح/ ١٢٪)، (الياء/ي/ ١٢٪)، (الشين/ش/ ١١٪)، (الجيم/ج/ ١٠٪)، هذه الأصوات تُستخدم بشكل متكرر في الجذور الثلاثية، مما يعكس أهميتها في بناء الكلمات العربية.

٣. الأصوات الأقل تكراراً: تشمل الأصوات التي يقل تردها عن ١٠٪، وهي:

(الكاف/ك/ ٩٪)، (الهاء/ه/ ٨٪)، (الزاي/ز/ ٨٪)، (الطاء/ط/ ٨٪)، (الخاء/خ/ ٨٪)، (الصاد/ص/ ٧٪)، (الهمزة/ء/ ٧٪)، (التاء/ت/ ٦٪)، (الضاد/ض/ ٥٪)، (الغين/غ/ ٥٪)، (الثاء/ث/ ٣٪)، (الذال/ذ/ ٣٪)، (الظاء/ظ/ ١٪).

تُعتبر بعض هذه الأصوات، مثل الظاء والذال والثاء، من الأصوات الأقل شيوعاً نظراً لقلة الكلمات التي تحتوي عليها، مقارنةً بالأصوات الأخرى.

يُظهر هذا الجدول مدى تنوع الأصوات في اللغة العربية من حيث شدة التكرار، حيث تحتل الأصوات الرنانة مثل الراء، الواو، اللام المراتب الأولى، نظراً لاستخدامها المتكرر في الكلمات والتراكيب اللغوية، بينما تقل نسبة تكرار الأصوات الاحتكاكية والمفخّمة، مثل الظاء والذال والطاء، توفر هذه الإحصائيات نظرة معمّقة لفهم أنماط الاستخدام الصوتي في العربية، ما يساعد في تطبيقات متعددة، مثل تعليم النطق، وتحليل اللهجات، ومعالجة اللغة الطبيعية.

١-٥: أشباه الصوتيات

يُطلق العلماء على أصوات الياء والواو في اللغة العربية مصطلح "أشباه الصوتيات"، وذلك لتمتعها بخصائص صوتية تجمع بين الصوتيات والصوائت، وتظهر هذه الخصائص بشكل واضح في أمثلة مثل: (الياء في: سيد، بين، زيت، جيد، الواو في: يوم، صوم، لوم)، كما تتضح هذه الظاهرة عند وقوع الياء أو الواو كحروف لام متطرفة، كما في: ظبي، دلو، شلو.^(١)

يعود تقسيم الأصوات إلى صوتيات، وصوائت، وأشباه صوتيات إلى اللغويين الهنود، كما أُشير سابقاً، أما المصطلح "أنصاف الصوتيات" (Half Vowels) فقد استُخدم لأول مرة من قبل أرسطو، الذي ميّز هذه الفئة لخصائصها الصوتية الانتقالية.

(١) (طاليس ١٩٥٣)، ص: (٥٥)

في المعاجم الغربية، يُوثق ظهور مصطلح "أشباه الصوائت" في عامي ١٨٤٥ و ١٨٩٣، غير أن اللسانيين المحدثين لم يولوا هذا التصنيف الاهتمام ذاته الذي حظيت به فئتا الصوامت والصوائت، رغم أهميته الواضحة.^(١)

١-٥-١: خصائص أشباه الصوائت

يتفق اللغويون على أن أشباه الصوائت، مثل الواو (/w/) والياء (/j/)، تشغل موقعاً وسطاً بين الصوامت والصوائت، ومن هنا، نجد تبايناً في التعريفات:

- دي سوسير: يرى أن الفرق بين الصائت وشبه الصائت يكمن في الوظيفة المقطعية.
- روسلو: يصنف أشباه الصوائت ضمن الصوامت، واصفاً إياها بـ "الصوائت المصمتة"، حيث يعتمد تمييزها على قصر مدة تحققها النطقي مقارنة بالصوائت.
- يصفها بعض علماء اللغة بـ "الأصوات الانتقالية أو الانزلاقية" (Glides).

التعريف الاصطلاحي في معجم جورج مونان

- يُعرف جورج مونان أشباه الصوائت في معجمه بأنها أصوات مثل الواو (/w/) والياء (/j/)، تُعدّ وسطاً بين الصوامت والصوائت نظراً لخصائصها النطقية وتوزيعها داخل المقطع، ولكنه يميز بين:
- شبه الصامت حين يسبق قمة المقطع (مثل: تَبَيَّان، أَقْوَال).

(١) (أمنزوي ٢٠٢٠)، ص: (٢)

- شبه الصائت حين يلي القمة المقطعية (مثل: بَيْض، حَوْض).^(١)

إشكالية الرموز الصوتية لأشباه الصوائت

يشير الباحثون إلى ضرورة اعتماد رموز خاصة لتمييز هذه الأصوات في الأبجدية الصوتية الدولية (A.P.I)، فالواو (/w/) والياء (/j/) يُستخدمان لكل من الحالات الصامتة وشبه الصامتة، بينما يُرمز

للياء شبه الصائتة بـ (/i/)، لكن لا يوجد رمز واضح للواو شبه الصائتة.^(٢)

١-٥-٢: أشباه الصوائت في الدراسات اللغوية القديمة

اهتم علماء اللغة العرب القدامى، وعلى رأسهم سيبويه، بدراسة أصوات الواو والياء، مصنفين إياها ضمن حروف اللين نظراً لطبيعتها الصوتية المتغيرة، وقد أشار سيبويه إلى أن هذه الأصوات تتميز بالانتقال بين حالي الصوت اللين والصامت، وهو ما يظهر بوضوح في بعض السياقات الصرفية، كما في الفعل "أُعْطِيَه"، حيث تتحول الياء من صوت لين إلى صامت.^(٣)

أما ابن جني؛ فقد أضاف بُعداً تحليلياً أكثر دقة، معتبراً أن هذه الأصوات تتسم بدرجة عالية من التذبذب الصوتي، إذ تقترب أحياناً من الحروف الصراح وأحياناً أخرى من الحروف اللينة، وذلك

(١) جورج مونان (١٩١٠-١٩٩٣) لغوي ومترجم وسيميائي فرنسي، كان ناشطاً في المقاومة الفرنسية وعضواً في الحزب الشيوعي الفرنسي، كتب أيضاً تحت الاسم المستعار جان لو بوشيه، وساهم بشكل بارز في الدراسات اللغوية والسيميائية.

(٢) (أمنزوي ٢٠٢٠)، ص: (٢)

(٣) (أ. سيبويه ١٩٩١ م- ١٤١١ هـ)

تبعاً للسياق الصوتي المحيط بها، وقد ربط ابن جني هذه الظاهرة بما أسماه قوة الحركة، أي أن زيادة الطاقة النطقية المرافقة لهذه الأصوات تدفعها نحو موقع أكثر صوامتية.

أما مكي القيسي، فقد استمر في استخدام مصطلح "حروف اللين"، مع التركيز على المقارنة بين الواو والياء من جهة، والألف من جهة أخرى، ووفقاً له، فإن الألف تمثل صوتاً أكثر استقراراً صوتياً، حيث تمتد دون تغيير، بينما الواو والياء تتعرضان لتحويلات تؤثر على بنية المقطع الصوتي.

١-٥-٣: أشباه الصوائت في الدراسات الصوتية الحديثة

في إطار الدراسات الصوتية المعاصرة، يتم تصنيف الواو والياء تحت ما يُعرف بأشباه الصوائت أو الانزلاقات الصوتية، نظراً لخصائصها الانتقالية بين الحروف الصامتة والصائتة، ووفقاً لعلم الأصوات النطقي، فإن هذه الأصوات تتشابه مع الصوائت في وضعية الجهاز النطقي، لكنها تختلف عنها من حيث المدة الزمنية وسرعة الانتقال.^(١)

على سبيل المثال، في النظرية الصوتية المقطعية، يتم تحليل أشباه الصوائت من خلال موقعها داخل المقطع اللغوي:

- عندما تأتي في بداية المقطع، تميل إلى التصرف كصوامت (كما في "يكتب" و"وجد").
- عندما تأتي بعد صائت رئيسي في نهاية المقطع، تميل إلى الاحتفاظ بخواصها اللينة (كما في "بيت" و"ضوء").

(١) (بركة ١٩٨٨)

١-٥-٤: تحديات التصنيف الصوتي لأشباه الصوائت

يطرح تصنيف أشباه الصوائت تحديات متعددة، من أبرزها:

- التداخل مع الصوامت والصوائت: يصعب رسم حدود دقيقة بين الصامت والمتحرك، خصوصاً في بعض اللغات التي تتسم بأنظمة صوتية مختلفة، مثل العربية والإنجليزية.
- التغيرات الصوتية: يختلف نطق أشباه الصوائت باختلاف السياقات المقطعية، وهو ما يجعلها عرضة لعمليات صوتية مثل الإبدال والإدغام.
- التنغيم والتأثير السياقي: تتأثر أشباه الصوائت بنبرة الكلام والإيقاع الصوتي، مما يزيد من تعقيد دراستها.

١. المقارنة بين العربية ولغات أخرى

تشير الدراسات المقارنة إلى أن سلوك أشباه الصوائت يختلف بين اللغات، فمثلاً:

- في الإنجليزية، تُنطق الياء والواو بشكل أكثر وضوحاً كصوامت، كما في نعم وماء، لكنها تظهر أيضاً كأشباه صوائت عند وقوعها في سياقات معينة.
- في الفرنسية، تتأثر الواو والياء بشدة بموقعهما في الكلمة، حيث قد تتحول الواو إلى /v/ أحياناً، كما في oiseau (طائر).
- في العربية الفصحى، تمتاز الواو والياء بمرونة صوتية، حيث قد تتحول إلى ألف ممدودة أو يتم إدغامها، كما في بعض الأفعال (قال، بيع، يدعو، يمشي).^(١)

(١) (طبيي ٢٠١٤، ص: ١٤)

١-٥-٥: أثر أشباه الصوائت على البنية المقطعية

تلعب أشباه الصوائت دوراً جوهرياً في تحديد طبيعة المقطع الصوتي العربي، ووفقاً للتحليل المقطعي، يمكن أن تكون هذه الأصوات جزءاً من المقطع المفتوح أو المقطع المغلق، مما يؤثر على نظام التشكيل والإعراب في اللغة العربية.

على سبيل المثال، في الميزان الصرفي، تؤثر الواو والياء على بناء الكلمات، كما يظهر في تصريف بعض الجذور مثل: "وعد" يقال "يَعِدُ" (تحولت الواو إلى ياء بسبب السياق الصرفي).

"بيع" يقال "باع" (تحولت الياء إلى ألف في صيغة الماضي).^(١)

١-٦: الصوائت

تُعدّ الصوائت (Vowels) من العناصر الأساسية في البنية الصوتية للغات الطبيعية، حيث تمثل النواة المركزية للمقاطع اللفظية (Syllables) وتلعب دوراً حاسماً في تشكيل الكلمات ونظام الصوتيات في أي لغة،^(٢) ويُميز عن الصامت (Consonant) الذي يتطلب إغلاقاً كاملاً أو جزئياً في مجرى الهواء أثناء النطق، ويتميز الصائت بكونه صوتاً نطقياً يُنتج عند مرور الهواء بحرية عبر القناة الصوتية دون أي تضيق أو إعاقة تؤدي إلى احتكاك مسموع، مما يجعله مختلفاً جوهرياً عن الصوامت (Consonants) التي تتطلب إغلاقاً جزئياً أو كلياً لمجرى الهواء أثناء النطق.^(٣)

(١) عنبر (١٩٨٩)، ص: (٣٢٤)

(٢) (ر. البعلبكي ١٩٩٠ م)، ص: (٥٣٢)

(٣) (م. القاسمي ١٩٨٣ م)، ص: (١٠٠)

الصوائت في اللغة العربية

الصوائت في العربية تشمل:

- الحركات القصيرة: الفتحة (/a/)، الضمة (/u/)، الكسرة (/i/).
- حروف المد الطويلة: مد الألف (/a:/)، مد الواو (/u:/)، مد الياء (/i:/).

أما الصوائت فهي الأصوات الأخرى (حروف الهجاء)، التي تُنتج بإعاقه أو تضيق لمجرى الهواء.

الصوائت تمتاز بأنها أصوات مجهورة (Voiced)، حيث تهتز الحبال الصوتية أثناء نطقها، فعند نطق الصوائت، يمر الهواء بحرية عبر الحلق والفم، مع تغييرات طفيفة في مجرى الهواء التي تُسهم في تحديد نوعية الصوت.^(١)

١-٦-١: نقاط اختلاف الصوائت عن الصوائت وأشباهها

١. الصوائت: الصوائت هي الأصوات التي تنتج عن مرور الهواء بحرية عبر الجهاز الصوتي دون أي عائق، وهي تُشكّل جوهر المقطع الصوتي، حيث لا يمكن أن يوجد مقطع بدونها، وتُصنف الصوائت وفقاً لعدة معايير، منها:

- موقع اللسان: أمامي، وسطي، خلفي.
- ارتفاع اللسان: مرتفع، متوسط، منخفض.
- حركة الشفتين: مضمومة، غير مضمومة.

(١) (بركة ١٩٨٨)، ص: (١٢٩)

- طول الصوت: قصير، طويل.

٢. الصوامت: تتميز الصوامت بوجود إعاقة جزئية أو كلية لمجرى الهواء أثناء النطق بها، وذلك من خلال استخدام أعضاء النطق المختلفة، مثل اللسان، الشفتين، والأسنان، وتُصنف الصوامت بناءً على:

- مكان النطق: شفوي، أسناني، لثوي، حلقي، طبقي، وغيرها.
- طريقة النطق: انفجارية، احتكاكية، جانبية، أنفية، وغيرها.
- الجهر والهمس: مجهورة أو مهموسة.

٣. أشباه الصوائت: تمثل أشباه الصوائت أصواتاً تقع بين الصوائت والصوامت، مثل:

- الواو كما في "وَرْد".
- الياء كما في "يَوْم".

هذه الأصوات تُشبه الصوائت لأنها تُنطق دون إعاقة تامة لمجرى الهواء، لكنها تُعامل كصوامت من حيث وظيفتها في بنية المقطع الصوتي، حيث لا تُشكّل نواة المقطع، بل تُستخدم كأصوات مساعدة في تشكيل الكلمات.

مثال توضيحي: في كلمة "يوم"، يُنطق الياء مثل صائت لكنه يؤدي وظيفة صامت، حيث لا يكون نواة المقطع بل يعمل كمقدمة للصوت الأساسي في الكلمة.

جدول: (٧-١) الصوائت والصوامت وأشباه الصوائت

الفئة	تدفق الهواء	دوره في المقطع	أمثلة
الصوائت	حر دون إعاقة	نواة المقطع	الألف، الياء، الواو
الصوامت	إعاقة كلية أو جزئية	لا يكون نواة المقطع	الباء، التاء، السين
أشباه الصوائت	حر نسبياً	ليس نواة المقطع	الواو، الياء

يوضح الجدول الفرق بين الصوائت والصوامت وأشباه الصوائت من حيث طريقة خروج الهواء ودورها في تشكيل المقطع الصوتي، فالصوائت تتميز بتدفق الهواء بحرية دون أي عائق، مما يجعلها العنصر الأساسي في تكوين المقطع الصوتي، كما هو الحال في الألف والياء والواو عندما تُنطق بحركات طويلة، أما الصوامت؛ فتُنتج بإعاقة جزئية أو كلية لمجرى الهواء، ولا يمكن أن تشكل نواة المقطع بمفردها، مثل الباء والتاء والسين، أما أشباه الصوائت؛ فتقع بين الفئتين، حيث يمر الهواء خلالها بحرية نسبية لكنها تُعامل كصوامت من حيث وظيفتها في بناء الكلمات، مثل الواو والياء عندما تأتي في بداية المقطع أو وسطه.

تُعد الصوائت والصوامت الأساس الذي تقوم عليه اللغة المنطوقة، حيث تُشكّل الصوائت نواة المقطع، بينما تُحدد الصوامت هيكله، أما أشباه الصوائت؛ فتقع في منزلة وسطى بينهما، مما يجعلها ذات أهمية خاصة في دراسة الأصوات اللغوية وتحليلها.

١-٦-٢: المواضع المميزة للصوائت

١. الموضع العمودي للسان

- الصوائت العالية (مثل الضمة /u/ والكسرة /i/) يكون اللسان قريباً من سقف الفم.
 - الصوائت المنخفضة (مثل الفتحة /a/) يكون اللسان منخفضاً في الفم.
- في نظام IPA، تُسمى الصوائت العالية "مغلقة" والمنخفضة "مفتوحة".

٢. الموضع الأفقي للسان

يشير الموضع الأفقي للسان إلى موقعه داخل الفم أثناء نطق الصوائت (الحركات)، حيث يُحدد بناءً على قربه من مقدمة الفم أو مؤخرته:

- الصوائت الأمامية: مثل الكسرة /i/، يكون فيها اللسان أقرب إلى مقدمة الفم.
- الصوائت الخلفية: مثل الضمة /u/، يكون فيها اللسان أقرب إلى مؤخرة الفم.

وفقاً للنظام الصوتي الدولي (IPA - International Phonetic Alphabet)، يمكن تصنيف الموضع الأفقي للصوائت إلى خمس درجات:

- صائت أمامي
- صائت قرب أمامي
- صائت مركزي
- صائت قرب خلفي

• صائت خلفي

يمثل هذا التصنيف طيفاً متدرجاً يعكس التحولات الدقيقة في موضع اللسان أثناء النطق، مما يسهم في وصف أكثر دقة لتمييز الأصوات المتقاربة في اللغات المختلفة.

٣. تدوير الشفتين:

يشير إلى وضع الشفاه أثناء النطق:

- الأصوات المدورة: يتم ضم الشفاه (كما في الضمة /u/).
 - الأصوات غير المدورة: تبقى الشفاه غير مضمومة.
 - التدوير غالباً ما يكون ظاهرة تعزيزية للصوائت الخلفية المرتفعة.
٤. أنفية الصوت: في الصوائت الأنفية، ينخفض الحنك الرخو ليسمح بخروج جزء من الهواء عبر الأنف، وتُميز بعض اللغات، مثل الفرنسية والبولندية، بين الصوائت الأنفية والفموية.
٥. الجهر: الصوائت عادة مجهورة، لكن هناك لغات تميز بين صوائت مجهورة وصوائت مهموسة (غير مجهورة).

١-٦-٣: الصوائت المرجعية

١. تعريف الصوائت المرجعية

الصوائت المرجعية هي مجموعة من الأصوات التي يستخدمها علماء الصوتيات كنقاط ثابتة لتحديد مواقع الصوائت الأخرى في النظام الصوتي للغات المختلفة، وقد ابتكر هذا النظام عالم

الصوتيات البريطاني دانيال جونز، حيث تعتمد فكرته على تحديد الصوائت الأكثر تطرفاً من حيث موضع اللسان أثناء النطق، مما يتيح إنشاء إطار معياري لدراسة الأصوات اللغوية.

٢. خصائص الصوائت المرجعية

أ. أقصى درجات تحرك اللسان: تُحدد الصوائت المرجعية بناءً على الحدود القصوى لحركة اللسان، سواء في الاتجاه العمودي (مرتفع، متوسط، منخفض) أو الاتجاه الأفقي (أمامي، وسطي، خلفي)، وتُستخدم هذه الصوائت كمرجع عند تصنيف الصوائت الأخرى في أي لغة.

ب. أداة تحليل لغوي: يساعد النظام المرجعي في مقارنة الصوائت بين اللغات المختلفة، مما يُسهّل دراسة الفروق الصوتية بين اللغات واللهجات، يُستخدم في توصيف الصوائت في اللغات التي لا تمتلك نظاماً كتابياً موحداً أو تُفتقر إلى توصيف صوتي دقيق.

ث. نظام دقيق وموحد: يعتمد علماء الصوتيات على هذا النظام لتقديم توصيف دقيق للصوائت، مما يُسهّم في وضع معايير ثابتة لدراسة علم الأصوات، يُستخدم هذا النظام في الجدول الصوتي الدولي لتحديد مواقع الصوائت المختلفة وفقاً لمواضع نطقها.

٣. أنواع الصوائت المرجعية

يمكن تصنيف الصوائت المرجعية وفقاً لموضع اللسان داخل التجويف الفموي، وهي تشمل:

- الصوائت الأمامية: حيث يكون اللسان في أقصى الأمام، مثل الصائت المرتفع الأمامي.
- الصوائت الخلفية: حيث يكون اللسان في أقصى الخلف، مثل الصائت المنخفض الخلفي.

- الصوتيات المركزية: تقع بين الصوتيات الأمامية والخلفية، حيث يكون موضع اللسان في المنتصف.

- الصوتيات المرتفعة والمنخفضة: تُحدد وفقاً لارتفاع اللسان داخل الفم أثناء النطق.

٤. أهمية الصوتيات المرجعية في الدراسات الصوتية

- توفر هذه الصوتيات معياراً ثابتاً يساعد الباحثين في تحليل الأصوات عبر اللغات المختلفة.
- تساعد في التدريب الصوتي، حيث تُستخدم في تعليم النطق الدقيق للغات الأجنبية.
- تُستخدم في المجالات التطبيقية مثل علم الأصوات التجريبي، والنطق الآلي، وتحليل الأصوات في علم اللغويات الحاسوبية.

يمثل نظام الصوتيات المرجعية حجر الأساس في دراسة الأصوات اللغوية، إذ يتيح تصنيف الصوتيات بدقة وفقاً لموضع اللسان، مما يُسهل تحليل اللغات ومقارنتها، ومن خلال هذا النظام، يمكن للباحثين تحديد الفروقات الصوتية بين اللغات المختلفة، مما يساهم في تطوير فهم أعمق للبنية الصوتية للغات البشرية.

١-٦-٤: درجات ارتفاع الصوتيات

يُصنف ارتفاع الصوتيات وفقاً لموضع اللسان داخل الفم أثناء النطق، حيث يُحدد مدى قربيه أو بعده عن سقف الفم، وفقاً للجدول الصوتي الدولي (IPA)، هناك سبع درجات رئيسية لارتفاع الصوتيات، وهي:

- مغلق (مطبق): يكون اللسان في أعلى موضع له داخل الفم، قريباً جداً من سقف الحنك دون أن يلامسه تماماً، مثل الصائتين /i/ و /u/ في بعض اللغات.
- قرب مغلق: يكون اللسان أقل ارتفاعاً بقليل من الموضع المغلق، لكنه لا يزال قريباً جداً من سقف الفم.
- متوسط مغلق: يقع اللسان بين الموضع المغلق والمتوسط، ويعد أقل ارتفاعاً من الصوائت المغلقة بقليل، مثل بعض الأصوات الوسطى في اللغات العالمية.
- متوسط: يكون اللسان في موضع وسطي تماماً بين الأعلى والأسفل، وهو مستوى غير شائع نسبياً لكنه موجود في بعض اللغات.
- متوسط مفتوح: يقع اللسان بين الموضع المتوسط والمفتوح، ويعتبر مستوى أكثر انتشاراً في بعض اللغات.
- قرب مفتوح: يكون اللسان قريباً من الموضع المفتوح، لكنه لم يصل إلى أقصى درجات الانخفاض.
- مفتوح (منخفض): يكون اللسان في أدنى موضع داخل الفم، مما يسمح بفتح الفم بشكل أكبر أثناء النطق، كما هو الحال في الصائت /a/.

أهمية تصنيف درجات ارتفاع الصوائت

- يساعد هذا التصنيف في تحديد الفروق الدقيقة بين الصوائت في اللغات المختلفة، مما يسهل تحليلها ودراستها علمياً.

- يُستخدم هذا النظام في علم الصوتيات والتدريب على النطق لضبط الأصوات بشكل دقيق

في تعلم اللغات الأجنبية.

- يُستخدم في تحليل اللهجات، حيث يختلف ارتفاع الصوائت بين المتحدثين بناءً على عوامل

لغوية واجتماعية.

يُعد تحديد ارتفاع الصوائت أحد العناصر الأساسية في علم الصوتيات، إذ يُسهم في وصف كيفية

إنتاج الأصوات اللغوية بدقة، ويُمكن الباحثين من مقارنة الأنظمة الصوتية بين اللغات واللهجات

المختلفة.

تموضع اللسان خلال النطق

مفهوم تموضع اللسان

يشير تموضع اللسان أثناء النطق إلى العلاقة بين تقدّم أو تأخّر اللسان داخل الفم عند إنتاج

الصوائت، ويُصنّف التوضع إلى:

- الصوائت الأمامية: حيث يكون اللسان في أقصى الأمام، كما في الصوت /i/.

- الصوائت الخلفية: حيث يكون اللسان في أقصى الخلف، كما في الصوت /u/.

تموضع اللسان في اللغة العربية

تتميّز العربية الفصحى باستخدامها الصوائت ذات أقصى ارتفاع أو انخفاض فقط من الناحية النظرية، مما يعني غياب التدريجات الصوتية الدقيقة التي تُميز بعض اللغات الأخرى، مثل الإنجليزية والفرنسية، حيث توجد مستويات وسيطة بين الصوائت المرتفعة والمنخفضة.

١-٦-٥: أهمية الصوائت في بنية المقطع الصوتي

تمثل الصوائت حجر الزاوية في تكوين المقطع الصوتي، إذ يعتمد وجود المقطع وتحديد بنيته على طبيعة الصائت وخصائصه، وتكشف دراسة هذه الأصوات عن تعقيدات في النطق، حيث تتداخل العوامل الفيزيائية (مثل موضع اللسان ودرجة فتح الفم) مع العوامل الفونولوجية (مثل الأنماط الصوتية المميزة لكل لغة)، مما يؤدي إلى تشكيل منظومات صوتية متباينة بين اللغات.

وقبل اختتام هذا الباب، كان من الضروري أن يُدرج الباحث جدولاً يوضح الرموز الصوتية المستخدمة في بيانات هذه الدراسة، نظراً لوجود أصوات لا تنتمي إلى الهجائية العربية الفصحى، بل تنتمي إلى اللهجات المحكية، وبما أن الدراسة تتناول متعلمي اللغة العربية من الناطقين بغيرها، فقد لوحظ استبدال بعض الأصوات العربية بأصوات غير عربية، مثل استبدال حرف الواو بالصوت (v)، وفيما يلي الجدول الذي يوضح ذلك:

جدول: (٨-١) الرموز الصوتية لأصوات اللغة العربية المستخدمة في الدراسة الحالية

الأصوات الصامتة والصائتة المستخدمة في الدراسة	
الرمز الصوتي	الصوت
/ʔ/	ء
/b/	ب
/t/	ت
/θ/	ث
/dʒ/	ج
/ħ/	ح
/x/	خ
/d/	د
/ð/	ذ
/r/	ر
/z/	ز
/s/	س
/ʃ/	ش
/ʕ/	ص
/d/	ض
/t/	ط
/ð/	ظ
/ʕ/	ع
/ɣ/	غ
/f/	ف

/q/	ق
/k/	ك
/l/	ل
/m/	م
/n/	ن
/h/	هـ
أشباه الصوائت	
/w/	و
/j/	ي
الصوائت	
/i/	الكسرة
/u/	الضمة
/a/	الفتحة
/i:/	الكسرة الطويلة
/u:/	الضمة الطويلة
/a:/	الفتحة الطويلة
رموز حديثة مهمة في الدراسة	
^(١) /g/	ف
^(٣) /v/	ف ^(٢)

(١) يقصد بها القاف المعقودة أو اليَيف قيف (ف في فـ فـ)

(٢) يقصد بها ما يعادل صوت /v/ باللغة الإنجليزية

(٣) (English for Arabic Speakers 2016)

صوتا القيف (ف) والفاء غير المعطشة (ق):

أ. صوت القيف (ف /g/)

يعد صوت القيف (ف) أو ما يُعرف بـ "القاف المعقودة" أو "القاف اليمنية" أحد الأصوات الإضافية في الأبجدية العربية، حيث يرمز له بالشكل: (ف = فيـف)، ويقع هذا الصوت بين القاف والكاف،

مشكلاً منطقة صوتية مميزة تُشبه صوت الجيم غير المعطشة.^(١)

تناول عدد من العلماء العرب القدماء هذا الصوت في أعمالهم منهم:

١. عبد الوهاب القرطبي أشار إلى أن بعض العرب ينطقون القاف بين القاف والكاف.^(٢)

٢. أبو حيان الغرناطي سمّاه القاف المعقودة، وقال إنه كان شائعاً بين أهل البوادي حتى طغى

على القاف الخالصة.

٣. ابن قتيبة، ابن دريد، ابن فارس، وابن خلدون وثقوا هذا الصوت كجزء من التراث الصوتي

العربي.

الاستخدام المعاصر للقيف

في العصر الحديث، أطلق مجمع اللغة العربية الافتراضي في المدينة المنورة اسم القيف على هذا

الصوت، ويوازي القيف في النطق صوت /g/ في الإنجليزية، كما في كلمة good.

(١) (عيسى ٢٠٢٠م)

(٢) "أحرف الأبجدية العربية" www.unicode.org (PDF).

يرتبط صوت القيف باللهجات العربية التقليدية والمعاصرة، مما يضفي عليه أهمية خاصة في الدراسات الصوتية، حيث يبرز كصوت مميز جغرافياً واجتماعياً، ويعد توثيق استخدامه ضرورياً في البحث عن التباينات الصوتية.

ب. صوت الفاء غير المعطشة (ق /ف/) صوت ق (/ف/) غير موجود أصلاً في الأبجدية العربية التقليدية، ولكنه يُستخدم في نطق بعض الحروف في اللهجات الهندية المتأثرة باللغتين الفارسية والإنجليزية.^(١)

خلاصة مضمون الباب

بهذا يكون هذا الباب قد مهّد للإطار النظري العام الذي ستقوم عليه الدراسة، من خلال عرض شامل للأسس اللسانية والصوتية التي تفسر طبيعة الصوت ووظيفته في النظام اللغوي، وتُعين على فهم الفروق بين الصوامت والصوائت، وتصنيفها وفق الصفات والمخارج، إلى جانب توضيح العلاقة بين اللغة الأم واللغة الثانية في اكتساب النظام الصوتي. كما أبرز الباب الدور المحوري لعلم الصوتيات في تحليل ظاهرة الإبدال الصوتي، بوصفه ظاهرة تتقاطع فيها الأبعاد الفسيولوجية والنفسية واللسانية والثقافية. وبهذا التأسيس العلمي، ينتقل البحث إلى دراسة مفهوم الإبدال الصوتي في اللغة العربية، ومساراته القديمة والحديثة، وتحليل أبعاده النظرية والتطبيقية، وهو ما سيتناوله الباب التالي بالتفصيل.

(١) (مجمع افتراضي مفتوح للغة العربية بإشراف أ.د. عبدالرزاق بن فراج (المدينة المنورة) ٢٠١٤م)

٢: الباب الثاني: الإبدال الصوتي في اللغة العربية: المفهوم، المسارات، والتطبيقات

يعد الإبدال الصوتي من الظواهر اللغوية الشائعة التي تحدث في مختلف اللغات واللهجات، ويشير إلى استبدال صوت بآخر نتيجة لعوامل صوتية، صرفية، أو اجتماعية، وقد حظيت هذه الظاهرة باهتمام واسع في الدراسات اللغوية القديمة والحديثة، حيث تناولها علماء اللغة الأوائل مثل سيبيوه وابن جني، كما درست في إطار علم الأصوات الحديث وفق مناهج تحليلية قائمة على التجريب والمقارنة.

يركز هذا الباب على تحليل الإبدال الصوتي في اللغة العربية من خلال دراسة تعريفه، أنواعه، وأسبابه، إلى جانب استعراض آراء العلماء حوله، سواء في التراث اللغوي العربي أو في الدراسات الصوتية الحديثة، كما يتناول الباب الإبدال في اللهجات العربية، ويقارن بين ظواهر الإبدال في لهجات الحجاز وتميم، مع استقصاء أثر الإبدال في توحيد اللغة العربية أو تفرّعها لهجياً.

كما يتعمق الباب في دراسة العوامل المؤثرة في حدوث الإبدال، سواء كانت عوامل صوتية، اجتماعية، تاريخية، أو نفسية، ويبحث في قوانين التفاعلات الصوتية التي تؤدي إلى حدوثه، مثل المماثلة والمخالفة، بالإضافة إلى ذلك؛ يناقش الباب الإبدال من منظور علم الأصوات الطبيعي، مع الإشارة إلى تأثير اللغة الأم واكتساب اللغات الأخرى على هذه الظاهرة، إلى جانب تحليل مبدأ الجهد الأقل باعتباره أحد العوامل التي تسهم في التغيرات الصوتية بمرور الزمن.

تهدف هذه الدراسة إلى تقديم تحليل شامل للإبدال الصوتي، يساعد في تفسير الفروق الصوتية بين المتحدثين، كما يمهّد لفهم الظواهر اللغوية المرتبطة به، مثل التغير الصوتي والتطور اللغوي، مما يثري البحث في مجال علم الأصوات واللغة العربية.

٢-١: تعريف الإبدال الصوتي

الإبدال لغة:

الإبدال في اللغة يشير إلى استبدال شيء بآخر، أو تغييره، وفقاً لما ذكره ابن منظور، فيقال: "أبدلت الشيء بغيره"، أي وضعت شيئاً مكان شيء آخر، ويقول: "بدّله الله من الخوف أماناً"، مما يدل على التغير نحو حال أفضل، أما "تبديل الشيء"، فهو يشير إلى تغييره سواء أتيت ببديل عنه أم لا، وتُستخدم كلمة "استبدال" للدلالة على أخذ شيء مكان آخر، و"التبدّل" حين يُغيّر الشيء.

كما يُفهم من هذا المصطلح أن "الإبدال" يرتبط بجعل شيء ما يحتل مكان شيء آخر، سواء كان ذلك على مستوى الألفاظ أو المعاني، ومن أمثلة ذلك في اللغة العربية، إبدال الحروف كما يحدث عند إبدال الواو تاءً في كلمة "تالله"، ويُطلق على الشخص الذي يبيع أصنافاً مختلفة من المأكولات وصف "بدّال"، مما يبرز دلالة المبادلة والتغيير في مختلف السياقات.^(١)

كما يظهر من تعريف ابن منظور، فإن مصطلح "الإبدال" يشير إلى وضع شيء مكان آخر، مما يؤكد مفهوم التغير أو الاستبدال، ويُظهر المثال الذي قدمه ابن منظور بعداً صوتياً للإبدال، مثل إبدال الواو تاءً في "تالله"، ومن جهة أخرى، يُبرز ابن دريد في تعريفه عمقاً إضافياً للمفهوم، حيث يربط

(١) (ابن منظور ١٩٧٠)، الجزء: (١)، ص: (١٧٦)

"البدل" و"الإبدال" بفكرة الغَير أو البديل، مشيراً إلى أن الإبدال هو عملية استبدال أحد الأشياء بآخر، وهو مشتق من "بديل"، الذي يأتي على وزن فاعيل ضمن قواعد اللغة.

وأضاف ابن دريد أن "الإبدال" ليس مقتصرًا على اللغة، بل يمتد إلى مفاهيم اجتماعية ودينية، ففي نظره، الأبدال هم مجموعة من الرجال يبلغ عددهم سبعين، أربعون منهم في الشام وثلاثون في بقية أنحاء الأرض، وسموا "أبدالاً" لأن الله يبدل مكان كل واحد منهم عند وفاته بشخص آخر، كما أشار ابن دريد إلى أن الفعل "بادلت" يعبر عن عملية التبادل بين طرفين، كأن يعطي أحدهما شيئاً مقابل ما يأخذه من الآخر.^(١)

يتضح من هذه التعريفات أن مصطلح "الإبدال" يتسم بشمولية المعنى وتعدد جوانبه، حيث يتقارب في مفهومه بين الإبدال بكسر الهمزة والأبدال بفتحها، فالإبدال بكسر الهمزة يشير إلى عملية التغيير والاستبدال اللغوي والصوتي، في حين أن الأبدال بفتح الهمزة يرتبط بمعنى خاص يتعلق بمجموعة من الرجال الصالحين الذين يُعتقد أنهم لا تخلو الأرض منهم، كما ذكر ابن دريد.

ومن منظور ابن فارس، الإبدال في اللغة يتجلى في فكرة "التغيير"، أي رفع شيء ووضع آخر مكانه، مما يُبرز الطابع العام للمصطلح كعملية استبدالية، أما المعجم الوسيط، فقد تناول المصطلح بدقة، معرّفاً الإبدال على أنه عملية تغيير صورة الشيء أو تحريف الكلام أو استبدال شيء قديم بجديد، مع الإشارة إلى أسلوب التركيب البلاغي مثل إدخال "الباء" على المتروك في بعض السياقات،

(١) (ابن دريد ١٩٨٧)، الجزء: (١)، ص: (٣٠٠)

ويؤكد هذا المعنى ما ورد في القرآن الكريم: (وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ)، وهو تعبير يشير إلى الإبدال كعملية تغيير ذات دلالة سياقية ودينية.

يتضح أن الإبدال لا يقتصر على مجال معين، بل يمتد ليشمل:

الصوتيات (Phonology): كإبدال الحروف ضمن الكلمات.

المعاني اللغوية: من حيث تغيير أو استبدال المفردات والصيغ.

الدلالات الاجتماعية والدينية: مثل مفهوم "الأبدال" المرتبط بالصالحين.

هذا التعدد يعكس عمق المصطلح في التراث العربي، وارتباطه بالعديد من المجالات، سواء كانت لغوية بحتة أو ذات طابع اجتماعي وديني.

الإبدال اصطلاحاً:

الإبدال الصوتي يُعرف بأنه تغيير يطرأ على حرف في الكلمة، غير حروف العلة والهمزة، حيث يُستبدل بحرف آخر يشترك معه في الصفات الصوتية أو المخرج، ومن الأمثلة على ذلك: استبدال التاء بالطاء في كلمة "اصتبر" لتصبح "اصطبر"، أو التاء بالذال في "اذتهر" لتصبح "ازدهر".^(١)

يُفهم من هذا التعريف أن الإبدال يتجاوز مجرد تغيير الحروف إلى كونه ظاهرة صوتية لغوية ودلالية، تُبقي على بقية حروف الكلمة كما هي، وتحدث غالباً في الكلمات التي تشترك حروفها في

(١) (ع. إبراهيم ١٩٦٩م)، ص: (٣٧)

مخرج أو صفة معينة، فعلى سبيل المثال: كلمة "قضب" وكلمة "قضم" تشتركان في حرفي القاف والضاد، لكن الاختلاف بين الباء والميم، وكلاهما من الحروف الشفوية.

كلمة "قطع" وكلمة "قطم" تتفقان في القاف والطاء، لكن العين تختلف عن الميم من حيث المخرج، فلا يُقيد الإبدال بالحرف الأخير (لام الفعل) فقط، بل قد يطرأ على الحرف الأول (فاء الفعل) مثل: خبن وغبن، أو الحرف الأوسط (عين الفعل) مثل: رسم ورشم، ويمكن أن يظهر في الأفعال الرباعية مثل: تولج ودولج أو الخماسية مثل: جرسام وجلسام،^(١) أو حتى في الكلمات السداسية مثل: اعرنكس واعلنكس.

١-١-٢: الإبدال في النحو والصرف

الإبدال في النحو يُعنى بتغيير حرف بحرف آخر ضمن الكلمة، سواء كان ذلك لأسباب تتعلق بالضرورة اللغوية أو الاستحسان، وقد أوضح شارح الملوكي أن البديل يتمثل في إقامة حرف مكان آخر في موضعه، مشيراً إلى أن الفرق بين البديل والعوض يكمن في أن البديل أقرب شهماً بالمبدل منه مقارنة بالعوض، كما هو الحال في استبدال التاء في كلمة "تُخَمَّةُ".^(٢)

الإبدال في الصرف يشير الدكتور إبراهيم نجا في كتابه "اللهجات العربية" ويقول: "فإن الصرفيين درجوا على تعريف الإبدال على أنه استبدال حرف بحرف آخر دون تقييد، ويرجع ذلك إلى تركيزهم على التغيرات التي تلحق الحروف دون الالتفات إلى الحركات أو المكونات الصوتية الأخرى"، إلا أن

(١) (السم، وتسمية العامة: الإرسام)

(٢) (ابن يعيش، شرح الملوكي في التصريف ١٩٧٣ م، ١٣٩٣ هـ)، ص: (٢١٣)

هذا التعريف قد وسّع مفهوم الإبدال ليشمل الإعلال أيضاً، مما يعكس وجهة نظر الباحث الذي يراها تغييرات صوتية يمكن دراستها في إطار شامل للتغيرات التي تطرأ على الصوامت والصوائت.^(١)

٢-١-٢: الإبدال والقلب

يُعدّ موضوع الإبدال والقلب من القضايا المركزية في علم الصرف، وقد تناولته المصنفات العربية القديمة بعمق، حيث ميّز العلماء بين الظاهرتين وفقاً لنطاق تأثيرهما في اللغة، يرى أبو البقاء الكفوي في كتابه الكليات أن الإبدال قد يحدث في جميع الحروف، بما في ذلك حروف العلة، بينما يقتصر القلب على حروف العلة فقط، أما عدد الحروف التي قد تتعرض للإبدال، فقد اختلف النحاة حولها، حيث حصّره بعضهم في تسعة أحرف، بينما وسّعه آخرون ليشمل ما يصل إلى اثنين وعشرين حرفاً.^(٢)

٢-١-٢-١: مقارنة بين الإبدال والقلب

١. نطاق التغيير

• الإبدال: يمكن أن يحدث في جميع الحروف، سواء الصوامت أو الصوائت، ويشمل تبديل حرف بآخر ضمن السياق الصرفي.

• القلب: يقتصر على حروف العلة، ويحدث عادة نتيجة تطورات صوتية تؤثر في ترتيب الحروف داخل الكلمة.

(١) (نجا ١٦، ٢٠م)، ص: (٦٩)

(٢) (أبو البقاء ١٩٩٨م)، ص: (١٢٦)

٢. الأسباب اللغوية

- الإبدال: قد يكون بسبب تقارب المخارج، أو نتيجة لتخفيف النطق، مثل استبدال "الثاء" بـ "التاء" في بعض اللهجات.

- القلب: يحدث غالباً لتيسير النطق أو نتيجة اشتراطات وزنية، كما في قلب "أيس" إلى "يئس"، ويمكننا التمثيل بالأمثلة الآتية:

- الإبدال: مثل قولهم "اصطبر" بدل "اصتبر"، و"إقتراب" بدل "إقترب".

- القلب: مثل "قال" من "قول"، و"باع" من "بيع".

وفقاً للدراسات الصوتية الحديثة، فإن التغيرات الصوتية يجب أن تُدرس ضمن الإطار الحديث لتصنيف الأصوات، حيث لا يُنظر إلى الأصوات كحروف فحسب، بل كفونيمات ذات دلالات صوتية ومعنوية، وهذا يتفق مع ما طرحه الدكتور إبراهيم نجا في تعريفه الشامل للإبدال، حيث شمل تغيير الحروف والحركات على حد سواء، مما يبرز اتساع المفهوم ليشمل:

- تبديل الحركات (الضمة، الفتحة، الكسرة).

- تبديل الحروف (الصوامت والصوائت).

وقد تناول ابن جني مفهوم الإبدال في كتابه "المحتسب"، موضحاً أن الإبدال يمكن أن يحدث في:

- الحركات القصيرة والطويلة.

- أشباه الحركات.

■ الصوامت.

إلا أن مصطلح "الحرف" لدى ابن جني كان يُستخدم بمعناه التقليدي، وهو ما تمت مراجعته في الدراسات الصوتية الحديثة التي ترى أن التغيير يحدث على مستوى الصوت لا الحرف، مما يجعل الإبدال شاملاً لأي تغير صوتي،^(١) وبهذا يكون قد شمل الحركات والحروف، إلا أن ذكر حرف بدلا عن صوت يعد تأثرا بالمصنفات العربية القديمة، وإعادة ما جاء فيها، وهذا لا يتفق معه الباحث، فالتغيير لا يكون على الحروف؛ بل على الصوت الصائت، والصامت،

ورد لدى ابن جني في المحتسب حين أقرَّ بأن الإبدال يحدث في: (الحركات القصيرة، وفي الحركات الطويلة وأشبه الحركات، وفي الصوامت)^(٢)، حسب تحليل معاصر لكتاب "المحتسب" لابن جني.

٢-١-٣: الإبدال والإعلال

الإعلال يُعرف بأنه عملية استبدال حرف علة بحرف علة آخر، ويقتصر في نطاقه على حروف العلة الثلاثة (الألف، الواو، الياء)، أما الإبدال؛ فهو استبدال صوت صامت بصوت صامت آخر، مما يجعله أوسع من الإعلال من حيث التطبيق، ورغم هذا التمييز، فإن التداخل بين المصطلحين واضح في كثير من الحالات، حيث يُعتبر الإعلال من صور الإبدال، بينما لا يمكن اعتبار كل إبدال إعلالاً.^(٣)

(١) (نجا ٢٠١٦م)، ص: (٦٩)

(٢) (أبو عيد ٢٠١٤).

(٣) (ص. حسين ٢٠٠٩)، ص: (٤٣)

الإبدال يشمل كلاً من الصوامت (Consonants) والصوائت (Vowels)، مما يجعله أكثر شمولية مقارنة بالإعلال، فعلى سبيل المثال:

- إبدال صامت بصامت: كإبدال التاء بالطاء في كلمة "اصتبر" لتصبح "اصطبر".
- إبدال صامت بصائت: كإبدال الواو أو الياء بالهمزة.
- إبدال صائت بصامت: كإبدال حروف العلة في مواقع معينة كما في بعض التغيرات الصوتية.

رؤية الدكتور صلاح الدين

في أطروحته "التغيرات الصوتية في التركيب الصوتي"، أشار إلى إمكانية التمييز بين الإبدال والإعلال من خلال النظر إلى أصل الكلمة:

- إذا كان الحرف الأصلي صامتاً واستُبدل بحرف صامت، فهو إبدال.
- إذا كان الحرف الأصلي صامتاً واستُبدل بحرف علة، فهو إعلال.

رغم ذلك؛ فإن هذا التمييز لا يحل إشكالية التداخل بين المصطلحين، لأن القدماء غالباً ما خلطوا بينهما بسبب التصنيفات التقليدية التي ربطت الإبدال بالأحرف الصحيحة الصامته، بينما قصروا الإعلال على حروف العلة.^(١)

(١) (ص. حسين ٢٠٠٩). ص: (٤٤)

رؤية الدكتور محمد أبو عيد

في دراسته "تحليل ظاهرتي الإتياع والإبدال في المحتسب"، خلص إلى أن الإعلال ورد في كتاب "المحتسب" لابن جني بوصفه صورة من صور الإبدال، وهذا يدعم الفكرة القائلة بأن الإعلال لا يُفهم إلا في سياق أعم يُعرف بالإبدال، مما يتماشى مع الدراسة الحالية التي ترى الإعلال كجزء من الإبدال،^(١) وهذا ما تتوافق معه الدراسة الحالية، فالإعلال صورة من صور من الإبدال.

التحليل الصوتي الحديث

في ضوء التصنيفات الحديثة، لم يعد يُنظر إلى الأصوات كحروف كتابية فقط، بل كفونيمات مميزة ذات دلالات صوتية، وبالتالي؛ فإن التقسيم التقليدي للأصوات إلى حروف صحيحة وعلة يُعتبر أقل دقة في الدراسات الصوتية المعاصرة، وفقاً للتصنيفات الحديثة، تُقسم الأصوات إلى:

- صوامت: تشمل جميع الأصوات غير الصائتة.
- صوائت: تشمل الحركات والأصوات الصائتة.
- أشباه صوائت: تمثل أصواتاً تشترك في صفات بين الصوامت والصوائت.

١-٣-١ : الفرق بين الإبدال والإعلال في الدراسات الصوتية الحديثة
تعدّ مفهومي الإبدال والإعلال من الظواهر الصوتية المهمة في علم اللغة، حيث يتناولان التغيرات التي تطرأ على الأصوات في سياقات مختلفة، ومع تطور الدراسات الصوتية الحديثة، أصبح التفريق

(١) (أبو عيد ٢٠١٤)

بينهما يعتمد على التصنيفات الفونولوجية التي تأخذ بعين الاعتبار طبيعة الصوت وموقعه في الكلمة.

أولاً: الإبدال

الإبدال هو عملية صوتية تشمل جميع التغيرات التي تحدث بين الصوامت (الحروف الساكنة) والصوائت (حروف العلة)، حيث يمكن أن يحدث التبديل بين الأصوات المتقاربة في المخرج أو الصفة، في الدراسات الفونولوجية الحديثة، يُنظر إلى الإبدال باعتباره ظاهرة شاملة تخضع لقواعد صوتية محددة، وقد يحدث لأسباب عديدة، مثل التخفيف الصوتي أو التأثير بالسياق المورفولوجي.^(١)

أمثلة على الإبدال:

- تحول الثاء (ث) إلى تاء (ت) في بعض اللهجات العربية مثل "ثلاثة" يقال "تلاتة".
- تغير الجيم (ج) إلى ياء (ي) في بعض البيئات الصوتية، كما في "رجل" التي تُنطق "رَيْل" في بعض اللهجات.

ثانياً: الإعلال

الإعلال هو نوع من الإبدال يقتصر على تغيّرات تحدث في حروف العلة (الألف، الواو، الياء)، ويهدف إلى تسهيل النطق أو تحقيق الانسجام الصوتي داخل الكلمة، ويُعد الإعلال جزءاً من

(١) (دك الباب ١٩٨٢ م)

الإبدال، لكنه أكثر تخصصاً، حيث يركز على انتقال الأصوات العلية من شكل إلى آخر نتيجة عوامل صرفية وصوتية.

أمثلة على الإعلال:

- قلب الواو ياءً في بعض الأوزان، مثل "قال" يقال "قيل".
- حذف حروف العلة في بعض التصريفات، مثل "يسوق" يقال "سُقْتُ".

ثالثاً: العلاقة بين الإبدال والإعلال

على الرغم من أن الإعلال يُعد جزءاً من الإبدال، إلا أن الدراسات الصوتية الحديثة تميّز بينهما بناءً على طبيعة الصوت المتغير:

الإبدال أكثر شمولية، حيث يشمل التغيرات بين الصوامت والصوائت على حدٍ سواء.

الإعلال تخصص فرعي ضمن الإبدال، حيث يركز فقط على التغيرات التي تصيب حروف العلة.^(١)

التطور الفونولوجي الحديث يتعامل مع كلا الظاهرتين وفق تصنيفات تعتمد على البيئة الصوتية والسياق اللغوي، مما يجعل الإعلال جزءاً من التحليل الصوتي الأوسع الذي يندرج ضمن مفهوم الإبدال.

يمثل كلٌّ من الإبدال والإعلال عمليات صوتية أساسية في تطور اللغة، حيث يساعدان في تفسير التغيرات التي تطرأ على الأصوات بمرور الزمن، ومع التقدم في علم الأصوات والفونولوجيا، أصبح

(١) (الزجاجي ١٩٦٢م-١٣٨١هـ)

التمييز بينهما أكثر وضوحاً من خلال تحليل الأنماط الصوتية ضمن إطار شامل يعكس طبيعة الأصوات وعلاقتها بالسياق اللغوي.^(١)

٢-١-٤: الاشتقاق

الإبدال والاشتقاق من الظواهر اللغوية الأساسية التي عالجتها الدراسات النحوية والصرفية، إذ يمثل الاشتقاق وسيلة لتوليد الكلمات، بينما يُعد الإبدال تغييراً صوتياً قد يكون جزءاً من عملية الاشتقاق،^(٢) وفيما يلي تفصيل لأنواع الاشتقاق وعلاقتها بالإبدال.

٢-١-٤-١: أنواع الاشتقاق

١. الاشتقاق الصغير

هو أخذ كلمة جديدة من كلمة أخرى عبر تغيير صيغة الكلمة مع الاحتفاظ بحروف المادة الأصلية وترتيبها، ومثاله: من جذر "ض ر ب": ضرب، أضرب، ضارب، مضروب، مَضْرَب، مَضْرَب، مضراب، فجميع هذه الكلمات احتفظت بترتيب الحروف الأصلية مع تناسب في المعنى.

فيمثل الأساس في توليد الكلمات العربية، حيث إن المصدر يُعد الأصل الأكبر الذي يُشتق منه باقي الكلمات.^(٣)

(١) (عبدالقادر ٢٠٢٠م)

(٢) (ابن جني، الخصائص ١٩٥٨)، الجزء: (٢)، ص: (١٣٥)

(٣) (أمين ٢٠٠٠م)، ص: (٢٣-٣٣)

٢. الاشتقاق الكبير

هو توافق الكلمات في حروف المادة الأصلية مع اختلاف ترتيبها، مع وجود تناسب في المعنى، مثل: جذب وجبذ، حمد ومدح.

علاقته بالإبدال

يُعد الإبدال جزءاً من آليات الاشتقاق الكبير، إذ يمكن أن يحدث تبديل في الحروف، كما في تقليبات جذر ج ب ر التي تشمل: (جبر، جرب، بجر، برج، رجب، ريج)، مع احتفاظ المعاني بدلالات القوة والشدة.^(١)

٣. الاشتقاق الأكبر

يُعرّف بأنه تناسب الكلمات في المعنى مع توافق في بعض الحروف الأصلية دون الالتزام بترتيبها، ويمكن أن تشمل الحروف المتغيرة أصواتاً متقاربة في المخرج الصوتي، مثل: (ثلب وثلثم)، (نعق ونهق)، (مدح ومدمه)، (صيرير وصريف).

علاقته بالإبدال:

يرى المحدثون أن هذا النوع من الاشتقاق يشبه عملية الإبدال، حيث تُبدل الحروف المتقاربة في المخرج أو الصفات الصوتية لإنتاج كلمات جديدة، فالاشتقاق الكبير والأكبر ليسا قياسيين، أي لا يُعتمد عليهما في استنباط كلمات جديدة في اللغة العربية.^(٢)

(١) (ابن جني، الخصائص ١٩٥٨)، الجزء: (٢)، ص: (١٣٥)

(٢) (أمين ٢٠٠٠م)، ص: (٣٣٩)

٤. الاشتقاق الكُبار

هو أخذ كلمة جديدة من بعض حروف كلمتين أو أكثر، مع تناسب الكلمة المنحوتة مع الكلمات الأصلية في المعنى واللفظ، ومثاله: بسمَل: من "بسم الله"، وسبَحَل: من "سبحان الله"، وبرمائي: من "بر" و"ماء"، ويُستخدم لتوليد مصطلحات جديدة، مثل: "كهروضوئي" من كهرباء وضوء، اختصار أسماء المؤسسات مثل: "متاع" (مؤسسة تنفيذ الإنشاءات العسكرية)، ويرى ابن الفارس أن معظم الكلمات الرباعية والخماسية في اللغة منحوتة، وهذا الاتجاه يُعد وسيلة فعالة لتوسيع معجم اللغة العربية.^(١)

٢-١-٥: علاقة الإبدال بالاشتقاق

٢-١-٥-١: مفاهيم الإبدال والاشتقاق

١. الإبدال

الإبدال ظاهرة صوتية وصرفية في اللغة العربية تقوم على استبدال حرف بآخر في بنية الكلمة مع الاحتفاظ بالدلالة الأساسية أو تقاربها، ويحدث الإبدال نتيجة لمؤثرات صوتية أو دلالية، وهو شائع في التطور اللغوي والتغيرات الصوتية بين اللهجات العربية عبر العصور.^(٢)

(١) (أمين ٢٠٠٠ م)، ص: (٣٩٧-٣٩٣)

(٢) (ص. حسين ٢٠٠٩)

٢. الاشتقاق

الاشتقاق عملية لغوية تُستخدم لاستخراج كلمات جديدة من جذر معين وفق أوزان محددة، ويُعتبر الاشتقاق إحدى الوسائل الأساسية لتوسيع المعجم اللغوي، ويتنوع إلى عدة أنواع:

أ. الاشتقاق الصغير: وهو الأساس في توليد الكلمات من جذر ثلاثي أو رباعي عبر الأوزان الصرفية المعروفة.

ب. الاشتقاق الكبير: يتمثل في تبديل مواقع الحروف في الجذر، مثل تقلبيات الجذر "كتب" (كتب، كبت، تبك، بكت).

ج. الاشتقاق الأكبر: يشمل تقلبيات أكثر تعقيداً قد تتضمن تغييرات صوتية ودلالية.

ح. الاشتقاق الكبّار (النحت): وهو تكوين كلمة جديدة من كلمتين أو أكثر، مثل "بسمل" من "بسم الله"، و"حوقل" من "لا حول ولا قوة إلا بالله".^(١)

٢-١-٥: دور الإبدال في أنواع الاشتقاق بأنواعه

يُعد الإبدال آلية مساعدة على تحقيق الاشتقاق، لا سيما في الاشتقاق الكبير والأكبر، إذ يؤدي إلى تغييرات في الأصوات أو مواقع الحروف مع الحفاظ على الدلالة الأصلية أو توسيعها، ويمكن تحليل العلاقة بينهما من خلال:

(١) (السيوطي، المزهر في علوم اللغة و أنواعها ١٩٩٨)

١. دور الإبدال في الاشتقاق الصغير

يظهر الإبدال في بعض الأبنية الصرفية، مثل استبدال الواو والياء وفق قوانين الصرف:

"وعد" يقال "يعدُّ" (إبدال الواو ياءً).

"قول" يقال "قال" (إبدال الواو ألفاً).

٢. دور الإبدال في الاشتقاق الكبير

في بعض تقلبيات الجذر، قد يحدث إبدال صوتي بسبب التجاور الصوتي، مثل:

"جذب" يقال "جبد".

"صقر" يقال "سقر".

٣. الإبدال في الاشتقاق الأكبر

يظهر الإبدال في تغييرات الحروف بين الكلمات ذات الجذور المشتركة مع تغير دلالي طفيف، مثل:

"أسر" يقال "سير" (إبدال مكاني).

"سحق" يقال "صحق" (إبدال صوتي مفخم).

٤. الإبدال في الاشتقاق الكبَّار (النحت)

يتمثل في تغيير الأصوات المتقاربة أثناء دمج كلمتين أو أكثر، كما في:

"عَبْشَم" يقال "عبد شمس".

"جعفر" يقال "جَعْفَر" (تحويل صوتي لإضفاء صيغة صرفية جديدة).^(١)

٣-٥-١-٢: مقارنة بين الإبدال والاشتقاق

جدول: (١-٢) مقارنة بين الإبدال والاشتقاق

العنصر	الإبدال	الاشتقاق
التعريف	استبدال صوت بآخر داخل الكلمة	توليد كلمات جديدة من جذر معين
المجال	صوتي وصرفي	صرفي ومعجمي
التأثير الدلالي	طفيف أو غير مؤثر في بعض الحالات	قد يؤدي إلى تغييرات دلالية واضحة
العلاقة بالأنواع الاشتقاقية	يحدث في الاشتقاق الكبير والأكبر	يشمل الصغير، الكبير، الأكبر، والنحت
المرونة في توليد الكلمات	محدود نسبياً ويحدث غالباً ضمن القوانين الصوتية	أوسع نطاقاً ويؤدي إلى تنوع معجمي أكبر

يُبرز الجدول الفروقات الجوهرية بين الإبدال والاشتقاق من حيث طبيعة كل منهما وتأثيره في اللغة، فالإبدال يُعرّف على أنه استبدال صوت بآخر داخل الكلمة، ويُعد ظاهرة صوتية وصرفية تحدث وفق قوانين لغوية محددة، بينما يُعرّف الاشتقاق بأنه عملية توليد كلمات جديدة من جذر معين، مما يجعله أكثر ارتباطاً بالمجال الصرفي والمعجمي.

(١) (أ. عمر، دراسة الصوت اللغوي ١٩٩٧)

من حيث التأثير الدلالي، يكون الإبدال محدود التأثير، حيث قد لا يحدث تغييراً كبيراً في المعنى، بينما قد يؤدي الاشتقاق إلى تغييرات دلالية واضحة، إذ يوسع نطاق المعجم من خلال تكوين كلمات جديدة ذات معانٍ مختلفة، كما أن الإبدال يحدث عادةً في الاشتقاق الكبير والأكبر، بينما يشمل الاشتقاق جميع المستويات، بما فيها الاشتقاق الصغير، الكبير، الأكبر، والنحت، مما يمنحه مرونة أكبر في توليد المفردات وتوسيع البنية المعجمية للغة.

أخيراً، يُظهر الجدول أن الإبدال أكثر تقييداً، حيث يحدث ضمن قوانين صوتية محددة، بينما يتمتع الاشتقاق بمرونة أكبر، إذ يتيح إنشاء كلمات متنوعة، مما يجعله أحد أهم الوسائل التي تسهم في تطور اللغة ونموها الدلالي.

٢-١-٥-٤ : دور الإبدال والاشتقاق في تطور اللغة العربية

• الإبدال يعكس التطورات الصوتية والتغيرات اللهجية عبر الزمن، مما يساعد في تتبع أصل

الكلمات وتحولات الأصوات بين الفصحى واللهجات.^(١)

• الاشتقاق هو أحد أهم الوسائل التي تحافظ على غنى اللغة العربية، إذ يوفر مرونة في

التعبير عن المعاني المختلفة دون الحاجة إلى استعارة كلمات جديدة من لغات أخرى.

• التكامل بين الإبدال والاشتقاق يظهر في قدرة اللغة على التكيف مع الاحتياجات المعجمية

والمستجدات الدلالية، مما يعزز من ثراء النظام اللغوي العربي.

(١) (الجندي ١٩٨٣ م، ص: ٣١)

إن العلاقة بين الإبدال والاشتقاق علاقة تكاملية، حيث يُعد الإبدال أحد الآليات التي تساهم في اشتقاق الكلمات، لا سيما في الاشتقاق الكبير والأكبر، كما أن اللغة العربية تتمتع بنظام غني يسمح بتوليد المفردات عبر عمليات صرفية دقيقة، مما يجعلها قادرة على التعبير عن مختلف المفاهيم والمعاني مع الحفاظ على اتساقها البنيوي.^(١)

٢-٢: مسوغات الإبدال الصوتي

الإبدال الصوتي في اللغة العربية يعكس ظاهرة لغوية معقدة تتداخل فيها العلاقات بين الأصوات، سواء من حيث المخارج أو الصفات، وقد سعى القدماء والمحدثون إلى تحليل مسوغات الإبدال بناءً على العلاقات الصوتية المختلفة، وفيما يلي تفصيل لهذه المسوغات:

١-٢-٢: علاقات تسويغ الإبدال الصوتي

- أ. التماثل: هو أن يتحد الحرفان في المخرج والصفة معاً، ومثاله: (الباء والباء)، (التاء والتاء).
- ب. التجانس: هو أن يتفق الحرفان في المخرج، لكن يختلفان في الصفة، ومثاله: (الذال والطاء)، حيث كلاهما يخرجان من "المنطق"، لكن الذال تنصف بالانفتاح والاستفال، بينما الطاء بالإطباق والاستعلاء.
- ج. التقارب: علاقة بين الحروف تقترب فيها الحروف مخرجاً أو صفة أو كليهما، وله عدة أنواع هي:

- تقارب في المخرج والصفة: كاللام والراء.

(١) (ج. إبراهيم ٢٠٢٠م)

• تقارب في المخرج فقط: كالدال والسين.

• تقارب في الصفة فقط: كالشين والسين.

د. التباعد: هو أن تكون الحروف متباعدة في المخرج أو الصفة أو كليهما.

أنواعه:

١. تباعد في المخرج مع اتحاد في الصفة: كالنون والميم.

٢. تباعد في المخرج والصفة معاً: كالميم والضاد.^(١)

٢-٢-١: تناقضات مسوغات الإبدال

أ. التناقض في مفهوم التقارب والتباعد:

يرى الباحثون أن إدخال بعض الحالات ضمن التقارب قد يتضمن مفهوم التباعد، فعلى سبيل

المثال:

التقارب بين الدال والسين بسبب قرب المخرج، لكنه يقترن بتباعد في الصفة.

التقارب بين الشين والسين بسبب تشابه الصفة، لكنهما متباعداً في المخرج.^(٢)

(١) (أمين ٢٠٠٠ م)، ص: (٣٥٢)

(٢) (الصالح ٢٠٠٩)

ب. التباعد كمسوغ للإبدال:

يعد الإبدال بين الأصوات المتباعدة مخرجاً وصفة (مثل الميم والضاد) تناقضاً واضحاً؛ إذ يصعب

تفسير حدوث الإبدال بين أصوات بهذه الدرجة من الاختلاف.^(١)

٣. أمثلة من التراث اللغوي

أ. أمثلة من حالة التقارب: الهمزة والعين: "آديته" و"أعديته" بمعنى قوته وأعنته،^(٢)

الهمزة والياء: "الأمعي" و"اليلمعي" بمعنى الظريف.^(٣)

ب. أمثلة من حالة التجانس: الهمزة والهاء: "أيا" و"هيا"، "أرقت" و"هرقت".^(٤)

ج. أمثلة من حالة التباعد: الهمزة والغين: "المأص" و"المغص" للإبل البيضاء.^(٥)

٢-٣: الإبدال في اللهجات العربية

الإبدال ظاهرة لغوية تُعنى بتغيير صوت بأخرى في الكلمة نفسها، وقد شهدت اللهجات العربية

القديمة تنوعاً واسعاً في هذا المجال قبل توحيد اللغة واعتماد لغة قريش معياراً مشتركاً.

(١) (القيالي ١٩٢٦ م، ١٣٤٤ هـ)، الجزء: (٢)، ص: (٧٨)

(٢) (السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ١٩٩٨)، الجزء: (١)، ص: (٤٦٢)

(٣) (أمين ٢٠٠٠ م)، ص: (٣٦٢)

(٤) (القيالي ١٩٢٦ م، ١٣٤٤ هـ)، الجزء: (٢)، ص: (١٦٠)

(٥) (السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ١٩٩٨)، الجزء: (١)، ص: (٤٦٣)

أولاً: استمرارية الإبدال في اللهجات القديمة

قبل توحيد اللغة العربية، كانت ظاهرة الإبدال شائعة ومستمرة في مختلف اللهجات العربية، وقد وثق العلماء القدماء هذه التغيرات، التي عكست تبايناً كبيراً بين القبائل، ومن الأمثلة على ذلك: إبدال الياء ميماً: كما في الكلمتين "كثب" و"كثم"، حيث يظهر الإبدال في الصوت الأخير. إبدال الباء حاء: كما في "دبيب" و"دحيح"، وهو نوع آخر من التغير الصوتي يعكس اختلافاً لهجويًا. كانت هذه الأمثلة وغيرها دليلاً على غنى التنوع اللغوي الذي ميز اللهجات العربية قبل أن تخضع لعملية التوحيد.

ثانياً: توقف الإبدال واستقرار اللغة

مع توحيد اللغة العربية واعتماد لهجة قريش كنموذج قياسي، بدأت ظاهرة الإبدال بالانحسار تدريجياً، فقد ساهم انتشار الإسلام والقرآن الكريم كمرجع لغوي وثقافي في تقنين النطق وتثبيت الأصوات، وأدى هذا إلى استقرار النظام الصوتي العربي، حيث أصبحت الأصوات تحمل دلالات ثابتة ومعايير مشتركة بين المتحدثين، مما قلل من الحاجة إلى الإبدال الذي كان سائداً في السابق. ظاهرة الإبدال في اللهجات العربية تُبرز التفاعل بين النظام اللغوي والتغيرات الاجتماعية والثقافية، ففي حين عكست استمراريتهما تنوع اللهجات القديمة، فإن توقفها مع توحيد اللغة يجسد تطوراً نحو الاستقرار اللغوي الذي لعب دوراً محورياً في بناء الهوية اللغوية العربية المشتركة.

٢-٣-١: الإبدال في اللهجات العربية الفصحى

الإبدال بين الحروف كان أحد أبرز الاختلافات بين لهجات العرب، ويظهر هذا الإبدال في أمثلة متعددة، مثل إبدال الثاء بالفاء في قول تميم "لثام" مقابل قول قريش "لفام"، وإبدال الظاء بالضاد في قول تميم "فاضت نفسه" مقابل قول قريش "فاظت"، وظهر الإبدال بين السين والصاد كما في "السمخ" عند تميم و"الصمخ" عند قريش، وأيضاً بين القاف والكاف كما في "قشطت" عند تميم و"كشطت" عند قريش.

هذا التنوع في النطق لا يعكس صدفة لغوية، بل هو تعبير عن تنوع اللهجات العربية في بيئاتها الجغرافية والاجتماعية المختلفة، وقد أكدت الروايات التراثية أن كل قبيلة التزمت بطريقة معينة في النطق، ولم يكن هذا التنوع نتيجة تعمد تعويضي بين الحروف.^(١)

٢-٣-١: لهجتا الحجاز وقيم (أموذجاً)

لهجتا الحجاز وقيم كانتا من أبرز اللهجات التي ظهر فيها الإبدال الصوتي، ففي لهجة تميم، تُستبدل الثاء بالفاء كما في كلمة "لثام" التي تنطقها قريش "لفام"، كما تظهر هذه الظاهرة في القرآن الكريم، حيث يُقرأ "فومها" على لغة الحجاز، بينما يُقال "ثومها" عند تميم.

(١) (السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها ١٩٩٨)، الجزء: (١)، ص: (٤٦٠)

من الظواهر اللافطة في لهجة تميم ظاهرة العنونة، حيث تُبدل الهمزة المبدوء بها عيناً، مثل قولهم "عن ترسمت" بدلاً من "أن ترسمت"، تفضل تميم الطاء على التاء كما في قولهم "أفلطني" بدلاً من "أفلتني"، وتبدل القاف بالكاف كما في "قشطت الجل" بدلاً من "كشطته".^(١)

أثر البيئة على النطق

تميل لهجة تميم، باعتبارها لهجة بدوية، إلى اختيار الأصوات الأشد والأفخم مثل الضاد والطاء والقاف، وفي المقابل؛ تفضل قريش الأصوات الأنعم والأخف مثل الطاء والتاء والكاف، وهذه التفضيلات تعكس تأثير البيئة الجغرافية والاجتماعية على تشكيل اللهجات، حيث تتسم البيئة البدوية بخشونتها، مما ينعكس على اختيار الأصوات، بينما تسعى البيئة الحضرية إلى النعومة والسهولة في النطق.

٢-٣-٢: أثر الإبدال في توحيد اللغة العربية

مع توحيد لغة العرب في لهجة قريش، أصبحت هذه اللهجة هي النموذج المعياري الذي استُخدم في الشعر والنثر والقرآن الكريم، وقد أدى ذلك إلى تثبيت القوانين الصوتية في اللغة الفصحى ومنع استمرار ظاهرة الإبدال بين اللهجات، وهكذا؛ أصبحت الأصوات المستخدمة في لهجة قريش أكثر استقراراً وثباتاً.^(٢)

(١) (السيوطي، المظهر في علوم اللغة و أنواعها ١٩٩٨)، الجزء: (١)، ص: (٤٧٥)

(٢) (الصالح ٢٠٠٩)، ص: (٩٢)

رغم توحيد اللغة، استمرت بعض مظاهر الإبدال في الظهور نتيجة للتأثيرات الجغرافية والاجتماعية، ومع توسع الدولة الإسلامية، ظهرت لهجات محلية متأثرة باللغات الأجنبية والبيئات المختلفة، مما أدى إلى تباين في النطق بين الأقاليم، فهذا التباين كان نتيجة تأثيرات مثل الاستعمار الغربي والفروق البيئية والجغرافية، مما جعل اللهجات أكثر سهولة وتكيفاً مع متحدثيها.^(١)

وتظهر ظاهرة الإبدال بوضوح لدى متعلمي العربية الناطقين بغيرها، خاصة في الهند ففي هذه البيئة، يتعلم الطلاب اللغة العربية الفصحى، لكنهم يواجهون صعوبات في نطق بعض الحروف، فعلى سبيل المثال قد تُبدل القاف بالكاف أو العكس، كما قد يواجهون صعوبة في نطق الحروف المفخمة مثل الطاء والضاد، مما يؤدي إلى استبدالها بأصوات أبسط.

بينما كان الإبدال في اللهجات العربية القديمة نتيجة تطور طبيعي داخل النظام الصوتي، فإن الإبدال لدى متعلمي العربية الناطقين بغيرها يحدث نتيجة لعوامل بيئية ولغوية، مثل تأثير اللغة الأم على نطق الأصوات العربية، وقد رأى القدماء في الإبدال ظاهرة طبيعية تعكس التنوع اللهجي بين العرب، وقد أشار ابن جني إلى أن الإبدال ليس إلا تقارباً صوتياً بين الحروف، في حين أكد أبو الطيب اللغوي أن الإبدال ناتج عن اختلاف اللهجات وليس تعمداً لغوياً.

يرى المحدثون أن الإبدال يعكس تأثيرات بيئية واجتماعية وجغرافية، حيث يحدث الإبدال نتيجة لتطور طبيعي في النظام الصوتي للغة، كما يعتبرون أن البيئة البدوية والحضرية لعبتا دوراً كبيراً في تحديد الأصوات المفضلة في كل لهجة.

(١) (السيوطي، المظهر في علوم اللغة وأنواعها ١٩٩٨)، الجزء: (٢)، ص: (٢٨٨)

الإبدال الصوتي في اللهجات العربية الفصحى يعكس تنوعاً لهجياً طبيعياً ظهر قبل توحيد اللغة في لهجة قريش، وقد لعبت البيئة الجغرافية والاجتماعية دوراً كبيراً في تشكيل هذا التنوع، حيث اختارت كل لهجة الأصوات التي تناسب بيئتها.

بعد توحيد اللغة العربية الفصحى، أصبحت قوانين النطق أكثر استقراراً، لكن ظاهرة الإبدال ظلت قائمة في اللهجات المحلية ولدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها، فدراسة هذه الظاهرة توفر فهماً أعمق لتطور اللغة العربية وتكيفها مع البيئات المختلفة، سواء في الماضي أو في الحاضر.

٢-٣-٣: الإبدال بين المنظور العربي القديم والحديث

يُعدّ الإبدال ظاهرة لغوية طبيعية تحدث نتيجة لاختلاف نطق الأصوات بين اللهجات، مما يؤدي إلى ظهور صور متعددة للكلمة الواحدة، وقد اختلفت نظرة اللغويين القدماء والمحدثين إلى هذه الظاهرة، بين من رآها جزءاً من سنن العرب في كلامهم، ومن فسّرها كنتيجة لتطور اللغة واختلاف البيئات اللغوية.

منظور القدماء

رأى اللغويون القدماء أن الإبدال ظاهرة طبيعية ومتأصلة في اللغة العربية، تعكس مرونة النظام الصوتي وتكيفه مع اختلاف البيئات اللغوية، وقد نظروا إليه بوصفه جزءاً من سنن العرب في كلامهم، حيث كان لكل قبيلة أسلوبها الصوتي المميز، مما أدى إلى تنوع نطقي واسع داخل اللغة الواحدة، فلم يكن الإبدال لديهم مجرد تغيير عشوائي، بل كان امتداداً للفصاحة، حيث سُجِّل في الشعر والنثر وتواتر في النصوص التراثية.

أبرز من تناول هذه الظاهرة هو الفراء، الذي ذهب إلى أن الإبدال يمكن أن يحدث بين جميع الأصوات، دون أن يكون مقيداً بقواعد صارمة، بل يخضع لاختلاف اللهجات العربية، وقد اعتمد النحاة والصرفيون الأوائل على جمع الشواهد من كلام العرب لفهم ظاهرة الإبدال، حيث لاحظوا أن بعض الحروف تُبدل بانتظام في لهجات معينة، مثل إبدال الجيم ياءً في بعض اللهجات ("رَجُل" يقال: "رَيْل")، أو إبدال الثاء تاءً ("ثلاثة" يقال: "تلاتة")،

وبالتالي، لم يكن الإبدال عند القدماء مجرد ظاهرة صوتية معزولة، بل كان يُنظر إليه كجزء من المنظومة الصوتية العربية، حيث ارتبط بالإبداع اللغوي وطرائق النطق المختلفة بين القبائل، مما يعكس غنى اللغة العربية وتنوعها الصوتي.

منظور المحدثين

أما اللغويون المحدثون، فيرون أن الإبدال اللهجي نتيجة حتمية للتطور الصوتي الطبيعي، وليس سنة متعمدة أو قاعدة ثابتة، ويربطونه بالتغيرات الصوتية التدريجية التي تخضع لها اللغات جميعها، وليس العربية وحدها، كما أن اختلاف اللهجات يُفسّر وفق العوامل الجغرافية والاجتماعية، حيث تنشأ فروق نطقية بين المناطق المختلفة تؤدي إلى تغيّرات صوتية في بنية الكلمات، مما يجعل الإبدال جزءاً من عمليات التحول اللغوي المستمرة.

يمكننا القول أخيراً: إن الإبدال اللهجي يتجلى كظاهرة لغوية متحركة تعكس تفاعل النظام الصوتي مع العوامل الزمنية والجغرافية والاجتماعية، وقد اعتبره القدماء جزءاً من سنن العرب اللغوية، بينما فسّره المحدثون كنتيجة طبيعية للتطور الصوتي التدريجي الذي يحدث عبر العصور، ولا يلغي

المنظور الحديث رؤية القدماء؛ بل يضعها في سياق أوسع يربط الإبدال بالتحويلات اللغوية العامة، وتجاوزت دراسة الإبدال تحليل الفروق اللهجية إلى فهم أعمق للتغيرات الصوتية في اللغة، كما أن تتبع هذه الظاهرة يساعد في استكشاف مسارات التحول اللغوي وعلاقته بالهوية الثقافية واللهجية.^(١)

٢-٤: الإبدال في فونيمات اللغة العربية

الإبدال ظاهرة لغوية بارزة في اللغة العربية، تناولها القدماء والمحدثون بتفصيل كبير، ويُرجَّح أن أول من أطلق عليها هذا الاسم هو عبد الملك بن قريب الأصمعي (٢١٦هـ)، ثم تعمق فيها لاحقاً علماء مثل ابن السكيت (٢٤٤هـ) والزجاجي (٣٣٧هـ) وابن جني (٣٩٢هـ)، وقد اختلف العلماء حول ما إذا كان الإبدال يحدث عفواً أو عمدًا، حيث رأى البعض أن العرب قصدوا به تنويع معاني الكلمات، ففيما يلي؛ سيتم عرض الإبدال في الفونيمات الصامتة والصائتة.

٢-٤-١: الإبدال في الفونيمات الصامتة

الإبدال في الفونيمات الصامتة هو ظاهرة تحدث عند تغَيُّر أحد أصوات الكلمة إلى صوت آخر دون أن يؤثر ذلك على معناها، ويُلاحظ أن هذا التغير غالباً ما يكون نتيجة السعي نحو النطق الأسهل والأقل جهداً، فالأصوات في الكلمة الواحدة ليست ثابتة، بل قد تتغير بناءً على السياق أو المجاورة الصوتية، مما يؤدي إلى ظهور كلمات متشابهة في البنية والمعنى.^(٢)

(١) (السيوطي، المزهر في علوم اللغة و أنواعها ١٩٩٨)، الجزء: (١)، ص: (٤٦٢)

(٢) (الغيث ٢٠١١م)

ومن الأمثلة على الإبدال في الفونيمات الصامتة ما يأتي:

١. إبدال الصوت بمجاور قريب: "أيا" و"هيا"، "ألعي" و"يلمعي"، "الربا" و"الرما"،

٢. إبدال بعيد بين الأصوات: "الغيم" و"الغين"، "نشز" و"نشص"، "البشاشة" و"الهشاشة".

يمكننا القول؛ إن الإبدال في الفونيمات الصامتة أدى إلى تنوع كبير في مفردات اللغة العربية، حيث ظهرت كلمات مختلفة بناءً على تغير بسيط في أحد أصوات الكلمة، فهذه الظاهرة لم تؤثر على الصوامت فقط، بل امتدت إلى الصوائت وأشباهها أيضاً، مما يجعلها عاملاً أساسياً في تطور اللغة ونموها.^(١)

٢-٤-٢: الإبدال في الفونيمات الصائتة

ذكرت مصنفات القدماء أن ظاهرة الإبدال لم تقتصر على الأصوات الصامتة، بل شملت أيضاً الأصوات الصائتة، إذ ينطبق على الصوائت ما قيل عن الإبدال بين الصوامت، وتعود هذه التبدلات الصوتية بشكل رئيسي إلى اختلاف اللهجات العربية، حيث يُعد اختلاف الحركات أحد أوجه هذا التباين، ومثال على ذلك ما ورد في نطق الفعل "نستعين" و"نستعين"، حيث تُفتح النون في بعض اللهجات، بينما تُكسر في أخرى، وقد أشار الفرّاء إلى أن الفتح شائع في لغة قريش وأسد، في حين أن غيرهم ينطقونها بالكسر.^(٢)

(١) (السيوطي، المزهري في علوم اللغة و أنواعها ١٩٩٨)، الجزء: (٢)، ص: (٢٧٦)

(٢) (ابن فارس، الصحاح في فقه اللغة العربية ١٩٦٤)، ص: (٥٠)

١. الإبدال في الحركات

تناولت مصنفات القدماء أمثلة عديدة على الإبدال بين الحركات في اللهجات العربية المختلفة، فاختلاف الحركات -غالباً- ما يكون نتيجة تنوع اللهجات، ومثاله: "نستعين" بفتح النون (لغة قريش وأسد) و"نستعين" بكسرها (لغات أخرى)، و"منهم" و"منهم" حيث أُبدلت ضمة الهاء إلى كسرة، وهو شائع في لهجة بني كلب وربعية.

٢. الإبدال بين الحركات الطويلة

الإبدال بين الأصوات الصائتة الطويلة مثل الألف والواو والياء كان أيضاً شائعاً، ومثاله: "حكوت" و"حكيت"، "مقوت" و"مقيت"، "دهياء" و"دهواء"، وهنا نورد أمثلة على اختلاف اللهجات في الحركات

تميم: "مُرية" و"الرَفَع" و"تِمَام"، الحجاز: "مِرية" و"الرُفَع" و"تَمَام".

٣. الإبدال بين المصوتات الطوال وأنصاف الطوال

أ. تميم: "القُنوة"، "صَوَم"، "اللدون".

ب. الحجاز: "القِنِيّة"، "صَيِّم"، "اللدِين".^(١)

(١) (السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ١٩٩٨)، الجزء: (٢)، ص: (٢٧٧)

٢-٥: تفسير ظاهرة الإبدال قديماً وحديثاً

ظاهرة الإبدال الصوتي تُعد من أبرز الظواهر التي حظيت باهتمام كبير لدى علماء اللغة العرب القدامى والمحدثين، لما لها من تأثير في تطور اللغة وتنوعها، وقد تناولها القدماء بالدراسة والتحليل ضمن رؤيتهم للغة، في حين حاول المحدثون بناء تصورات حديثة بالاستفادة من النظريات اللغوية الغربية، فما يلي هو عرض لهذه الظاهرة كما جاءت في الدرس اللغوي القديم والحديث.

٢-٥-١: آراء القدماء في تفسير الإبدال

٢-٥-١-١: سيبويه

يُعدّ سيبويه (١٤٨ هـ - ١٨٠ هـ) إمام النحو العربي وأحد أبرز علماء الأصوات في التراث اللغوي العربي، تناول ظاهرة الإبدال في سياق الإدغام ضمن كتابه الشهير "الكتاب"، حيث حدد أحد عشر حرفاً للإبدال، وهي: الهمزة، الألف، الهاء، الياء، التاء، الدال، الطاء، اللام، الميم، النون، والواو، ومع ذلك؛ لم يقتصر على هذه الحروف، بل أشار إلى أن الإبدال قد يتجاوزها ليشمل أصواتاً أخرى تبعاً لعوامل صوتية مختلفة.

• تعليل الإبدال عند سيبويه

رأى سيبويه أن الإبدال الصوتي يحدث نتيجة تقارب المخارج والصفات بين الأصوات المتجاورة، مما يسهل عملية النطق ويجعلها أكثر انسجاماً من الناحية الصوتية، ويتجلى ذلك في الأمثلة التي قدمها حول التحولات الصوتية التي تطرأ على الحروف عند النطق في سياقات معينة.

• الإبدال بين الحركات لدى سيبويه

لم يقتصر تحليل سيبويه على الإبدال بين الحروف فقط، بل تطرق أيضاً إلى الإبدال بين الحركات، مثل إبدال ضمة الهاء في ضمير الغائب المتصل إلى كسرة في بعض اللهجات العربية، كما هو الحال في لهجة ربيعة، حيث تُنطق "منهم" على هيئة "منهم"، وقد وصف سيبويه هذا النوع من الإبدال بـ "الوهم" أو اللغة الرديئة، ما يعكس موقفه المحافظ تجاه التغيرات الصوتية التي تخالف النطق الفصيح.

يتضح من دراسة سيبويه للإبدال أنه كان يعتمد تحليلاً صوتياً دقيقاً يقوم على مبدأ التقارب الفونولوجي، مما يجعله رائداً في الدراسات الصوتية العربية، وتُعدّ ملاحظاته حول الإبدال بين الحروف والحركات من الأسس التي اعتمدها علماء الأصوات اللاحقون في تطوير دراساتهم حول التغيرات الصوتية في اللغة العربية.^(١)

٢-١-٥-٢: الفراء

كان الفراء (٢٠٧هـ - ٢١٥هـ) من أبرز نحاة الكوفة وعلماء اللغة الذين اهتموا بالدراسات الصوتية، حيث قدم تفسيراً دقيقاً لظاهرة الإبدال، وركز بشكل خاص على العلاقة بين الموقع الصوتي للأصوات وتأثير الحروف المتجاورة على بعضها البعض.

(١) (حسن ٢٠١٥م-١٤٣٧هـ)

• تعليل الإبدال عند الفراء

ذهب الفراء إلى أن الإبدال الصوتي مرتبط بالسياق الفونولوجي، حيث تتأثر بعض الأصوات بالحروف التي تسبقها أو تليها، مما يؤدي إلى حدوث تغييرات صوتية تهدف إلى التخفيف من ثقل النطق، وأحد أبرز أمثله على ذلك هو تحول السين إلى صاد عندما تسبقها حروف مفخمة مثل الطاء، القاف، والخاء، كما في:

"الصراط" بدلاً من "السرّاط".

وقد فسر هذا الإبدال على أنه محاولة للتقريب بين الأصوات المتقاربة في المخارج، حيث إن السين صوت مهموس مرقق، بينما الصاد صوت مفخم، والتغيير إلى الصاد يجعل النطق أكثر انسجاماً مع الحروف المفخمة في الكلمة.

• الإبدال في لغة قريش لدى الفراء

أشار الفراء إلى أن هذا الإبدال كان سمة بارزة في لهجة قريش، حيث كانت هذه القبيلة تميل إلى نطق الكلمات بطريقة أكثر تناسقاً صوتياً، مما أدى إلى انتشار بعض صور الإبدال في العربية الفصحى، وقد ارتبطت هذه الظاهرة أيضاً بالنطق القرآني، حيث وردت قراءة "السرّاط" لبعض القرّاء، لكنها اشتهرت بلفظ "الصراط" عند جمهور العرب.

يُبرز رأي الفراء في الإبدال مدى اهتمامه بالتنعيم الصوتي والتأثير المتبادل بين الأصوات المتجاورة، وهو منهج يتقاطع مع علم الفونولوجيا الحديثة، حيث يتم تفسير التغيرات الصوتية وفقاً للسياق النطقي وتفاعل الأصوات فيما بينها.^(١)

٢-٥-١-٣: ابن السكيت

كان ابن السكيت (١٨٦ هـ - ٢٤٤ هـ) من كبار علماء اللغة في عصره، واشتهر بدراساته حول اللهجات العربية، حيث ربط ظاهرة الإبدال الصوتي بالتنوع اللهجي بين القبائل العربية، وأشار إلى أن الاختلاف في نطق بعض الكلمات يرجع إلى العوامل اللهجية وليس فقط إلى القوانين الصوتية العامة.

• تعليل الإبدال عند ابن السكيت

اعتبر ابن السكيت أن الإبدال ظاهرة لهجية، أي أنه ليس مجرد تغيير صوتي قائم على مخارج الحروف وصفاتها، بل هو سمة مميزة للهجات العربية المختلفة، وقد لاحظ أن بعض القبائل تنطق الكلمات بصيغ متعددة نتيجة لهذا الإبدال، ومن الأمثلة التي قدمها: "إنفحة" مقابل "منفحة". ويشير هذا المثال إلى اختلاف بين القبائل في نطق بعض الكلمات، حيث تستبدل بعض اللهجات الهمزة بالميم، وهو إبدال صوتي لا يؤثر على المعنى ولكنه يعكس التنوع في النطق.

(١) (اللغوي ١٩٦٠-١٩٦١)، الجزء: (١)، ص: (١٥)

• الإبدال داخل البيئة الواحدة عند ابن السكيت

لم يقتصر ابن السكيت على ربط الإبدال بالفروقات بين القبائل، بل لاحظ أن الإبدال قد يحدث داخل البيئة الواحدة، أي أن اللهجة نفسها قد تتضمن تنوعاً داخلياً يؤدي إلى وجود أكثر من نطق للكلمة داخل القبيلة الواحدة، وهذا يؤكد أن الإبدال ليس محصوراً في الفروق القبلية، بل يمكن أن يكون نتيجة لعوامل اجتماعية وجغرافية داخل المجموعة اللغوية نفسها.

يُعدّ تحليل ابن السكيت للإبدال إضافة مهمة للدراسات اللهجية، حيث ركّز على البعد الاجتماعي والقبلي للظاهرة، وهو ما يجعل دراسته قريبة من علم اللهجات الحديث (Dialectology)، ويكشف منهجه عن إدراكه لتأثير البيئة والاختلاط القبلي في التنوع الصوتي، مما يجعل تفسيره أكثر شمولية من النظرة الصوتية البحتة.^(١)

٢-٥-١-٤: المبرد

كان المبرد (٢١٠هـ-٢٨٦هـ) أحد أبرز نحاة البصرة، وتناول ظاهرة الإبدال الصوتي في كتابه "الكامل"، حيث قدم تفسيراً صوتياً قائماً على تقارب المخارج والصفات، مما يجعله قريباً من التحليلات الفونولوجية الحديثة.

(١) (السيوطي، المظهر في علوم اللغة و أنواعها ١٩٩٨)، الجزء: (١)، ص: (٤٧٥)

• تعليل الإبدال عند المبرد

رأى المبرد أن الإبدال يحدث نتيجة التقارب الصوتي بين الحروف، حيث تسهل عملية النطق عند استبدال الأصوات ذات المخارج القريبة ببعضها البعض، ومن الأمثلة التي أوردها على ذلك: إبدال الحاء بالهاء، مثل: "مدحت" إلى "مدهت".

ويفسر هذا التحول الصوتي بأن الحاء والهاء متقاربتان في المخرج، حيث تنتمي كليهما إلى حروف الحلق، مما يسهل استبدال إحداهما بالأخرى في بعض اللهجات أو عند سرعة الكلام.

• الإبدال وسهولة النطق لدى المبرد

أكد المبرد أن الإبدال شائع في اللغة لأنه يجعل النطق أكثر سلاسة وانسيابية، وهو ما يتوافق مع مبدأ الاقتصاد اللغوي (Linguistic Economy)، حيث تميل اللغات إلى اختيار الأصوات التي تسهل عملية النطق، ومن هذا المنطلق، فإن الإبدال ليس مجرد تغير عشوائي، بل هو ظاهرة منتظمة تخضع لقواعد صوتية واضحة.

يتجلى في تحليل المبرد للإبدال تأثيره بالدراسات الصوتية التجريبية في عصره، حيث ركّز على العوامل الفونولوجية مثل تقارب المخارج وسهولة النطق، ويُعتبر تفسيره امتداداً لآراء سيبويه والفراء، لكنه أكثر وضوحاً في التركيز على الجانب الصوتي المحض، مما يجعله أحد أوائل الباحثين الذين اعتمدوا مقارنة فينولوجية بحثة لفهم الإبدال في اللغة العربية.^(١)

(١) (المبرد، الكامل في اللغة ١٩٩٧م-١٤١٧هـ)، الجزء: (٢)، ص: (٩٧)

٢-٥-١-٥: الزجاجة

تناول الزجاجة (٣٤٠هـ) ظاهرة الإبدال في دراساته اللغوية، حيث ركّز على مفهوم التعاقب بين الحروف في بعض الكلمات، معتبراً أن الإبدال يحدث وفق نمط من التغيرات الصوتية التي تخضع لاعتبارات صوتية محددة، مثل تقارب المخارج والتخفيف في النطق.

تعليل الإبدال عند الزجاجة

رأى الزجاجة أن الإبدال يتم وفق مبدأ التعاقب الصوتي، أي أن بعض الأصوات يمكن أن تحل محل غيرها نتيجة لارتباطها الوثيق من حيث المخرج أو الصفات الصوتية، ومن الأمثلة التي أوردها:

- التعاقب بين الضاد والطاء، مثل: "قضم" "قطم".

- التعاقب بين الدال والطاء، مثل: "مدّ" "مطّ".

ويشير هذا النوع من الإبدال إلى أن هناك علاقة صوتية بين هذه الحروف، حيث تنتهي الضاد والطاء إلى حروف الإطباق، كما أن الدال والطاء متقاربتان في المخرج.

• الإبدال للتخفيف في النطق عند الزجاجة

لم يقتصر تفسير الزجاجة على تقارب المخارج فقط، بل أشار إلى أن الإبدال قد يحدث بهدف التخفيف من ثقل النطق، كما في: إبدال الهمزة بألف، مثل: "سأل" "سال".

وهو ما يعكس ميلاً نحو التسهيل الصوتي، حيث تُستبدل الأصوات الحلقية أو الأصوات التي تحتاج إلى جهد نطقي بأخرى أكثر انسيابية.

يُعدّ تحليل الزجاجي للإبدال متقدماً من حيث ربطه بالتعاقب الصوتي والتغيرات التي تخضع لها الأصوات في اللغة، كما يظهر اهتمامه بالعوامل الفونولوجية التي تؤثر في عملية الإبدال، مما يجعله قريباً من الاتجاهات الصوتية الحديثة التي تفسر التغيرات اللغوية بناءً على التناغم الصوتي والتخفيف النطقي.

٢-٥-١-٦: أبو الطيب اللغوي

يُعد أبو الطيب اللغوي (٣٥١هـ) من العلماء الذين تناولوا الإبدال الصوتي من منظور الاختلاف اللغوي داخل العرب، حيث رفض فكرة أن الإبدال عملية تعويض متعمدة بين الحروف، بل اعتبره نتاجاً طبيعياً لاختلاف اللهجات.

• تعليل الإبدال عند أبي الطيب اللغوي

رأى أبو الطيب أن الإبدال لا يتم بشكل عشوائي، بل يخضع لقانون صوتي أساسي، وهو: "الحرف الأضعف يُبدل إلى الأقوى، ولا يُبدل الأقوى إلى الأضعف".

وهذا يعني أن الإبدال الصوتي يتجه من الأصوات الأضعف إلى الأقوى، وليس العكس، أي أن الأصوات التي تحتاج إلى مجهود نطقي أكبر تحلّ محل الأصوات الأسهل من حيث النطق، وليس العكس، ومن الأمثلة التي قدمها على ذلك: إبدال السين إلى صاد، كما في: "سقر" "صقر".

حيث اعتبر أن الصاد أقوى من السين بسبب صفاتها الفونولوجية، مثل الإطباق والتفخيم، مما يجعلها أكثر قوة في النطق مقارنة بالسين المهموسة المرققة.

• الإبدال والاختلاف بين لهجات العرب عند أبي الطيب

أكد أبو الطيب أن الإبدال ليس قاعدة مطلقة، بل هو نتيجة لتنوع اللهجات العربية، حيث يمكن أن تكون بعض صور الإبدال مقبولة في لهجة معينة وغير مستخدمة في لهجة أخرى، وهذا يشير إلى أن الظاهرة تخضع لتغيرات اجتماعية ولسانية، وليست مجرد قانون صوتي ثابت.

قدم أبو الطيب اللغوي تفسيراً مختلفاً للإبدال، حيث ركّز على العلاقة بين قوة الأصوات وضعفها، بدلاً من الاختصار على التقارب الصوتي أو التخفيف في النطق، كما فعل غيره من العلماء، وتُعتبر قاعدته حول اتجاه الإبدال من الأضعف إلى الأقوى من المفاهيم الفونولوجية المتقدمة التي تتماشى مع بعض الاتجاهات الحديثة في علم الصوتيات التوليدي (Generative Phonology).^(١)

٢-٥-١-٦: ابن جني

يُعد ابن جني (٣٢٢هـ - ٣٩٢هـ) من أعظم علماء اللغة العربية، وقدّم رؤية شاملة للإبدال في كتابه الشهير "الخصائص"، حيث لم يقتصر على وصف الظاهرة، بل فسّرها في سياق أوسع يرتبط بتطور اللغة والتغيرات الصوتية الطبيعية.

(١) (اللغوي ١٩٦٠-١٩٦١)، الجزء: (١)، ص: (١٢، ١٢٠)

تعلييل الإبدال عند ابن جني

رأى ابن جني أن الإبدال يحدث نتيجة تقارب الحروف في الصفة والمخرج، حيث تميل الأصوات المتشابهة إلى التغير فيما بينها بمرور الزمن أو في لهجات مختلفة، وقد اعتمد على هذا المبدأ في تحليل التغيرات الصوتية داخل العربية.

ومن الأمثلة على ذلك:

- التبادل بين الضاد والظاء، كما في: "الضراط" "الظراط".

- التبادل بين الجيم والياء، كما في: "جاه" → "ياح".

وهذه التحولات تعكس تقارباً في الصفات الصوتية والمخرج، مما يسهل عملية النطق ويجعلها أكثر انسجاماً.

• الاشتقاق الأكبر والإبدال

أحد المفاهيم المهمة التي طرحها ابن جني هو الاشتقاق الأكبر، والذي يعني أن الكلمات ذات الأصل الواحد يمكن أن تختلف في ترتيب الحروف أو في بعض الأصوات، لكنها تظل مرتبطة بمعنى مشترك، وهذا يعني أن الإبدال ليس مجرد تغير صوتي عشوائي، بل هو جزء من عملية اشتقاق أوسع، تتبع منطقاً لغوياً واضحاً.

ومن أمثلة ذلك: "جذب" - "جبد" - "بدج"، "سلم" - "سمل" - "لسم"

حيث يرى ابن جني أن هذه الكلمات، رغم اختلاف ترتيب الأصوات، تشترك في دلالة أصلية واحدة، مما يثبت أن الإبدال ليس مجرد تحول صوتي بل جزء من نظام اشتقائي أوسع.

• الإبدال وتطور اللغة عند ابن جني

أكد ابن جني أن الإبدال ظاهرة طبيعية في تطور اللغة، وهو ليس دليلاً على فساد النطق، بل على حيوية اللغة وقدرتها على التكيف مع الظروف الصوتية واللهجية المختلفة، ويرى أن اللغات جميعها تمر بتغيرات صوتية، والإبدال هو أحد هذه التغيرات التي تحدث بمرور الزمن.

تميزت رؤية ابن جني للإبدال بأنها شاملة ومتطورة، حيث لم ينظر إليه كمجرد تغير صوتي بسيط، بل ربطه بالتطور اللغوي، والاشتقاق، والعوامل الفونولوجية، وتُعد نظريته حول الاشتقاق الأكبر خطوة متقدمة في دراسة التغيرات الصوتية، تجعل تفسيره للإبدال أكثر شمولية من آراء سابقيه مثل سيبويه والفراء والمبرد.^(١)

٢-٥-٢: آراء المحدثين في تفسير الإبدال

أفاد المحدثون من الدرس الصوتي العربي القديم لتفسير ظاهرة الإبدال وحاولوا إما تفنيد آراء اللغويين القدماء أو دعمها وإبرازها، أو المجيء بتفسير جديد من خلال ما أفادوه من الدرس الصوتي الحديث، وكانت لهم آراء سيورد الباحث هنا، وهي كالآتي:

(١) (دك الباب ١٩٨٢ م)

٢-٥-١: أحمد فارس الشدياق

كان أحمد فارس الشدياق (١٨٠٤ م - ١٨٨٨ م) من أبرز علماء اللغة في العصر الحديث، حيث تناول ظاهرة الإبدال في كتابه "سر الليالي في القلب والإبدال"، مقدّماً تحليلاً صوتياً مختلفاً عن سابقيه، وخصوصاً في ربطه للإبدال بمعاني الكلمات ودلالاتها.

• تعليل الإبدال عند الشدياق

رأى الشدياق أن الإبدال يظهر بشكل أوضح في الكلمات الدالة على القطع أو الكسر، حيث لاحظ وجود نمط صوتي متكرر في هذه الأفعال، مثل: "قط" - "قد" - "قض"، واعتبر أن هذا الإبدال ليس مجرد تغيير صوتي عشوائي، بل مرتبط بالمعاني، إذ رأى أن الكلمات التي تدل على القطع، الحسم، أو الكسر تحتوي على أصوات متقاربة تخضع للإبدال بشكل أكبر من غيرها.

• نظريته حول الأفعال الثلاثية المضعفة

من أكثر آرائه إثارة للجدل أنه اعتبر أن الأفعال الثلاثية المضعفة (مثل شدّ، مدّ، ردّ) ليست أصلية في بنيتها، بل إن الحرف الثالث فيها ناتج عن إبدال صوتي، أي أنها في الأصل ثنائية، ثم أُضيف إليها الحرف الأخير بالإبدال، مثلاً: "شدّ" يقال: الأصل عنده "شد" ثم أُبدلت الدال لتكرارها.

وقد قوبل هذا الرأي بانتقادات كثيرة من اللغويين المحدثين، الذين رأوا أن التضعيف جزء أصيل من بنية الفعل الثلاثي، وليس مجرد نتيجة لعملية إبدال لاحقة.

يُعدّ تحليل الشدياق للإبدال مميزاً من حيث ربطه بين الإبدال والدلالة، وهو نهج جديد لم يكن بارزاً عند علماء اللغة القدامى، لكن طرحه حول الأفعال الثلاثية المضعفة لم يحظَ بقبول واسع،

حيث اعتبره اللغويون تفسيراً غير دقيق يتعارض مع بنية العربية الصرفية، ومع ذلك، تبقى دراسته إضافة قيّمة للنقاش حول تطور الأصوات في اللغة العربية.^(١)

٢-٥-٢-٢ : إبراهيم أنيس

كان إبراهيم أنيس (١٩٠٦ م - ١٩٧٦ م) من رواد علم الصوتيات في العالم العربي، وقدم تفسيراً حديثاً لظاهرة الإبدال الصوتي، حيث ابتعد عن التفسيرات التقليدية التي اعتبرت الإبدال مجرد تعاقب صوتي، وربطه بالتطور الطبيعي للغة وفق منهج علمي مستند إلى الصوتيات الحديثة.

• تعليل الإبدال عند إبراهيم أنيس

يُعدّ إبراهيم أنيس من أبرز اللغويين المحدثين الذين قدموا تفسيراً متقدماً لظاهرة الإبدال، حيث رأى أنها ليست مجرد ممارسة متعمدة أو أسلوباً من أساليب العرب في النطق، بل هي نتيجة طبيعية للتطور الصوتي الذي يحدث على مر الزمن، وأكد أن هذا التطور تحكمه عوامل صوتية داخلية، مثل طبيعة الأصوات المجاورة داخل الكلمة، إضافة إلى عوامل بيئية واجتماعية تؤثر على أنماط النطق في اللهجات المختلفة.

يرى أنيس أن اللغة العربية، كغيرها من اللغات، ليست ثابتة عبر الزمن، بل تخضع لتغيرات مستمرة تشمل أصواتها وتراكيبها ومعجمها، وضمن هذا الإطار، يُعدّ الإبدال أحد مظاهر التغير الصوتي، حيث تحدث التحولات الصوتية بطريقة منتظمة، وغالباً ما تكون هناك علاقة تاريخية تربط بين

(١) (الشدياق ١٨٦٨ م - ١٢٨٤ هـ)، ص: (٥)

الأشكال المختلفة للكلمة، فالكلمتان اللتان تختلفان بصوت واحد فقط، مع احتفاظهما بمعنيين متقاربين أو مختلفين، قد يكون أحدهما الشكل الأقدم، والآخر نتيجة تطور صوتي لاحق.

الاتجاه الزمني للإبدال

يرى أنيس أن الإبدال يخضع لاتجاه زمني واضح، حيث يمكن تحديد الشكل الأقدم والأحدث استناداً إلى دراسات مقارنة، ومن الأمثلة التي طرحها: ("ثوب" - "توب"، "ذئب" - "دئب")

في هذه الحالات، يمكن اعتبار أحد الشكلين أصلياً، بينما يُنظر إلى الآخر كنتاج للتطور الصوتي الناجم عن تفاعل الأصوات في البيئة اللغوية للمتحدثين، وهذا المفهوم يتوافق مع المناهج الحديثة في الدراسات الصوتية التاريخية، حيث يتم تحليل الظواهر الصوتية عبر امتداد زمني طويل وليس فقط من منظور وصفي لحظي.^(١)

أهمية العلاقة بين الحرفين في عملية الإبدال

أكد أنيس على أن العلاقة الصوتية بين الحرف المبدل والمبدل منه ليست مجرد تقارب في المخرج كما كان يعتقد القدماء، بل يجب أن تُدرس وفق قوانين الصوتيات الحديثة، التي تعتمد على تحليل السمات المشتركة بين الأصوات من حيث طبيعتها الفيزيائية والفسولوجية، فالإبدال لا يحدث اعتباطياً، بل يخضع لعوامل دقيقة مثل التجاور الصوتي، والتوافق في الصفات النطقية، والتأثر السياقي.^(٢)

(١) (أنيس، في اللهجات العربية ٢٠٠٣، ص: ٢٢)

(٢) (أنيس، من أسرار اللغة ١٩٦٦)، ص: ٢٦)

تأثير النظريات الغربية على تفسير الإبدال

يتمشى هذا التفسير الحديث مع النظريات الغربية في علم الفونولوجيا، التي ترى أن التغيرات الصوتية تحدث وفق قوانين فيزيائية وفسولوجية تحكم كيفية نطق الأصوات وانتقالها عبر الأجيال، فالتغيرات الصوتية ليست مجرد اختلافات اعتباطية بين اللهجات، بل هي عمليات منتظمة تخضع لآليات نطقية محددة، وهذا التوجه يتيح فهماً أعمق لظاهرة الإبدال، حيث لم يعد يُنظر إليها على أنها مجرد اختلافات لهجية، بل بوصفها جزءاً من التطور اللغوي الطبيعي الذي يحدث وفق مسارات صوتية منتظمة وقابلة للتحليل العلمي.

٢-٥-٣: مقارنة بين تفسير القدماء والمحدثين

يُعد الإبدال الصوتي من الظواهر اللغوية التي حظيت باهتمام كبير بين علماء اللغة عبر العصور، فعند المقارنة بين الدراسات التقليدية والحديثة، يتضح أن الإبدال كان موضوعاً محورياً عند علماء اللغة القدماء، الذين ركزوا في تفسيره على التقارب بين المخارج والصفات الصوتية، فقد رأوا أن الحروف التي تتشابه في المخرج أو الصفات يمكن أن تحل محل بعضها البعض وفق أنماط محددة، مما يؤدي إلى ظاهرة الإبدال، وكان تفسيرهم يعتمد إلى حد كبير على التناظر الصوتي الداخلي للغة، دون التركيز كثيراً على البعد الزمني أو التطوري لهذه التغيرات.

أما في الدراسات الحديثة، وخاصة مع ظهور نظريات الصوتيات الحديثة، فقد أُعيد تفسير الإبدال في ضوء قوانين التطور الصوتي الطبيعي، فبدلاً من اعتباره مجرد ظاهرة قائمة على التقارب الصوتي، أصبح يُنظر إليه على أنه جزء من عملية تطورية طبيعية تمر بها اللغات عبر الزمن،

وأصبح الإبدال يُدرس في سياق التغيرات الفونولوجية العامة التي تحدث بسبب عوامل مثل الاقتصاد اللغوي، والانتقال التدريجي للأصوات، والتأثيرات الاجتماعية واللهجية.

يُعد إبراهيم أنيس من أبرز اللغويين الذين اعتمدوا على التحليل الصوتي التطوري في تفسير الإبدال، حيث ربطه بالتغيرات الزمنية والصوتية الطبيعية، مما يجعل رؤيته أكثر انسجاماً مع علم الصوتيات الحديث، وأكد أن الإبدال لا يحدث بشكل عشوائي أو متعمد، بل هو نتيجة ضرورية لتطور اللغة، حيث تتغير الأصوات استجابة للتأثيرات الفسيولوجية والنطقية والاجتماعية.

ما يميز التحليل الحديث للإبدال هو التركيز على البعد الزمني في تغير الأصوات، حيث لم يعد يُنظر إليه على أنه تغير صوتي ثابت، بل كجزء من سلسلة تطورات صوتية داخل اللغة، ومن هذا المنطلق، أصبح الإبدال موضوعاً غنياً يستحق الدراسة المتعمقة، سواء في علم اللغة التاريخي أو في الصوتيات المقارنة، لما له من دور في الكشف عن آليات تطور اللغة العربية، وتغير بنيتها الصوتية عبر العصور.^(١)

من هنا يمكن القول: إن الإبدال ظاهرة لغوية شاملة تناولها القدماء بدقة، مع التركيز على تقارب المخارج والصفات بين الحروف، ومع تطور الدراسات اللغوية الحديثة، وظهر نظريات الصوتيات الغربية، أُعيد تفسير الظاهرة في ضوء قوانين التطور الصوتي الطبيعي، ويُعد الإبدال جزءاً من التغيرات الصوتية التي ساهمت في نمو اللغة العربية وتنوعها عبر العصور، مما يجعله موضوعاً غنياً يستحق الدراسة المتعمقة.

(١) (أنيس، من أسرار اللغة ١٩٦٦)، ص: (٥٨)

إن تفسير الإبدال قد اختلف بين القدماء والمحدثين وفقاً للمناهج والنظريات المعتمدة في كل عصر، ويمكن تلخيص أبرز الفروقات بين الاتجاهين كما يلي:

جدول: (٢-٢) آراء القدماء والمحدثين حول الإبدال

المحور	آراء القدماء	آراء المحدثين
مفهوم الإبدال	تغيير صوتي بين الحروف نتيجة لتقارب المخارج والصفات الصوتية.	تغير صوتي طبيعي ناتج عن تطور اللغة عبر الزمن، وليس مجرد تقارب في المخارج.
أسباب الإبدال	تقارب المخارج (سيبويه، الفراء، المبرد). تخفيف النطق (الزجاجي، المبرد). عوامل لهجية (ابن السكيت، أبو الطيب اللغوي).	التغيرات الصوتية الطبيعية (إبراهيم أنيس). قوانين التطور الفونولوجي (الصوتيات الحديثة).
نمط الإبدال	ينظر إليه كظاهرة ثابتة داخل اللغة، تحدث وفق قواعد صوتية محددة.	يُعتبر جزءاً من عملية تطور مستمرة تخضع للتغيرات الفونولوجية والاجتماعية.
علاقة الإبدال بالاشتقاق	بعض العلماء ربطوه بالاشتقاق، مثل ابن جني في مفهوم الاشتقاق الأكبر.	يُنظر إليه ضمن إطار التغيرات الفونولوجية التي تحدث في الكلمات، وليس بالضرورة كجزء من الاشتقاق.
اتجاه الإبدال	أحياناً يُنظر إليه على أنه تعاقب بين الحروف دون تحديد أيهما الأصل (الزجاجي).	يميل المحدثون إلى تحديد أي الصوتين هو الأقدم وأيهما تطور عنه (إبراهيم أنيس).
الإبدال واللهجات	يُفسّر غالباً على أنه ظاهرة لهجية (ابن السكيت، الفراء).	يُنظر إليه على أنه تطور صوتي طبيعي يمكن أن يكون مشتركاً بين عدة لهجات أو لغات.

٢-٦: عوامل ظاهرة الإبدال

بعد استعراض أبرز التفسيرات لظاهرة الإبدال في اللغة العربية المشتركة ولهجاتها المتفرعة، يتضح من الدراسات القديمة والحديثة أن هذه الظاهرة الصوتية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالتطور الصوتي والتباين اللهجي، وتشير المعطيات إلى أن الفروق اللهجية والتغيرات التاريخية للأصوات كانت من العوامل الأساسية التي أسهمت في نشأة الإبدال وتطوره عبر الزمن.

ويعود هذا التباين إلى طبيعة اللغة الحية التي تتطور مع مرور الزمن تبعاً لاختلاف البيئات الجغرافية والاجتماعية والثقافية، حيث يختار كل مجتمع لغوي الأصوات التي تتماشى مع نسقه النطقي وسياقاته التواصلية، مما يؤدي إلى نشوء اختلافات صوتية واضحة بين اللهجات، ومن خلال تتبع هذه التغيرات الصوتية، يمكن فهم العوامل التي تؤدي إلى ظاهرة الإبدال ودورها في تشكيل التنوع اللهجي داخل اللغة العربية، وهنا نفصل عوامل الإبدال المؤثرة بشكل مباشر؛ كالآتي:

٢-٦-١: اللهجات

تخضع اللغات الإنسانية للتغير والانشطار عندما يزداد منطق انتشارها وتوزعها في مناطق جغرافية واسعة، ومن المتوقع أن تنشطر اللغات إلى لهجات متعددة، تميز كل منطقة وفق طابعها الاجتماعي والجغرافي، فمن محددات اللغة العربية، يمكن ملاحظة هذا التفرع في مختلف المظاهر اللغوية من صوتية وصرفية ومعجمية.^(١)

(١) (وافي، نشأة اللغة عند الإنسان و الطفل ١٩٩٢م)، ص: (١٠٧-١٠٨)

٢-٦-١-١ : مظاهر التغيرات بسبب اللهجات

تمتاز اللهجات العربية بتغيرات واضحة على مستوى الأصوات والتراكيب، حيث تلعب العوامل الجغرافية والاجتماعية والتاريخية دوراً كبيراً في تشكيل هذه الفروقات، ويمكن تصنيف هذه التغيرات إلى خمسة محاور رئيسية هي:

١. تغيرات في لفظ الحركات

تختلف اللهجات العربية في نطق الحركات القصيرة والطويلة، مما يؤدي إلى تغيرات واضحة في النطق، ومن أبرز الأمثلة:

- إبدال الضمة بالكسرة في بعض اللهجات: "كُتب" يقال: "كِتب".
- تحول الفتحة إلى كسرة في بعض الكلمات: "هذا ولدك" يقال "هذا ولدِك".
- إطالة الحركات القصيرة أو تقصير الحركات الطويلة، كما في بعض اللهجات الشامية والخليجية:

"باب" يقال "بيب".

- نطق الضمائر المتصلة بحركات مختلفة، كما هو الحال في بعض لهجات الجزيرة العربية: "عليه" يقال "عليه".

٢. تغيرات في الصوامت (الحروف الساكنة)

تخضع الحروف الساكنة لتغيرات واسعة في اللهجات العربية، حيث يتم إبدال الأصوات أو حذفها أو إضعافها وفقاً للعادات النطقية الخاصة بكل لهجة، ومن أمثلة ذلك:

- إبدال بعض الأصوات بغيرها، مثل: "قلب" يقال "جلب" (في بعض لهجات الخليج والسودان).

"كيفك؟" يقال "تشيفك؟" (إبدال الكاف إلى شين في بعض لهجات الخليج).

- إضعاف بعض الأصوات أو اختفاؤها، كما في حذف الهمزة في بعض اللهجات: "رأس" يقال "راس".

- التفخيم والترقيق في بعض اللهجات: "ض" تُنطق "ظ" أو العكس في بعض المناطق ("ضرب" يقال "ظرب").

٣. الاختلافات في مبنى المفردات ومعانيها

تختلف اللهجات في بعض التراكيب الاشتقاقية أو الصيغ الصرفية، مما يؤدي إلى تغيرات في معاني الكلمات أو استخدامها، ومن أبرز الأمثلة:

- استخدام ألفاظ مختلفة لنفس المفهوم: "الطفل" يسمى "الصبي" في بعض المناطق، و"الودّي" في مناطق أخرى.

- اختلاف معاني الكلمات بين اللهجات: كلمة "ساعة" في الفصحى تعني الوقت، ولكنها تعني "الآن" في بعض اللهجات المغربية.

- التصغير في بعض اللهجات يختلف في الصياغة عن الفصحى: "ولد صغير" يقال "وُلِيد" في لهجات الخليج والمغرب العربي.

٤. الاختلافات في تركيب الجمل

تؤثر اللهجات على بنية الجملة وترتيب الكلمات، حيث قد تتغير القواعد النحوية بين لهجة وأخرى، ومن أمثلة ذلك:

- تقديم أو تأخير الفعل: "ماذا تريد؟" تصبح "إيش تبغي؟" في بعض اللهجات الخليجية، أو "شنو تبغي؟" في بعض اللهجات المغربية.
- استخدام أدوات ربط مختلفة: في بعض اللهجات المغربية، تُستخدم "حتى" بمعنى "لأن" أو "لكي"، وهو استخدام غير مألوف في الفصحى.
- تغيير أدوات الاستفهام: "ماذا؟" تصبح "ويش؟" أو "شنو؟" في بعض اللهجات.

٥. تغيير في شكل الكلمات مع الحفاظ على معانيها

تتطور بعض الكلمات داخل اللهجات من حيث النطق أو البنية الصرفية، لكنها تحتفظ بنفس المعنى، ومن أمثلة ذلك:

- اختصار بعض الكلمات: "أريد أن أذهب" تصبح "بروح" في بعض اللهجات الخليجية.
- إضافة أصوات زائدة دون تغيير المعنى: "افتح" تُنطق "فتّح" في بعض اللهجات.
- تحولات في الصيغ الصرفية مع بقاء المعنى كما هو: "عطشان" تُقال "عطشانة" في بعض اللهجات كتحوير للتأنيث.

تُبرز هذه التغيرات مدى التنوع الصوتي والصرفي والتركيبى الذي يميز اللهجات العربية، مما يؤكد أن الإبدال والتغيرات اللغوية ليست مجرد ظاهرة صوتية، بل هي نتيجة تفاعل اجتماعي وتاريخي يعكس ديناميكية اللغة العربية وتطورها المستمر.^(١)

٢-١-٢: الصفات الصوتية المميّزة للهجات

تُعد الصفات الصوتية من أبرز العوامل التي تميّز اللهجات العربية عن بعضها البعض، حيث يبرز الاختلاف بين اللهجات من خلال عدد من الظواهر الصوتية التي تؤثر في نطق الأصوات، وتفاعلها، وتنغيمها، وفيما يلي أبرز الصفات الصوتية التي تُسهم في تمييز اللهجات العربية:

١. الاختلافات الصوتية كأساس للتمييز بين اللهجات

كل لهجة تتميز بمجموعة من الخصائص الصوتية التي تجعلها مميزة عن غيرها، إذ يختلف نطق بعض الأصوات من لهجة لأخرى، وتظهر بعض التغيرات الصوتية بشكل منتظم بين المناطق المختلفة، ومن أمثلة ذلك:

• إبدال بعض الأصوات في لهجة معينة وعدم حدوثه في لهجات أخرى، مثل:

ب. نطق "الجيم" كـ "ياء" في بعض مناطق مصر ("جميل" يقال "يميل").

ت. نطق "القاف" كـ "غين" في بعض مناطق السودان ("قال" يقال "غال").

(١) (وافي، علم اللغة ٢٠٠٤م)، ص: (١٥٦)

٢. الاختلاف في قوانين التفاعل بين الأصوات المتجاورة

كل لهجة تطوّر قوانينها الفونولوجية الخاصة بطريقة تفاعل الأصوات المتجاورة، مما يؤدي إلى تغييرات صوتية مختلفة عن الفصحى، ومن أبرز الأمثلة على ذلك:

- إدغام أو إضعاف بعض الأصوات عند التقاء حرفين متشابهين: في بعض اللهجات الخليجية:

"مدّ" يقال "مدّيت" (إطالة الصوت المشدّد أكثر من الفصحى).

- حذف بعض الأصوات في سياقات صوتية معينة: في بعض لهجات الشام:
"أريد أن أقول لك" يقال "بدي قللك".

- إبدال أو تحوير الأصوات عند التقاء حرفين متقاربين في المخرج: في بعض لهجات المغرب:
"أنظر إليه" يقال "نوضر ليه".

٣. الاختلاف في مخارج بعض الأصوات وصفاتها

تلعب مخارج الحروف وصفاتها دوراً كبيراً في التمييز بين اللهجات، حيث تؤدي التغيرات الصوتية إلى اختلافات في النطق، ومن أبرز الأمثلة:

- نطق القاف بعدة أشكال:

أ. "ق" تنطق "ك" في بعض اللهجات الخليجية (قال يقال كال).

ب. "ق" تنطق "أ" في بعض لهجات شمال إفريقيا (قال يقال آل).

- تفخيم وترقيق الأصوات:

أ. نطق "الراء" مفخمة في بعض اللهجات البدوية ("ربي" يقال "رُبِّي").

ب. نطق "الضاد" كالظاء في بعض المناطق ("ضوء" يقال "ظوء").

٤. تغيير في درجات طول وقصر المصوّنات (الحركات الطويلة والقصيرة)

تتميز بعض اللهجات العربية بتغيرات في المد والقصر للحركات، مما يؤدي إلى نطق مختلف عن

الفصحى، مثل:

- مد الحركات القصيرة في بعض اللهجات المصرية والخليجية: "باب" يقال "باب".
- تقليل طول الحركات الطويلة في بعض اللهجات المغاربية: "كتاب" يقال "كُتاب".
- إبدال الحركات الطويلة بحركات قصيرة والعكس: "يقول" يقال "يُقول" في بعض اللهجات البدوية.

٥. التنوّع في النغمة الموسيقية للكلام (التنغيم والنبر الصوتي)

تلعب النغمة الموسيقية (Intonation) والنبر الصوتي (Stress) دوراً مهماً في تمييز اللهجات، حيث

تمتاز بعض اللهجات باستخدام أنماط تنغيمية مختلفة عن الفصحى، مثل:

- اللهجات الشامية والمصرية تستخدم تنغيماً مرتفعاً عند الاستفهام:

"إنتَ رايح؟" يقال تُنطق بنغمة تصاعديّة في نهايتها.

- اللهجات الخليجية تتميز بتنغيم أكثر هدوءاً في الجمل الخبرية:

"أروح السوق اليوم" يقال تُنطق بنغمة مستقرة ومنخفضة.

- بعض اللهجات المغاربية تستخدم نبراً مختلفاً للكلمات:

"خنا غادي نمشيوا" يقال يتم التشديد على المقطع الأول.

يُعد الاختلاف في الصفات الصوتية من أهم العوامل التي تميز اللهجات العربية عن بعضها البعض، حيث تتباين في نطق الأصوات، وطريقة تفاعل الحروف، ومد الحركات، والتنغيم، وتُظهر هذه الفروقات مدى التنوع اللغوي الذي تحمله اللهجات العربية، مما يجعلها مجالاً خصباً للدراسة في الصوتيات والفونولوجيا.

٢-٦-١-٣: التغيرات اللهجية كعلامة اختلاف

يرى الدكتور أنيس فريحة أن اللهجات تميل إلى "النورم" (Norm)،^(١) وهو ما يُعرف بالنموذج العام أو القياس المشترك الذي تتبعه كل لهجة بطريقة عفوية، مما يجعلها مميزة عن غيرها من اللهجات، ويمكن تعريف النورم بأنه الطابع الصوتي أو القواعد الصوتية المشتركة التي تشكل هوية كل لهجة، بحيث تصبح مألوفة ومقبولة عند جميع الناطقين بها.

ومن أبرز جوانب هذا "النورم" التي تتجلى بسرعة:

١. التغيرات في مخارج الحروف وصفاتها، مثل: ن

- طق "القاف" ك"ك" في بعض اللهجات الخليجية (قال يقال كال).
- نطق "الثاء" ك"ت" في بعض اللهجات المصرية (ثلاثة يقال تلاتة).

(١) النورم (Norm): هو النموذج العام المؤلف، فمثلاً هناك صفات يشترك بها كل الناطقين بلهجة معينة، فحينما نسمع يمنياً يتكلم اللهجة اليمنية نعرف بأنه يمني، رغم تفرع اللهجات داخل اليمن من منطقة إلى أخرى، كما قد نستمع لشخص يتكلم اللهجة المصرية فتعرف أنه مصري، وهناك أيضاً نورم خاص بالهنود حين يتحدثوا اللغة العربية أو حتى اللغة الإنجليزية، وهذا ما يعرف بالنورم.

٢. التحولات بين الحركات القصيرة والطويلة، كما في:

• مد الحركات القصيرة (كتب يقال كِتَاب).

• تقصير الحركات الطويلة (باب يقال بَب).

٣. تغير التنغيم والنبر في الجمل، حيث تختلف طريقة نطق الجملة نفسها بين لهجة وأخرى،

مما يضيف إيقاعاً صوتياً مختلفاً اللهجات المتنوعة.

تمثل التغيرات الصوتية السمة الأساسية التي تميز اللهجات، حيث تعكس النورم الصوتي لكل

لهجة وتحدد هويتها اللغوية، ويُعدّ اختلاف الأصوات مؤشراً واضحاً على تنوع اللهجات، مما يجعل

دراستها ضرورية لفهم التطور اللغوي والتفاعل الاجتماعي بين الناطقين بالعربية.

٢-١-٤ : عوامل تعدد اللهجات العربية واختلافها

يمكن إجمال الصفات الصوتية التي تميز اللهجات عن بعضها فيما يلي:

• الاختلاف في قوانين التفاعل بين الأصوات المتجاورة، حيث تؤثر بعضها في بعض، مما يؤدي

إلى تغيرات صوتية متنوعة.

• الاختلاف في مخارج الأصوات أو صفاتها، مما يؤدي إلى نطق متباين لبعض الحروف بين

اللهجات.

• الاختلاف في استعمال درجة الطول والقصر للمصوّتات، أي التفاوت في المد والقصر في

نطق الحركات.

• التباين في النغمة الموسيقية للكلام، حيث تختلف درجة التنغيم والإيقاع الصوتي بين

اللهجات.

ولا يشترط أن تتضمن كل لهجة جميع هذه الفروق، فقد تظهر بعض الصفات دون غيرها، كما أن مدى تقارب اللهجات أو تباعدها يعتمد على عدد هذه الاختلافات وشيوعها فيها.

يمكننا القول بأن اختلاف اللهجات يُعدُّ عاملاً رئيسياً في ظاهرة الإبدال الصوتي، حيث تنشأ اللهجات نتيجة للتنوع الجغرافي والاجتماعي والتاريخي بين المجتمعات الناطقة بلغة واحدة، مما يؤدي إلى تغيرات في النظام الصوتي، وينعكس هذا الاختلاف في نطق الأصوات واستبدالها بأصوات أخرى تُعبر عن خصوصية كل لهجة، كما يظهر في تحول صوت "القاف" إلى همزة في مصر والشام، أو إلى غين في السودان وجنوب العراق، وكذا تعرضت أصوات مثل الثاء والذال والظاء للتبديل في العديد من اللهجات الحديثة، حيث أصبحت تُنطق كالتاء والذال والزاي، فهذه التغيرات تعكس السعي نحو التيسير النطقي والتأقلم مع البيئة الثقافية والاجتماعية لكل مجتمع، مما يجعل اختلاف اللهجات محفزاً ديناميكياً للإبدال الصوتي.

لذا يتضح من الدراسات أن تعدد اللهجات العربية واختلافها نشأ بصورة طبيعية كنتيجة للتنوع الثقافي والجغرافي والاجتماعي الواسع الذي اتسمت به البيئة العربية، وذلك ضمن إطار اللغة العربية المشتركة، فاللهجات تمثل نسخاً صوتية متنوعة تختلف من قبيلة إلى أخرى، ويمكن تفسير ذلك من خلال عوامل متعددة ساهمت في هذه الظاهرة، وهي كما يلي:

٢-٦-١-٤: العوامل الجغرافية

تلعب الطبيعة الجغرافية دوراً محورياً في تباين اللهجات، حيث تؤثر الحدود الطبيعية والتضاريس المتنوعة على عملية التواصل بين المتحدثين، مما يؤدي إلى ظهور فروق صوتية وتركيبية داخل اللغة الواحدة، ويمكن دراستها من جانب التضاريس والمناخ كما يأتي:

أ. أثر التضاريس على نشوء اللهجات

عندما يعيش متحدثو لغة واحدة في منطقة جغرافية واسعة تتنوع بيئاتها بين الجبال، الوديان، السهول، الصحاري، والمناطق الساحلية، فإن العزلة الطبيعية تحدّ من التفاعل اللغوي المباشر، مما يؤدي إلى تطور كل مجموعة لهجتها الخاصة بمرور الزمن، فكل بيئة لها ميزة خاصة عن غيرها فمثلاً:

- في البيئات الجبلية؛ حيث التواصل أكثر صعوبة ويتطلب الجهد البدني الكبير، تتميز اللهجة بالخشونة وقوة النطق، مما يظهر في نطق الحروف الصامتة بشدة أكبر، مثل تفخيم بعض الأصوات أو الاحتفاظ بالأصوات الحلقية التي تلاشت في لهجات أخرى.
- في البيئات الزراعية المستقرة، حيث يسهل التفاعل الاجتماعي، تصبح اللهجة أكثر رقة وانسيابية، وتقل فيها الأصوات الشديدة أو الحروف المهموسة القوية، مما يجعل النطق أكثر ليونة وسهولة.
- في المناطق الصحراوية، حيث الحاجة إلى إيصال الصوت لمسافات بعيدة، تندمج اللهجات باستخدام نبر صوتي قوي، وإطالة بعض الحركات، وتمديد الكلمات، مما يسهل فهم الكلام على مسافات بعيدة.
- في المناطق الساحلية، حيث يكثر الاحتكاك مع لغات ولهجات أخرى نتيجة التجارة والتواصل، تظهر كلمات دخيلة وأنماط إبدال صوتية مختلفة تعكس هذا التفاعل الثقافي.

ب. أثر المناخ والتضاريس على السمات الصوتية

يؤثر المناخ والطبيعة الجغرافية على السمات الصوتية للهجات، حيث تميل المناطق ذات المناخ القاسي إلى اختصار الأصوات أو تكييفها وفقاً للظروف البيئية، ومن أبرز المظاهر الصوتية التي تأثرت بالجغرافيا:

- اللهجات الجبلية والصحراوية تتميز بصوتيات قوية ومشددة للحفاظ على وضوح الكلمات عند التحدث في الهواء الطلق.
- اللهجات الساحلية غالباً ما تميل إلى الإيقاع السريع والتخفيف الصوتي بسبب التأثير بالاختلاط اللغوي.
- اللهجات في المناطق الزراعية تتصف بسلاسة الانتقال بين الحروف وتجنب التشديد المفرط.

تُظهر العوامل الجغرافية تأثيراً عميقاً في تشكيل السمات الصوتية للهجات، حيث تحدد طبيعة البيئة كيفية تطور الأصوات والتراكيب اللغوية داخل المجتمعات المختلفة، وهذا ما يجعل التضاريس والمناخ من أهم العوامل التي تؤدي إلى تنوع اللهجات داخل اللغة الواحدة، مما يعكس العلاقة الوثيقة بين اللغة والبيئة التي تُستخدم فيها.^(١)

(١) (الصايغ ١٩٩٠)، ص: (١٤)

٢-٦-١-٤-٢: العوامل الاجتماعية

تلعب العوامل الاجتماعية دوراً رئيسياً في نشأة اللهجات وتطورها، حيث تؤثر الطبقات الاجتماعية، ومستويات التعليم، والمهن، والعادات الاجتماعية على طريقة نطق الأفراد وتفضيلاتهم اللغوية، فاللغة ليست كياناً منفصلاً عن المجتمع، بل هي مرآة تعكس واقعه وتطوره، مما يؤدي إلى تنوع ملحوظ في اللهجات تبعاً للظروف الاجتماعية المختلفة.

١. تأثير الطبقات الاجتماعية على اللهجات

يختلف نطق الأفراد حسب انتمائهم الاجتماعي، حيث تميل الطبقات العليا إلى اتباع أنماط نطق أكثر رسمية، في حين أن الطبقات الشعبية قد تتبنى أنماطاً نطقية أكثر تحملاً وسهولة، ومن الأمثلة على ذلك:

أ. الطبقات المتعلمة والراقية تميل إلى نطق أكثر قرباً من الفصحى أو النطق المعياري في بعض الكلمات.

ب. الطبقات العاملة والفئات الشعبية قد تعتمد على إبدالات صوتية محلية تجعل لهجتها أكثر عفوية وسلاسة.

ت. الاختلاف في المخارج الصوتية بين الطبقات، حيث يلاحظ في بعض المجتمعات أن الطبقات الأعلى تلفظ القاف قافاً، بينما تنطقها الطبقات الشعبية كهزمة أو كافاً (قال يقال آل أو كال).

٢. تأثير المهن على نطق اللهجة

تؤثر طبيعة المهنة على اللهجة التي يستخدمها الأفراد، حيث تميل بعض الفئات المهنية إلى تطوير أنماط نطقية أو مصطلحات خاصة بها:

أ. المهن الحرفية والتجارية قد تؤدي إلى تبسيط النطق واستخدام اختصارات لغوية لتسهيل التواصل السريع (مثال: بعض التجار يستخدمون مصطلحات مختصرة في الأسواق).

ب. المهن الأكاديمية والطبية والقانونية تطور لغة أكثر دقة، حيث تتبنى هذه الفئات مصطلحات تخصصية تمتزج مع اللغة اليومية.

ت. الأنشطة البحرية أو الزراعية قد تؤدي إلى ظهور مفردات ولهجات مميزة تعكس بيئة العمل (مثل اللهجات الساحلية التي تحتوي على مصطلحات مرتبطة بالصيد والملاحة).

٣. تأثير المستوى التعليمي على أنماط النطق

يلعب التعليم دوراً أساسياً في تطوير اللهجات، حيث يميل الأفراد المتعلمون إلى:

أ. استخدام نطق أقرب إلى المعيارية اللغوية، مع تجنب الظواهر اللهجية المحلية المفرطة.

ب. التأثر باللغات الأجنبية، خاصة في المجتمعات التي تعتمد على اللغات الأخرى في التعليم العالي، مما يؤدي إلى إدخال أصوات أو مفردات جديدة إلى اللهجة.

ت. تمييز النطق بين الفئات المتعلمة وغير المتعلمة، حيث يمكن ملاحظة فروق في نطق بعض الأصوات أو استخدام التراكيب المختلفة تبعاً للمستوى التعليمي.

٤. تأثير العادات الاجتماعية والتفاعل الثقافي

تؤثر العادات والتقاليد على كيفية تطور اللهجات، حيث يتكيف الأفراد مع الأنماط النطقية السائدة داخل مجتمعاتهم، وتشمل هذه التأثيرات:

أ. الانفتاح الاجتماعي والتفاعل بين الفئات المختلفة يؤدي إلى دمج بعض السمات اللغوية في اللهجات المتجاورة.

ب. التقاليد المحافظة في بعض المجتمعات قد تحدّ من تأثير اللهجات الأخرى، مما يؤدي إلى الحفاظ على سمات نطقية متميزة.

ت. الهجرة والاختلاط الثقافي يساهم في نشوء لهجات هجينة أو تأثر بعض اللهجات بلغات ولهجات أخرى (مثل تأثر لهجات شمال إفريقيا بالفرنسية والإسبانية).

تُعد العوامل الاجتماعية من أهم المحركات لتطور اللهجات، حيث يتأثر النطق والتراكيب اللغوية بالطبقات الاجتماعية، والمهنة، والمستوى التعليمي، والتفاعل الثقافي، ونتيجة لذلك، فإن كل لهجة تحمل بصمة اجتماعية تعكس واقع المجتمع الذي تنتمي إليه، مما يجعل دراسة تأثير العوامل الاجتماعية على اللهجات أساسية لفهم كيفية تطور اللغة والتنوع اللغوي عبر الزمن.^(١)

٢-٦-١-٤-٣: احتكاك اللغة بغيرها

يُعد الاحتكاك اللغوي من أهم العوامل المؤثرة في نشوء وتطور اللهجات، حيث يؤثر التفاعل مع اللغات الأخرى، سواء كان نتيجة الفتوحات، التجارة، الهجرة، أو المصالح الاجتماعية، في تغيير بنية

(١) (ج. زيدان ٢٠١٢م)، ص: (١٢)

اللغة من حيث المفردات، الأصوات، والتراكيب النحوية، ويمكن أن يكون هذا التأثير تدريجياً أو جذرياً، تبعاً لطبيعة التفاعل بين اللغات.

١. تأثير الغزو والفتح على اللغة

عندما تهيمن لغة الفاتحين على المجتمع المحلي، يحدث صراع لغوي بين اللغتين، مما يؤدي إلى:

- اقتباس المصطلحات والمفردات الجديدة، حيث تستعير اللغة المهزومة ألفاظاً من لغة الفاتحين لتعبر عن المفاهيم الجديدة التي فرضتها الثقافة الغالبة.
- اندماج اللغة الفاتحة مع اللغة المحلية، مما يؤدي إلى ظهور لهجات هجينة تجمع بين سمات اللغتين.
- تأثير متبادل بين اللغتين، حيث قد يتبنى الفاتحون بعض مظاهر النطق أو المفردات من السكان المحليين.

ومن الأمثلة التاريخية على ذلك ما يأتي:

- أ. التفاعل بين العربية والفارسية بعد الفتح الإسلامي، حيث: اقتبست العربية العديد من الكلمات الفارسية المتعلقة بالمطبخ (سكر، فستق، زنجبيل).
- ب. تأثرت الفارسية بكثير من المفردات العربية، خاصة في المجالات الدينية والفلسفية (كتاب، فكر، قضاء).

٢. تأثير التجارة والتبادل الثقافي على اللهجات

في المجتمعات التي تنشط فيها التجارة والتبادل الثقافي، يكون الاحتكاك بين اللغات أكثر سلمية وتدرجية، مما يؤدي إلى:

- استعارة بعض المصطلحات التجارية والاقتصادية، مثل الكلمات الأجنبية في اللهجات العربية نتيجة التفاعل مع المستعمرين والتجار الأوروبيين (بانكا = بنك، تليفون، كومبيوتر).
 - تحولات صوتية في النطق بسبب التفاعل مع لهجات أخرى، حيث يحاول المتحدثون مواءمة اللغة الجديدة مع عاداتهم النطقية.
 - ظهور كلمات هجينة تجمع بين عناصر من أكثر من لغة، كما هو الحال في بعض مناطق المغرب العربي حيث نجد مزجاً بين العربية والأمازيغية والفرنسية في التعبيرات اليومية.
- من الأمثلة على ذلك: في الخليج العربي؛ تأثرت اللهجات العربية بالفارسية والهندية والإنجليزية بسبب التجارة البحرية، مما أدى إلى استعارة كلمات مثل: دكان (من الفارسية)، تشبند (من الهندية، بمعنى حقيبة أو صندوق)، بايكة (من الإنجليزية Bike بمعنى دراجة).

٣. التكيف الصوتي نتيجة الاحتكاك اللغوي

عند احتكاك لغتين مختلفتين، يحاول المتحدثون نطق الكلمات الأجنبية وفق نظامهم الصوتي، مما يؤدي إلى:

أ. إبدال الأصوات غير المألوفة بأصوات مألوفة، مثل نطق الفرنسيين للقاف ك G، أو نطق الأمازيغ للعربية بدون بعض الحروف الحلقية.

ب. تحويل بنية الكلمات الأجنبية لتتناسب مع أنماط الصرف في اللغة المستعيرة، كما في إضافة صيغ الجمع أو التصغير لكلمات أجنبية داخل العربية.

من أبرز الأمثلة على ذلك:

- في مصر، تحولت بعض الكلمات الإيطالية والفرنسية إلى شكل عربي: كافيه (من الفرنسية Café) يقال كُفَيّة.

- جورنال (من الفرنسية Journal) يقال جورنال بنفس اللفظ ولكن بنطق عربي.

يُعد الاحتكاك اللغوي قوة دافعة نحو التغيرات اللغوية والتنوع اللهجي، حيث يؤدي التفاعل بين اللغات إلى ظهور ألفاظ جديدة، تحولات صوتية، واندماج لغوي يؤثر في اللهجات المحلية، وهذا ما يجعل التداخل بين اللغات عاملاً مهماً في دراسة التطور الصوتي والمعجمي للهجات العربية.^(١)

(١) (فريجة، اللهجات وأسلوب دراستها ١٩٨٩ م - ١٤٠٩ هـ)، ص: (٨٩)

٢-٦-١-٤-٤: التطور الصوتي

تتغير الألفاظ والنطق عبر الزمن تحت تأثير مجموعة من العوامل البيئية، والاجتماعية، والنفسية، حيث إن اللغة نظام متجانس من الأصوات، تتفاعل عناصره باستمرار لتحقيق الانسجام الصوتي داخل المنظومة اللغوية، ونتيجة لهذا التفاعل، قد تظهر أصوات جديدة أو تُستبدل بأخرى قديمة، مما يؤدي إلى تغيرات صوتية تصبح مع مرور الوقت جزءاً من الهوية اللهجية لكل مجموعة لغوية.

١. التغيرات الصوتية كجزء من تطور اللغة

تُعد التغيرات الصوتية من أهم مظاهر تطور اللغات واللهجات، حيث إن اللغة ليست كياناً ثابتاً، بل ديناميكي ومتغير، ويتطور تبعاً لاحتياجات المتحدثين، وهذه التغيرات الصوتية تشمل:

- الاختصار الصوتي (Elision): كحذف بعض الأصوات لتسهيل النطق، مثل:
"هذا الرجل" يقال "هالرجل" في بعض اللهجات الشامية.
- إبدال الأصوات وتقاربها (Assimilation): كاستبدال الحروف المتشابهة صوتياً أو تقاربها بسبب سهولة النطق: "أنظر إليه" يقال "نوضر ليه" في بعض لهجات المغرب العربي.
- الإدغام والإضعاف الصوتي: تداخل الأصوات المتجاورة لتصبح وحدة صوتية واحدة: مثل:
"مدّ" يقال "مدّيت" في بعض اللهجات الخليجية.
- تغيير مواضع النبر والتنغيم: اختلاف إيقاع الجملة بين اللهجات مما يعطي طابعاً خاصاً لكل لهجة.

٢. دور الاحتياجات التعبيرية في التغيرات الصوتية

يرتبط التطور الصوتي باحتياجات المتحدثين التعبيرية، حيث قد تلجأ الجماعات إلى تبسيط أو تعقيد بعض الأصوات بما يتناسب مع طبيعة حديثهم، فمثلاً:

- المجتمعات التي تعتمد على التواصل عن بعد (كالبدو في الصحراء) تميل إلى تمديد الحروف وإبراز النبر الصوتي ليكون الكلام أكثر وضوحاً.
- المجتمعات الحضرية، حيث يكون التواصل وجهاً لوجه، تميل إلى اختصار بعض الأصوات وتقليل التشديد على الكلمات.

٣. علاقة تعدد اللهجات بظاهرة الإبدال الصوتي

يُعد تعدد اللهجات عنصراً جوهرياً في تفسير ظاهرة الإبدال الصوتي، حيث تساهم العوامل الجغرافية، والاجتماعية، والتاريخية في تنوع أنماط النطق داخل المجتمع الواحد، مما يؤدي إلى خلق لهجات متباينة تتطور بشكل مستقل، فعلى سبيل المثال:

- إبدال الجيم ياءً في بعض مناطق الخليج العربي (جميل يقال يميل).
- إبدال الثاء تاءً في بعض مناطق الشام (ثلاثة يقال ثلاثة).
- إبدال القاف همزة في لهجات مصر والشام (قال يقال آل).

٤. التغير الصوتي كعملية غير عشوائية

رغم أن التغيرات الصوتية تبدو للوهلة الأولى عشوائية، إلا أنها تخضع لقوانين لغوية منتظمة، حيث تعمل اللغة ككائن حي يتأثر ببيئته ويتكيف معها، فعلى مدار الزمن، تتطور اللهجات تبعاً

للظروف الصوتية والاجتماعية، مما يجعل دراسة الإبدال والتغيرات الصوتية أمراً أساسياً لفهم ديناميكية اللغة العربية وتطورها التاريخي.

يُظهر تطور الأصوات في اللهجات أن اللغة ليست كياناً ثابتاً، بل هي نظام متجدد يتكيف مع بيئته، وعبر التفاعل بين العوامل الجغرافية، والاجتماعية، والتاريخية، تنشأ أنماط صوتية مختلفة تعكس الهوية الثقافية للمجتمعات الناطقة بها، ويجعل هذا التفاعل الإبدال الصوتي ظاهرة طبيعية ومنتظمة، تسهم في تنوع وتطور اللغة العربية على مر العصور.

٢-٦-٢: التغيرات التاريخية في النظم الصوتية

التغيرات التاريخية في النظام الصوتي للغة تعد من أبرز عوامل الإبدال الصوتي، حيث تشهد الأصوات اللغوية تحولاً جذرياً إلى أصوات أخرى في جميع سياقاتها دون استثناء، وهذه التغيرات ليست ظاهرة معزولة، بل انعكاس لتحولات تاريخية واجتماعية عميقة تركت بصماتها على اللغة العربية، ومن أبرز الأمثلة على ذلك التحولات التي طرأت على صوت "القاف"، الذي ينطق في مصر والشام كهزمة، وفي السودان وجنوب العراق كغين، بينما يتحول في بعض مناطق الجنوب الجزائري إلى غين.^(١)

وبالمثل تعرضت أصوات مثل الثاء، الدال، والظاء لتبدلات كبيرة؛ ففي اللهجات الحديثة استُبدلت بأصوات أخرى كالتاء، السين، الدال، والزاي، فلم يبقَ النطق الفصيح لهذه الأصوات إلا في مناطق

(١) (عبدالطوب، التطور اللغوي (مظاهره وعلمه وقوانينه) ١٩٩٧)، ص: (٢٢)

محدودة، خاصةً في بعض البيئات البدوية في الخليج والمغرب العربي، هذه التحولات ليست عشوائية،^(١) بل تتأثر بعوامل متعددة، يمكن تصنيفها كما يلي:

٢-٦-٣: العوامل النفسية

تلعب الحالة النفسية دوراً حاسماً في تغيير الأصوات اللغوية وتطور اللهجات، حيث يتأثر النطق والصوت بالحالة العاطفية والاجتماعية للشعوب والأفراد، وتُظهر الدراسات اللغوية أن التغيرات الصوتية لا تحدث بمعزل عن الانفعالات البشرية، بل تتأثر بها بشكل كبير، مما يؤدي إلى نشوء اختلافات صوتية بين المجتمعات المستقرة والمجتمعات الصلبة أو المتوترة، وكذلك بين الأفراد في حالاتهم النفسية المختلفة.

١. تأثير الاستقرار النفسي على اختيار الأصوات: تُظهر المجتمعات التي تعيش في بيئات مستقرة وأمنة ميلاً إلى استخدام الأصوات الرخوة والمهموسة، حيث يعكس ذلك السلام النفسي والاسترخاء الذي تتمتع به هذه الشعوب، ومن أبرز الأمثلة:

- استخدام الأصوات المرققة والمهموسة بكثرة في اللهجات التي تنتمي إلى مناطق زراعية وحضرية مستقرة، مثل: نطق الجيم ياءً (جميل يقال يميل في بعض لهجات مصر).

- إضعاف الصوامت في الكلمات (كتبته يقال كتبته بدون تشديد التاء).

(١) (الغيث ٢٠١١م)

- الابتعاد عن النطق الحاد للصوامت المفخمة، مما يجعل اللهجة أكثر نعومة وانسيابية.

٢. تأثير الفخر والقوة على النطق الصوتي: على العكس، تميل الشعوب التي تعتز بالقوة والجبروت أو التي تعيش في بيئات صعبة إلى استخدام الأصوات الشديدة والمشددة والمفخمة، مما يعكس رغبتها في فرض السلطة أو إبراز القوة اللغوية، ومن أمثلة ذلك انتشار الصوامت الشديدة والمفخمة في اللهجات الصحراوية والجبليّة، مثل:

- التفخيم المبالغ فيه لبعض الأصوات (ضوء يقال ظوء).
 - نطق القاف بصوت صلب ومجهور (قال يقال غال في بعض لهجات الجزيرة العربية).
 - زيادة استخدام الأصوات الانفجارية والمشددة مثل: الطاء، القاف، الضاد، الظاء.
٣. تأثير الحالة النفسية للمتحدث على النطق: لا يقتصر تأثير العوامل النفسية على المجتمعات فقط، بل يمتد إلى الأفراد في مواقفهم اليومية، حيث تؤثر المشاعر والانفعالات على النطق الصوتي، مما يؤدي إلى تغييرات واضحة في النبرة والتعبير اللغوي، مثل:

أ. النبرة الهادئة مقابل النبرة الانفعالية:

- في الحالة الطبيعية، يتحدث الإنسان بنبرة معتدلة تتناسب مع الاستقرار النفسي.
- في حالات الغضب أو الانفعال، يميل المتحدث إلى تشديد الحروف، ورفع النبرة، واستخدام أصوات قوية تعكس مشاعره.

ب. الانسجام بين الحالة النفسية والنطق الصوتي:

- عند التعبير عن الحزن أو الهدوء، يميل الصوت إلى الخمول وخفض قوة النطق، مما يؤدي إلى إضعاف الحروف أو حذف بعضها أحياناً.
- عند إظهار الحزم أو الغضب، يزداد وضوح الحروف المفخمة والشديدة، ويصبح النطق أكثر صلابة وحدة.

٢-٦-٣-١: تأثير العوامل النفسية على الإبدال الصوتي

نظراً لأن الحالة النفسية للمتحدثين تتغير بمرور الزمن، فإن بعض التغيرات الصوتية التاريخية يمكن تفسيرها بناءً على هذا العامل، ومنها:

أ. تحول بعض الأصوات القوية إلى أصوات أضعف نتيجة انتقال المجتمعات من البيئات القبلية العنيفة إلى بيئات مستقرة، مثل:

- إبدال القاف إلى همزة (قال يقال آل في بعض اللهجات الحضرية).
- إبدال الجيم ياءً (رجل يقال رَيْل في بعض اللهجات الخليجية).

ب. على العكس، بعض المجتمعات التي مرت بظروف صعبة حافظت على الأصوات القوية أو زادت من تفخيمها، مثل:

- الاحتفاظ بنطق القاف المفخمة في اللهجات البدوية.
- تشديد نطق الصوامت في المجتمعات التي خاضت صراعات طويلة.

يتضح أن العوامل النفسية تلعب دوراً أساسياً في تشكيل النطق اللغوي، حيث تعكس الحالة المزاجية والاجتماعية للمتحدثين طبيعة الأصوات التي يستخدمونها، فالمجتمعات المستقرة

والهادئة تميل إلى الأصوات الرخوة والمهموسة، بينما تفضل المجتمعات المعتزة بالقوة استخدام الأصوات الشديدة والمفخمة، كما أن التحولات الصوتية عبر التاريخ يمكن تفسيرها جزئياً من خلال التغيرات النفسية والثقافية التي طرأت على المجتمعات، مما يُثبت أن اللغة كيان حي يتأثر بالمجتمع وأفراده.^(١)

٢-٦-٤: السهولة والتيسير

تسعى اللغات بشكل طبيعي إلى التخفيف من الجهد العضلي والذهني المبذول في النطق، حيث يميل المتحدثون إلى اختيار الأصوات الأسهل نطقاً والأكثر انسجاماً مع تدفق الكلام، وهذا ما يؤدي إلى التخلص من الأصوات العسيرة أو إبدالها بأخرى أسهل، وهي ظاهرة منتشرة في جميع اللغات، بما في ذلك العربية.

١. التخلص من الأصوات الصعبة لتسهيل النطق

من أبرز الأمثلة على التيسير الصوتي في العربية الحديثة هو التخلص من الهمزة، حيث يجد المتحدثون صعوبة في نطقها بسبب طبيعتها الانفجارية الحنجرية، مما يؤدي إلى:

- إبدال الهمزة بحروف أخرى أكثر سلاسة، مثل:
"رأس" يقال "راس"، "مسألة" يقال "مسالة".
- حذف الهمزة نهائياً عند تسلسل الحركات المتجاورة، كما في بعض اللهجات الخليجية والمصرية:

(١) (الأنطاكي، الوجيز في فقه اللغة ١٩٦٩ م- ١٣٨٩ هـ)، ص: (٢٧٩)

"سأل" يقال "سال".

- إبدال الهمزة بحروف قريبة في المخرج، مثل: "بئر" يقال "بير".

٢. تأثير التيسير على بنية الكلمات

لا يقتصر التيسير على الهمزة فقط، بل يشمل ظواهر صوتية أخرى، مثل:

- إدغام الحروف المتجاورة لتقليل عدد الأصوات المنطوقة: "مدّدت" يقال "مدّيت".
- حذف الحروف الصامتة عند تسلسلها مع أخرى مشابهة: "أخذتُه" يقال "خذته".
- الاختصار الصوتي للحروف المتحركة الطويلة لتقليل الجهد العضلي:

"هذا هو" يقال "هَذَا" في بعض اللهجات.

٣. السهولة والتيسير كاتجاه لغوي عام

يُعد الميل إلى التيسير من الاتجاهات اللغوية العامة التي تظهر في جميع اللغات، حيث تسعى الأنظمة اللغوية إلى تبسيط النطق لتقليل الجهد العضلي والذهني المبذول أثناء الكلام، مما يجعل التواصل أكثر سرعة وسلاسة، ويُعتبر التيسير اللغوي أحد العوامل الأساسية التي تؤدي إلى تحولات صوتية مستمرة عبر الزمن، وهو ما يساهم في نشوء اللهجات وتطورها.

٢-٦-٤-١ : آليات التيسير اللغوي

يظهر الميل إلى التيسير في عدة مظاهر لغوية، أبرزها:

أ. تحول الكلمات الطويلة إلى أشكال مختصرة مع الزمن

تميل اللغات إلى اختصار الكلمات الطويلة لتسهيل النطق اليومي، ومن الأمثلة على ذلك:

- اختصار التراكيب الصوتية في اللهجات العامية:

"أريد أن أذهب" يقال "بروح" في بعض اللهجات الخليجية.

"لا أعرف" يقال "ما أدري" أو "مدري".

- دمج الكلمات المتتابة في نطق واحد أكثر سلاسة: "هذا الرجل" يقال "هالرجل".

ب. إبدال الأصوات الصعبة بأخرى أسهل على جهاز النطق

تسعى اللغات إلى استبدال الأصوات التي تتطلب مجهوداً كبيراً بأخرى أسهل على جهاز

النطق، ومن أبرز الأمثلة:

- حذف الهمزة أو إبدالها بحرف أكثر ليونة: "رأس" يقال "راس"، "مسألة" يقال

"مسالة".

- تحول بعض الحروف الصعبة إلى أصوات قريبة أكثر سهولة: "ثلاثة" يقال "تلاتة"،

"ذئب" يقال "دئب".

ج. دمج الأصوات القريبة في المخرج، مما يقلل عدد الحركات الصوتية المطلوبة

عندما تكون الأصوات متجاورة ومتقاربة في المخرج، تميل اللغة إلى إدغامها أو تبسيطها،

مثل:

- إدغام الحروف المتماثلة أو المتقاربة: "مددْتُ" يقال "مدّيت".
- حذف الأصوات غير الضرورية لتسهيل النطق: "خذته" يقال "خذته".

٢-٦-٤-٢: التيسير اللغوي ودوره في تطور اللهجات

يميل البشر بشكل طبيعي إلى تجنب النطق المعقد والبحث عن الأساليب الأكثر سهولة، مما يؤدي إلى نشوء تغيرات صوتية منتظمة تؤثر على تطور اللهجات، ومن أهم نتائج التيسير اللغوي:

- تنوع اللهجات داخل اللغة الواحدة نتيجة اختلاف طرق التيسير من منطقة لأخرى.
- تطور اللغة عبر العصور، حيث تستمر الأصوات بالتغير وفقاً لمبدأ الاقتصاد اللغوي.

- جعل التواصل أكثر سلاسة وانسيابية، مما يساهم في تسريع التفاعل اليومي بين المتحدثين.

يُعتبر التيسير اللغوي اتجاهاً طبيعياً في تطور اللغات، حيث تسعى اللغة دائماً إلى تحقيق التوازن بين الوضوح وسهولة النطق، ويظهر هذا الميل في اختصار الكلمات الطويلة، وإبدال الأصوات الصعبة، ودمج الأصوات المتقاربة، مما يؤدي إلى تطور مستمر في الأصوات واللهجات، وبهذا، فإن التيسير ليس مجرد ظاهرة عرضية، بل هو عملية لغوية منتظمة تساهم في تشكيل هوية اللغة وتكيفها مع احتياجات متحدثيها.^(١)

(١) (أيوب، اللغة والتطور ١٩٦٩م)، ص: (٣٢)

٢-٦-٤-٣: أعضاء النطق

تلعب أعضاء النطق دوراً محورياً في تشكيل المنظومة الصوتية للغة، حيث تؤثر مرونة الجهاز النطقي على التغيرات الصوتية التي تحدث بين الأجيال، ويعود ذلك إلى القدرات الفيزيولوجية لأعضاء النطق، والتي تتطور وتتكيف وفقاً للبيئة اللغوية التي ينشأ فيها الفرد.

١. تأثير مرونة أعضاء النطق على التغيرات الصوتية

يتكيف الجهاز النطقي مع المتطلبات الفيزيولوجية واللغوية الجديدة، مما يؤدي إلى:

أ. تحولات صوتية تدريجية عبر الأجيال، حيث تتطور الأصوات بما يتلاءم مع البيئة اللغوية المعاصرة.

ب. استمرار الأصوات التي اعتاد عليها الأفراد منذ الطفولة، مما يجعل من الصعب تبني أصوات جديدة لاحقاً.

مثال:

• الأفراد الذين نشأوا على نطق القاف همزة (قال يقال آل) يجدون صعوبة في النطق

الفصحح لاحقاً.

• الأطفال الذين يتعلمون نطق الثاء والذال في سن مبكرة يكونون أكثر قدرة على

الاحتفاظ بها مقارنة بمن تعلمها في وقت متأخر.

٢. التكيف النطقي وتأثيره على اللهجات

نظراً لأن النظام الصوتي يتأسس في الطفولة ويستمر طوال الحياة، فإن البيئة اللغوية

المحيطة تلعب دوراً كبيراً في تحديد:

أ. مدى قدرة الأفراد على إنتاج الأصوات التي تتطلب مهارات نطقية متطورة.

ب. مدى قابلية الأجيال الجديدة للتغيرات الصوتية التي تحدث مع الزمن.

أمثلة على ذلك:

• في بعض المجتمعات، لا يستطيع المتحدثون الأصليون التمييز بين بعض الأصوات

(مثل الكويتيين والإماراتيين الذين ينطقون الجيم ياءً).

• في اللهجات المغاربية، يُلاحظ اختفاء بعض الأصوات الحلقية بسبب غيابها عن

البيئة النطقية.

٢-٦-٥: اكتساب الأصوات

يُعدّ تعلم الأصوات الجديدة في مراحل متقدمة من العمر عملية معقدة، حيث يكون الجهاز النطقي

قد تكيف مسبقاً مع النظام الصوتي الأصلي للفرد، مما يجعل اكتساب أصوات غير مألوفة أكثر

صعوبة، وتُفسّر هذه الظاهرة استناداً إلى المرونة النطقية في الطفولة، حيث يكون الدماغ والجهاز

النطقي أكثر استعداداً لاكتساب جميع الأصوات، بينما تقل هذه القدرة مع التقدم في العمر، وهنا

أمثلة على صعوبة اكتساب الأصوات الجديدة

• صعوبة نطق الرء المفخمة: يواجه بعض الأفراد، خاصة من اللهجات التي تميل إلى

ترقيق الرء، صعوبة في نطقها مفخمة عند تعلم لهجات أو لغات أخرى تستخدم هذا

الصوت بوضوح.

• صعوبة نطق الأصوات غير الموجودة في اللغة الأم: يعاني بعض الناطقين بلغات أجنبية

من صعوبة في نطق أصوات مثل الخاء أو الحاء عند تعلم العربية، نظراً لعدم وجود

هذه الأصوات في أنظمتهم الصوتية الأصلية، مما يؤدي إلى استبدالها بأصوات قريبة في

مخارجها الصوتية.

يُظهر تحليل هذه الصعوبات أن التغيرات الصوتية ليست عشوائية، بل تخضع لقدرات الجهاز

النطقي الذي يتكيف عبر الزمن وفق البيئة اللغوية المحيطة بالفرد، فكل لغة أو لهجة تمتلك

مخزوناً صوتياً مميزاً، والتعرض المبكر لهذه الأصوات يلعب دوراً جوهرياً في القدرة على إنتاجها

لاحقاً، وهذا ما يُفسر سبب اختلاف النطق بين الأفراد حتى عند تعلم لغة جديدة، حيث يكون تعلم

بعض الأصوات أكثر سهولة لمن تعرضوا لها منذ الطفولة مقارنة بمن لم يسبق لهم سماعها أو

نطقها.

تُعدّ الاختلافات الصوتية بين اللهجات انعكاساً لعملية التكيف الفسيولوجي واللغوي المشترك،

حيث تتطور أنماط النطق داخل المجتمعات بناءً على العوامل الجغرافية والاجتماعية والتواصل

بين المجموعات اللغوية المختلفة.^(١)

(١) (أيوب، اللغة والتطور ١٩٦٩م)، ص: (٣٢)

تُعد الأصوات الأكثر شبوعاً في الاستخدام هي الأكثر عرضة للتبعر الصوتي، وذلك بسبب كثرة تداولها في النطق اليومي، فكلما زاد تكرار صوت معين في اللغة، زادت احتمالية تعرضه لتبولات صوتية للتكيف مع سهولة النطق وتقليل الجهد العضلي.

١. تأثير شبوع الأصوات على التبولات الصوتية

تظهر التبولات الصوتية بشكل واضح في الأصوات المائعة، مثل:

الراء (ر)، اللام (ل)، النون (ن)، الميم (م).

هذه الأصوات تتميز بأنها أكثر ليونة وانسيابية في النطق، مما يجعلها عرضة للتبوعات مع مرور الزمن.

أمثلة على تبولات الأصوات الشائعة

- تحول الراء إلى لام أو العكس في بعض اللهجات: "عمرو" يقال "عملي".
- إبدال النون بالميم في بعض السياقات النطقية: "منبر" يقال "ممبر".
- إدغام اللام في بعض الأصوات المتجاورة للتخفيف: "أل رجل" يقال "الرجل".

٢. ملاحظات الجاحظ حول تكرار الأصوات وتأثيرها في التبولات الصوتية

أشار الجاحظ في كتابه "البيان والتبيين"^(١) إلى أن بعض الأصوات مثل الياء، اللام، والألف

تُظهر دوراً متكرراً في اللغة، مما يجعلها أكثر عرضة للتبولات الصوتية نتيجة:

(١) (الجاحظ ١٩٩٨م-١٤١٨هـ)

- الاستخدام المكثف،

- الاحتكاك بين الأصوات المتجاورة،

- التكيف مع أنماط النطق السائدة.

هذا الأمر يعكس تفاعل الأصوات مع الاحتياجات النطقية للمجتمع، حيث تسعى اللغة إلى

إيجاد حلول صوتية أكثر سلاسة وانسجاماً مع النظام النطقي العام.

٣. التغيرات التاريخية كجزء من ديناميكية اللغة

من خلال تحليل التحولات الصوتية، يتضح أن التغيرات التاريخية في النظام الصوتي

ليست مجرد ظواهر عشوائية، بل هي:

- انعكاس لقدرة اللغة على التكيف مع المتغيرات النفسية، الفيزيولوجية،

والاجتماعية.

- تطور تدريجي مستمر، حيث لا تحدث هذه التغيرات بصورة مفاجئة، بل تتبلور عبر

الزمن.

- نتيجة لتفاعل معقد بين عدة عوامل، تشمل الذبوع، البيئة النطقية، وعوامل

التيسير اللغوي.

إن فهم تطور الأصوات الشائعة وتحولاتها عبر التاريخ يمنحنا رؤية أعمق لديناميكية اللغة، حيث يتضح أن الميل إلى التيسير والتكيف مع النطق الشائع هو المحرك الأساسي لهذه التغيرات، وبذلك؛ يمكننا استيعاب مسار تطور اللغة العربية وتأقلمها مع احتياجات الناطقين بها عبر العصور.^(١)

٢-٦-٧: التصحيف

إلى جانب العوامل الصوتية والتطورات الطبيعية التي تؤدي إلى الإبدال الصوتي، يمثل التصحيف أحد العوامل المهمة والمباشرة التي تسهم في خلق ظاهرة الإبدال، والتصحيف بجانبه الكتابي والسمعي، يعكس تأثير العوامل الإدراكية والبشرية في تطور اللغة، ويمكن تصنيفه إلى نوعين رئيسيين:

أولاً: تصحيف الخط

تصحيف الخط يحدث نتيجة الخلط بين الحروف المتشابهة في الرسم، وهو ظاهرة انتشرت بشكل ملحوظ بين نسّاخ المعاجم والنصوص، حيث إن الحروف المتشابهة؛ مثل الكاف والقاف أو الدال والذال، قد تؤدي إلى استبدال غير مقصود للكلمات أثناء الكتابة، ومن أبرز الأمثلة عليه: "الكرب" و"الكرت"، "الدبر" و"الدثر"، "رغاث" و"رغاب"، ومن هنا نعلم أن هذه الأخطاء الكتابية قد تنتقل لاحقاً إلى النطق، مما يجعلها جزءاً من النظام اللغوي في بعض الحالات.

(١) (المطلي ١٩٨٤)، ص: (٥٥)

ثانياً تصحيح السّمع:

تصحيف السمع ينشأ عن الخلط في إدراك الأصوات المتقاربة في المخارج أو الصفات، ويؤدي هذا الخلط إلى تغيير في النطق، وغالباً ما يكون ناتجاً عن ضعف الإدراك السمعي أو قلة التمييز بين الأصوات المتشابهة،^(١) ومن أبرز الأمثلة عليه قولهم: "لا بَلْ" و"لا بَنْ"، و"قام زيد فَمَ عمر" بدلاً من "ثمَّ عمر".

هذه الأخطاء السمعية غالباً ما تبدأ عند الأطفال خلال مرحلة اكتساب اللغة، حيث يعتمد الطفل على حاسة السمع لتقليد المحيطين به، ومع الوقت، تستقر هذه النماذج في النظام اللغوي للفرد وتستمر معه مدى الحياة.^(٢)

٢-٦-٧-١: التصحيف الصوتي بين القدماء والمحدثين

لطالما أثار التصحيف السمعي والكتابي جدلاً بين اللغويين القدماء والمحدثين، فيرى بعض المحدثين أن معظم نماذج الإبدال التي صنّفها اللغويون العرب القدماء، مثل الإبدال بين الفاء والثاء، تعود إلى أخطاء سمعية، ومن أبرز الأمثلة عليه قولهم: "جدف" و"جذث" للقبر، "الحثالة" و"الحفالة" للردىء، "الفوم" و"الثوم".^(٣)

يمثل التصحيف بجانبه الكتابي والسمعي عاملاً مؤثراً في الإبدال الصوتي، حيث يعكس تأثير الإدراك البشري على اللغة، بينما يحدث تصحيف الخط بسبب تشابه الحروف، يرتبط تصحيف

(١) (السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها ١٩٩٨)، الجزء: (١)، ص: (٥٣٧)

(٢) (وافي، علم اللغة ٢٠٠٤م)، ص: (٢٩٦)

(٣) (القالبي ١٩٢٦م، ١٣٤٤هـ)، الجزء: (٢)، ص: (٦٣)

السمع بإدراك الأصوات المتقاربة، وهذه الظواهر تسلط الضوء على الطبيعة الديناميكية للغة وكيف تتشكل عبر التفاعل بين الإدراك الحسي والعوامل الصوتية، ففهم هذه الظواهر يتيح لنا تفسير الكثير من التغيرات اللغوية التي تبدو عشوائية ولكنها نابعة من عوامل إدراكية وإنسانية معقدة.^(١)

٢-٦-٨: الاشتقاق كعامل من عوامل الإبدال

يمثل الاشتقاق وبالتحديد ما يُعرف بالاشتقاق الأكبر، أحد العوامل التي يمكن أن تُفسر بعض الظواهر اللغوية التي صنفها البعض ضمن الإبدال الصوتي، رغم أنها في جوهرها ليست كذلك، ويظهر الاشتقاق في الكلمات التي تتشابه في جميع أصواتها باستثناء صوت واحد، ويكون هذا الاختلاف ناتجاً عن عملية الاشتقاق وليس عن الإبدال، ومع ذلك؛ فإن بعض هذه الحالات قد يُفهم خطأ على أنها أمثلة للإبدال الصوتي.

يتجلى الفرق بين الإبدال والاشتقاق في نقطتين رئيسيتين: أولاً، في الإبدال الصوتي، نجد أن الكلمات المتبادلة تحمل معاني متقاربة، مثل "نعق" و"نهق"، إذ يشير كلاهما إلى صوت مستكره (صوت الغراب وصوت الحمار)، ولكن بينهما اختلاف واضح في الأصوات، حيث لا يتطابق حرف "ع" في "نعق" مع أي نظير في "نهق"، ومع ذلك، يتشابهان في المخرج الصوتي، إذ ينتميان إلى أصوات الحلق، أما الاشتقاق، فيُبنى على نظام داخلي يضيف اختلافات صوتية طفيفة ضمن الجذر الواحد، مع الحفاظ على الترابط المعنوي.

(١) (عبدالطوب، التطور اللغوي (مظاهره وعلمه وقوانينه) ١٩٩٧)، ص: (١٠٩)

يرى الباحث أن التمييز بين الإبدال والاشتقاق يعتمد على مدى انتشار التغيير الصوتي، فإذا ظهر هذا التغيير عند فرد واحد فقط، فإن ذلك يُعد عيباً نطقياً فردياً ولا علاقة له بظاهرة الإبدال، أما إذا كان التغيير شائعاً على ألسنة جماعة من المتحدثين، فإنه يُعد جزءاً من نظام اللغة أو اللهجة، وبالتالي يُصنف ضمن الإبدال الصوتي، وبهذا المعنى؛ يكون الانتشار الاجتماعي للتغيير الصوتي معياراً رئيسياً في تصنيفه.

لتأكيد هذا التمييز وتوضيح العلاقة بين الإبدال والاشتقاق، من الضروري دراسة هذه الظواهر في إطار التحليل اللغوي الحديث، ويمكن تحقيق ذلك من خلال تتبع التغيرات الصوتية الشائعة في لهجات عربية معاصرة أو بين متعلمي اللغة العربية من الناطقين بغيرها، ليشمل ذلك رصد وتحليل التبدلات التي طرأت على الصوامت والصوائت، واستقصاء أنماط الإبدال باستخدام أدوات التحليل اللغوي الدقيقة التي وضعها اللغويون القدامى والمحدثون.

إن الجمع بين دراسة الاشتقاق والإبدال في سياقات اللهجات الحديثة يوفر فهماً أعمق لظاهرة الإبدال الصوتي، كما إنه يسلط الضوء على كيفية تطور اللغة العربية عبر العصور، سواء من خلال التغيرات الداخلية الناتجة عن الاشتقاق، أو من خلال التغيرات الاجتماعية التي تؤدي إلى الإبدال الصوتي، حيث إن دراسة هذه العلاقات تساعد في بناء فهم شامل ودقيق لديناميكية اللغة وتفاعلها مع المجتمع.

٢-٦-٩: قوانين التفاعلات الصوتية

يمثل التطوّر الصوتي من خلال قوانين التفاعل الصوتية عاملاً جوهرياً في ظاهرة الإبدال الصوتي، ليس فقط في نشأة اللهجات، بل في تطور اللغة ذاتها، وهذا التطور يرتبط بدوافع وأسباب لغوية، من أبرزها تفاعل الأصوات داخل الكلمات وما يصاحبه من تغيّرات تركيبية وأبرزها إبدال صوت بصوت آخر، ويمكن تلخيص قوانين هذا التفاعل الصوتي فيما يلي:

٢-٦-٩-١: قوانين التفاعلات الصوتية في الصوامت

يتجلى تأثير الأصوات المتجاورة في تشكيل تراكيب لغوية مريحة نطقياً، حيث تسعى اللغة إلى تحقيق الانسجام بين الأصوات وتجنب الثقل النطقي، ويؤدي ذلك إلى ظهور ثلاث ظواهر رئيسية تحكم تفاعلات الأصوات.^(١)

أ. قانون المماثلة:

ينشأ قانون المماثلة عندما تتأثر الأصوات المتجاورة ببعضها لتحقيق التجانس، فإذا اجتمع في الكلمة صوتان متناقضان في الصفات، يحاول أحدهما أن يُماثل الآخر في بعض أو كل خصائصه، مثل: في العربية، تُبدل تاء الافتعال إلى دال أو طاء عند التأثر بالصوت المجاور، مثل "ادتكر" التي تصبح "ادّكر"، و"اطتلب" التي تصبح "اطّلب".

تُصنّف المماثلة إلى أنواع، مثل:

- مماثلة تقدّمية إذا أثر الصوت الأول في الثاني.

(١) (الأنطاكي، الوجيز في اللغة ١٩٦٩م- ١٣٨٩هـ)، ص: (٢٧٠)

- مماثلة رجعية إذا أثر الصوت الثاني في الأول.^(١)
- مماثلة كلية عند تطابق الأصوات تماماً، أو جزئية إذا كان التأثير مقتصرًا على بعض الصفات.^(٢)

ب. قانون المخالفة:

على العكس من المماثلة، ينشأ قانون المخالفة عندما يؤدي تشابه الأصوات المتجاورة إلى ثقل نطقي، فيُغير أحدهما ليصبح مختلفاً عن الآخر،^(٣) مثل: في الكلمات التي تحتوي على تضعيف، يتم تغيير صوت مكرر، كما في "قضضت" التي تصبح "قضيت"، و"جدل" التي تصبح "جندل"، ويجدر بالذكر أن الأصوات المائعة مثل الراء، اللام، النون، والميم هي الأكثر تأثراً بالمخالفة.

ج. القلب المكاني:

يشير القلب المكاني إلى تبديل مواقع الأصوات داخل الكلمة مع الاحتفاظ بمعناها،^(٤) مثل: "جذب" و"جبد"، و"ضب" و"بض"، فالعرب استخدموا هذا القانون بشكل واسع في لهجاتهم، كما يظهر في قول ابن فارس: "عُط" التي قلبت من "عُطَل".^(٥)

(١) (عبدالتواب، التطور اللغوي) (مظاهره وعلله وقوانينه) (١٩٩٧)، ص: (٢٢)

(٢) (الأنطاكي، الوجيز في فقه اللغة ١٩٦٩ م- ١٣٨٩ هـ)،

(٣) (ابن جني، الخصائص ١٩٥٨)، الجزء: (٢)، ص: (١٤٠)

(٤) (الجندي ١٩٨٣ م)، الجزء: (٢)، ص: (٦٤٧)

(٥) (أ. سيوييه ١٩٩١ م- ١٤١١ هـ)، الجزء: (٣)، ص: (٤٦٧-٤٦٨)

٢-٦-٩-٢ : قانون المماثلة والمخالفة في الصوائت

تتأثر الصوائت (حركات المد) أيضاً بالتفاعلات الصوتية داخل الكلمة، حيث تسعى لتحقيق الانسجام الصوتي وتجنب الثقل النطقي.

(أ) المماثلة في الصوائت: تنشأ المماثلة الصوتية في الصوائت عندما يؤثر صوت متحرك على صوت مجاور له، مما يؤدي إلى تقارب أو تطابق بين الحركات المتجاورة بهدف تسهيل النطق وتحقيق الانسجام الصوتي، وتعدّ هذه الظاهرة جزءاً من الميل العام في اللغة إلى التوازن الصوتي، حيث تسعى الأصوات إلى تقليل التنافر وتحقيق الانسيابية في النطق.

تحدث المماثلة وفق آليتين رئيسيتين:

- مماثلة تقدمية: حيث تؤثر الحركة الأولى على الثانية، مما يؤدي إلى انسجامهما صوتياً.
- مماثلة تراجعية: حيث تؤثر الحركة اللاحقة على الحركة السابقة، مما يجعل النطق أكثر سلاسة.

مما يجعل المماثلة في الصوائت جزءاً من آليات التغيير اللغوي عبر الزمن، وتعدّ هذه الظاهرة مجالاً مهماً في علم الفونولوجيا التاريخي لفهم تطور الأصوات في العربية واللغات الأخرى.

(ب) المخالفة في الصوائت

على غرار الصوامت، تحدث المخالفة بين الصوائت عندما يؤدي التشابه بين حركتين متتاليتين إلى تغيير إحداهما لتصبح مختلفة عن الأخرى، ومثاله: في نون المثنى، التي كان أصلها الفتح، تميل إلى الكسر لتجنب الثقل الناتج عن حركتين متشابهتين، كما يظهر في قول حميد بن ثور: "على أحوذَيْن

استقلّت عشيّةً فما هي إلا لحظة وتغيّب" ^(١) وقد عرف اللغويون العرب القدامى هذا القانون وسمّوه "التناسب" أو "المشكلة" ^(٢).

يُعد التطوّر الصوتي وقوانين التفاعل الصوتي من الظواهر الأساسية التي تفسر الإبدال في اللغة، سواء أكان ذلك عبر قوانين المماثلة، المخالفة، أو القلب المكاني، فإن هذه الظواهر تُظهر سعي اللغة نحو التيسير الصوتي وتحقيق الانسجام النطقي، ولا تقتصر هذه القوانين على الصوامت فقط، بل تمتد إلى الصوائت، ما يبرز شمولية تأثيرها في تشكيل بنية الكلمة، لذا فدراسة هذه القوانين تقدم فهماً أعمق لآليات تطور اللغة وتفاعل أصواتها، مما يعكس حيوية اللغة العربية وتكيفها عبر العصور.

٢-٧: الإبدال في علم الأصوات الطبيعي

لتفسير هذه الظاهرة بشكل أشمل كان لابد من البحث والتدقيق في الدراسات الحديثة حول العوامل والدواعي والأسباب والتصنيفات لهذه الظاهرة، وقد وجد الباحث دراسات حديثة تنطبق نتائجها ونظرياتها على الظاهرة موضوع البحث، من خلال علم الأصوات الطبيعية، الذي يُعتبر مجالاً مهماً في فهم كيفية تطور الإنسان في تحقيق استخدام الصوت للتواصل والإدراك، حيث يُقدم العالم (ستامبي) نظرة تفترض أن الإنسان منذ طفولته يُعود إلى العمليات الطبيعية في تطور النظام الصوتي لديه، تُعتبر العمليات اللغوية الصوتية -حسب فرضيته- متأصلة في الأطفال،

(١) (الحمزاوي ١٩٨٠م-١٤٠٠هـ)

(٢) (ابن يعيش، شرح المفصل للزمخشري ٢٠٠١م-١٤٢٢هـ)، ص: (١٢٥٨)

وبالتالي فهي تُقدم لهم نظاماً صوتياً خاصاً، تُشير هذه العمليات الصوتية اللغوية إلى أن الأنماط الصوتية التي يستخدمها الأطفال لها دوافع طبيعية، مثل السهولة في التحدث وكذا سرعة الإدراك، وهذه الدوافع تُقدم من خلال الميلول الصوتي المستقل عبر اللغات.^(١)

يرى علم الأصوات الطبيعي فيما يخص اكتساب اللغة بأن الأطفال يولدون ولديهم إمكانية الوصول إلى اللغة، أي أن الدوافع فطرية، حيث يمتلكون مجموعة كاملة من العمليات الصوتية اللغوية العالمية، عندما يكتسبون لغتهم الأم، ويرى علم الأصوات الطبيعي بأن الأطفال يقيّدون العمليات الصوتية اللغوية الفطرية، ويحدّون منها بشكل منهجي وفقاً للنظام الصوتي المحدد في لغتهم الأم، أما العمليات التي لم يتم تعديلها تستمر في العمل في كلام الطفل، إذن فحسب هذا العلم فاللغة ونظامها الصوتي موجود بشكل أو بآخر بشكل فطري أوجده الله فينا، إلا أن اللغة الأم تحجم هذا النظام، وتجعله محدود بإطار اللغة الأم، وما يثبت ذلك هو الأنماط الشائعة التي تظهر في لغة الطفل.

إن الاستحواذ الصوتي الناجح للغة الأم لدى الأطفال؛ يقوم تثبيط العمليات اللغوية الصوتية التي تطابق القواعد الصوتية للبالغين، مع أن هذا يتناقض مع القواعد الصوتية، والتي هي لغة محددة ويجب أن يتعلمها الطفل من خلال التعلم والممارسة.

إن العلاقة بين العلامة وعلم الأصوات الطبيعية مهمة، فالظواهر الصوتية الملحوظة التي لا تفضلها العمليات الصوتية الطبيعية، والتي تجعلها كعيوب أو عدم احتراف كإبدال الأصوات،

(١) (Asare and Orfson-Offei 2023)

وتغيير المخارج وغيرها بسبب صعوبة بعض الأصوات من قبل الطفل في تعلم لغته الأم، أو الصعوبة في بعض الأصوات التي يتعلمها متعلمو اللغة الثانية، على سبيل المثال؛ الحروف الساكنة المعقدة في اللغة الإنجليزية لدى طلاب اللغة الإنجليزية الناطقين بغيرها، إذ إنه غالباً ما يتم تبسيط المجموعات المميزة من قبل الأطفال، والتي تعكس العمليات الصوتية الطبيعية، وبالمثل فإن وجود أصوات معينة فقط في بيئات لغوية أكثر تعقيداً يتوافق مع الآداب والعلوم الإنسانية.^(١)

إن فكرة هذه الأصوات مميزة وإن الحصول عليها واستخدامها مقيد بطبيعة العمليات الصوتية اللغوية، ومع ذلك فإن هناك حالات يبدو فيها علم أصوات الأطفال أكثر طبيعية من لغة البالغين، كتناغم الحروف الساكنة، وهو أمر شائع في لغة الأطفال، حيث يمكن أن يؤثر على المخرج الأساسي للنطق ولكن هذا نادراً ما يحدث في لغة البالغين.

يكمن الاختلاف الرئيسي بين العلامة وعلم الأصوات الطبيعية في تركيزهما وتطبيقهما، من خلال إن العلامة توفر إطاراً مقارناً يساعد اللغويين على فهم التعقيد النسبي، والقواسم المشتركة للعناصر الصوتية عبر اللغات الأم واللغات المكتسبة، حول خصائص العناصر الصوتية نفسها، وفي المقابل يركز علم الأصوات الطبيعية على العمليات التي يستخدمها الأطفال لإدارة هذه العناصر أثناء تعلمهم اللغة، فهو أكثر دراية بالجوانب الديناميكية لكيفية تفاعل الأطفال مع بيئتهم اللغوية أثناء عملية الاكتساب وقت عملية نشوئها، ومع ذلك فإن هذين المفهومين ليسا منفصلين أو متضادين تماماً؛ بل يكمل كل منهما الآخر في مجال دراسة الاكتساب الصوتي، حيث يمكن أن يفسر الأول

(١) (van de Weijer 2017)

سبب وجود سمات صوتية معينة تعتبر أكثر صعوبة على مستوى العالم، وبالتالي يتم تجنبها أو تبسيطها للأطفال، في حين أن علم الأصوات الطبيعي يصف العمليات المحددة التي تحدث من خلالها هذه التبسيطات، فهما يقدمان معاً نظرة شاملة لكيفية تطوير الأطفال لأنظمتهم الصوتية، مع مراعاة كلٍ من خصائص العناصر الصوتية والاستراتيجيات العالمية التي تُستخدم من قبل الأطفال لاكتساب لغتهم الأم، بينما يقدم علم الأصوات الطبيعية نظرة ثاقبة للعمليات العالمية التي توجه اكتساب الصوتيات حسب فرضية النمط الصوتي البديل (SPP)، التي اقترحها البحث الصوتي الجديد، الذي يركز بشكل خاص على الأنماط المنهجية للاستبدال الصوتي التي لوحظت لدى الأطفال من متعلمي اللغة الثانية.^(١)

٢-٧-١: فرضية استبدال النمط الصوتي

تشير فرضية استبدال النمط الصوتي (SPP) إلى أن أنماط الاستبدال الصوتي ليست عشوائية، ولكنها استجابات منهجية للتحديات التي يواجهها المتعلم أثناء اكتسابه للغة ثانية أو لغة أجنبية، بسبب الصوت والصورة، والتفاوتات النطقية بين اللغة الأم واللغة الثانية، وكذا طريقة اكتسابه للغة الثانية وأثر معلمه في تلقيه أصوات اللغة الثانية.^(٢)

إذا ما دققنا النظر في تعريفات اللغة الأم، واللغة الثانية واللغة الأجنبية، نرى أن الأبدال الصوتية يتعرض لها متعلمو اللغة الأجنبية بشكل أكثر، فاللغة الأم هي المحددة للنظام الصوتي والمقيدة له حسب علم الأصوات الطبيعية، الذي يرى أن الطفل يولد ولديه كل الأنظمة اللغوية العالمية، أما

(١) (Maiden 2018)

(٢) (Asare and Orfson-Offei 2023)

اللغة الثانية فهي تكون أقل كفاءة خاصة إذا اختلفت أصوات اللغة الأم عن اللغة الثانية المكتسبة حديثاً، إلى جانب الاختلافات التي تكون في البيئة الصفية أثناء تعليم الطفل من قبل معلم لا يجيد أصوات اللغة الثانية التي يعلمها، وغيرها من المشاكل، وبهذا يكون المتعلم أكثر عرضة للاستبدال الصوتي أثناء تحدثه باللغة الثانية، ولكن ما يساعد في تعديل هذه اللغة هو ممارسته لها في أرض الواقع، ولا يقتصر وقت ممارسته وتعلمه لهذه اللغة في البيئة الصفية، أما اللغة الأجنبية فهي التي ينالها وافر الحظ من الاستبدال الصوتي، لدى متعلميها كلغة أجنبية، فممارستها تكون محصورة في الفصل الدراسي، ومقيدة بما يلتقطه الطالب من معلمه بالنسبة للنظام الصوتي، كما أن المعلم قد يؤثر بشكل مطرد بخصوص الاستبدال الصوتي لدى المتعلم للغة الأجنبية، خاصة إذا لم يكن ناطقاً باللغة الأجنبية، كما أن متعلم اللغة الأجنبية يحرم من تعديل الأبدال الصوتية بسبب عدم ممارسته للغة في الواقع، أو عدم اتصاله بأهل اللغة الناطقين بها، وهي هنا اللغة العربية.^(١)

يتعلم أكثر من مائة ألف طالب هندي -حسب إحصائية قام بها الدكتور صهيب عالم- اللغة العربية من الناطقين بغيرها، حيث يتعلمونها كلغة أجنبية، وتنطبق عليهم نظريات علم الصوت الطبيعي، فهم يدرسون اللغة العربية في الفصول الدراسية، ولا يستطيعون ممارستها في الواقع لأن لا يوجد ناطقون بها كلغة أولى، كما أن معظم الجامعات والمدارس الدينية، تهتم بها كجانب ديني، لتعليم القرآن الكريم، أو أحاديث الذكر والموعظة، ومما يؤخذ على أغلب تلك المدارس وحتى الجامعات أنهم لا يدرسون اللغة العربية باللغة العربية، حيث يدرسونها باللغة المحلية على

(١) (Alanazi 2024)

اختلافها، وبهذا يحرم المتعلم من اكتساب الأصوات بشكل احترافي، فيكون معرضاً للإبدال الصوتي أثناء ممارسته للغة العربية.

تتضمن هذه الدراسة على إطار يتبع علم الأصوات الطبيعية، مما يوحي بأن أنماط الاستبدال هذه هي عمليات صوتية طبيعية؛ تعكس الدوافع الصوتية للمتعلمين الناطقين بغيرها، مع الأخذ بالاعتبار أن هذه الأبدال موجودة بطبيعتها لدى معظم متعلمي اللغة العربية كلغة أجنبية في الهند، إلا أنه يتم تعديلها أو قمعها -تدريجياً- أثناء عملية التعليم لأشياء محددة كالقواعد الصوتية للغة الثانية أو الأجنبية.^(١)

في دراسة حديثة بعنوان: (أنماط صوتية للاستبدال في الخطاب الإنجليزي للأطفال الغانين)؛ أجريت على مجموعة من ثلاثين طفلاً في مرحلة ما قبل المدرسة الذين يتحدثون العديد من اللغات الغانية كلغة أولى، أثناء عملية اكتسابهم اللغة الإنجليزية، كلغة ثانية، حيث تم تسجيل نطق اللغة الإنجليزية للمتعلمين للغة الإنجليزية هناك كلغة ثانية، وتحليلها وتفسير كيفية انتقالهم في نطق الأصوات الإنجليزية التي تمثل تحدياً بالنسبة لهم بسبب الاختلاف في النظم الصوتية للغتهم الأم (اللغات الغانية) واللغة الثانية (اللغة الإنجليزية).

إن العوامل المؤثرة في حدوث استبدال النمط الصوتي في نطق متعلمي اللغة الثانية، تتمثل في (غياب أصوات محددة في اللغة الثانية عن تواجدها في اللغة الأم، كما تتمثل في مرحلة نمو الأعضاء المفصلية للمتعلمين للغة الثانية حسب أعمارهم، وقد أظهر الأطفال الأكبر سناً حالات أقل

(١) (Badawi 1985)

للاستبدال، مما يدل على مسار النمو في اكتساب الصوتيات حيث يصبح الأطفال أكثر كفاءة في نطق أصوات اللغة الثانية مع تقدمهم في السن ويتلقون مزيداً من الممارسة.

على الرغم من أن فرضية استبدال النمط الصوتي (SPP) التي وضعها (Asare and Orfson-Offei 2023) في المقام الأول، يتناول اكتساب اللغة الثانية لدى الأطفال، ويدمج مفهوم العلامة مع مهارات متعلمي اللغة الثانية، تنطبق نظريتهم على متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها في الهند، فمتعلمو اللغة العربية الهنود ينحدرون من لغات أم مختلفة، ويدرسون اللغة العربية كلغة ثانية، ونتائج هذه النظرية تنطبق على دراسة هذا البحث شكلاً ومضموناً، ففرضية استبدال النمط الصوتي (SPP) أساساً لفحص أنماط الاستبدال الصوتي في اللغة الثانية من حيث عامل اكتساب اللغة.

٢-٧-٢: اكتساب اللغة الأم

لفهم تأثير اكتساب اللغة الثانية، يتعين علينا أولاً استيعاب كيفية اكتساب اللغة الأم، فالطفل يتعلم لغته الأم في بيئته الطبيعية بفضل امتلاكه لما يُعرف بـ "الملكة اللغوية" أو الاستعداد الفطري لاكتساب اللغة، ويشمل هذا الاستعداد الفطري مجموعة من العوامل، أبرزها التكوين الجسدي، الذي يتمثل في سلامة جهاز النطق وقدرته على أداء وظيفته، إضافة إلى جهاز السمع الذي يضطلع بدور محوري في تنظيم الأصوات الواردة والصادرة وضبطها، كما يتضمن الاستعداد العقلي، الذي يمكن الدماغ من أداء وظائفه المتعلقة بتنظيم حركات الفم والحلق، وتمييز الأصوات وفرزها، والاستفادة من المعلومات السمعية، بالإضافة إلى القدرة على تذكرها وفهم المشاعر والأحاسيس

المرتبطة بها، علاوة على ذلك؛ يلعب الاستعداد الفطري دوراً جوهرياً في تمكين الطفل من تقليد الآخرين ومحاكاتهم، سواء من خلال ترديد الأصوات أو نطق الكلمات المسموعة.^(١)

وعندما تلتقي اللغة بالفكر ضمن إطار هذا الاستعداد الفطري، يبدأ الطفل تدريجياً في استكشاف خصائص اللغة وفهم أهدافها ووظائفها وعلاقتها بعالمه الصغير، فينشأ في تفاعل دائم مع أبويه وأفراد أسرته والمحيطين به، حيث يسمع استعمال المفردات في سياقاتها المختلفة، وكما يشير ابن خلدون، فإن الطفل يتعلم أولاً المفردات ومعانيها من خلال التلقين، ثم ينتقل تدريجياً إلى سماع التراكيب اللغوية بعد تلقين المفردات، ليصبح هذا السماع عملية متجددة في كل لحظة ومن كل متحدث، ومع تكرار سماعه للغة واستعماله لها، تتحول هذه العملية إلى ممارسة مستمرة حتى ترسخ في ذهنه كـ"ملكة" أو صفة دائمة، وهكذا؛ يتمكن الطفل من التحدث بهذه اللغة كما لو كانت طبيعية لديه، مما يوضح الكيفية التي تنتقل بها اللغات والألسن من جيل إلى جيل، وفقاً للآليات الاجتماعية والثقافية التي أشار إليها ابن خلدون،^(٢) وبذلك تصبح عملية اكتساب الطفل للغة القومية عملية متزامنة ومتراصة مع اكتسابه للعادات والممارسات والتقاليد الأسرية والاجتماعية، ويتم هذا التداخل ضمن إطار ما يُعرف بالعلاقات المثيرة والاستجابات، وهو منظور يؤكد عليه اللغويون السلوكيون أمثال جون واطسون (John Watson) وبورهوس سكينر (B.F. Skinner).

وفقاً لهذا النهج السلوكي؛ يتعلم الطفل اللغة من خلال التفاعل مع بيئته، حيث تعتمد عملية التعلم على المحفزات (Stimuli) التي يواجهها الطفل، وردود أفعاله أو استجاباته (Responses) لتلك

(١) (فهي ١٩٩٨ م)، ص: (٢٨-٩)

(٢) (ابن خلدون ١٩٠٠)، الجزء: (٣)، ص: (٢٩٧-٢٩٨)

المحفزات، فهذه الاستجابات يتم تعزيزها أو تثبيتها تبعاً لتكرارها وللنتائج التي تترتب عليها، مما يسهم في ترسيخ السلوكيات اللغوية والاجتماعية كجزء من منظومة التعلم التكيفي التي تشكل أساس نمو الطفل اللغوي والاجتماعي.^(١)

يُلاحظ أن حدوث عملية اكتساب اللغة واستمرارها يظل مشروطاً بوجود الدائقة الطبيعية أو الملكة اللغوية لدى الطفل، وكما أن نشاط هذه العملية ودرجة تطورها وتأثيرها تتأثر بما يُتاح لها من فرص للتواصل والاحتكاك الاجتماعي سواء في الإطار الخاص (كالأسرة) أو العام (كالمجتمع)، إضافة إلى ما يُقدّم من فرص للتلقين أو التعليم، فضلاً عن الاستعداد الذهني المتوفر لدى الطفل. تتعدد مجالات اكتساب اللغة، كما يشير ابن فارس (ت ٣٩٥هـ)، حيث يوضح أن اللغة تُكتسب بطرق مختلفة، إذ يقول: "هي تؤخذ كالصبي العربي يسمع أبويه وغيرهما، فهو يأخذ اللغة عنهم على مر الأوقات، وتؤخذ تلقناً من ملقن، وتؤخذ سماعاً من الرواة الثقات ذوي الصدق والأمانة"، بناءً على ذلك؛ يمكن القول إن اكتساب اللغة يعتمد على المعايضة الاجتماعية لأبناء اللغة، بمختلف مشاربهم وخلفياتهم.

(١) (الدنان ١٩٨٦م)

٢-٧-١ : مراحل نمو لغة الطفل

أوضح عالم اللغات والصوتيات الدنماركي أوتو يسبرسن (Otto Jespersen) (ت ١٩٤٣ م)، الذي يُعدّ مرجعاً بارزاً عالمياً في قواعد اللغة الإنجليزية، أن نمو لغة الطفل يمر بمراحل محددة، وهي:

- **المرحلة الأولى: مرحلة "الصياح":** تعد هذه المرحلة البداية الحقيقية للغة عند الطفل

الوليد، لكنها ليست الصياح بالمفهوم المعتاد، بل تشمل الشهقات والزفرات التي تدل على حياته، وهي أول أشكال نشاطه الحيوي.

- **المرحلة الثانية: "المنغاة":** تتسم هذه المرحلة بإنتاج نسيج صوتي بسيط مكون من ثلاثة

أصوات رئيسة تظهر في صباح الوليد، فهذه الأصوات تتضمن اختلاط الفتحة بشيء من الأنفية، ما يجعلها قريبة من صوت النون، ومع بعض الاحتكاك الصوتي تصبح أقرب إلى الغين، وتُظهر هذه المرحلة إمكانيات الطفل الاشتقاقية، حيث يعكس الفعل "ناغى" هذه الأصوات محملة بدلالاتها الصوتية.^(١)

- **المرحلة الثالثة: "البأبة":** سُميت بهذا الاسم بناءً على ملاحظة أن أول صوت يلعب به

الطفل في بداية نضجه هو صوت الباء، ويُعد هذا الصوت شائعاً بين جميع الأطفال دون استثناء، وقد يصاحب الباء أصوات أخرى مثل التاء، الميم، الحاء، الخاء، أو الكاف، لكن المهم أن الباء هي الصوت الذي يبرزه الطفل أولاً، ويحفز المحيطون به هذه المحاولة بالتشجيع، مما يدفع الطفل إلى تكرار هذا الصوت المحبب مراراً.^(٢)

(١) (شاهين، في علم اللغة العام ١٩٨٤ م)، ص: (٨٦)

(٢) المرجع نفسه، ص: (٨٦)

تُظهر هذه المراحل تصوراً دقيقاً لنمو لغة الطفل من مرحلة النشاط الفطري إلى مرحلة التقليد والتفاعل مع المحيط، مما يؤكد أهمية السياقات البيئية والاجتماعية في دعم التطور اللغوي للطفل

وفقاً لجسبرسن (Jespersen)، يبدأ الطفل في مرحلة المناغاة باكتساب خصائص التنغيم (intonation) الخاصة باللغة السائدة في محيطه، ويتجلى ذلك في محاكاة ارتفاع وانخفاض طبقات الصوت أثناء الكلام، ثم ينتقل تدريجياً إلى الاستجابة لأصوات الآخرين وإصدار أصوات مشابهة لها، ومع الوقت؛ يبدأ الطفل بإنتاج أصوات محددة يستخدمها بشكل متكرر للتعبير عن معانٍ أو مواقف معينة.

عندما يتجاوز الطفل الشهور السبعة الأولى، تتحول هذه المناغاة إلى مقاطع صوتية (syllables)، ثم إلى كلمات واضحة، ففي هذه المرحلة؛ يعبر الطفل عن أفكار أو جمل كاملة باستخدام كلمة واحدة فقط تُدرك دلالتها ضمن السياق الأسري أو الاجتماعي، فعلى سبيل المثال، قد يعبر الطفل عن جملة "أريد ماء" بقول كلمة "ماء" فقط، أو يعبر عن رغبته في ركوب السيارة مع والده باستخدام كلمة "سيارة" أو لفظة تحتوي بعض حروفها.

يُعد التقليد والمحاكاة (imitation) عنصراً أساسياً في هذه العملية، حيث يعتمد الطفل على تقليد الأصوات والكلمات المحيطة به، ومع تطور قدرته على المحاكاة، يستمر هذا التأثير في دعم نموه اللغوي، مما يساعده على اكتساب مفردات جديدة واستخدامها في سياقات مختلفة، ويبرز هذا

التطور التدريجي الدور المحوري للتفاعل الاجتماعي والبيئة اللغوية في تشكيل مهارات الطفل اللغوية.^(١)

في عمر السنتين؛ يبدأ الطفل في اكتساب القدرة على فهم العلاقات النحوية بين عناصر الجملة، كما يبدأ في استيعاب الخصائص الدلالية للمفردات المكونة لها، مما يساهم في تطور مهاراته اللغوية وقدرته على بناء تراكيب أكثر تعقيداً تدريجياً، وفي هذه المرحلة؛ يبدأ الطفل بتكوين الجملة ذات الكلمتين (Two-word sentences) مثل "أريد ماء"، ثم ينتقل تدريجياً إلى تكوين جمل أطول تحتوي على ثلاث كلمات، ثم أربع، فخمس كلمات، مع مرور الوقت، فهذا التطور التدريجي يقرب تعبيرات الطفل وجمله من مستوى جمل البالغين، حيث تنمو لديه بشكل ضمني المعرفة بقواعد اللغة (Grammar) وأسس تركيب الكلمات.

يرى بعض علماء اللغة أن قدرة الطفل على اكتساب اللغة تصل إلى ذروتها قبل سن الخامسة، إذ تكون المرونة العصبية (Neuroplasticity) للجزء المسؤول عن اللغة في الدماغ في أوج نشاطها، ومع ذلك؛ يبدأ هذا النشاط بالانخفاض تدريجياً بعد سن البلوغ، حيث يفقد هذا الجزء بعضاً من مرونته، مما يجعل تعلم اللغات الجديدة أكثر تحدياً.

على الرغم من ذلك؛ فإن هذا التراجع في المرونة لا يعني توقف عملية اكتساب اللغة أو انقطاعها عند عمر معين، ويمكننا تعريف اكتساب اللغة (Language acquisition) بأنه: عملية مستمرة تمتد

(١) (خليل ١٩٨٦م)، ص: (٨٢)

طوال الحياة، حيث يمكن للإنسان تعلم مفردات وقواعد جديدة وتحسين مهاراته اللغوية في أي مرحلة عمرية، وإن كان ذلك بوتيرة أبطأ مقارنة بمرحلة الطفولة المبكرة.^(١)

يبدأ الطفل في اكتساب الكلمات ضمن إطار اكتسابه العام للغة منذ طفولته المبكرة، حيث يدرك أولاً وقع أصوات الكلمات قبل أن يستوعب معانيها التي ترمز إليها، ثم يبدأ تدريجياً بفهم هذه المعاني قبل أن يتمكن من نطق الكلمات والتعبير بها عن احتياجاته وأشياءه، وقد يتأخر نطق الكلمات لدى بعض الأطفال حتى الشهر العاشر أو الثاني عشر، حيث يظل الطفل في مرحلة الكلمة الواحدة أو الاكتفاء بالمقاطع الصوتية البسيطة، ورغم ذلك يكون قد فهم بعض الكلمات التي يسمعها من محيطه، فيبدأ الطفل بالتقاط الكلمات ومعانيها العامة أولاً، إذ تكون مفاهيمه الأولية شديدة العمومية، فيطلق على أي رجل يشبه والده في الهيئة أو اللباس مسمى "أب"، وعلى كل زهرة بمختلف ألوانها وأحجامها "زهرة"، ولكن مع تقدمه في العمر وتراكم خبراته، يبدأ بتمييز الفروق الدقيقة بين الأشخاص والأشياء، فيدرك مثلاً الفارق بين والده والرجال الآخرين، ويتعلم أسماء الأنواع المختلفة من الزهور.

تشير الدراسات إلى أن عملية اكتساب الطفل للمفردات والنظام الصوتي تبدأ بطيئة وضعيفة في المراحل الأولى من عمره، لكنها تتسارع بشكل ملحوظ بعد ذلك؛ خلال الثمانية عشر شهراً الأولى، تتراوح حصيلة الطفل بين ثلاث كلمات وخمسين كلمة فقط، ومع بلوغه سنتين ونصف السنة، يصل عدد الكلمات التي يعرفها إلى حوالي أربعمئة كلمة، حيث يضيف إلى مخزونه اللغوي كلمات

(١) (هجمان ١٩٨٩م)، ص: (١٠٦)

جديدة يومياً، وعند بلوغه سن الثالثة، تصل حصيلته إلى حوالي ألف كلمة في المتوسط، وتستمر هذه الزيادة مع تقدمه في العمر واتساع خبراته وتفاعله مع محيطه، فهذا النمو اللغوي يتأثر بعوامل عدة، أبرزها المحيط الأسري الذي يلعب دوراً حاسماً من خلال الألفاظ المتداولة فيه، مثل كلمات النصيح، التشجيع، الزجر، أو الأمر، كما تعتمد طبيعة الكلمات التي يكتسبها الطفل على ما يشيع استخدامه في البيئة المحيطة وما يشد انتباهه من أشياء وأنشطة متكررة.

من الجدير بالذكر أن اكتساب الطفل للغة لا يقتصر على استخدام الكلمات فحسب، بل يرتبط أيضاً بفهم لغة الراشدين واستجابته لها قبل أن يتمكن من استخدامها، إذ يتجاوب الطفل مع الألفاظ والمقاطع التي يسمعه، ويستجيب لها استجابات مناسبة قبل أن يستطيع توظيفها في حديثه بدقة، ومع اتساع محيط الطفل الاجتماعي، تزداد حصيلته اللغوية، حيث يكتسب الكلمات والتراكيب من أقرانه في اللعب، ورفاقه في المدرسة، ومدرسيه، ثم مما يقرأه مكتوباً في الكتب أو الصحف عندما يصبح قادراً على القراءة، وهذا التوسع في المفردات يتطور بصورة مستمرة مع ازدياد اختلاطه بالآخرين وكثرة ما يسمعه من أحاديث وصيغ وعبارات، مما يساهم في ترسيخ لغته وصقلها على مدى مراحل حياته المختلفة.

٢-٧-٢-٢: تأثير اللغة الأم على ظاهرة الإبدال

يُعد تأثير اللغة الأم أحد العوامل الأساسية التي تؤثر على عملية تعلم اللغات الأجنبية، بما في ذلك اللغة العربية، فمن خلال علم الأصوات الحديث، يتضح أن تعليم العربية للناطقين بغيرها يتطلب انغماساً كاملاً في بيئة اللغة المستهدفة، وهو أمر لا يمكن تحقيقه بالتعليم المدرسي التقليدي وحده،

بل يحتاج إلى تفاعل مستمر مع الناطقين الأصليين، سواء في المنزل، أو بيئات تعليمية طبيعية، أو عبر تقنيات المحاكاة والتواصل الافتراضي.

٢-٧-٢-٢: تحديات متعلمي اللغة العربية بسبب تأثير لغتهم الأم

يهدف معظم متعلمي اللغة العربية، وخصوصاً المبتدئين، إلى إتقان مهارات المحادثة، لكن هذا الهدف لا يتحقق دون بناء قاعدة لغوية متينة تشمل:

- النحو والصرف.
 - الإملاء والتراكيب اللغوية.
 - النظام الصوتي للعربية.
- ومع ذلك، فإن المتعلمين غالباً ما يواجهون صعوبات في المرحلة الأولى من تعلمهم، مثل:
- صعوبة فهم الكلمات والجمل المقدمة في الصف الدراسي.
 - مشكلات في التمييز بين الأصوات العربية غير الموجودة في لغاتهم الأم.
 - نطق غير دقيق بسبب التأثيرات الصوتية والفيزيولوجية للغتهم الأصلية.

٢-٧-٢-٢: التداخل اللغوي وأثره في الإبدال الصوتي

لمواجهة هذه الصعوبات، يلجأ العديد من المتعلمين إلى ترجمة الكلمات والمفاهيم إلى لغتهم الأم، مما يؤدي إلى تداخل لغوي (Language Interference).

مفهوم التداخل اللغوي

التداخل اللغوي يحدث عندما يُسقط المتعلم أنماط لغته الأصلية على اللغة المستهدفة، مما يؤدي إلى:

- إبدالات صوتية غير متوقعة بسبب عدم التمييز بين الفروقات الصوتية بين اللغتين.
- استخدام غير دقيق للتركيب النحوية والصرفية.
- تأثير أنماط النطق من اللغة الأم على إنتاج الأصوات العربية.

ومن الأمثلة على الإبدال الصوتي الناتج عن التداخل اللغوي

- المتعلمون الهنود قد يبدلون الصوت العربي "ق" بالصوت "ك" (قال يقال كال).
- إبدال "ح" بـ "هـ" عند الناطقين ببعض اللغات الآسيوية (حياة يقال هياة).
- عدم التمييز بين "ذ" و "د" عند بعض الناطقين باللغات التركية والفارسية (ذهب يقال دهب).

٢-٧-٢-٣: استراتيجيات معالجة تأثير اللغة الأم

لتقليل تأثير التداخل اللغوي وتحسين النطق الدقيق للغة العربية، يجب التركيز على استراتيجيات فعالة في تعليم النطق والتواصل، ومنها:

أ. تعزيز التعرض الطبيعي للغة العربية

- خلق بيئات تفاعلية طبيعية حيث يمكن للمتعلمين التحدث بالعربية يومياً.

- تشجيع التواصل مع الناطقين الأصليين سواء عبر برامج التبادل اللغوي أو وسائل التواصل الافتراضية.

- استخدام المحاكاة الصوتية والمواقف الواقعية لمساعدة المتعلم على التكيف مع النظام الصوتي العربي.

ب. التدريب الصوتي المكثف

- إجراء تدريبات على التمييز بين الأصوات المتشابهة في العربية واللغة الأم.
- استخدام التقنيات الحديثة مثل الذكاء الاصطناعي والتطبيقات اللغوية التي تقدم نماذج صوتية دقيقة لنطق الأصوات.
- الاعتماد على أساليب اللسانيات الإدراكية لفهم كيفية استقبال المتعلم للأصوات العربية، وتعديل النطق وفقاً لذلك.

يُعد التداخل اللغوي أحد الأسباب الرئيسية لظهور ظاهرة الإبدال الصوتي عند متعلمي العربية كلغة أجنبية، حيث تؤثر أنماط النطق في اللغة الأم على تعلم النطق الصحيح للأصوات العربية، لكن من خلال تعزيز التعرض الطبيعي للعربية، والتدريب الصوتي المكثف، يمكن تقليل هذه الظاهرة بشكل ملحوظ، مما يساهم في تحسين اكتساب المتعلم للغة العربية بشكل دقيق وفعال.

٢-٧-٣: الإطار النظري للمرحلة العمرية لتعلم اللغة

كشفت الدراسات التي أُجريت على الأطفال في المراحل الأولى من التعليم أن مفرداتهم اللغوية تنمو باستمرار مع مرور السنوات، وإن كانت وتيرة هذا النمو تبدو أحياناً أبطأ مقارنةً بالزيادة الكبيرة التي يكتسبونها قبل دخولهم المدرسة، كما أوضحت النتائج أن عدد المفردات التي ينطق بها الطفل خلال هذه المراحل يفوق عدد الكلمات التي يكتبها، في حين أن حصيلته من المفردات التي يميّزها تفوق تلك التي يستخدمها فعلياً.

وبيّنت الدراسات أيضاً أن الكلمات ذات الثلاثة أحرف تهيمن على مفردات الطفل في السنوات الأولى من المرحلة الابتدائية، بينما تصبح الكلمات الرباعية أكثر شيوعاً في المراحل اللاحقة، كما تبين أن الألفاظ والتراكيب العامية تغلب على الفصحى في المفردات المكتسبة لدى الطفل، ومع التقدم في العمر والتطور العقلي، يزداد مخزون الطفل اللغوي، مما يؤدي إلى تطور تراكيبه اللغوية تدريجياً، لتصبح أكثر تعقيداً ودقة.^(١)

أظهرت الدراسات المشار إليها عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث في كمية المفردات المكتسبة خلال المراحل التعليمية المبكرة، ومع ذلك، كشفت دراسات لغوية أخرى حول النمو اللغوي عند الأطفال عن تفوق الإناث على الذكور في مختلف جوانب التطور اللغوي، بما في ذلك اكتساب المفردات، ولا شك أن هذا التفوق يسهم في زيادة حصيلة الألفاظ المكتسبة لدى الإناث، سواء في المراحل الأولى من النمو اللغوي أو في المراحل اللاحقة.^(٢)

(١) (هرمز ١٩٨٣م)، ص: (٤٨-٣٩)

(٢) (هرمز ١٩٨٣م)، ص: (٣٦)

يرى نعيم تشومسكي أن اكتساب الطفل للغة ومفرداتها في المراحل الأولى من نموه يتم بطريقة تلقائية وعفوية، وذلك لأن ذهنه مهياً فطرياً لإتمام عملية الكلام، كما أن رغبته في إثبات وجوده الاجتماعي تُعدّ دافعاً طبيعياً لهذا الاكتساب، ومع ذلك؛ يبقى مستوى اكتسابه للغة مرهوناً بعدة عوامل، من أبرزها:

- مدى تفاعله مع محيطه وتأثره بالظروف البيئية والاجتماعية المحيطة به.
- طبيعة المثيرات والعوامل التي تدفعه إلى ممارسة اللغة، إلى جانب المحفزات التي تشجعه على استخدامها.
- مدى رغبته في إتقان اللغة وطموحه للوصول إلى مستوى متقدم فيها.
- قدرته الفطرية على فهم المعاني، وتعلم نطق المفردات، ومدى تمتّعه بسرعة ودقة في ملاحظة استخدام الألفاظ في سياقاتها المختلفة.

وبذلك؛ فإن الاكتساب اللغوي ليس عملية ثابتة، بل يتفاوت من طفل إلى آخر تبعاً لهذه العوامل المؤثرة.^(١)

يعتمد مستوى الاكتساب اللغوي لدى الطفل أيضاً على نوعية المفردات التي يسمعها، إلى جانب خصائصها المختلفة، مثل:

- حجم الكلمات وأشكالها، ومدى تعقيدها أو بساطتها.
- وظائف المفردات في الجملة، وأساليب استخدامها في التواصل.

(١) (Chomsky 2006b)، ص: (١٥)

- السياقات اللغوية التي تُوظَّف فيها الكلمات، ومدى تنوعها.
- معدل تكرار الكلمات في البيئة المحيطة، مما يؤثر على ثباتها في الذاكرة.
- طبيعة المدلولات المرتبطة بالمفردات وحجمها ومدى وضوحها.

كما أن المخزون اللغوي للطفل، من حيث محتواه الدلالي، يتأثر بشكل مباشر بالمفاهيم والخبرات السائدة في بيئته، فضلاً عن مدى قدرته على ملاحظة هذه المفاهيم واكتسابها بنفسه، وبالتالي؛ فإن البيئة اللغوية المحيطة تلعب دوراً حاسماً في تشكيل ثروته اللفظية وتوسيع آفاقه المعرفية.^(١)

(١) (خليل ١٩٨٦م)، ص: (٥٩-٨٠)

٢-٧-٣: اكتساب اللغة الأجنبية

تُشير نظرية اكتساب اللغة الثانية، التي قدمها فرومكين وآخرون (Fromkin, Rodman, and Hyams, 2018)، إلى أن متعلمي اللغة الثانية الذين يمتلكون بالفعل لغة أولى (اللغة الأم) – سواء كانوا أطفالاً أو بالغين – يتأثرون بأصوات لغتهم الأم في نطقهم لأصوات اللغة الأجنبية الجديدة، كما تؤكد النظرية على وجود تبادل مستمر ومتفاعل بين اللغة الأم واللغة الأجنبية الثانية، ومن المثير للاهتمام أن هذه النظرية لم تستثن الأطفال الصغار من التأثير، بل اعتبرت امتلاكهم لغة أولى شرطاً أساسياً لقياس هذا التأثير.^(١)

في البيئات الصفية "ثنائية اللغة"، غالباً ما يكون المتعلمون من الأطفال الذين يكتسبون اللغة ومهاراتها بالتزامن مع تطورهم الإدراكي، مما يمنحهم مرونة لغوية عالية، بينما يصبح اكتساب اللغة الثانية أكثر تحدياً عند بلوغ سن الرشد، حيث يعاني البالغون من صعوبة في إتقانها بمستوى مشابه لأولئك الذين تعلموها في طفولتهم؛ إذ يظهر هذا بوضوح في نطقهم، حيث تتداخل قواعد ومهارات اللغة الأم مع اللغة الثانية، مما يؤدي إلى ظهور لهجات أو لكنات خاصة، وعندما يتشارك متعلمو اللغة الثانية ضمن منطقة جغرافية محددة، قد يتطور لديهم "نورم" (Norm) لغوي مشترك يتميز بسمات صوتية مميزة ناتجة عن إبدالات صوتية لأصوات يجدون صعوبة في نطقها، وهي تختلف عن الإبدالات الصوتية الشائعة بين أصحاب اللغة الأم.

(١) (Fromkin, Rodman, and Hyams 2018)

علاوة على ذلك، تتفاوت رغبة البالغين في تعلم اللغة الثانية، مما يؤدي إلى اختلاف مستويات الإتقان بين الأفراد؛ فبينما يحقق البعض مهارات عالية في استخدام اللغة الثانية، يجد آخرون صعوبة في إجادتها، في حين يقف الكثيرون في مرحلة وسط بين الكفاءة والصعوبة، وذلك لأن هذه التباينات تُعزى إلى عوامل متعددة، مثل الدوافع الشخصية، والقدرات اللغوية، والعمر، والعيش في بيئة تستخدم اللغة الثانية.^(١)

يؤكد كل من ميجل سجون (Miguel Sjoan) ووليام مكاي (William McKay) أن الفرد الذي يتعلم لغتين منذ الصغر لا يمكن أن يحتفظ بهما كنظامين لغويين منفصلين تماماً؛ إذ يحدث نوع من التداخل بينهما لصالح اللغة المسيطرة، التي تكون غالباً اللغة الأم، وبما أن اللغة تمثل أداة التفكير الأساسية، فإن التفكير يرتبط بنظام لغوي واحد، حتى وإن تمكن الفرد من التعبير عن أفكاره بأكثر من لغة، بمعنى آخر؛ فإن مرحلة التفكير ترتبط عادة بلغة واحدة، في حين يمكن للفرد استخدام لغات متعددة في مرحلة الإنتاج، أي أثناء التحدث، ويشير هذا الطرح إلى أن الإنسان يمتلك نظاماً موحداً للمعاني تحكمه غالباً اللغة المسيطرة، حتى لو لجأ إلى لغة أخرى للتعبير عن تلك المعاني أثناء التحدث.^(٢)

تشير نهاد موسى إلى هذه النقطة موضحةً أن: "الناظر في اللغة، بوصفها ظاهرة إنسانية تتجلى في عينة دالة من أمثلتها، يشبه من بعض الجوانب ابن اللغة الذي يتعرض لها أو لعينة من أمثلتها خلال بضع سنوات من حياته الأولى، فابن اللغة يستخلص لنفسه نظاماً لغوياً يُمكنه من تمييز

(١) (Fromkin, Rodman, and Hyams 2018)

(٢) (مكاي ١٩٨٧م)

حدود الوحدات اللغوية – على مستوى البنية الصرفية – دون خلط أو التباس، ويميز دلالات الألفاظ ووجوه استعمالها، كما يُدرك أصول تركيب الجمل فلا يُركّب إلا جملة مقبولة لدى سائر أبناء اللغة، وهو أمر يتفق فيه جميع الناطقين بتلك اللغة على حد سواء.

بناءً على هذا، عندما يتعلم الطفل لغة جديدة في المدرسة، ينشأ لديه نوع من عدم التوازن الذهني، نتيجة اختلاف السياق الاجتماعي الذي يعيشه عن السياق المقلّد داخل المدرسة، بالإضافة إلى التباين بين النظامين اللغويين، ففي هذه المرحلة المبكرة، ينصبُّ اهتمام الطفل على التعبير عما يدور بداخله، دون محاولة واعية لفصل أنظمة اللغتين عن بعضهما البعض، وهو ما يؤدي إلى حدوث تشويش ذهني، قد يصاحبه أحياناً توترات نفسية نتيجة هذا الصراع الداخلي.^(١)

تشير النظريات التربوية الحديثة، منذ أفكار جان جاك روسو (Jean-Jacques Rousseau)، المتوفى عام ١٧٧٨م، إلى نظريات جون بياجيه (Jean Piaget)، المتوفى عام ١٩٨٠م، إلى أن عملية البناء المعرفي تعتمد على ربط المعارف الجديدة بالخبرات السابقة التي يكتسبها المتعلم من الحياة الواقعية خارج إطار المدرسة، فعلى سبيل المثال، عندما يشير المعلم إلى صورة أو لون أو وردة، ويتحدث بجمل تصف تلك الصورة وتبرز مزاياها، فإنه في الحقيقة يعتمد بشكل ضمني على الخبرات السابقة للطفل بشأن هذه العناصر.

ومع ذلك، إذا كانت لغة الطفل في حياته اليومية مختلفة عن اللغة التي يتعلمها في المدرسة، فإن ما يقوله المعلم قد لا يُثير شيئاً في ذاكرة الطفل أو خبراته السابقة، وبالتالي؛ لن يكون للمعارف التي

(١) (Alfaifi and Qasem 2024)

يقدمها المعلم أي أثر معرفي أو انفعالي يُذكر، حتى وإن تمكن الطفل من ترجمة ما يسمعه، وفي هذه الحالة؛ يظل عالم لغة المدرسة ومعانيها منفصلاً عن عالم خبرات الطفل خارجها، مما يعيق عملية التفاعل المعرفي والانفعالي التي تُعد جوهر عملية التعلم الفعّال.^(١)

من هذا المنطلق؛ نفهم أن اللغة تؤثر تأثيراً جذرياً في اكتساب اللغة الثانية، سواء على مستوى التعبير بشكل عام، أي "الكلام"، أو على مستوى المفردات، أو حتى على مستوى الأصوات، ويميز الباحثون بين مبادئ الاكتساب والتعلم؛ حيث يشير الاكتساب إلى العمليات الطبيعية التي تحدث عندما يتقن الطفل لغته الأولى، بينما يشير التعلم إلى الجهود المبذولة لاكتساب لغة ثانية في مراحل لاحقة.

في دراسة نشرها لاديفوجيد عام ٢٠٠١م، تم الكشف عن التأثير الكبير الذي تمارسه اللغة الأم على تعلم نطق اللغة الثانية، خصوصاً في مجال الأصوات؛ حيث قد يحدث تداخل بين قواعد اللغتين الأولى والثانية، بمعنى أن المتعلمين الأجانب قد يستبدلون أصواتاً من لغتهم الأم بأصوات اللغة الجديدة التي يتعلمونها، وذلك نتيجة التأثير الراسخ للغة الأم التي اكتسبوها مسبقاً.^(٢)

يشير برنارد سميث وسوان (Swan and Smith, 2001a) إلى أن حدوث التداخل الصوتي بين اللغات يتوقف على اختلاف أصوات تلك اللغات، كما أن تداخل القواعد بين اللغتين لا يحدث إلا إذا كان هناك اختلاف جوهري في قواعدهما، وينطبق هذا الطرح بوضوح على متعلمي اللغة العربية من

(١) (مكاي ١٩٨٧م)، ص: (٩٠)

(٢) (Ladefoged 2001)

الهنود، حيث تختلف لغاتهم الأم عن اللغة العربية في بعض الأصوات، مما يؤدي إلى حدوث تداخل صوتي ينتج عنه إبدال أصوات معينة بأخرى تختلف عن النطق العربي الأصلي.^(١)

نتيجة لذلك، يميل متعلمو اللغة الثانية، مثل متعلمي العربية، إلى توظيف ونقل الأصوات من لغتهم الأم عند تعلمهم اللغة الجديدة، مما يترتب عليه إبدالات واضحة في الأصوات، ويُعزى هذا السلوك إلى التأثير القوي للغة الأم على النظام الصوتي للغة الثانية، وهو ما يشكل تحدياً شائعاً في اكتساب اللغة الثانية، خاصة في سياقات لغوية تختلف فيها الأنظمة الصوتية اختلافاً ملحوظاً.

٢-٧-٣-١: تأثير استماع الصوت والنطق به

تُعدّ ظاهرة الإبدال من التحديات الشائعة التي يواجهها متعلمو اللغة العربية من خلفيات لغوية غير عربية، لفهم هذه الظاهرة لدى الطلاب الهنود الذين يدرسون اللغة العربية كلغة أجنبية، يتطلب الأمر فحص كيفية استقبالهم للغة والتفاعل معها منذ بداية تعلمها، فاللغة المنطوقة ظاهرة متعددة الحواس، حيث تُدرك عبر قناتين رئيسيتين:

١. القناة السمعية: وهي المسؤولة عن استقبال الأصوات ومعالجتها،

٢. القناة البصرية: وهي التي تعزز الفهم من خلال ملاحظة حركات الشفاه وتعايير الوجه

والإيماءات المصاحبة للنطق، لذلك؛ فإن جودة التعرّض للغة من خلال الاستماع والرؤية

تؤثر بشكل مباشر على قدرة المتعلم على إنتاج الأصوات بشكل دقيق.^(٢)

(١) (Swan and Smith 2001b)

(٢) (Navarra and Soto-Faraco 2007; 'Multisensory Processes 2' , n.d.; Liberman et al. 1967)

يُعتبر الاستماع العنصر الأساسي في تعلّم النطق الصحيح، حيث يمكن المتعلم من التقاط الفروق الصوتية الدقيقة وتمييز الأصوات المتقاربة، مثل الفرق بين الضاد والظاء أو بين القاف والكاف، وتعتمد دقة الإدراك الصوتي على عدة عوامل، منها عدد مرات التعرّض للصوت، ونقاء المادة الصوتية، ووضوح النطق لدى المتحدثين الأصليين، كلما زاد الاستماع إلى النطق السليم، قلّت احتمالات الإبدال الصوتي، إذ يتشكل لدى المتعلم إدراك سمعي متين يساعده على تقليد الأصوات بصورة أقرب إلى الفصيحة.

٢-٧-٣-٢: دمج الإشارات السمعية والبصرية في إدراك النطق

لا يقتصر تعلم النطق على الاستماع وحده، بل تلعب الرؤية دوراً مهماً في تعزيز الفهم الصحيح للأصوات، إذ تساعد مراقبة حركات الفم واللسان على إدراك كيفية إنتاج الأصوات، خاصة الأصوات التي لا توجد في اللغة الأم للمتعلم، فمثلاً؛ قد يواجه بعض الطلاب صعوبة في نطق الحروف المفخمة، لكن بمراقبة طريقة نطقها من قبل المتحدثين المتمكنين، يصبح بالإمكان تقليدها بشكل أدق، كما أن الوسائل البصرية، مثل مقاطع الفيديو التعليمية أو التفاعل المباشر مع الناطقين بالعربية، تسهم في تعزيز إدراك الفوارق النطقية وتقليل الأخطاء.

يرتبط استقبال الكلام وإدراكه في الدماغ بعملية دمج المعلومات السمعية والبصرية لفك تشفير الرسائل المنطوقة، فالدماغ يعتمد على تمثيلات مجردة للحركات النطقية (abstract articulatory gestures)، وهي خطط حركية تشارك في إنتاج الكلام وفهمه على حد سواء، كما أشار ليبيرمان وزملاؤه (١٩٦٧م)، فإن هذه التمثيلات الحركية ليست مجرد أدوات للإنتاج الصوتي، بل هي أيضاً

أساس لفهم الإشارات السمعية والبصرية، مما يعزز من القدرة على التعرف على الأصوات اللغوية حتى في بيئات مليئة بالضوضاء أو مع وجود تشويش.^(١)

٢-٧-٣: تداخل إدراك الصوت وإنتاجه

تُعد العلاقة بين إدراك الصوت وإنتاجه موضوعاً محورياً في الدراسات الصوتية والنفس-لغوية (phonetic and psycholinguistic studies)، حيث تؤكد الأبحاث الحديثة أن هناك تداخلاً وثيقاً بين عمليتي الإدراك والإنتاج اللغوي، مما يجعل فهم النطق عملية معقدة تتجاوز مجرد استقبال الصوت.

فالتمثيلات الحركية (motor representations) تلعب دوراً أساسياً في هذه العلاقة، إذ تُشير الدراسات إلى أن الدماغ لا يكتفي بمعالجة الصوت من خلال القنوات السمعية فقط، بل يعتمد أيضاً على إشارات حركية داخلية تمثل أنماط النطق الممكنة، وتُستخدم هذه التمثيلات كمرجع يساعد في تفسير الإشارات الصوتية والبصرية، مما يعزز دقة الإدراك اللغوي.

ومن أبرز الأمثلة على ذلك تأثير قراءة الشفاه (lip-reading effect)، حيث يُسهّم إدراك الحركات البصرية للشفاه أثناء الكلام في تحسين تفسير الإشارات الصوتية، لا سيما في البيئات التي تكون فيها الإشارات السمعية غير واضحة أو مشوشة، وقد أظهرت دراسات علم الأعصاب اللغوي (neurolinguistics) أن الدماغ يوظف المعلومات البصرية لتعزيز المعالجة السمعية، وهو ما يفسر قدرة الأفراد على التعرف على الكلمات حتى عندما تكون الإشارات السمعية مشوشة أو غير مكتملة.

(١) (Navarra and Soto-Faraco 2007)

ولا يقتصر هذا التداخل على الإدراك البصري والسمعي فحسب، بل يمتد أيضاً إلى التفاعل بين الجهازين السمعي والنطقي، حيث تؤثر الخبرة السابقة للفرد بالنطق على كيفية تفسيره للأصوات، فالأشخاص الذين ينطقون أصواتاً معينة بطريقة مختلفة قد يدركون هذه الأصوات إدراكياً بشكل مغاير عن أولئك الذين ينطقونها بطريقة معيارية، مما يبرز العلاقة الجدلية بين الإدراك والإنتاج.^(١)

وبناءً على ذلك، فإن فهم طبيعة هذا التداخل يسهم في تفسير العديد من الظواهر اللغوية، مثل الفروق الفردية في النطق، وتأثير التعرض اللغوي المبكر على الإدراك الصوتي، وأهمية المدخلات المتعددة الحواس (multisensory inputs) في اكتساب اللغة وتعلمها، كما أن هذه المعطيات تلعب دوراً جوهرياً في مجالات مثل تعليم النطق، وعلاج اضطرابات الكلام، وتصميم تقنيات التعرف الصوتي والذكاء الاصطناعي في اللغات الطبيعية.^(٢)

(١) (Lieberman and Mattingly 1985)

(٢) (AM 1985)

٢-٧-٣-٤ : تأثير الاستماع والنطق على الإبدال

ظاهرة الإبدال لدى متعلمي اللغة العربية الهنود يمكن تفسيرها بناءً على العوامل التالية:

أ. الاعتماد على اللغة الأم: يتأثر إدراك المتعلمين وإنتاجهم للأصوات العربية بالأنظمة الصوتية لغتهم الأم، مما يؤدي إلى إبدال أصوات عربية بأصوات قريبة منها في لغتهم الأصلية.

ب. غياب التوافق بين الإدراك السمعي والبصري: في بعض الحالات، لا يتمكن المتعلمون من ربط الحركات النطقية بالأصوات بدقة، مما يؤدي إلى أخطاء في الإنتاج.

ث. دور التعرض المكثف: كلما زاد التعرض للأصوات العربية من خلال الاستماع والمشاهدة، قلت ظاهرة الإبدال، حيث يتعزز الإدراك بفضل التكرار والتعلم المستمر.

نتائج وتطبيقات تعليمية

١. استخدام الوسائط المتعددة: يمكن للمعلمين استخدام الوسائل البصرية مثل الفيديوها التي تركز على حركات أجهزة النطق لتعزيز التوافق بين الصوت والنطق.
٢. التمارين التفاعلية: يُنصح بإجراء تمارين تعتمد على استماع المتعلمين إلى الأصوات ومحاكاتها مباشرة باستخدام تقنيات تسجيل ومقارنة النطق.
٣. تعزيز التعرض الصوتي: زيادة الوقت المخصص للاستماع للنصوص المنطوقة من قبل متحدثين أصليين وتحليلها قد يساهم في تقليل الإبدال.

٢-٨: مبدأ: الجهد الأقل أو أقل جهد

مبدأ "أقل جهد" يُعد نظرية شاملة تغطي مجموعة واسعة من المجالات، بدءاً من علم الأحياء التطوري وصولاً إلى الإحصاء واللغويات، ويستند هذا المبدأ إلى افتراض أساسي مفاده أن الكائنات الحية، بما في ذلك البشر، وحتى الآلات المصممة بكفاءة، تميل بطبيعتها إلى اختيار المسار الذي يتطلب أقل قدر من المقاومة أو الجهد لتحقيق الهدف المنشود.^(١)

مبدأ "أقل جهد" هو النظرية التي تفيد بأن المبدأ الأساسي الوحيد الذي يحكم أي نشاط بشري، بما في ذلك التواصل اللفظي، هو السعي إلى إنفاق أقل قدر ممكن من الجهد لإنجاز المهمة، ويُعرف هذا المفهوم بقانون زيبف (Zipf's Law) أو مبدأ زيبف (Zipf's Principle)، الذي يركز على فكرة اختيار المسار "الأقل مقاومة" أو الأقل تكلفة من حيث الجهد، سواء في الإنتاج اللغوي أو في أي سياق آخر.^(٢)

تم اقتراح مبدأ "أقل جهد" (Zipf's Principle) عام ١٩٤٩ م من قبل العالم الأمريكي جورج كينجسلي زيبف (George Kingsley Zipf)، المولود في السابع من أكتوبر عام ١٩٠٢ م، والمتوفى في الخامس والعشرين من سبتمبر عام ١٩٥٠ م، وكان زيبف أستاذاً في جامعة هارفارد، واشتهر بأبحاثه حول السلوك البشري، حيث ركز على مبدأ أن البشر يسعون بطبيعتهم إلى تقليل الجهد المبذول في

(١) (Rousseau 2002)

(٢) (Stewart 1949)

مختلف الأنشطة، بما في ذلك التواصل اللفظي، ويُعد مبدأ "أقل جهد" جزءاً من دراسته الأوسع في علم اللغويات والإحصاء، ويُعرف أيضاً بقانون زيبف (Zipf's Law).^(١)

يُعد قانون زيبف (Zipf's Law) من القوانين الشهيرة في مجال القياسات الببليومترية (Bibliometrics)، وهو يتعلق بتكرار الألفاظ في النصوص، ويُعرف الببليومتري بأنه علم قياس المراجع، حيث يتم استخدام الإجراءات الإحصائية والرياضية لتحليل المؤلفات المرتبطة بالموضوعات العلمية، وكذلك تقييم الكتاب الذين ينتجونها.

يهدف هذا المجال إلى تحليل الأداء العلمي وفهم ديناميكيات الإنتاج المعرفي، وتُساهم القوانين الببليومترية في هذا السياق، من خلال استنادها إلى السلوك الإحصائي المنتظم الذي يكشف بمرور الوقت عن العناصر المختلفة التي تشكل المعرفة العلمية، ويُطلق على الآليات المستخدمة لتقييم هذه الجوانب المؤشرات الببليومترية (Bibliometric Indicators)، والتي تُعنى بتحليل الأداء العلمي من خلال قياس الإنتاجية، التأثير، والأنماط المختلفة للنشر العلمي.^(٢)

سُمي قانون زيبف (Zipf's Law) نسبة إلى العالم اللغوي جورج كينجزلي زيبف (George Kingsley Zipf) (١٩٠٢-١٩٥٠)، حيث بدأ زيبف عمله البحثي في عشرينيات القرن العشرين حينما كان طالباً في الجامعة، وانصب اهتمامه على دراسة تغيرات النطق في اللغة، إلى جانب تحليل التكرارات اللغوية المستخدمة عبر فترات زمنية طويلة.

(١) [Principle of least effort - Wikipedia](#)

(٢) (Rierner 1950)

أدى هذا الاهتمام إلى تركيزه على دراسة تكرار الكلمات في النصوص اللغوية، حيث اكتشف أن الناس يميلون إلى اختيار الكلمات المألوفة والبسيطة على حساب الكلمات الأكثر تعقيداً، ما يعكس مبدأ تقليل الجهد، ووفقاً لقانون زيبف، هناك علاقة عكسية بين رتبة الكلمة من حيث شيوعها وتكرار استخدامها؛ إذ كلما كانت الكلمة أكثر شيوعاً، ازدادت مرات استخدامها، ويُعد هذا القانون تطبيقاً واضحاً لمبدأ الجهد الأقل، حيث تسهل الكلمات الشائعة عملية التواصل وتقليل الجهد المبذول في التعبير.^(١)

طبق جورج كينجزي زيبف مبدأه على كشف الكلمات لرواية "يوليسيس" (Ulysses) لجيمس جويس، ليصل إلى النتائج التالية:

- هناك كلمات قليلة تظهر بتكرار مرتفع.
- هناك كلمات كثيرة تظهر بتكرار منخفض.
- حاصل ضرب رتبة الكلمة (R) في تكرارها (F) يكون دائماً ثابتاً (C)، وبناءً على ذلك، صاغ زيبف

قانونه رياضياً بالشكل التالي: $R \times F = C$

حيث:

- R ترمز إلى رتبة الكلمة (Position in frequency ranking).
- F ترمز إلى تكرار الكلمة (Frequency).

(١) (Zipf 1949)

- C هو الناتج الثابت (Constant).^(١)

يظهر مبدأ الجهد الأقل في اللغات بوضوح في التغيرات اللغوية التي تسعى إلى تسهيل النطق أو الكتابة، وفيما يلي بعض الأمثلة من لغات مختلفة:

- في اللغة الإنجليزية: تتحول العبارة "going to" إلى "gonna" في الكلام العامي، وهو مثال على التخفيض الصوتي (Reduction) الذي يقلل الجهد النطقي.
- في اللغة السواحيلية: يُلاحظ تغير جمع كلمة "كتابو" (كتاب) إلى "بتابو"، حيث يتم تعديل بداية الكلمة بدلاً من إضافة لاحقة، مما يُبسط عملية الجمع.
- في اللغة العربية: تُستخدم كلمة "ليش" بدلاً من "لأي شيء" في اللهجات العربية الشرقية، وهو مثال على التبسيط اللفظي الذي يقلل الجهد النطقي (Simplification).

يمثل مبدأ الجهد الأقل قاعدة أساسية في التحليل اللغوي، حيث تسعى اللغات دائماً إلى تقليل الجهد المطلوب للتواصل، سواء على مستوى الكلمات أو الأصوات، وهذا المفهوم لا ينطبق فقط على المتحدثين الأصليين، ولكنه يظهر بوضوح في استراتيجيات متعلمي اللغة الثانية، مما يجعل من هذا المبدأ أداة فعالة لتحليل أنماط النطق والتغيرات اللغوية.^(٢)

تظهر الأمثلة السابقة كيف تتطور اللغات بمرور الوقت لتصبح أكثر كفاءة وسهولة في الاستخدام، بما يتماشى مع مبدأ الجهد الأقل، ورغم أن اهتمام جورج كينجزي زيبف كان يركز في البداية على

(١) تحليل الاستشهادات المرجعية - ويكيبيديا (wikipedia.org)

(٢) (ح. إبراهيم ٢٠٢٠م)

الدراسة الإحصائية لتكرار الكلمات في النصوص، فإن مبدئه وجد تطبيقاً واسعاً في علم اللغة،
ليشمل مجالات مثل الانتشار المعجمي (Lexical diffusion)، واكتساب اللغة (Language acquisition)،
وتحليل المحادثة (Conversation analysis)، ويُظهر هذا المبدأ كيفية سعي البشر بطبيعتهم إلى تقليل
الجهد اللغوي أثناء التواصل.

إلى جانب علم اللغة، تم توسيع نطاق تطبيق مبدأ الجهد الأقل ليشمل العديد من التخصصات
الأخرى، ففي علم النفس؛ يُستخدم المبدأ لفهم السلوكيات التي تسعى لتقليل الجهد الذهني، بينما
يساعد في علم الاجتماع على دراسة الأنماط الاجتماعية التي تسعى لتبسيط العلاقات والتفاعلات،
في الاقتصاد والتسويق، حيث يُستخدم لتحليل سلوك المستهلك الذي يفضل الخيارات الأقل جهداً
وتكلفة، كما يساهم في علوم المعلومات لفهم كيفية تنظيم البيانات والوصول إليها بأقل جهد ممكن.
أما في الجانب اللغوي والصوتي، فيُعد مبدأ الجهد الأقل أداة فعّالة لتحليل التغيرات الصوتية لدى
متعلمي اللغة الثانية، مثل متعلمي اللغة العربية في الهند، ليعكس هذا المبدأ ميل المتعلمين إلى
استبدال الأصوات الصعبة بأخرى أكثر سهولة، حيث يتم اختيار مخرجات صوتية تتطلب جهداً
أقل في النطق، فعلى سبيل المثال؛ قد يختار المتعلم أصواتاً أقل تعقيداً من حيث حركة أعضاء
النطق أو كمية الهواء اللازمة للإنتاج الصوتي، مما يؤدي إلى تغييرات صوتية واضحة.

يتجلى مبدأ الجهد الأقل في الأصوات المستبدلة، حيث يفضل المتعلمون الأصوات التي يسهل نطقها
مقارنة بالأصوات الأصلية في اللغة الجديدة، وهذا السلوك يعكس حاجة المتعلمين إلى تقليل
التعقيد والتكيف مع مهاراتهم النطقية المكتسبة من لغتهم الأم، علاوة على ذلك؛ يساعد هذا

التبسيط على تقليل الجهد الذهني المطلوب لإتقان الأصوات الجديدة، مما يسهل عملية اكتساب اللغة الثانية.

بناءً على ذلك، يمكننا الاستفادة من مبدأ الجهد الأقل لتحليل أداء متعلمي اللغة العربية وتطوير استراتيجيات تعليمية تركز على تسهيل النطق وتقليل الجهد، مما يساهم في تحسين قدرة المتعلمين على التكيف مع اللغة الجديدة وتحقيق إتقان أفضل لها.^(١)

٢-٨-١: أسباب استخدام مبدأ الجهد الأقل

مبدأ الجهد الأقل يعد من المبادئ الأساسية التي تفسر التغيرات اللغوية والصوتية في اللغات، سواء أكانت ناتجة عن عوامل طبيعية، أم اجتماعية، أم ثقافية، ففيما يلي شرح أكاديمي مترابط للأسباب التي تدفع إلى استخدام هذا المبدأ:

١. الكلفة

تميل المجتمعات إلى تغيير أنماط كلامها لتصبح أكثر كفاءة وفعالية، مما يتوافق مع مبدأ الجهد الأقل التطوري، فهذا التغيير يؤدي إلى تبسيط النطق من خلال تخفيض الأصوات المعقدة، ومع مرور الوقت، قد يتحول هذا التبسيط إلى قاعدة لغوية شائعة، فعلى سبيل المثال؛ في اللهجات العربية الشرقية، نجد أن أداة الاستفهام "ليش" تطورت عن "لأي شيء"، مما يوضح كيف يسعى

(١) (Hirokawa et al., n.d.)

المتحدثون لتقليل الجهد النطقي، وبالمثل، في اللغة الإنجليزية، تحول التعبير "going to" إلى "gonna"

في الكلام العامي، مما يعكس تطبيقاً مباشراً لهذا المبدأ.^(١)

٢. التعبيرية:

مع مرور الزمن، تفقد اللغات جزءاً من بلاغتها نتيجة لشيوع الاستخدام واعتياد التعبيرات التقليدية، لذلك؛ يلجأ المتحدثون إلى إدخال مفردات جديدة أو إعادة تشكيل بعض التعبيرات لإحياء بلاغة اللغة، وهذا السبب يُفسر جزئياً ظهور اللهجات العربية، سواء بين الناطقين الأصليين باللغة أو بين غير العرب، فاللهجات تشكل محاولات لإضفاء طابع تعبيرى خاص على اللغة ضمن سياقات ثقافية واجتماعية محددة.^(٢)

٣. التجانس:

شير التجانس اللغوي إلى العملية التي يتم من خلالها تكييف الكلمات أو الأصوات غير المتماشية مع القواعد العامة للغة، بحيث تصبح أكثر اتساقاً وانسجاماً مع نظامها الصوتي أو الصرفي أو النحوي، ويمكن ملاحظة هذا المبدأ في العديد من اللغات عبر ظواهر صوتية وتطورية مختلفة، حيث تعمل المجتمعات اللغوية على تعديل العناصر الدخيلة أو المتغيرة بحيث تتلاءم مع بنيتها الأصلية.

(١) (Amayreh 2000)

(٢) (Wu و Kaufman 2006)

التجانس في اللغات المختلفة

في اللغة الإنجليزية: تشهد الإنجليزية عمليات تجانس على مستوى التصريف عبر الزمن، كما في تطور تصريف الفعل "help"، الذي كان في الإنجليزية القديمة يُصرف على الشكل "holp" في الماضي البسيط و"holpen" في اسم المفعول، إلا أن هذه الأشكال القديمة اندثرت تدريجياً ليحل محلها التصريف الحديث "helped" في الماضي واسم المفعول، يعكس هذا التطور نزوع اللغة إلى التبسيط والتجانس من خلال توحيد التصريفات الشاذة ضمن أنماط أكثر انتظاماً.

في اللغة العربية: تظهر أمثلة عديدة على التجانس في استعارة الألفاظ الأجنبية وتطويعها ضمن البنية الصرفية العربية، خصوصاً في اللهجات المحكية، فعلى سبيل المثال:

- في العراق، يُصرف الفعل الإنجليزي "check" على الطريقة العربية ليصبح "يچيك"
- بمعنى "يتحقق" أو "يفحص"، مستخدماً النظام الصرفي الثلاثي للفعل في العربية.
- في مصر، يُصرف الفعل ذاته بشكل مختلف، حيث يصبح "يشيِّك" باستخدام بنية التضعيف الدالة على التكرار أو الاستمرارية، ليعني "يراجع" أو "يتأكد".

يعكس هذا التحول قدرة العربية على استيعاب المفردات الدخيلة وإعادة تشكيلها بما يتناسب مع أنماطها الاشتقاقية والصوتية، مما يسهم في تجانس الألفاظ داخل النظام اللغوي.

يُعد التجانس أحد العوامل المهمة في تطور اللغات، حيث يساعد على تسهيل الاستخدام اللغوي وتقليل التعقيدات الناشئة عن اختلاف القواعد الصوتية والصرفية، وتُظهر اللغات المختلفة ميلاً طبيعياً نحو التجانس من خلال تعديل المفردات أو التصريفات التي تبدو غير متماشية مع بنيتها

اللغوية، ومن خلال تحليل أمثلة من السواحيلية، الإنجليزية، والعربية، يتضح أن هذه الظاهرة ليست مقتصرة على لغة بعينها، بل هي عملية طبيعية في تطور اللغات جميعها.^(١)

٤. التواصل اللغوي:

يؤدي التفاعل بين اللغات إلى استعارة كلمات وتراكيب معينة من لغة إلى أخرى، مما يسهم في تطورها، فالكلمات المستعارة غالباً ما تخضع لتعديلات صوتية لتنسجم مع النظام الصوتي للغة المستقبلية، مما يقلل من الجهد النطقي للمتحدثين.

٥. الانفصال الجغرافي:

٦. عندما ينفصل متحدثو لغة معينة جغرافياً، ويعيشون بمعزل عن بعضهم لفترات طويلة، تبدأ هذه اللغة في الانقسام تدريجياً إلى لهجات متباينة، وقد تتطور هذه اللهجات مع مرور الزمن إلى لغات مستقلة، وأحد أبرز الأمثلة على ذلك هو تفرق اللغات الهندو-أوروبية عبر مساحات واسعة، مما أدى إلى نشوء لغات متعددة، كما يظهر هذا التطور بوضوح في تفرع اللغات الرومانسية (Romanic Languages)، حيث انقسمت اللاتينية إلى الفرنسية، الإيطالية، الإسبانية، والبرتغالية، نتيجة لاختلاف البيئات الجغرافية والتجارب الثقافية للمتحدثين.

(١) (Analogical Change، n.d).

٧. البيئة الثقافية:

تؤدي التطورات الثقافية إلى إدخال أسماء وأوصاف جديدة إلى اللغة، سواء نتيجة للاختلاط بشعوب أخرى أو بسبب التغيرات الداخلية، فعلى سبيل المثال؛ دخول كلمات جديدة إلى العربية يعكس التغيرات التي تحدث بفعل التحضر والتكنولوجيا.

٨. التعلم غير المتقن:

يتعلم الأطفال اللغة من البالغين بشكل غير مثالي، مما يؤدي إلى ظهور أنماط لغوية جديدة تصبح القاعدة بمرور الوقت، لذا يمكن أن يحدث هذا التعلم غير المتقن في مجاميع معينة، مثل المهاجرين، مما يؤدي إلى نشوء لهجات أو أنماط لغوية خاصة، وأبرز مثال على ذلك؛ التغيرات الصوتية التي شهدتها العبرية في الستينات نتيجة انقطاعها التاريخي، حيث تأثرت اللغة بتعلم غير متقن بين الأجيال.^(١)

تطبيق مبدأ الجهد الأقل في الإبدال الصوتي

يُعد مبدأ الجهد الأقل من العوامل الأساسية في التغيرات الصوتية، حيث يساهم في تفسير الظواهر اللغوية المرتبطة بالإبدال الصوتي، لا سيما في سياقات تعلم اللغة كلغة ثانية أو أجنبية، ويقوم هذا المبدأ على فرضية أساسية مفادها أن الناطقين -سواء أكانوا متحدثين أصليين أم متعلمين- يسعون إلى تقليل الجهد العضلي والإدراكي أثناء إنتاج الأصوات اللغوية، مما يؤدي إلى ظواهر صوتية مثل الإبدال، والإدغام، والإسقاط، والإضافة.

(١) (Gonen, n.d).

وهذا يكون الباب الثاني قد قدّم عرضاً نظرياً وتحليلياً معمّقاً لظاهرة الإبدال الصوتي، من حيث تعريفها، أنواعها، وأبعادها المختلفة في اللغة العربية، مستنداً إلى ما ورد في التراث اللغوي القديم، وامتكناً على المناهج الصوتية الحديثة. كما ألقى الضوء على الإبدال في اللهجات العربية، واستقصى أثر العوامل الجغرافية والاجتماعية والنفسية في نشوء هذه الظاهرة وتطورها. وقد أبرزت الدراسة كذلك أهمية مبدأ "الجهد الأقل" في تفسير كثير من مظاهر التغير الصوتي التي تنشأ عبر الزمن، سواء داخل اللغة الواحدة أو في سياق التفاعل بين اللغات. إن هذا الإطار النظري لا يمهد لفهم ظاهرة الإبدال وحسب، بل يؤسس للانتقال إلى المرحلة التطبيقية التي تُعنى بتحليل أداء المتعلمين، ورصد التباينات الصوتية في نطق الفونيمات، وهي المهمة التي سيتناولها الباب الثالث في ضوء الواقع اللغوي لمتعلمي العربية في الهند.

٣- الباب الثالث: اللغة العربية في الهند: الامتداد التاريخي والواقع التعليمي

تعد اللغة العربية من اللغات التي انتشرت خارج موطنها الأصلي بفعل العوامل الدينية، الثقافية، والتجارية، وكان لشبه القارة الهندية نصيب كبير من هذا الانتشار، حيث ارتبطت العربية بالحضارة الإسلامية التي دخلت الهند منذ القرون الأولى للهجرة، وأصبحت لغة العلوم والدراسات الدينية لدى المسلمين هناك.

يركز هذا الباب على تاريخ انتشار اللغة العربية في الهند، حيث يستعرض المراحل التي مرت بها منذ دخول الإسلام، مروراً بالفترة الاستعمارية البريطانية، وحتى مرحلة ما بعد الاستقلال، مع الإشارة إلى التحولات التي أثرت على مكانتها ووظائفها في المجتمع الهندي، كما يناقش واقع تعليم العربية في الهند اليوم، مع تحليل أبرز التحديات التي تواجه المتعلمين والمعلمين، سواء من حيث المناهج، وطرق التدريس، أو البيئة اللغوية المحيطة.

يختتم الباب بتناول الصحافة العربية في الهند، حيث يسلط الضوء على المجلات والدوريات العربية المنتشرة هناك، والتي تعكس مدى حضور العربية في المشهد الإعلامي والثقافي الهندي، ويهدف هذا الباب إلى تقديم رؤية شاملة عن العربية في الهند، تجمع بين التاريخ، والتعليم، والإعلام، مما يساعد في فهم العوامل التي ساهمت في استمرارها أو تراجعها في بعض المراحل، ومدى تأثيرها في الهوية الثقافية للمسلمين الناطقين بغيرها في الهند.

٣-١ : تاريخ اللغة العربية في شبه القارة الهندية

كانت بلاد الهند متميزة بحضارة أصلية عريقة ضاربة في القدم، تحمل فلسفة عميقة، وعلومًا رياضية دقيقة وأدباً غزيراً وخيراتٍ عظيمة، فقد كانت بلاد الهند أرقى أمة في الشرق،^(١) فقد كان التجار العرب يتبادلون البضائع مع الهنود في العصور القديمة قبل التاريخ، حيث كان العرب يأتون إلى بلاد الهند للتبادل مع سكانها البضائع التجارية، فينتج عن هذا الالتقاء التجاري تبادلًا من ناحية المعلومات والمواد الثقافية، ترك هذا التبادل التجاري والثقافي بصمات واضحة لا يمكن إنكارها أو تجاهلها، ويتجلى ذلك في العديد من الكلمات والمفردات المعربة ذات الأصل الهندي، لا سيما تلك التي دخلت العربية للإشارة إلى المنتجات والبضائع التجارية الهندية، وقد انعكس هذا التأثير بوضوح في الأدب العربي الجاهلي، سواء في الشعر أو النثر، مما يدل على عمق الروابط التجارية والثقافية بين العرب وشبه القارة الهندية في تلك الفترة.

٣-١-١: اللغة العربية في الهند بعد الإسلام

أورد الإمام السيوطي -في كتابه: "المزهر في علوم اللغة"، و"الإتقان في علوم القرآن" - كلمات معربة مذكورة في القرآن الكريم؛ ذات أصول هندية، فقد عرف العرب في جاهليتهم بعض الكلمات الهندية، وتداولوها في حديثهم حتى عُرِّيت، ويجدر بنا الإشارة هنا؛ إلى أن تلك العلاقات التجارية الثقافية؛ استمرت بين العرب -الذين تغيرت ديانتهم إلى الإسلام-، وبين الهنود، حتى إن المؤرخ الهندي المعروف الدكتور "تارا تشاند" (Tara Chand)، كان يقول: "وأما بعد البعثة النبوية فاجتهد بعضهم في

(١) (أ. الندوي ١٩٧٦م)، ص: (١٣-١٥)

دعوة الإسلام أيضاً"^(١)، يقصد التجار العرب، وهذا يعني مدى قرب العرب ثقافياً من المتغيرات الطارئة عند العرب، واتصالهم الوثيق ببعض، ومن يقول هكذا هو مؤرخ هندوسي عاش في القرن الماضي، فقد توفي بتاريخ ١٤ أكتوبر سنة: ١٩٧٣ م، كان عالم آثار ومؤرخاً متخصصاً في التاريخ القديم والثقافة الهندية، وقد عمل أستاذاً في جامعة الله أباد، كما شغل منصب نائب المستشار خلال أربعينيات القرن العشرين، مما يعكس مكانته الأكاديمية وإسهاماته البارزة في دراسة التراث الهندي.

تعد اللغة العربية واحدة من أهم اللغات وأكثرها انتشاراً حول العالم لعوامل كثيرة أبرزها العامل الديني، فقد كانت -أي اللغة العربية- لغة رسمية أثناء الحكم العربي الإسلامي، منذ دخول محمد بن القاسم الثقفي، في عدد من البلدان غير العربية، وأبرزها شبه القارة الهندية، وحتى في العصر الإسلامي الغزنوي أو المغولي، فقد استمرت اللغة العربية خلالهما لغة ثقافة، ودين، وأدب، إلى جانب الفارسية، والأوردية.

تحظى اللغة العربية -حالياً- في الهند باهتمام كبير، كون الديانة الإسلامية ثاني أكبر الديانات فيها، فهي تضم ثاني أكبر تجمع للمسلمين في العالم، لذا يتم تعليم اللغة العربية في الهند كلغة أجنبية، في كل المراحل الدراسية؛ الابتدائية، والثانوية، والجامعية، والبحثية، ويتخرج الآلاف من الطلاب، والباحثين من أقسام اللغة العربية في الجامعات، الدينية، والحكومية، في كل الولايات شمالاً وجنوباً.

(١) (تشاند ٢٠١٦ م - ١٤٣٧ هـ)، ص: (٣٩)

يرى الباحث أن طريقة انتشار الإسلام في شمال الهند تختلف عن جنوبها، وبالتالي فهذا يؤثر في طريقة تلقي الناس للغة العربية، وطريقة النطق بأصواتها، وللايضاح لابد من معرفة طرق دخول الإسلام في شمال الهند وجنوبها.

٣-١-٢: اللغة العربية في جنوب الهند بعد الإسلام

امثالاً لقول الله تعالى: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)^(١)، وقوله تعالى: (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ)^(٢)، نشر التجار العرب الإسلام في ماليلبار -جنوب الهند- واستوطنوا بعض سواحلها، حيث كان أكثرهم من أهل اليمن وعمان والحجاز والبحرين، وقد استمر هذا الاستيطان لعدة قرون، ولذا فإن الإسلام قد وصل إلى الهند في القرن الأول الهجري.

كانت ولاية "كيرالا" (Kerala) في جنوب الهند أولى المناطق اعتناقاً للإسلام، فقد تحقق ذلك بواسطة التجار العرب المسلمين لاسيما اليمنيين الحضارم، فتراث مسلمي كيرالا عربي حضرمي خالص، لأن العرب المسلمون دخلوا إليها مباشرة عن طريق البحر، وكانوا يمكثون فيها أياماً للتجارة، ولما توثقت تجارتهم في هذا البلد استوطن الكثير منهم في بعض مدنها الساحلية، وتزوجوا من نساء سواحل ماليلبار (Malabar)، فصارت المصاهرة تجعل التجارة قوية ومتينة، أما بالنسبة لحكام كيرالا وملوكها؛ فقد ساعدوا في ذلك التقارب الثقافي والديني كثيراً؛ لاسيما الملك "ساموتري" (Sumotori)

(١) سورة: آل عمران، الآية: (١٠٤)

(٢) سورة: التوبة، (١٢٢)

ملك كاليكوت (Calicut) الوراثي للمملكة المسماة "كوزهيكود" (Kozhikode) آنذاك، وكانت لغتهم وحتى الآن اللغة المالايالمية، وهي لغة خاصة بكيرالا حالياً، كانت كاليكوت إحدى أهم الموانئ التجارية على الساحل الجنوبي الغربي للهند، وفي ذروة حكم السامريون الممتدة من منطقة كولام (Kollam)، إلى كويلاندي (coylandi)، حيث أقرّ السامريون للمسلمين هذه المصاهرة بين العرب وإنث ماليلبار، وقد أنتجت هذه المصاهرة شعباً جديداً أسماهم المؤرخون والشعب باسم "مابلأ"^(١)، حيث يقول في ذلك الدكتور محمد كتي: "ولما ظهر نور الإسلام في الجزيرة العربية انتشرت أشعته في سواحل كيرالا بواسطة هؤلاء التجار العرب، استوطن بعضهم سواحلها وتزوجوا من نساءها، فتولّد منهم سلالة جديدة أسماها الأهالي "مابلأ" أبأؤهم العرب وأمهاهم هنديات، وقد عاشروا سكان كيرالا "الهندوس" معاشرة حسنة جداً ونقلوا صورة حسنة عن الإسلام تسودها الأخوة والمساواة والإنسانية، قرّبت الإسلام إلى نفوسهم، لدرجة أن ملوكها منحوا المسلمين أراضٍ مجّانية لبناء المساجد، أما بعض الملوك اعتنقوا الإسلام وسافروا إلى الجزيرة العربية"^(٢).

ويقول الشيخ أحمد بن زين الدين الغزالي المخدم صاحب كتاب "تحفة المجاهدين" الهندي ذو الأصول اليمنية: "وظهر فيها -أي في جنوب الهند- الإسلام ظهوراً بالغاً حتى كثر المسلمون فيها وعمّروا بلدانها، مع قلة ظلم رعاتها الهندوس، وعدم تعديهم عن رسومهم القديمة، فاتاهم الله نعمة واسعة، فعبروا على ذلك زماناً"^(٣).

(١) (تتارشيري ٢٠١٦ م)، ص: (٣٩)

(٢) (كتي ١٩٨٢ م)، ص: (٢٣-٢٢)

(٣) (أ. المخدم ١٩٩٦ م)، ص: (٤)

ومن هنا نعرف أن اللغة العربية، والدين الإسلامي؛ قد وصلا جنوب الهند عن طريق العرب أنفسهم؛ الذين جاؤوا تجاراً ودعاة، حتى أن قصة إسلام الملك "تشيرمان فرومال" (Cheraman Perumal) وقدم "مالك بن دينار" إلى جنوب الهند؛ هي أول تواجد فعلي للإسلام ولغته العربية في جنوب الهند، إذن فطريقة انتقال الإسلام هذه ولغته العربية، وتمازج المجتمع العربي والهندي في كيرالا، جعل للغة العربية تميزاً يختلف فيه عن بقية الهند، وبالتالي فإن أبناء كيرالا لديهم أبدال صوتية تختلف عن أبدال أبناء شمال الهند.

٣-١-٣: اللغة العربية في شمال الهند بعد الإسلام

بدأت اللغة العربية بالانتشار في شمال الهند نتيجة لعدة عوامل رئيسية أسهمت في ترسيخ وجودها وتعزيز حضورها العلمي والثقافي في شبه القارة الهندية، ومن أبرز هذه العوامل ما نتج عن الحركة الإسلامية، التي انطلقت مع الفتوحات العربية، حيث أدت إلى توطيد العلاقات بين الهند والعالم العربي، وقد سجّل التاريخ هذه الروابط الممتدة، سواء قبل الإسلام أو بعده، مما ساهم في ازدهار العلوم العربية وانتشارها في مختلف أرجاء المنطقة.^(١)

بدأ الفتح الإسلامي لشبه القارة الهندية مع دخول القائد العربي محمد بن القاسم الثقفي خلال العصر الأموي، حيث نشر الإسلام بقوة أخلاقية قبل أن يكون انتصاره عسكرياً، وقد دخلت اللغة العربية إلى هذه البلاد بالتزامن مع الفتح، وسرعان ما أصبحت اللغة الرسمية في تلك المناطق، وظلّت العربية تحظى بمكانة رفيعة حتى أواخر الحكم الغزنوي، حين أزاحتها اللغة الفارسية، التي

(١) (ج. أحمد ١٩٧٧م)، ص: (٥)

حلّت محلها وأصبحت اللغة السائدة في الإدارة والثقافة،^(١) ولهذا امتزجت اللغة العربية مع اللغة الفارسية والأوردية إلى جانب اللغات القومية لكل إقليم، وهذه الطريقة التي يختلف فيها أبناء شمال الهند عن جنوبه من حيث تلقي اللغة العربية ووصولها، هو السبب الرئيسي في تباين الأبدال الصوتية الخاصة بمتعلي اللغة العربية الناطقين بغيرها في الشمال الهندي والجنوب.

بقي الحكم للعرب في شمال شبه القارة الهندية قرنين ونصف، فظهرت جاليات العرب من ثم تَعَزَّز اختلاطهم بالهنود مع مرور الزمن، وكانت للجاليات العربية الحظوة في تعزيز اللغة العربية وتشديد آدابها في الهند.

حظيت اللغة العربية بمكانة بارزة في السند وأدنى البنجاب، حيث شهدت المصادر التاريخية على انتشارها في تلك المناطق، فعلى سبيل المثال، يذكر المقدسي أن مدينة ديبِل، التي تحيط بها نحو مائة قرية، كان معظم سكانها غير مسلمين ويعملون في التجارة، ومع ذلك كان كلامهم مزيجاً من السندية والعربية، كما يشير الإصطخري إلى أن لسان أهل المنصور والملتان ونواحيهما كان العربية والسندية، مما يؤكد عمق ارتباط العربية بشبه القارة الهندية، وقد أثبتت الشواهد أن هذه الصلة بين العربية والهند ليست حديثة العهد، بل ضاربة في القدم، إذ تعود إلى آلاف السنين، بل إلى ما قبل الإسلام، بل حتى إلى ما قبل التاريخ، مما يدل على تفاعل حضاري ولغوي عميق بين العالم العربي وشبه القارة الهندية عبر العصور.^(٢)

(١) (أظهر ١٩٨٣ م - ١٤٠٤ هـ)، ص: (٩-٥)

(٢) (الإصلاحي ٢٠١٤).

إذن فقد عاشت اللغة العربية؛ لغة رسمية في شمال الهند، والسند في فترة الحكم العربي هناك، وكانت لغة الديوان، والتخاطب، والمحادثة في الأزقة والشوارع خلال الحكم العربي الإسلامي، وقد ظلت لغة العقيدة والدين، والتأليف، والتصنيف خلال الحكم الإسلامي غير العربي؛ الذي امتد أربعة عشر قرناً إلى جانب الأوردية والفارسية، لذا أنتج العلماء والكتاب إنتاجاً غزيراً، فالمكتبات تزخر بالمؤلفات الهندية باللغة العربية -لاسيما- في المجال الدعوي الديني والتوعوي واللغوي والأدبي أيضاً.^(١)

واستمر الحال كما هو في معظم الدول والممالك الإسلامية المتعاقبة في الهند العربية والغزنوية والمغولية، فاللغة العربية ظلت هي لغة الأدب، والفقه، والدين إلى جانب الفارسية، والأوردية، وقد أورد الدكتور "صهيب عالم" في كتابه "تاريخ اللغة العربية، وواقعها في الهند" فصلاً كاملاً عدّد فيه أسماء علماء الدين، والأدب، واللغة العربية "الهنود" الذين كتبوا مؤلفات عديدة باللغة العربية وهم كثر، وإن المكتبات لتزخر بفيض علم عربي ديني وأدبي ولغوي كبير، وعدد لا يحصى من المؤلفات منذ دخول الدين الإسلامي إلى أرض الهند.

٣-٤: اللغة العربية في عصر الاحتلال البريطاني للهند

وصلت اللغة العربية قبل الحكم الإسلامي للهند، ثم حكم المسلمون الهند منذ العصر الأموي وحتى مجيء الإنجليز لاحتلال الهند سنة: (١٦٠٠م) أي في أواخر الدولة المغولية المسلمة، ثم وصل الهولنديون سنة: (١٦٠٣م)، ثم الفرنسيون سنة: (١٦٦٤م).

(١) (ص. عالم ٢٠١٦م - ١٤٣٧هـ)، ص: (١٥)

مع أن هؤلاء الفرنجة وصلوا إلى الهند تجاراً، فإنهم لم يظهروا نوايا الاستعمار إلا مؤخراً، فقد وصلوا بغرض التجارة، وظلوا في كنف الدولة المغولية الإسلامية، بإذن السلاطين المغول، وأبرز هؤلاء السلاطين هو السلطان: "محيي الدين محمد أورنگ زيب عالمكير" توفي سنة: (١٧١٢ م)، وهو صاحب كتاب "الفتاوى الهندية" المكتوبة باللغة العربية، وتسمى أيضاً "الفتاوى العالمكيرية"، يُعدّ هذا الكتاب من كتب الفقه الحنفي، الذي يتبع مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان، وقد ألّف بمشاركة جماعة من علماء الهند، تحت إشراف الشيخ نظام الدين البرنهابوري، وقد جاء تأليفه بأمر من السلطان أورنگ زيب، الذي لُقّب بعالم كير، أي فاتح العالم، مما يعكس أهميته في تقنين الأحكام الشرعية وفق المذهب الحنفي في ذلك العصر.

بعد وفاة "عالمكير" استمر أبناؤه يحكمون لكن بضعف شديد، أدى إلى التهافت على السلطة، وبالتالي تم إعلان الاحتلال البريطاني للهند بشكل رسمي سنة: (١٨٠٣ م)،^(١) أما بعد الاحتلال الرسمي للهند؛ فقد قام الإنجليز بمحاربة الدين الإسلامي، وبالتالي تأثرت اللغة العربية كثيراً، وقد استبعد المحتل الإنجليزي المسلمين عن أي مناصب، وإمعاناً منهم في التضييق على المسلمين وثقافتهم الدينية؛ استولى الإنجليز على أموال الأوقاف؛ التي كانت تدعم المدارس الدينية للمسلمين، وبالتالي تم التضييق على اللغة العربية.

(١) (ص. عالم ٢٠١٦ م - ١٤٣٧ هـ)، ص: (٤١)

كما فقد المسلمون أملاكهم، حتى أغلقت مدارسهم الإسلامية في بداية الأمر، وتركوا أبناءهم عرضة للجهل؛ بعد رفضهم تسليمهم إلى مدارس المستعمر الإنجليزي، وكان شكل التعليم في تلك الفترة فقط متمثلاً بما يقدمه "الملا" للطلاب فقط.^(١)

خطى الإنجليز خطوات كبيرة في تثقيف الهنود ثقافة المستعمر، من خلال جعل اللغة الإنجليزية اللغة الرسمية وكذا لغة الثقافة والعلم، وبهذا أزاحوا اللغات الدينية أو القومية عن مجالات التعليم والثقافة.

رغم هذا الظلام الحالك للغة العربية في الهند أيام الاحتلال الإنجليزي، إلا أن اللغة العربية كانت تُدرّس في المدارس الدينية، وكذا الجامعات الحكومية، وكان لهما دور كبير في احتفاظ المسلمين بهويتهم الدينية، كان أبرز هذه الكليات (كلية فورت ولیم، وكلية دلهي الشرقية، وكلية لاهور الحكومية)، وبهذا لم يخفت نجم اللغة العربية في الهند حتى في أحلك الظروف.

ولابد من ذكر الجهود الفردية لنشر اللغات الشرقية بما فيها اللغة العربية، ولم تكن حركة إنشاء المدارس العربية هي التي استمرت رغم الأوضاع وقت الاحتلال البريطاني فقط؛ بل استمرت حركة التأليف بالعربية أيضاً، حيث ألف علماء الإسلام كتبهم باللغة العربية في الأدب العربي، وغيره من العلوم والفنون.^(٢)

(١) (ص. عالم ٢٠١٦ م-١٤٣٧ هـ)، ص: (٤٣)

(٢) (الازهرى ٢٠٠٢ م)، ص: (١٨٣)

وقد ازدادت حركة التأليف دون ضعف، كردة فعل على اضطهاد المستعمر البريطاني للمسلمين، ورفعت الأنشطة الأدبية مستوياتها، وكثر روادها، يشهد على ذلك ما تزخر به أرفف المكتبات من المؤلفات العربية في تلك الحقبة الزمنية، التي تثبت بما لا يدع مجالاً للشك في تعمق علماء وأدباء الهند في اللغة ورسوخهم في العلم.

ومن أبرز العلماء الذين تركوا بصمة في المجال العلمي والديني في الهند:

- العلامة عبد الحي اللكهنوي، صاحب نزهة الخواطر.
- النواب صديق حسن خان، مؤلف أبجد العلوم.
- المفقي أحمد رضا خان، صاحب الفتاوى الرضوية.

وغيرهم كثير ممن أسهموا في إثراء الفكر الإسلامي والعلوم الشرعية، وتركوا إراثاً علمياً لا يزال حاضراً في الدراسات الإسلامية.^(١)

(١) (م. عبدالله ١٩٨٤م)، ص: (٦٨)

٣-١-٥: اللغة العربية في الهند بعد الاستقلال

رغم الادعاءات القائلة بتراجع مكانة اللغة العربية في الهند، فإن الواقع يشير إلى استمرار حضورها القوي بين المسلمين الذين يشكلون نسبة كبيرة من السكان، فقد ارتبطت العربية بالإسلام تاريخياً، حيث مثلت لغة الدين والعلم للمسلمين في شبه القارة الهندية حتى بعد تقسيمها إلى عدة دول، منها باكستان وبنغلاديش، اللتين تتمتعان بأغلبية مسلمة كاسحة.

يشكل المسلمون نحو ١٣٪ من إجمالي سكان الهند، أي ما يقارب ٢٠٠ مليون نسمة، وهي نسبة تضاهي سكان دول عربية بأكملها، وقد شهدت هذه الفئة نمواً سكانياً ملحوظاً بين عامي ١٩٩١ و٢٠٠١ بمعدل ٣٦٪، ما يعكس حيوية المجتمع الإسلامي في البلاد، ورغم التحديات الاقتصادية والاجتماعية، فإن المسلمين يساهمون في سوق العمل بنسبة ٣١,٣٪، وهو ما يدل على حضورهم الفاعل في مختلف القطاعات، وتظل الهندوسية الديانة الأوسع انتشاراً بنسبة ٨٠٪ من السكان، فيما تتوزع بقية النسب بين المسيحية، والبوذية، والسيخية، وغيرها من الأديان.^(١)

لا يقتصر الاهتمام باللغة العربية في الهند على دراسة القرآن الكريم والحديث الشريف، بل تمتد مكانتها إلى المجال الأكاديمي، حيث تُدرّس في الجامعات وتحظى باهتمام واسع في الأوساط الأكاديمية، كما أن لها آفاقاً مهنية متنوعة، مما يعزز حضورها في مختلف القطاعات، وتُعقد في الهند العديد من المؤتمرات المتخصصة في اللغة العربية، سواء كانت أكاديمية أو دينية، مما يعكس الاهتمام العميق بها، ومن الجدير بالذكر أن المسلمين في الهند يدرسون مختلف فروع اللغة

(١) انظر موقع ثمانية الإخباري في الرابط: (كم عدد المسلمين في الهند ٢٠٢٣ • ثمانية الإخباري (thmnia.com))

العربية، مثل النحو والصرف والبلاغة، لفهم النصوص القرآنية، بالإضافة إلى التعمق في علوم التفسير، والحديث الشريف، والسيرة النبوية، وأصول الفقه، وعلم الكلام، خصوصاً في المدارس الدينية.

٣-٢: تعليم اللغة العربية في الهند حالياً

تُعد اللغة العربية أهم وسائل تلقي التعاليم الإسلامية، فقد كانت ولا زالت أهم مواد التعليم في المدارس الدينية، جدير بالذكر أن هذه المدارس لا تقتصر على العلوم الدينية، وما يرتبط بها من علوم إنسانية؛ بل تشتمل أيضاً على العلوم التطبيقية كالرياضيات والمنطق وغيرها، حظيت الكتب المختلفة بأهمية كبرى في المدارس الإسلامية، متفوقة أحياناً على المواد والمواضيع الدراسية نفسها، وتختلف الكتب من مدرسة لأخرى حسب مذهبها واختيارها، فالأساتذة يدرسون كتباً مختلفة لمادة واحدة في الوقت نفسه.^(١)

تأسست مدارس دينية كبيرة في العصر الإسلامي؛ كالمدرسة الناصرية عام ١٢٤٥م، والمدرسة المعزية عام: ١٢٩١م، كما اشتهرت مدارس تم تأسيسها أثناء الاحتلال البريطاني للهند، حيث تعد الآن من أكبر الجامعات الهندية، فالمدارس المشهورة كمدرسة "دار العلوم بديوبند"، أما التعليم الجامعي فقد تم تأسيس جامعة "علي كراه الإسلامية" آنذاك ككلية دينية عام: ١٨٨٣م، وقد تفرعت منها "الجامعة المليية الإسلامية" عام ١٩٢٠م، و"ندوة العلماء في لکناو" عام ١٨٩٢م، أما بعد استقلال الهند عن بريطانيا، فقد أنشئت مدارس مستقلة كثيرة ومهمة في شمال الهند، فشمال

(١) (م. عالم ٢٠١٠م)، ص: (١٤٧)

الهند كان يتميز بالاهتمام من قبل الجمعيات الإسلامية قبل الاستقلال، ثم ما لبث جنوب الهند اللحاق بركب العلم الديني، من خلال إنشاء مدارس دينية وجامعات كجامعة "دار السلام في عمر آباد"، وجامعة "الباقيات الصالحات" في تاميل نادو (Tamil Nadu)، وجامعة "سبيل الرشاد" في بنجلور (Bangalore) عاصمة ولاية كارناتاكا (Karnataka)، و"الجامعة النظامية"، و"جامعة سبيل السلام" و"المعهد العالي الإسلامي" في مدينة "حيدر آباد" (Hyderabad)، حيث كانت عاصمة ولاية أندرا براديش (Andhra Pradesh) أما حالياً فقد انقسمت من الولاية ولاية أخرى؛ أسمى "تلانجانا" (Telangana) وأصبحت "حيدر آباد" عاصمتها.

بعد كل هذه التحولات منذ الاستقلال؛ انتشرت الكثير من المدارس والجامعات بشكل كبير في جميع أرجاء الهند، ولا يسع المجال لذكر أسماء الجامعات، والكليات، والمدارس الإسلامية، فلها متخصصوها وهناك كتب شرحت، وفصلت كثرة المدارس، والجامعات الدينية الإسلامية في الهند شمالاً وجنوباً.

تشير الإحصاءات التي أجرتها الحكومة الهندية حول اختيار اللغة الأم، إن عدد الراغبين الذين اختاروا اللغة العربية "لغة أم" يزدادون أكثر من الضعف؛ في كل مرة يكون هناك استفتاء حول اختيار اللغة الأم، وأن الطلاب الذين يدرسون اللغة العربية حسب إحصاءات ما بعد ٢٠١٦ م في الهند كدراسات عليا وبكالوريوس عددهم (٩٩٧٠٧ طالباً) يدرسهم (١٦٩٠) أستاذاً متخصصاً في

اللغة العربية، وهذا عدد ليس بالقليل في بلد ليست اللغة العربية لغة رسمية ولا شعبية إنما دينية أجنبية.^(١)

٣-٣ : الصحافة العربية في الهند

شهدت الصحافة العربية في الهند تطوراً بارزاً على مدار العقود الماضية، حيث لعبت المؤسسات التعليمية والمراكز الأكاديمية دوراً محورياً في إثراء المشهد الثقافي العربي من خلال الصحف والمجلات العلمية والدوريات المحكمة، وقد أسهم هذا النشاط في ترسيخ مكانة اللغة العربية بين الناطقين بها في الهند، مما يعكس الاهتمام العميق بهذه اللغة في مجالات متعددة مثل الأدب والفكر الديني والعلوم الإنسانية.

١. بدايات الصحافة العربية في الهند

شهدت الهند نشأة وتطور الصحافة العربية منذ القرن التاسع عشر، حيث بدأت كوسيلة لنقل المعرفة وتعزيز التبادل الفكري بين الباحثين والمثقفين العرب والهنود، وعلى الرغم من كون العربية ليست اللغة الأم في الهند، إلا أن وجود جاليات عربية واهتمام المؤسسات الأكاديمية بالدراسات الإسلامية واللغة العربية أدى إلى تأسيس صحافة عربية متميزة، وقد لعبت الجامعات الهندية دوراً أساسياً في ترسيخ هذه الصحافة، من خلال إصدار مجلات ودوريات علمية محكمة تسهم في نشر الفكر العربي والإسلامي وتعزيز البحث العلمي باللغة العربية.

(١) (ص. عالم ٢٠١٦ م - ١٤٣٧ هـ)، ص: (٢٣٥)

البدايات الأولى للصحافة العربية في الهند

يمكن تقسيم مراحل تطور الصحافة العربية في الهند إلى عدة حقبة تاريخية، حيث بدأت بجهود فردية ثم تطورت إلى مؤسسات أكاديمية وصحفية منظمة.

١. ١٨٧١ م: إصدار أول جريدة عربية

ظهرت أول صحيفة عربية في الهند تحت عنوان "النفع العظيم لأهل هذا الإقليم"، وكانت تهدف إلى نشر المعرفة وخدمة المجتمع العربي والهندي الناطق بالعربية.

٢. ١٩٠٢ م: تأسيس "مجلة البيان"

شكلت مجلة البيان نقلة نوعية في الصحافة العربية بالهند، إذ ركزت على نشر مقالات أدبية وفكرية، وساهمت في تعزيز مكانة العربية كلغة علمية وثقافية داخل الهند.

٣. عقود لاحقة: انتشار الصحافة الأكاديمية

مع توسع المؤسسات التعليمية، بدأت الصحافة العربية تأخذ طابعاً أكثر تخصصاً، حيث أصبحت الجامعات تصدر مجلات ودوريات علمية، مما رسّخ مكانة الصحافة الأكاديمية ودعم استمرارها.

٢. دور الجامعات في دعم الصحافة العربية

مع تطور التعليم العالي في الهند، أصبحت الجامعات مراكز رئيسية لدعم ونشر الصحافة العربية، حيث أسهمت في تعزيز البحث العلمي باللغة العربية وتسهيل التواصل الأكاديمي بين الهند والعالم العربي.

أ. إصدار دوريات علمية محكمة

لعبت الجامعات الإسلامية مثل دار العلوم ديوبند والندوة العلمية في لكهنؤ دوراً محورياً في إصدار مجلات علمية باللغة العربية، مما جعلها بيئة خصبة للبحث والنشر الأكاديمي.

ومن أبرز الدوريات العلمية المحكمة التي تصدر باللغة العربية في الهند:

١. مجلات متخصصة في الدراسات الإسلامية، تنشر أبحاثاً في الفقه والتفسير والحديث.

٢. دوريات تهتم بالأدب العربي، حيث تُنشر فيها مقالات نقدية ودراسات حول تطور الأدب العربي وتأثيره في الهند.

٣. مجلات تُعنى بالفكر الفلسفي والتاريخ الإسلامي، تعالج قضايا فكرية وتاريخية تربط بين التراث الإسلامي والواقع المعاصر.

ب. استقطاب أكاديميين ومفكرين عرب وهنود

ساهمت الصحافة الجامعية في استقطاب باحثين هنود مهتمين بالدراسات العربية والإسلامية، حيث وجدوا في هذه المجلات منبراً لنشر أبحاثهم.

كما شارك مفكرون عرب في هذه الدوريات بمقالاتهم ودراساتهم، مما ساعد على تحقيق تبادل معرفي بين الباحثين في الهند والعالم العربي.

ت. تعزيز البحث العلمي باللغة العربية

كان لنشر الأبحاث والمقالات باللغة العربية أثرٌ كبيرٌ في دعم اللغة العربية كلغة بحث أكاديمي في الهند، حيث ساعدت هذه الدوريات على توثيق الدراسات الإسلامية والفكرية باللغة العربية، مما سهّل وصول الباحثين إلى المصادر العلمية وأتاح فرصة لمناقشة القضايا الفكرية في سياق عربي إسلامي.

ث. نشر الثقافة العربية وتعزيز التواصل الأكاديمي

لم تقتصر الصحافة الجامعية على الأبحاث، بل ساهمت في نشر الثقافة العربية بين الطلاب والباحثين، حيث أصبحت اللغة متداولة في الأوساط الأكاديمية الهندية.

ساهمت هذه الجهود في تعزيز العلاقات الأكاديمية بين الهند والمؤسسات البحثية العربية، من خلال التبادل العلمي والمشاركة في المؤتمرات الدولية.

لقد كانت الصحافة العربية في الهند منذ نشأتها أداة قوية لنشر المعرفة وتعزيز الحوار الثقافي والعلمي بين الهند والعالم العربي، ومع تطور الجامعات، تحولت الصحافة العربية من كونها مجرد صحافة إخبارية إلى صحافة أكاديمية ذات تأثير واسع، وأصبح دعم الجامعات للصحافة العربية ركيزة أساسية لاستمرارها، مما يضمن استمرار تطورها كمنصة علمية وثقافية تسهم في حفظ التراث العربي الإسلامي وتعزيز دوره في الهند.

٣. انتشار الصحافة العربية في الهند حالياً

مع التطورات الحديثة، أصبحت الصحافة العربية في الهند متنوعة، حيث تشمل الصحف والمجلات ذات الطابع الأدبي، العلمي، الديني، والاجتماعي، ونتيجة لهذا التنوع، أصبحت اللغة العربية وسيلة فعالة لنقل المعرفة في الأوساط الأكاديمية والثقافية.

٣-١: الدوريات والمجلات الناطقة بالعربية في الهند حالياً

تشهد الهند نشاطاً ملحوظاً في الصحافة العربية، حيث تصدر العديد من الدوريات والمجلات المحكمة التي تُعنى باللغة العربية في مجالات متعددة، مثل اللغة والأدب، الدراسات الإسلامية، الفكر والثقافة، وفيما يلي إعادة صياغة لأسماء بعض الصحف والمجلات الناطقة بالعربية في الهند حالياً:

أولاً: المجلات العلمية والأدبية

- البيان الهندية – تصدر عن ندوة العلماء، لكناو.
- الضياء – تُعنى بالدراسات اللغوية والدينية، تصدر عن دار العلوم ندوة العلماء، لكناو.
- الثقافة العربية في الهند – مجلة أكاديمية تصدر عن جامعة عليكرة الإسلامية.
- مجلة المجمع العلمي الهندي – تُعنى بالبحوث اللغوية والأدبية والفكرية.
- دراسات في التاريخ الإسلامي – دورية محكمة تهتم بالتاريخ والحضارة الإسلامية.
- آفاق الهند – مجلة تصدر عن جامعة دار العلوم ديوبند، تُناقش قضايا اللغة العربية في الهند.

- المنهل الهندي – مجلة أكاديمية تصدر عن جامعة الملية الإسلامية، نيودلهي.
- إحياء التراث العربي – تصدر عن جامعة كيرالا، وتهدف إلى إحياء الفكر العربي.
- الفكر الإسلامي الحديث – تناقش القضايا الفكرية والدينية في سياق معاصر.
- مجلة كاليكوت- دورية نصف سنوية تصدر عن قسم اللغة العربية في جامعة كاليكوت.
- مجلة الدراسات العربية- مجلة علمية أدبية ثقافية سنوية، تناقش القضايا اللغوية والأدبية الحديثة.
- مجلة الساج- مجلة سنوية تصدر عن قسم اللغة العربية بكلية ممباد.

ثانياً: المجالات والصحف ذات الطابع الديني والفكري

- دعوة الحق – تُعنى بالدراسات الإسلامية والفكر الديني، تصدر عن جمعية العلماء في الهند.
- صوت الأمة – تهتم بالقضايا الدينية والاجتماعية من منظور إسلامي.
- الهند اليوم بالعربية – صحيفة أسبوعية تصدر في الهند، تُناقش القضايا السياسية والاجتماعية.
- الدعوة الإسلامية – صحيفة دعوية تسلط الضوء على التعليم الديني.
- الداعي – تصدر عن دار العلوم ديوبند، وهي من أقدم الصحف الدينية العربية في الهند.
- البعث الإسلامي – مجلة فكرية تصدر عن المركز الثقافي الإسلامي في الهند.
- الرائد – دورية تُعنى بالشؤون الدينية والفكر الإسلامي.

- النهضة الإسلامية – مجلة تُناقش القضايا الدينية في الهند والعالم الإسلامي.
- الصحوة الإسلامية – دورية تعالج مواضيع الفكر الإسلامي والتجديد الديني.
- النور الهندية – تُناقش قضايا العقيدة والفكر الديني، تصدر عن جامعة دار العلوم بديوبند.
- صوت الإسلام – مجلة دعوية تهتم بقضايا العالم الإسلامي.

ثالثاً: الصحف والمجلات ذات الطابع الاجتماعي والثقافي

- الرابطة الإسلامية – صحيفة تُعنى بالشؤون الإسلامية والسياسية في الهند.
- صوت السلام – تناقش قضايا التسامح والتعايش السلمي في الهند.
- الحرم الهندي – صحيفة تعالج القضايا الدينية والسياسية من منظور هندي عربي.
- الفرقان الهندية – صحيفة دورية تصدر عن مؤسسات أكاديمية إسلامية.
- مجلة الجامعة – مجلة أكاديمية تصدر عن جامعة المليية الإسلامية في نيودلهي، تُناقش القضايا العلمية والثقافية.

٤. أهمية الصحافة العربية في الهند

تُعد الصحافة العربية في الهند ظاهرة ثقافية وإعلامية فريدة، حيث نشأت في بيئة غير عربية لكنها استطاعت أن تلعب دوراً مهماً في نشر اللغة العربية وتعزيز التبادل الفكري والثقافي بين الهند والعالم العربي، ولم تقتصر الصحافة العربية في الهند على الجانب الإخباري فقط، بل امتدت لتشمل مجالات متعددة، مثل الدراسات الأكاديمية، والأدب، والبحث العلمي، والتواصل الثقافي،

ومن خلال هذه الوظائف المتعددة، أصبحت الصحافة العربية أداةً فعالة في ترسيخ مكانة اللغة العربية في الأوساط الهندية، سواء في المؤسسات التعليمية أو الإعلامية أو بين الباحثين والطلاب.

١. تعزيز الروابط الثقافية بين الهند والعالم العربي

ساهمت الصحافة العربية في الهند في بناء جسر ثقافي متين بين الهند والدول العربية، حيث نشرت مقالات تعكس التفاعل العميق بين الثقافتين العربية والهندية، ومن أبرز مظاهر هذا التفاعل:

- نشر المقالات العلمية والأدبية التي تبرز التأثير المتبادل بين الحضارتين.
- تعزيز الترجمة المتبادلة، حيث ساهمت الصحافة في ترجمة ونقل الأعمال الفكرية والأدبية بين اللغتين العربية والأوردية، مما أتاح فرصة لفهم أعمق للثقافتين.
- الاحتفاء بالمؤثرين العرب والهنود، إذ سلطت الصحف الضوء على المفكرين والمصلحين في كلا الثقافتين، مما زاد من الوعي بالتأثيرات التاريخية المتبادلة.

٢. إبراز دور اللغة العربية كأداة أكاديمية في التعليم والبحث العلمي

مع توسع التعليم الأكاديمي باللغة العربية في الهند، أصبحت الصحافة العربية أداةً أساسيةً لدعم الأبحاث والندوات الفكرية، وساهمت في هذا الجانب من خلال:

- نشر الأبحاث في الدراسات الإسلامية واللغة العربية، مما جعلها مرجعاً مهماً للباحثين في الجامعات الهندية والعربية.
- دعم تدريس العربية في المؤسسات التعليمية، حيث استخدمت الصحافة كوسيلة لتعزيز تعلم العربية في الجامعات والمدارس الإسلامية.

- إقامة ندوات فكرية ونشر خلاصاتها، مما أتاح الفرصة للمفكرين والباحثين لمناقشة القضايا الثقافية والعلمية باللغة العربية.

٣. نقل المعرفة والخبرات العلمية وإثراء الفكر العربي والإسلامي

لعبت الصحافة العربية دوراً رئيسياً في نشر المعرفة العلمية والفكرية، حيث ساهمت في:

- تبادل الأفكار بين الباحثين العرب والهنود، مما أدى إلى تكامل معرفي في مجالات متعددة، كالفلسفة والعلوم الإسلامية واللغويات.
- توثيق التراث العربي الإسلامي في الهند، حيث عملت الصحف على حفظ ونقل المخطوطات والأبحاث التي تناولت تأثير الإسلام والثقافة العربية في الهند.
- إتاحة منصات للنقاش العلمي والفكري، مما وفر فضاءً للحوار حول القضايا الحديثة والتحديات الفكرية في العالمين العربي والهندي.

٤. توفير منصة للكُتاب والباحثين لنشر أعمالهم باللغة العربية

تمثل الصحافة العربية في الهند متنفساً فكرياً للباحثين والكتّاب، حيث أتاحت لهم الفرصة لنشر أعمالهم والوصول إلى جمهور أوسع، ومن أبرز مظاهر هذا الدور:

- إصدار دوريات أكاديمية متخصصة، تنشر أبحاثاً علمية تخدم الباحثين في مجالات اللغة والأدب والدراسات الإسلامية.
- إبراز الإنتاج الأدبي باللغة العربية، حيث قامت بعض الصحف والمجلات بنشر القصص والمقالات الأدبية لكُتاب هنود يكتبون بالعربية.

- تعزيز التواصل مع المجتمعات الناطقة بالعربية، من خلال نشر مقالات وتقارير تعكس

تطورات المشهد الثقافي في الهند، مما يعزز الروابط بين الباحثين العرب والهنود.

٥. الصحافة العربية كجسر للتواصل الإعلامي بين الهند والعالم العربي

إلى جانب دورها الأكاديمي والثقافي، لعبت الصحافة العربية دوراً في تعزيز التواصل الإعلامي بين

الهند والعالم العربي، وذلك من خلال:

- نقل الأخبار والتقارير التي تهم الجاليات العربية في الهند، مما يساهم في الحفاظ على الارتباط

الثقافي واللغوي بين المهاجرين العرب وبلدانهم الأصلية.

- تعزيز التعاون الإعلامي بين الهند والدول العربية، حيث شكلت بعض الصحف جسوراً

للتعاون الصحفي والإعلامي بين المؤسسات العربية والهندية.

- توفير محتوى إعلامي باللغة العربية يعكس قضايا الهند والمجتمعات الإسلامية فيها، مما

ساعد في تسليط الضوء على التنوع الثقافي والديني في الهند من منظور عربي.

٦. مستقبل الصحافة العربية في الهند في ظل التطورات الحديثة

مع تطور التكنولوجيا الرقمية؛ أصبحت الصحافة العربية في الهند تواجه تحديات جديدة، ولكنها

في الوقت ذاته تمتلك فرصاً كبيرة للتوسع والانتشار من خلال:

- استخدام الوسائط الرقمية والمنصات الإلكترونية، مما يتيح الوصول إلى جمهور أوسع

داخل الهند وخارجها.

• تعزيز الصحافة الاستقصائية والبحثية، حيث يمكن استغلال التقنيات الحديثة لإثراء

المحتوى الصحفي باللغة العربية.

• التوسع في الشراكات الأكاديمية والإعلامية بين المؤسسات الهندية والعربية، مما يساهم في

تطوير الصحافة العربية وتوسيع مجالات تأثيرها.

مرت الصحافة العربية في الهند بمراحل متعددة، حيث بدأت في القرن التاسع عشر كوسيلة لنقل

الأخبار والمعرفة بين الجاليات العربية والباحثين المهتمين بالدراسات الإسلامية واللغة العربية، مع

مرور الوقت؛ تحولت هذه الصحافة من مجرد تقارير إخبارية محدودة إلى منصة ثقافية وفكرية

متكاملة، تجسدت في صدور الصحف والمجلات الأكاديمية التي دعمت البحث العلمي والتواصل

بين المثقفين العرب والهنود، وقد أسهمت الجامعات الهندية في هذا التطور، حيث باتت تصدر

دوريات علمية محكمة، تستقطب الأكاديميين والباحثين من مختلف التخصصات، مما عزز مكانة

اللغة العربية في المؤسسات التعليمية والبحثية.

مع توسع الصحافة العربية في الهند، أصبح لها دور بارز في تعزيز الروابط الثقافية بين الهند والعالم

العربي، سواء من خلال نقل التراث الإسلامي والفكر العربي، أو من خلال إتاحة منصة للنقاشات

العلمية والأدبية التي ساهمت في تطوير الدراسات العربية والإسلامية، كما وفرت الصحافة العربية

فضاءً للنقاش الفكري، ما جعلها أداة رئيسية للحوار بين الثقافات، وأسهمت في نشر المعرفة وإثراء

الفكر العربي والإسلامي بمساهمات الباحثين الهنود والعرب على حد سواء.

حالياً؛ تواجه الصحافة العربية في الهند تحديات جديدة في ظل تطورات العصر الرقمي، لكنها في الوقت ذاته تمتلك فرصاً كبيرة للتوسع والانتشار عبر الوسائط الرقمية، مما يتيح لها الوصول إلى جمهور أوسع داخل الهند وخارجها، ويبقى دورها الأساسي في حفظ التراث العربي وتعزيز التواصل الأكاديمي والثقافي بين الهند والعالم العربي مستمراً، باعتبارها جسراً يربط بين الماضي والحاضر، ويؤسس لمستقبل يعزز من الحضور العربي في المشهد الثقافي والإعلامي الهندي.

يُظهر التاريخ أن العربية في الهند لم تكن لغة دينية فحسب، بل أدّت دوراً علمياً وثقافياً بارزاً في الحياة التعليمية والاجتماعية والسياسية، فيما يواجه تعليمها المعاصر تحديات تتعلق بالمنهج، وكفاءة المعلمين، والبيئة التعليمية. أما الصحافة العربية، فرغم محدود انتشارها، فإنها تؤكد استمرار الحضور العربي وتدعمه ثقافياً. ويوفر هذا العرض خلفية لفهم ظاهرة الإبدال الصوتي في سياق التنوع الجغرافي واللغوي للمتعلمين، مما يستلزم منهجية بحثية تراعي هذه التباينات، وهو ما يتناوله الباب الرابع من حيث تصميم البحث، والعينة، وأدوات جمع البيانات، وإجراءاته التطبيقية.

٤: الباب الرابع: منهجية الدراسة وإجراءاتها التطبيقية

تتطلب الدراسات العلمية الدقيقة أسساً منهجية واضحة تضمن دقة النتائج وموضوعيتها، خاصة في مجال الدراسات الصوتية التي تعتمد على تحليل البيانات اللغوية من خلال أدوات قياس متقدمة وأساليب إحصائية دقيقة، ومن هذا المنطلق يتناول هذا الباب المنهجية العلمية التي اعتمدها البحث في دراسة الإبدال الصوتي لدى متعلمي اللغة العربية في الهند، من حيث تصميم البحث، جمع البيانات، وأساليب تحليلها.

تقوم هذه الدراسة على توظيف المنهج المختلط (Mixed Methods Approach) الذي يجمع بين المنهج الوصفي التحليلي في تأطير الظاهرة اللغوية وتفسيرها، والمنهج الكمي في معالجة البيانات واستخلاص النتائج الإحصائية المتعلقة بظاهرة الإبدال الصوتي في نطق الفونيمات العربية لدى طلاب اللغة العربية الناطقين بغيرها في الهند.

اعتمد الباحث على بناء اختبار صوتي ميداني مصمّم بدقة لرصد أداء المتعلمين في نطق الفونيمات المستهدفة، من خلال قوائم كلمات وجُمْل تم اختيارها بعناية، بحيث تمثل كل فونيم في مواضع مختلفة من الكلمة (أولها، ووسطها، وآخرها)، إضافة إلى إدراج الجمل لضمان رصد الإبدال في السياق الطبيعي للكلام.

كما اعتمدت الدراسة في تصنيف النطق على معيار واضح يتمثل في تصنيف كل صوت إلى "مطابق" أو "مبدل"، وفق ملاحظات الباحث نفسه استناداً إلى تسجيلات الطلاب، وذلك نظراً إلى أن غالبية الأصوات المستهدفة هي أصوات صامتة يصعب تحليلها عبر البرمجيات الصوتية مثل PRAAT، وبناء

على هذا التصنيف، أُجري تحليل كمي إحصائي للنتائج، عُرض من خلال جداول ورسوم بيانية توضح نسب الإبدال حسب الصوت، والموقع، والسياق، والموقع الجغرافي (شمال الهند وجنوبها). تهدف هذه المنهجية إلى دعم تفسير الفروق في الأداء الصوتي بين مجموعات الطلاب وفق عوامل لغوية واجتماعية واقتصادية، وبالتالي تعميق فهم ظاهرة الإبدال الصوتي لدى متعلمي العربية من الناطقين بغيرها في السياقات التربوية الهندية.

٤-١ : الخلفية المنهجية وإشكالية الدراسة

يسعى هذا البحث إلى تحليل ظاهرة الإبدال الصوتي لدى متعلمي اللغة العربية من الناطقين بغيرها في الهند، وذلك من خلال دراسة خصائصها الفونولوجية، وتحديد العوامل المؤثرة فيها، وتصنيف أنماطها تبعاً لمواضعها في الكلمة والسياقات الاجتماعية واللغوية المحيطة بها، وينطلق هذا التحليل من منظور وصفي-تحليلي، يدمج بين المنهج الكمي والنوعي، في محاولة لفهم الديناميكيات الصوتية التي تؤدي إلى حدوث الإبدال عند المتعلمين.

وتهدف الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الغايات الأساسية، أبرزها:

- تحليل أنماط الإبدال الصوتي في الصوامت لدى متعلمي اللغة العربية في السياق الهندي.
- تحليل أنماط الإبدال الصوتي في الصوائت لدى المتعلمين أنفسهم.
- دراسة الفروق الجغرافية بين متعلمي العربية في شمال الهند وجنوبها، من حيث مظاهر الإبدال الصوتي.

- مقارنة نُطق المتعلمين الناطقين بغير العربية بنُطق المتحدثين الأصليين (العرب)، لتحديد الفروق الفونولوجية النوعية.
- فحص تأثير موقع الصوت داخل الكلمة (البداية، الوسط، النهاية) على مدى حدوث الإبدال.
- تحليل العوامل الفسيولوجية والإدراكية التي تؤثر في إنتاج الأصوات العربية لدى المتعلمين.
- دراسة أثر اللغة الأم (L1) واستراتيجيات اكتساب اللغة الأجنبية على ظاهرة الإبدال، بما في ذلك مبدأ الجهد الأقل (Principle of Least Effort).
- تقديم تفسير علمي متكامل لظاهرة الإبدال الصوتي، اعتماداً على النتائج الكمية (الإحصائية) والنوعية (الوصفية) المتوفرة من خلال التحليل الميداني.

٤-٢: منهج البحث

تقوم هذه الدراسة على توظيف المنهج المختلط (Mixed Methods Approach) الذي يجمع بين المنهج الوصفي التحليلي في تأطير الظاهرة اللغوية وتفسيرها، والمنهج الكمي في معالجة البيانات واستخلاص النتائج الإحصائية المتعلقة بظاهرة الإبدال الصوتي في نطق الفونيمات العربية لدى المتعلمين الهنود من مستويات أكاديمية متعددة (بكالوريوس، ماجستير، دكتوراه)، موزعين بين شمال الهند وجنوبها، مما يُتيح فحص التأثيرات الجغرافية والاجتماعية واللغوية في نطق المتعلمين.^(١)

(١) (Tashakkori and Creswell 2007; Creswell et al. 2007)

وقد اعتمد الباحث على بناء اختبار صوتي ميداني مصمّم بدقة لرصد أداء المتعلمين في نطق الفونيمات المستهدفة، من خلال قوائم كلمات وجُمْل تم اختيارها بعناية، بحيث تمثل كل فونيم في مواضع مختلفة من الكلمة (أولها، ووسطها، وآخرها)، إضافة إلى إدراج الجمل لضمان رصد الإبدال في السياق الطبيعي للكلام.^(١)

كما اعتمدت الدراسة في تصنيف النطق على معيار واضح يتمثل في تصنيف كل صوت إلى "مطابق" أو "مبدل"، وفق ملاحظات الباحث نفسه استناداً إلى تسجيلات الطلاب، وذلك نظراً إلى أن غالبية الأصوات المستهدفة هي أصوات صامتة يصعب تحليلها بدقة عبر برمجيات التحليل الصوتي مثل PRAAT.

وبناءً على هذا التصنيف أُجري تحليل نوعي كمي إحصائي للنتائج، عُرض من خلال جداول ورسوم بيانية توضّح نسب الإبدال حسب الصوت، والموقع، والسياق، والمنطقة الجغرافية.

تهدف هذه المنهجية إلى دعم تفسير الفروق في الأداء الصوتي بين مجموعات الطلاب وفق عوامل لغوية واجتماعية واقتصادية، وبالتالي تعميق الفهم العلمي لظاهرة الإبدال الصوتي لدى متعلمي العربية من الناطقين بغيرها في السياق الهندي المعاصر.^(٢)

(١) (بلعيد ٢٠١٢).

(٢) (أ. عمر، علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية ٢٠٠٩، ص: (١١)).

٤-٣: تصميم البحث

شهد البحث العلمي تحولات منهجية واسعة منذ أواخر القرن العشرين، انعكست في تنوع الأساليب والإجراءات البحثية، مما أتاح للباحثين مرونة أكبر في اختيار الأدوات المنهجية المناسبة لأهدافهم،^(١) ويمكن تصنيف المناهج العامة للبحث إلى اتجاهين رئيسيين: المنهج الكمي الذي يركز على القياس الإحصائي للظواهر، والمنهج النوعي الذي يسعى إلى فهم الظواهر في سياقاتها الطبيعية من خلال التحليل الوصفي العميق دون الاعتماد على الأرقام.^(٢)

مع تطوّر الحاجات الأكاديمية وتزايد تعقيد الظواهر المدروسة برز اتجاه ثالث يُعرف بالمنهج المختلط (Mixed Methods Approach)، وهو منهج يجمع بين الطريقتين الكمية والنوعية في دراسة الظاهرة الواحدة، وقد تبنت هذه الدراسة هذا المنهج المختلط لتحقيق مقاربة شاملة لظاهرة الإبدال الصوتي لدى متعلمي اللغة العربية من الهنود الناطقين بغيرها، إذ تم توظيف المنهج الوصفي التحليلي في تأطير المفاهيم النظرية وتفسير الظاهرة في ضوء النظريات الصوتية القديمة والمعاصرة، بينما استخدم المنهج الكمي في تحليل البيانات الميدانية، وتصنيف الأداء الصوتي للمتعلمين وفق معايير إحصائية دقيقة، بما يُمكن من استخلاص نتائج علمية قابلة للقياس والتعميم.

قام الباحث بتصميم اختبار صوتي ميداني يتضمن قائمة من الكلمات المفردة والجُمْل المتنوعة، بحيث يغطي كل فونيم مستهدف في ثلاثة مواقع من الكلمة: في أولها، ووسطها، وآخرها، وقد تم انتقاء هذه الكلمات بعد دراسة دقيقة لنظام الفونيمات العربية، وملاحظة الأخطاء المتكررة في

(١) (Cheng and Dörnyei 2007)

(٢) (Dallos and Vetere 2005)

نطقها من قبل المتعلمين الهنود في المراحل الجامعية المختلفة (بكالوريوس، وماجستير، ودكتوراه)، وتمثل العينة مختلف المناطق الجغرافية للهند (الشمال والجنوب).

تضمن الاختبار (١٢) كلمة لكل فونيم، بالإضافة إلى جُمْل مصممة لرصد الإبدال الصوتي في السياق الطبيعي للكلام، وتم تسجيل أداء المشاركين صوتياً خلال الاختبار، ثم قام الباحث بتفريغ التسجيلات وتصنيف النطق إلى "مطابق" أو "مبدل"، استناداً إلى الملاحظة البشرية الدقيقة، نظراً لصعوبة الاعتماد على البرمجيات الصوتية مثل PRAAT في تحليل الأصوات الصامتة، والتي تشكل غالبية العينة الصوتية، وقد أشار عدد من الباحثين إلى محدودية قدرة البرمجيات في التعامل مع الفونيمات غير المهجورة أو الصامتة.^(١)

تم إدخال البيانات -بعد التصنيف- في برنامج SPSS لإجراء التحليل الإحصائي، حيث تم استخدام الرسوم البيانية والجداول التوضيحية لبيان نسب الإبدال الصوتي حسب نوع الصوت (صامت أو صائت)، وموقعه في الكلمة، وسياقه التركيبي، وموقع المتعلم الجغرافي (شمال أو جنوب الهند).

ويهدف هذا التصميم البحثي إلى استكشاف العلاقة بين الخلفية اللغوية والاجتماعية للمتعلمين وأدائهم الفونولوجي في اللغة العربية، مع مراعاة الفروق الجغرافية والتعليمية، وقد أكد عدد من الدارسين أهمية توظيف منهج مختلط في الدراسات اللغوية التي تتناول اللغة الثانية، لما يوفره من توازن بين التحليل الكيفي والكمي.

(١) (أ. عمر، علم الأصوات ٢٠٠٥، ص: (٢١٢))

٤-٤ : تحديد مجتمع الدراسة وأبعاده

إنَّ تحديد مجتمع الدراسة يُعدّ خطوة حاسمة في البحوث اللسانية والتربوية، ولا سيما في الدراسات التي تعتمد المنهج المختلط (، حيث تتكامل فيه البيانات الكمية والنوعية لفهم الظواهر اللغوية في سياقاتها الواقعية، وتُسهم هذه الخطوة في بناء تصور دقيق عن البيئة التي تُجرى فيها الدراسة، من حيث أبعادها الزمانية والمكانية والديموغرافية، مما يضمن ملاءمة تصميم البحث لأهدافه، ويُعزّز من صلاحية تعميم نتائجه على المجتمعات المشابهة.^(١)

حيث إن هذه الدراسة تبحث في ظاهرة الإبدال الصوتي لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها في الهند، فإن تحليل خلفيات المشاركين الجغرافية والاجتماعية واللغوية يُعد ضرورياً لفهم التباينات الصوتية المسجلة، فالهند - بما تحمله من تنوع لغوي وثقافي كبير بين شمالها الآري وجنوبها الدرافيدي - تُعدّ بيئة مثالية لتحليل أثر اللغة الأم والانتماء الجغرافي في نطق الفونيمات العربية^(٢)

وانطلاقاً من هذا التصور، يُقسّم هذا القسم إلى ثلاثة أبعاد رئيسية هي:

- البعد الزمني: الذي يحدد الإطار الزمني الذي جمعت فيه البيانات.
- البعد المكاني: الذي يشمل التوزيع الجغرافي للمشاركين في شمال وجنوب الهند.
- البعد البشري (الديموغرافي): الذي يتناول الخصائص الاجتماعية واللغوية للمشاركين.

(١) (الزهيري ٢٠١٢، ص: (١٥٩))

(٢) (العزاوي ٢٠١٧، ص: (٢١١))

وتهدف هذه المعالجة إلى تقديم وصف شامل ودقيق لمجتمع الدراسة، يُسهم في تفسير النتائج لاحقاً ضمن إطار منهجي علمي متماسك.^(١)

٤-٤-١: البعد الزمني

يشير البعد الزمني في هذه الدراسة إلى الفترة الزمنية التي خصصها الباحث لجمع البيانات والمعلومات المتعلقة بالظاهرة قيد الدراسة، وهذه الفترة محددة بوضوح، إذ تبدأ بعد تصميم البحث وتحديد أدواته، وتنتهي قبل مرحلة تحليل البيانات، ويُعد تحديد هذا البعد من أبرز شروط التصميم المنهجي الدقيق، حيث يؤثر مباشرة على صدقية النتائج، ويتيح للباحث التحكم في متغيرات الدراسة ومراحلها الزمنية.^(٢)

اعتمد الباحث في دراسته على فترة زمنية مدتها ثلاثة أشهر لجمع المعلومات المتعلقة بمتعلمي اللغة العربية الهنود في شمال الهند وجنوبها، وقد اختيرت هذه الفترة بعناية لتوفير بيانات دقيقة وشاملة، وامتدت من ٢٨ نوفمبر ٢٠٢٣ م حتى ٣٠ يناير ٢٠٢٤ م، وثلاثة أشهر خارج الهند ابتداءً من ٢٥ فبراير حتى ١ مايو ٢٠٢٤.

(١) (ع. المزيني ٢٠١٠، ص: (٢٣٣))، (حمدان ٢٠٠٩، ص: (٢١١))

(٢) (الدليل ٢٠١٨ م)، ص: (١٠٢)

• الإجراءات البحثية في البعد الزمني

١. شمال الهند - جامعة المليية الإسلامية (Jamia Millia Islamia):

بدأ الباحث عمله البحثي بزيارة قسم اللغة العربية في الجامعة المليية الإسلامية بنيودلهي، التي تُعد من أعرق الجامعات الهندية تاريخياً وأكاديمياً، وفقاً لتقييم المجلس الأعلى للجامعات (University Grants Commission - UGC)، خلال هذه الزيارة،

- جمع الباحث تسجيلات صوتية للأصوات المبدلة لدى متعلمي اللغة العربية القادمين من مختلف الولايات الشمالية، تم جمع تسجيلاتهم للكلمات في جدول المعدة للاختبار.
- أجرى مقابلات مع أعضاء هيئة التدريس في قسم اللغة العربية، وناقش معهم الظاهرة قيد الدراسة للحصول على رؤية أعمق ومعلومات مباشرة من الميدان.

٢. جنوب الهند - جامعة كاليكوت (University of Calicut):

في جنوب الهند، زار الباحث جامعة كاليكوت في ولاية كيرالا، حيث التقى بأعضاء هيئة التدريس المتخصصين في تعليم اللغة العربية.

- أجرى الباحث مقابلات مع الكوادر التعليمية وطرح أسئلة البحث الخاصة بالدراسة.
- جمع تسجيلات صوتية من طلاب الدراسات العليا، خاصةً من طلاب الدكتوراه في القسم، الذين يمثلون عينة مهمة لفهم الظاهرة في هذا السياق، وتم تسجيل أصواتهم للكلمات المُعدّة مسبقاً.

٣. جنوب الهند - جامعة اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية (EFLU):

- زار الباحث أيضاً جامعة اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية بحيدر أباد، التي تُعد من الجامعات المركزية الرائدة في مجالي اللغات والأدب، حسب تقييم المجلس الأعلى للجامعات (UGC).

- جمع تسجيلات صوتية من الطلاب المنتمين إلى ولايات جنوب الهند للكلمات الموجودة في جدول: (٤-٥)، جدول: (٥-٥).

- أجرى مقابلات مع كوادرات الجامعة تضمنت طرح أسئلة متعلقة بالدراسة، ما أتاح الحصول على بيانات دقيقة من واقع التعليم اللغوي في المنطقة.

تمثل هذه الفترة الزمنية المخصصة لجمع البيانات حجر الأساس لضمان جودة النتائج، واختيار المواقع المتنوعة، مع التركيز على الفروق الجغرافية والديموغرافية بين شمال وجنوب الهند، ساعد في الحصول على صورة شاملة للظاهرة المدروسة، بما يضمن تحقيق أهداف البحث وإنتاج نتائج قابلة للتعميم.

٤-٤-٢: البعد المكاني

البعد المكاني يشير إلى الموقع الجغرافي الذي يتم فيه إجراء الدراسة، وهو الحد الثاني للدراسة بعد البعد الزمني، ويكتسب هذا البعد أهمية كبيرة، إذ تُعمم نتائج البحث في تلك الحدود المكانية بناءً على الخصائص الجغرافية المعروفة.^(١)

(١) (الدليل ٢٠١٨م)، ص: (١٠٤)

تركز مشكلة البحث الحالية على دراسة الإبدال الصوتي لدى متعلمي اللغة العربية (الهنود) الناطقين بغيرها، وتشمل الحدود المكانية لهذه الدراسة الهند شمالاً وجنوباً، كما يمكن أن تُعمم نتائج الدراسة على دول أخرى تشارك الهند في النظام الصوتي واللغات الأم، مثل باكستان وبنغلاديش وإيران وأفغانستان.

جغرافية الهند

وفقاً لقاموس أكسفورد (٢٠٠٩م)^(١)، يعود اسم "الهند" إلى أصول لاتينية كلاسيكية، وهو مشتق من المصطلح اليوناني (Ινδία) والفارسي القديم (هندوش)،^(٢) أما الاسم التاريخي "بهارات" (Bhārat)، فهو مذكور في النصوص الشعرية الملحمية الهندية ودستور الهند، واستخدم تاريخياً للإشارة إلى وادي نهر الغانج.

في عام ٢٠٢٣ م، قدمت الحكومة الهندية طلباً رسمياً للأمم المتحدة لاعتماد "بهارات" كاسم رسمي بديل عن "الهند"،^(٣) فالهند؛ رسمياً: جمهورية الهند (भारत गणराज्य)، تقع في جنوب آسيا، وتحدها مجموعة متنوعة من الدول والمسطحات المائية: المحيط الهندي جنوباً، بحر العرب جنوب غرب، خليج البنغال جنوب شرق، ولها حدود برية مع باكستان غرباً، الصين ونيبال وبوتان شمالاً، بنغلاديش وميانمار شرقاً، كما تضم الهند تقسيمات جغرافية وثقافية مميزة بين شمالها وجنوبها،

(١) (Dictionary 1989)

(٢) (Kuiper 2010)

(٣) (Clémentin-Ojha 2014)

وهي نقاط جوهريّة في الدراسة الحاليّة التي تميز بين الجذر اللغوي الآري للشمال والجذر الدرافيدي للجنوب.^(١)

ويُعدّ هذا التباين الجغرافي في حدّ ذاته ركيزة أساسية في الدراسة الحاليّة، إذ تركز على الفروقات النطقية والصوتية الناجمة عن التوزيع الجغرافي، وخصوصاً التمييز بين الشمال الهندي ذي الأصل الآري، والجنوب الهندي ذي الأصل الدرافيدي، وهو ما سيناقش بالتفصيل في الفقرات التالية.

جغرافية شمال الهند

يُعدّ شمال الهند من أبرز الأقاليم الجغرافية التي تجمع بين الامتداد الطولي للنطاق الهندي والموروث الحضاري واللغوي الذي يمتد لقرون، ويقع هذا الإقليم في المنطقة التي تحيط بسهول نهر الغانج وتصل إلى سفوح سلسلة جبال الهيمالايا، وهو ما يجعل منه مجالاً حيويّاً يتميز بتنوع التضاريس ووفرة الموارد الطبيعية.^(٢)

• يشمل شمال الهند الولايات التالية: جامو وكشمير، هيماجل برديش، أوتاراخند، هاريانا، البنجاب، دلهي، شانديغار، راجستان، أتر برديش، وماديا براديش، ويُعدّ من أكثر المناطق كثافة سكانية ونشاطاً اقتصادياً وثقافياً.^(٣)

وتُعدّ هذه المنطقة مركزاً حضارياً تاريخياً شهد نشوء العديد من الإمبراطوريات الكبرى، منها: الإمبراطورية الماورية في القرن الثالث قبل الميلاد، وسلطنة دلهي في القرن الثالث عشر الميلادي،

(١) الهند - ويكيبيديا (wikipedia.org)

(٢) الفرق بين شمال وجنوب الهند الفرق بين - الآخرين ٢٣ ٢٠ (weblogographic.com)

(٣) شمال الهند - ويكيبيديا (wikipedia.org)

وإمبراطورية مغول الهند التي وُحِّدت معظم شبه القارة تحت سلطة واحدة، بالإضافة إلى الراج البريطاني في العصر الحديث، ويمثل شمال الهند في هذه الدراسة منطقة يغلب عليها الطابع اللغوي الآري، بما في ذلك لغات مثل: الهندية، الأردية، البنغالية، البنجابية، والغوجاراتية، وهي لغات تنتمي إلى الأسرة الهندو-أوروبية، وتتمتع ببنية صوتية مغايرة تماماً لتلك الموجودة في الجنوب الهندي، وهذا التنوع الصوتي واللغوي يُعد من العوامل الرئيسة في فهم ظاهرة الإبدال الصوتي لدى متعلمي اللغة العربية.

إن اختيار شمال الهند كمجال ميداني في الدراسة يعزز إمكانية استكشاف التأثيرات البنيوية للغات الأم على نطق الفونيمات العربية، ويوفر إطاراً مقارناً مع الجنوب الهندي ذي الأصل اللغوي المختلف، ما يمنح الدراسة أفقاً علمياً أوسع وأعمق في تحليل التباين الصوتي بين المجموعات الجغرافية.

جغرافية جنوب الهند:

يمتد جنوب الهند عبر شبه جزيرة هضبة ديكان (Deccan Plateau)، ويُعد من أبرز الأقاليم الجغرافية والثقافية المتميزة في شبه القارة الهندية، ويحدّ هذا الإقليم خليج البنغال شرقاً، وبحر العرب غرباً، والمحيط الهندي جنوباً، وهو ما منحه خصائص جغرافية ومناخية بحرية مغايرة تماماً لما هو عليه الحال في الشمال.^(١)

يشمل جنوب الهند الولايات التالية: تاميل نادو، كيرالا، كارناتاكا، أندرا برديش، وتيلانغانا، بالإضافة إلى الأقاليم الاتحادية مثل بودوتشيري ولكشديب، ويغطي هذا الإقليم نحو ١٩,٣١٪ من

(١) [Wayback Machine \(archive.org\)](https://www.waybackmachine.org/)

مساحة الهند، ويضم ما يقارب ٢٠٪ من سكانها، مما يجعله وحدة ديموغرافية ولغوية ذات ثقل معتبر، وتتميز هذه المنطقة بتضاريس بارزة تشمل سلسلة جبال الغاتس الغربية (Western Ghats) والغاتس الشرقية، إلى جانب أنهار رئيسة مثل: كريشنا، جودافاري، كافيري، تونجاهاдра، وبهاراتابوزها، والتي تساهم في تشكيل أنماط الحياة الزراعية والثقافية في الجنوب.

من الناحية اللغوية، فإن جنوب الهند يُعد موطناً للغات درافيدية مثل: التاميلية، المالايالامية، التيلوجو، والكنادية، وهي لغات تنتمي إلى أسرة لغوية تختلف عن اللغات الهندو-أوروبية الشمالية في الجذر والتركيب الصوتي، ونظراً لهذه الخصائص الجغرافية واللغوية، فإن جنوب الهند يُمثل في هذه الدراسة مجالاً ميدانياً غنياً يُمكن الباحث من مقارنة أنماط الإبدال الصوتي بين متعلمي اللغة العربية في بيئة صوتية درافيدية جنوبية، وأخرى آرية شمالية، ويُسهّم ذلك في بناء تحليل علمي رصين لتأثير الموقع الجغرافي والجذر اللغوي في اكتساب النطق العربي.^(١)

تتجلى أهمية البعد المكاني في هذه الدراسة من خلال تأثيره المباشر في تباين الأداء الصوتي لدى متعلمي اللغة العربية من الناطقين باللغات الهندية المحلية، فالهند ليست مجرد دولة متعددة اللغات، بل هي كيان جغرافي وثقافي واسع، يتضمن تمايزاً جذرياً بين الشمال ذي الجذور اللغوية الآرية، والجنوب ذي الجذور الدرافيدية، وهو ما يؤثر على الجهاز النطقي لدى المتعلمين، وبالتالي على نوعية الإبدالات الصوتية أثناء تعلم اللغة العربية.

(١) جنوب الهند - ويكيبيديا (wikipedia.org)

يكمّن جوهر هذا البعد في أن نتائج الدراسة لا تُفهم أو تُفسّر تفسيراً دقيقاً إلا ضمن إطار الموقع الجغرافي للمتعلّمين، إذ تختلف البيئة الصوتية والاجتماعية والثقافية بين شمال الهند وجنوبها، ما يؤثر على استراتيجية المتعلم في إدراك الفونيمات العربية الجديدة واستيعابها، فمثلاً، تنزع اللغات الدرافيدية إلى استخدام نمط صوتي مختلف جذرياً عن الآري، من حيث عدد الفونيمات وطبيعة التمييز بينها، ما ينعكس على نوعية الأخطاء الصوتية الشائعة لدى أبناء الجنوب مقارنة بالشمال.^(١)

تشمل هذه الدراسة متعلّمين من مؤسسات تعليمية موزعة بين شمال الهند (مثل الجامعة المليّة الإسلامية في دلهي) وجنوبها (مثل جامعتي كاليكوت وEFLU في حيدر آباد)، فإنها تُتيح للباحث ميداناً خصباً لاكتشاف الفروق الصوتية الناتجة عن الانتماء الجغرافي، وتحليلها من منظور لساني مقارن، ولا تقتصر أهمية هذا البعد على فهم الحالة الهندية فحسب، بل تمتد إلى إمكانية تعميم النتائج على مجتمعات لغوية تشترك مع الهند في الخصائص الجغرافية واللسانية، مثل: باكستان، بنغلاديش، إيران، وأفغانستان، مما يوسّع من الأفق التحليلي للدراسة ويمنحها قيمة علمية أعمق، وبذلك يُعد البعد المكاني ركيزة محورية لفهم ظاهرة الإبدال الصوتي لدى متعلّمي العربية، إذ لا يمكن فصل اللغة عن الجغرافيا، ولا يمكن إغفال أثر البيئة الصوتية الأم في تشكيل نماذج النطق الجديدة لدى المتعلم.^(٢)

(١) (Ladefoged and Maddieson 1996a)

(٢) (Labov 2007)

٤-٤-٣: البعد البشري (الديمغرافي)

يشير البعد البشري في هذه الدراسة إلى الخصائص السكانية والديموغرافية لمجتمع الدراسة، وهو مكوّن أساسي في فهم الفروق الصوتية عند متعلمي اللغة العربية من الهنود الناطقين بغيرها، وتزداد أهمية هذا البعد في ضوء التنوّع العرقي واللغوي والثقافي الكبير الذي تتسم به الهند، والذي يتقاطع بشكل مباشر مع موضوع الإبدال الصوتي قيد الدراسة.

تُعدّ الهند الدولة الأكبر عالمياً من حيث عدد السكان، إذ بلغ عددهم وفقاً لإحصائية نشرها موقع BBC بتاريخ ١ مايو ٢٠٢٣ م، نحو ١,٤١٠ مليار نسمة، متجاوزة بذلك الصين من حيث الكثافة السكانية، كما تُعدّ أكبر ديمقراطية في العالم من حيث عدد السكان، وسابع أكبر دولة من حيث المساحة.^(١)

إذا ما نظرنا إلى الجانب اللغوي، فإن الهند تضم أكثر من ٢٢ لغة رسمية، وتُستخدم فيها مئات اللهجات المحلية، موزّعة بين الجذرين اللغويين الرئيسيين: الآري في الشمال والدرافيدي في الجنوب، وهذا التمايز البنيوي في الجهاز اللساني، بدءاً من الأبجدية وانتهاءً بالفونولوجيا، يُشكل الخلفية اللغوية الأساسية للمتعلمين، وبالتالي ينعكس بشكل مباشر على نوعية الإبدال الصوتي الذي يظهر في نطقهم للغة العربية

أما عن الخلفية التاريخية، فقد وفد الإنسان الحديث إلى شبه القارة الهندية قبل نحو ٥٥,٠٠٠ سنة، واستقر بها، مما أدى إلى تباين جيني وثقافي كبير، وقد سادت حضارة وادي السند في الغرب،

(١) BBC News, "India Overtakes China as World's Most Populous Country", 2023

وتبعها وصول الآريين من الشمال الغربي، مما أدى إلى إدخال اللغة السنسكريتية في الشمال، بينما حافظ الجنوب على هويته اللغوية الدرافيدية، وقد أثرت هذه الخلفيات التاريخية على النمط الصوتي السائد في كل منطقة.^(١)

١. اللغات والهويات الثقافية:

استبدلت اللغات الدرافيدية (Dravidian Languages) في المناطق الشمالية والغربية بلغات هندية أوروبية، وظهر تقسيم اجتماعي وطبقي في الهندوسية بحلول عام ٤٠٠ قبل الميلاد، كما ظهرت الديانات البوذية والجانية كرد فعل على هذا التقسيم.^(٢)

وتُعدّ هذه الخلفية السكانية والثقافية عاملاً حاسماً في تفسير الاختلافات بين المتعلمين من الشمال والجنوب في نطق الفونيمات العربية، إذ إن تأثير اللغة الأم يظهر جلياً في الأداء الصوتي، لا سيما في الحالات التي تفتقر فيها اللغة الأم إلى صوت معين موجود في العربية، وفي هذا السياق؛ فإن الدراسة الحالية تأخذ بعين الاعتبار هذا البعد البشري من خلال تمثيل منطقتين مختلفتين لغوياً وثقافياً، مما يضمن شمولية البيانات، وواقعية النتائج، ودقة التحليل.^(٣)

٢. متعلمو اللغة العربية في الهند

يشكّل متعلمو اللغة العربية في الهند المجتمع المستهدف في هذه الدراسة، وهم من الهنود الناطقين بغير العربية، الذين ينتمون إلى خلفيات لغوية وثقافية متعددة، تشمل الجذور الآرية في الشمال

(١) (Asher and Talbot 2022)

(٢) (Dyson 2018)

(٣) (Marshall 2001)

والدرايفية في الجنوب، وتزداد أهمية دراسة هذا المجتمع في ظلّ التنامي الملحوظ في أعداد دارسي اللغة العربية في الهند خلال العقود الأخيرة، سواء لأغراض أكاديمية أو دينية أو ثقافية.

وفقاً للإحصاءات الحكومية التي أُجريت ضمن استفتاء اللغة الأم في الهند، فقد شهد عدد الأشخاص الذين صرّحوا باختيار اللغة العربية كلغة أم ارتفاعاً تدريجياً وملحوظاً على مرّ الزمن، مما يدلّ على انتشار اللغة وزيادة الرغبة في تعلّمها، ففي عام ١٩٦١م، بلغ عدد هؤلاء ١٧,٨٤٠ شخصاً، ثم ارتفع العدد في عام ١٩٩١م إلى نحو ٢٢,٠٠٠ شخص، ليصل في تعداد عام ٢٠١١م إلى ٥١,٧٢٨ شخصاً، أي ما يقارب ثلاثة أضعاف العدد قبل خمسين عاماً، مما يُبرز التوجه المتزايد نحو اللغة العربية في أوساط المجتمع الهندي.^(١)

وعلى المستوى الأكاديمي، كشفت تقارير وزارة التعليم الهندية قبل عام ٢٠١٦م عن وجود ما يقرب من ٤٦,١٨٩ طالباً يدرسون اللغة العربية في مراحل البكالوريوس والماجستير والدكتوراه، موزعين على الجامعات الإسلامية والمؤسسات الحكومية وغير الحكومية، ويشرف على تدريسهم ما يقارب ١,٧٩٠ أستاذاً جامعياً متخصصاً في اللغة العربية وآدابها، مما يعكس بنية تعليمية قوية وانتشاراً معتبراً لهذه اللغة في المؤسسات الأكاديمية الهندية.^(٢)

وتتوزّع برامج تعليم اللغة العربية على ولايات متعددة، منها كيرالا، وأوتار برديش، وتاميل نادو، ودلهي، والبنغال الغربية، مما يجعل قاعدة دارسي العربية متنوعة جغرافياً ولغوياً، وتُسهم هذه

(١) (ص. عالم ٢٠١٦م - ١٤٣٧هـ)، ص: (٢٣٤)

(٢) (Government of India, University Grants Commission Report, 2016)

المعطيات في تفسير أنماط الإبدال الصوتي وتفاوتاته بناءً على الخلفية الجغرافية واللغوية للمتعلمين.

إنّ هذه البيانات تُشكّل إطاراً ديموغرافياً ومعرفياً يساعد على فهم ظاهرة الإبدال الصوتي بشكل أعمق، إذ إنّ الانخراط في تعلم اللغة العربية لا يتم من فراغ، بل يرتبط بسياقات اجتماعية وثقافية ودينية متجذّرة، مما يجعل دراسة المشكلات الصوتية والنطقية لدى هؤلاء المتعلمين ذات أهمية قصوى لتطوير طرائق تعليم العربية للناطقين بغيرها، وتصميم محتوى صوتي يُراعي الخصائص اللسانية والسياقية لهؤلاء المتعلمين.

٤-٥: عينة البحث

تُعد العينة من العناصر الأساسية في تصميم البحث، إذ تُسهم في تمثيل مجتمع الدراسة تمثيلاً دقيقاً، وتتيح للباحث استقراء النتائج على ضوء البيانات المستخلصة منها، وقد تم اختيار العينة في هذه الدراسة بناءً على عدد من الاعتبارات العلمية والموضوعية المرتبطة بأهداف البحث وحدوده المنهجية.

أولاً: نوع العينة

اتّبع البحث أسلوب العينة القصدية، وهو أحد أساليب العينات غير الاحتمالية، يُستخدم عندما يرغب الباحث في اختيار مشاركين يملكون خصائص محددة تخدم أهداف البحث،^(١) وقد اختير

(١) (علوان ٢٠٠٩ م، ص: (٢١٨))

المشاركون لكونهم طلاباً في مراحل التعليم الجامعي (بكالوريوس، ماجستير، دكتوراه)، يدرسون اللغة العربية كلغة ثانية، وينتمون إلى بيئتين جغرافيتين متميزتين: شمال الهند وجنوبها.^(١)

ثانياً: حجم العينة:

بلغ إجمالي عدد المشاركين في العينة ستين (٦٠) طالباً، وُزَّعوا على النحو الآتي:

- ٢٠ طالباً من جامعة الملية الإسلامية في دلهي (شمال الهند).
- ٢٠ طالباً من جامعة كاليكوت في كيرالا (جنوب الهند).
- ٢٠ طالباً من جامعة EFLU في حيدر أباد (جنوب الهند).

هذا التوزيع الجغرافي يضمن تمثيلاً متوازناً للبيئات اللغوية المختلفة التي يعتمد عليها البحث في دراسة ظاهرة الإبدال الصوتي.^(٢)

جدول: (١-٤): توزيع أفراد العينة حسب الموقع الجغرافي والمؤسسة التعليمية

الموقع الجغرافي	اسم الجامعة	عدد المشاركين	المرحلة الدراسية
شمال الهند	جامعة الملية الإسلامية - دلهي	٢٠ طالباً	بكالوريوس، ماجستير، دكتوراه
جنوب الهند	جامعة كاليكوت - كيرالا	٢٠ طالباً	بكالوريوس، ماجستير، دكتوراه
جنوب الهند	جامعة اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية - (EFLU) حيدر أباد	٢٠ طالباً	بكالوريوس، ماجستير، دكتوراه

(١) (دليو ١٩٩٧م)، ص: (٤٤)

(٢) (Fleetwood 2020)

المجموع	٦٠ طالباً
---------	-----------

تتوزع أصول المشاركين بين الشمال والجنوب الهندي وينحدرون من عدة ثقافات وبالتالي لغات أم

مختلفة حسب الجدول الآتي:

جدول: (٤-٢): توزيع أفراد العينة حسب اللغة الأم والموقع الجغرافي

الموقع الجغرافي	اللغة الأم	عدد المشاركين	النسبة المئوية(%)
شمال الهند	الأوردو	١٠	١٦,٧%
	الهندية	٧	١١,٧%
	البنغالية	٣	٥,٠%
جنوب الهند	المالايالامية	١٢	٢٠,٠%
	التاميلية	٥	٨,٣%
	التيلجو	٣	٥,٠%
	الكانادا	٣	٥,٠%
الإجمالي	٦٠ طالباً		١٠٠%

توضح الجداول أن العينة شملت ٦٠ طالباً موزعين على ثلاث جامعات في شمال وجنوب الهند، مما

يضمن تمثيلاً جغرافياً متوازناً، كما تكشف عن تنوع لغات الأم بين سبع لغات رئيسة، منها الأوردو

والهندية في الشمال، والمالايالامية والتاميلية في الجنوب. هذا التنوع الجغرافي واللغوي يعد عاملاً

مهماً في تفسير اختلاف أنماط الإبدال الصوتي بين المشاركين.

٤-٦: مصادر البيانات

تُعدُّ مصادر البيانات ركيزة أساسية في البحث العلمي، وخصوصاً في البحوث اللغوية النوعية، حيث تتمثل البيانات الأساسية في الكلمات المنطوقة، والأصوات المميزة، والسلوك اللغوي للفرد أثناء التفاعل،^(١) وفي هذا البحث، تُعتبر الأصوات المبدلة في الكلمات المنطوقة لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها في الهند هي المصدر الرئيسي للبيانات، والتي جُمعت من خلال الملاحظات المباشرة، والمقابلات المسجلة، والتسجيلات الصوتية التي أجريت مع المشاركين.

يقوم هذا البحث على نوعين من البيانات: بيانات أولية وبيانات ثانوية، كما يأتي:

أولاً: البيانات الأولية

تشمل البيانات الأولية كل ما جمعه الباحث ميدانياً، وتشمل في هذا البحث ما يلي:

- الملاحظات الشخصية التي دونها الباحث خلال اللقاءات الصوتية مع المشاركين.
- التسجيلات الصوتية لناطق المشاركين لعينة الكلمات المحددة، في ثلاث جامعات مختلفة تمثل شمال الهند وجنوبها.
- مقابلات صوتية مع مجموعة من أساتذة اللغة العربية الناطقين بها كلغة أم، وأساتذة هنود متخصصين في تدريس اللغة العربية في الجامعات الهندية، وذلك لتفسير الظواهر الصوتية ومقارنتها بالنطق الفصيح.

(١) (Miles and Huberman 1994)

تم جمع هذه البيانات خلال فترة زمنية موزعة على ثلاثة أشهر، بواقع شهر واحد في كل جامعة، وفق ما تم بيانه سابقاً في البعد الزمني.

ثانياً: البيانات الثانوية

أما البيانات الثانوية، فهي التي حصل عليها الباحث من الكتب والدراسات السابقة والمجلات المحكمة، سواء باللغة العربية أو الإنجليزية، وتوزعت على محورين رئيسيين:

- التراث الصوتي العربي: وقد رجع الباحث فيه إلى عدد من كتب التراث العربي مثل سر صناعة الإعراب لابن جني، والخصائص، والمزهر للسيوطي، وغيرها من المصادر التي عرضت لمسائل الإبدال والقلب والإعلال.

- الدراسات الصوتية المعاصرة: اعتمد الباحث على نظريات معاصرة في علم الصوتيات واكتساب اللغة الثانية، منها ما يتعلق بتأثير اللغة الأم (L1 Interference)، واستفاد من مراجع أجنبية مثل كتب: H.D. Brown J Principles of Language Learning and Teaching، و Speech Jurafsky & Martin J and Language Processing، وغيرها من المقالات العلمية المحكمة المتوفرة على قواعد بيانات مثل JSTOR و Scopus.

وتعكس هذه المصادر الثنائية – الميدانية والنظرية – تكاملاً في تغطية الظاهرة المدروسة من الجانبين الوصفي والتحليلي، بما يعزز من قوة نتائج البحث وموثوقية تفسيراته.

٤-٧: أدوات جمع البيانات

اعتمدت هذه الدراسة في جمع البيانات على ثلاث أدوات أساسية، تم اختيارها بما يتناسب مع طبيعة الظاهرة المدروسة والمنهج المختلط المعتمد، وهي: التسجيلات الصوتية، والاختبار الصوتي، والمقابلات شبه المنظمة، والملاحظات الميدانية، وقد ساهم توظيف هذه الأدوات المتكاملة في تغطية الجوانب الكمية والكيفية للبحث.

١. التسجيلات الصوتية

تُعد التسجيلات الصوتية الأداة الأساسية في هذا البحث اللغوي الصوتي، حيث اعتمد الباحث على تسجيل أداء المشاركين من متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها في الجامعات الهندية، بهدف رصد وتحليل ظاهرة الإبدال الصوتي في نطق الفونيمات العربية، وقد أشار عدد من الباحثين إلى أهمية البيانات الصوتية الطبيعية غير المصطنعة في البحوث اللسانية الحديثة.^(١)

تم تسجيل البيانات الصوتية ميدانياً خلال تواجد الباحث في بيئة التعلم داخل الجامعات، وذلك دون اللجوء إلى اختبارات معملية، لضمان أن تكون البيانات ناتجة عن نطق تلقائي، وقد خُصص شهر كامل لتسجيل أصوات المشاركين في كل جامعة من الجامعات الثلاث المشمولة بالدراسة، وهو ما يتسق مع ما أشار إليه عبد القادر فتح الله من أهمية التوزيع الزمني المدروس في جمع البيانات اللسانية الميدانية.^(٢)

(١) (س. أحمد ٢٠١٥، ص: (١١١))

(٢) (فتح الله ٢٠١٨، ص: (٢٠٢))

شملت التسجيلات نطق ١٢ كلمة لكل صوت مستهدف، موزعة على المواضيع الثلاثة للكلمة (أولها، ووسطها، وآخرها)، إضافة إلى جمل سياقية تهدف إلى التقاط الأداء الصوتي في سياق طبيعي، وقد تم جمع الأصوات من ١٢٠ مشارك في مراحل التعليم العالي (بكالوريوس، ماجستير، دكتوراه)، موزعين على شمال الهند وجنوبها.

جرى تفريغ التسجيلات وتحليلها يدوياً، ثم تصنيف الأداء الصوتي لكل فونيم على أساس معيار ثنائي يتضمن؛ صوت صحيح (مطابق): في حال تطابق النطق مع الفونيم العربي القياسي، وصوت مبدل في حال حدوث تغيير جزئي أو كلي للفونيم المستهدف، وفق المعايير الفونولوجية، وقد أشار إلى أن التصنيف الفونولوجي لظواهر الإبدال يقوم على تمييز النطق القياسي عن النطق المتغير، وخاصة لدى متعلمي العربية من غير أبنائها.^(١)

استند هذا التصنيف إلى ملاحظات الباحث نفسه بناءً على استماعه الدقيق للتسجيلات، وذلك نظراً لصعوبة تطبيق التحليل الآلي عبر برمجيات مثل PRAAT على الأصوات الصامتة، مما جعل التدخل البشري المتخصص أداة أكثر دقة في رصد الفروق النطقية.^(٢)

وقد تم تحليل البيانات المصنفة باستخدام أدوات التحليل الإحصائي (SPSS)، وعُرضت النتائج في جداول ورسوم بيانية توضح نسب الإبدال بحسب الصوت والموقع والسياق والموقع الجغرافي، انسجاماً مع ما أوصى به،^(٣) من توظيف الأساليب الكمية في الدراسات اللسانية المعاصرة.

(١) (أ. عمر، دراسة الصوت اللغوي ١٩٩٧، ص: (٨٦))

(٢) (م. عبدالعزيز ٢٠١١، ص: (١٣٣))

(٣) (هارون ٢٠٠٧، ص: (٧٧))

٢. الاختبار الصوتي

يُعد الاختبار الصوتي الأداة الرئيسة التي اعتمد عليها الباحث في دراسة ظاهرة الإبدال الصوتي لدى متعلمي اللغة العربية من الهنود الناطقين بغيرها، وقد صُمِّم الاختبار بدقة ليغطي جميع الأصوات الصامتة المستهدفة في مواقعها المختلفة داخل الكلمة (البداية، الوسط، النهاية)، إضافة إلى اختبارها في السياق من خلال جمل قصيرة مترابطة المعنى، وذلك لتحديد طبيعة الإبدال الصوتي بصورة شاملة.^(١)

أ: الاختبار الصوتي للأصوات الصامتة في الكلمة المفردة

اختار الباحث اثنتي عشرة كلمة لكل صوت مستهدف، بواقع أربع كلمات في بداية الكلمة، وأربع كلمات في وسطها، وأربع كلمات في نهايتها، مع مراعاة تنوع الأصوات المجاورة للصوت المستهدف لتغطية جميع التغيرات الصوتية الممكنة، وهي كما في الجدول الآتي:

جدول: (٣-٤) الكلمات المفردة للاختبار الصوتي للأصوات الصامتة المستهدفة

الصوت	في بداية الكلمة	في وسط الكلمة	في نهاية الكلمة
ث/θ	ثواب	جاثوم	تلوث
	ثيب	تأثير	حديث
	ثابت	مائل	تثليث
	ثمود	تلعثم	حدث
ح/ħ	حامد	يحاول	رياح

(١) (عبدالنواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ١٩٨٥، ص: (١١٧))

حيوان	يحيي	مريح
حوت	وحوش	لوح
حديث	محمد	رأي راجح
ذ/ة/ð	هذا	شاذ
	يتذوق	يلوذ
	يُذيب	لذيد
	مذنب	يشحذ
ص/س/ʃ	أصابع	غواص
	لصوص	مرصوص
	بصيص	حريص
	بصلة	النص الأدبي
ض/د/ð	مُضاد	فعل ماض
	نضوج	مرفوض
	يضاهي	مريض
	مرضعة	غرض
ط/ت/t	مطار	مطاط
	متطور	قوم لوط
	بطيء	محيط
	محطة	مُنحط
ظ/ڤ/ḏ	مظاهر	ألفاظ
	منظومة	محظوظ
	تنظيم	تحفيظ
	منظمة	لُحظ

طماع	تعامل	عادي	ع/ة
شموع	مِعول	عون	
سميع	معين	عيد	
شمع	معمل	عمل	
شماغ	مغامر	غائم	غ/ة
صموغ	مغول	غوث	
زيع	مغيرات	غيث	
يمرغ	مغرور	غرم	
براق	ساقط	قارعة	ق/ة
مرزوق	يقود	قوس	
رشيق	شقيق	قيام	
عاشق	عقرب	قمر	
ككاو	عبد الودود	وادي	و/ة
أووا إلى الكهف	شفوي	ويكأنه	
أحيوا كتاب الله	رويداً	ويل	
قالوا	عمود	وعد	

يُظهر جدول (٣-٤) قائمة الكلمات المفردة المستخدمة لاختبار النطق الصحيح للأصوات الصامتة

المستهدفة في مواقعها الثلاثة: بداية الكلمة ووسطها ونهايتها. يضم الجدول أحد عشر صوتاً عربياً

هي: (/ث/، /ح/، /ذ/، /ص/، /ض/، /ط/، /ظ/، /ع/، /غ/، /ق/، /و/)، وذلك بهدف قياس مدى

دقة النطق واكتشاف أنماط الإبدال في كل موقع صوتي، وتتيح هذه العينة اللغوية تقييم التأثير

المشترك للموقع المقطعي والصوت المستهدف على حدوث الإبدال الصوتي.

ب: الاختبار الصوتي للأصوات الصامتة في السياق

خصص الباحث جملة واحدة لكل صوت، تحتوي ثلاث كلمات، بحيث يظهر الصوت المستهدف في أول كلمة، ووسط كلمة أخرى، ونهاية كلمة ثالثة، لضمان تحليل النطق في السياق الطبيعي للكلام،^(١) كما في الجدول الآتي:

جدول: (٤-٤) الاختبار الصوتي للأصوات الصامتة في السياق

الصوت	الجملة	كلمات الجمل		
		في البداية	في الوسط	في النهاية
ث/θ	أكملت ثريا ثلاثة أعوام فأهداها غيث ثوبا جديدا	ثريا ث/θ	ثلاثة ث/θ	غيث ث/θ
ح/ħ	حمزة وأحمد زارا حديقة الحيوانات في الصباح	حمزة ħ/ħ	أحمد ħ/ħ	الصباح ħ/ħ
ذ/ð	ذهبت الأستاذة شذى مع التلاميذ في رحلة	ذهبت ð/ð	الأستاذة ð/ð	التلاميذ ð/ð
ص/ʃ	اشترى صالح عصيرا، بعد انتهاء الحصة لأنه حريص على صحته	صالح ʃ/ʃ	عصيرا ʃ/ʃ	حريص ʃ/ʃ
ض/d	ضاعت أغراض نضال في غرفته، لعدم ترتيبها	ضاعت d/d	نضال d/d	أغراض d/d
ط/t	سقط الطائر من شجرة المطاط سقوطا حراً	طائر t/t	سقوطا t/t	المطاط t/t
ظ/ð	حفظ محظوظ في الظهر حديثا نبويا	ظهر ð/ð	محظوظ ð/ð	حفظ ð/ð
ع/ʕ	طلع البدر علينا من ثنيات الوداع	علينا ʕ/ʕ	دعا ʕ/ʕ	طلع ʕ/ʕ

(١) (القيسي ٢٠١٨، ص: (٢٠٣))

ع/٢/	ع/٢/	ع/٢/	وجب الشكر علينا ما دعا لله داع	
الصمغ ع/٧/	صغيراً ع/٧/	غزالة ع/٧/	في الغابة غزالة رأت غراباً صغيراً ملتصقاً بالصمغ	ع/٧/
مرزوق ق/ق/	القلق ق/ق/	قاسم ق/ق/	شاهد قاسم ومرزوق طائر القلق في البستان	ق/ق/
هو و/و/	أولاد و/و/	ودود و/و/	أولاد عبد الودود أكلوا خوخاً في هو البيت	و/و/

ج: اختبار للأصوات الصائتة

جدول مفردات الاختبار الصوتي للظواهر فوق الصوتية في الأصوات الصائتة

نوع الظاهرة الصوتية المفردات المختارة

جدول: (٤-٥): مفردات الاختبار الصوتي للأصوات الصائتة

الفتحة	عدم - غرض - رمضان
السكون	سمع - شمع - صمغ
التضعيف	مطاط - صبار - عشت
اللام المفخمة	الله - اللهم - لله

د: تطبيق الاختبار الصوتي ميدانياً

تم تطبيق الاختبار على المشاركين في بيئات جامعية هادئة لضمان دقة التسجيلات وجودة النطق.

استخدم الباحث أجهزة تسجيل عالية الدقة، واعتمد أسلوب القراءة المحكومة، حيث قرأ

المشاركون الكلمات والجمل المستهدفة واحدة تلو الأخرى.

وبعد ذلك، قام الباحث بتصنيف الأداء إلى "مبدل" أو "صحيح"، وتمت مراجعة التصنيف بالتعاون مع لجنة مختصة.^(١)

٣. المقابلة شبه المنظمة والملاحظات الميدانية

في إطار جمع البيانات النوعية، استخدم الباحث أداة المقابلة شبه المنظمة، حيث أجريت مقابلات فردية مع مجموعة مختارة من أعضاء هيئة التدريس وطلاب الدراسات العليا المتخصصين في اللغة العربية في عدد من الجامعات الهندية. صُمّمت المقابلات بأسئلة مفتوحة ومرنة تسمح للمشاركين بالتعبير بحرية عن آرائهم، ما أتاح استكشاف تصوراتهم حيال صعوبات النطق، وتأثير اللغة الأم على الأداء الصوتي، ودرجة وعيهم بالفروق بين اللغة العربية الفصحى واللهجات المحلية التي يتحدثون بها، وتُعد المقابلة من أهم أدوات البحث النوعي؛ لما تمنحه من قدرة على الوصول إلى العمق الدلالي، والكشف عن المعاني المتضمنة في التجربة الشخصية للمشارك، فضلاً عن كونها وسيلة لتوفير بيانات سياقية غنية تساهم في تفسير النتائج الكمية لاحقاً.^(٢)

تم تنفيذ المقابلات شفهيّاً في لقاءات مباشرة مع كل مشارك على حدة، حيث وجه الباحث الأسئلة وسجل الملاحظات، مستمعاً بعناية لما يقدمه المشاركون من معلومات ورؤى تتصل بموضوع الإبدال الصوتي.

(١) (حسان، مناهج البحث في اللغة ١٩٩٠، ص: (١٨٨))

(٢) (عبد الحميد ٢٠٢٠، ص: (٢١١))

نص أسئلة المقابلة:

١. هل تعتقد أن اللغة الأم لمتعلمي اللغة العربية من الهنود تؤثر على نطقهم؟ وكيف؟
٢. هل ترى أن غياب النطق الصحيح في المراحل الدراسية المبكرة له أثر في الإبدال الصوتي؟
٣. هل يُعزى الإبدال إلى ضعف معرفة المتعلمين بالنظام الصوتي العربي؟ وهل تختلف الأنظمة الصوتية بين الشمال والجنوب الهندي؟
٤. هل يؤدي إبدال المعلمين للأصوات في الفصل إلى نقل ذلك الإبدال للمتعلمين؟
٥. هل ترى أن المتعلم يبحث عن مخارج أسهل لبعض الأصوات العربية؟
٦. ما تفسيرك للإبدال في كلمات كـ (رمضان، خطاف، شمع)؟

٤. أداة الملاحظات الميدانية

رافقت عملية تطبيق المقابلات والمقاطع الصوتية تدوين ملاحظات ميدانية مباشرة من قبل الباحث، وقد تضمنت هذه الملاحظات:

- جودة النطق المباشر ومواطن الإبدال أو الصحة.
- ملامح الثقة أو التردد وسرعة الاستجابة.
- المؤثرات الجغرافية واللهجية الظاهرة أثناء الكلام.
- السياقات التربوية والاجتماعية المحيطة بكل مشارك.

وقد ساعدت هذه الملاحظات في ربط الأداء الصوتي بالبيئة المحيطة، وساهمت في تقديم خلفية تفسيرية دقيقة تعزز تحليل النتائج الكمية، وقد أكدت الدراسات السابقة على أهمية الملاحظة كأداة فعّالة في البحث الصوتي الميداني، خاصة عند تحليل الأداء في السياق الطبيعي للكلام.^(١)

٤-٨: استراتيجية التثليث

تُعدّ استراتيجية التثليث (Triangulation Strategy) من الركائز المنهجية الأساسية في البحث النوعي، حيث تساهم في تعزيز مصداقية النتائج ورفع مستوى موثوقية البيانات،^(٢) وتقوم هذه الاستراتيجية على استخدام أكثر من مصدر للمعلومات، وتنوع أدوات جمع البيانات، والتحقق المتقاطع بين المشاركين، بما يسمح بتكوين صورة أكثر شمولاً ودقة عن الظاهرة المدروسة.

في هذا البحث، اعتمد الباحث على استراتيجية التثليث بمستوياته المتعددة، عبر الجمع بين المصادر الأولية والثانوية، وتوظيف عدة أدوات، ومقارنة النتائج مع الناطقين الأصليين والأساتذة المتخصصين، فضلاً عن العودة إلى الدراسات السابقة ذات الصلة.

(١) (عبدالغني ٢٠١٧، ص: (١٥٥))

(٢) (جامع ٢٠١٩)، ص: (٤٥)

أولاً: التثليث بالمصادر

اعتمد الباحث على ثلاث فئات من المصادر الأولية، تمثل تنوعاً في الخلفية اللغوية والخبرة الأكاديمية:

١. المتعلمون الهنود للغة العربية (عينة البحث):

توزعت العينة على ثلاث فئات أكاديمية تشمل طلاب مرحلة البكالوريوس، وطلاب الماجستير، وطلاب الدكتوراه في أقسام اللغة العربية بجامعة شمال وجنوب الهند، ويتيح هذا التنوع فهماً معمقاً للفروق في الأداء الصوتي باختلاف المرحلة التعليمية، بما يعزز من دقة التفسير وتحليل مستويات الإبدال الصوتي لدى المتعلمين.

٢. الناطقون الأصليون باللغة العربية (معيار الأداء):

تم إشراك ناطقين أصليين باللغة العربية لتسجيل الأداء الصوتي للكلمات المستهدفة، بهدف مقارنة نطقهم بنطق المتعلمين الهنود، وتحديد مظاهر التباين الصوتي والإبدال، مما أتاح تحديد النماذج المرجعية بدقة لغوية عالية.

٣. الأساتذة المتخصصون في اللغة العربية في الجامعات الهندية:

أُجريت مقابلات شبه منظمة مع عدد من أساتذة اللغة العربية ذوي الخبرة الطويلة في تدريس العربية للناطقين بغيرها، وقد قدمت هذه المقابلات بيانات وصفية مهمة، ساعدت في تفسير أسباب الإبدال، وتحليل الخلفيات التعليمية والثقافية التي تؤثر في النطق.

ثانياً: التثليث بالمصادر الثانوية

تم دعم النتائج الأولية من خلال مراجعة مكثفة للأدبيات العلمية، شملت:

- الكتب التراثية التي تناولت ظاهرة الإبدال الصوتي عند علماء اللغة القدامى.
- الدراسات الحديثة المكتوبة بالعربية والإنجليزية حول تعليم العربية الناطقين بغيرها، وتأثير اللغة الأم على اكتساب الأصوات الجديدة.
- المجلات العلمية المحكمة والمصادر الإلكترونية الموثوقة.

وقد ساعد هذا التثليث النظري في تأصيل الظاهرة ضمن سياقها اللغوي والتربوي، وربط الملاحظات الميدانية بالأسس العلمية.

ثالثاً: التثليث بالأدوات

لتحقيق موثوقية أكبر، استخدم الباحث ثلاث أدوات رئيسية لجمع البيانات:

أ. الاختبار الصوتي المسجل:

وُضع لقياس الأداء الصوتي بشكل دقيق، عبر كلمات مفردة وجمل سياقية مصممة بعناية. وقد سُجّلت قراءات المشاركين ثم فُرِغَت البيانات لغرض التحليل الصوتي والتصنيف (صحيح/مبدل).

ب. المقابلات شبه المنظمة:

صُممت بأسئلة مفتوحة لاستكشاف آراء الأساتذة حول أسباب الإبدال الصوتي، وتأثير اللغة الأم، ونوعية التدريس، وتقييمهم لمستوى الأداء الصوتي للمتعلمين.

ج. الملاحظات الميدانية:

سجلها الباحث أثناء تفاعله مع المشاركين في الجامعات الثلاث، ودون خلالها ملاحظات حول الأداء الصوتي، وسلوكيات النطق، والسياق التربوي واللغوي الذي يحيط بالمتعلمين.

رابعاً: التحقق من مصداقية النتائج

لتأكيد صدقية النتائج، طبق الباحث آليات تحقق متوازنة:

- التثليث المنهجي: بالجمع بين أدوات متعددة وتحليل نتائجها من زوايا مختلفة.
 - مقارنة أداء المتعلمين مع الناطقين الأصليين لتحديد مواطن التباين.
 - مراجعة النتائج مع الأساتذة والباحثين المتخصصين للتحقق من دقتها.
 - الرجوع إلى الأدبيات السابقة للتأكد من اتساق النتائج مع البحوث الموثقة حول الظاهرة.
- وبذلك؛ ساعدت استراتيجية التثليث في إضفاء عمق علمي على النتائج، وتحقيق التوازن بين المنهج الكمي في التحليل الصوتي، والمنهج النوعي في التفسير السياقي، ما مكّن الباحث من تقديم تصور متكامل لظاهرة الإبدال الصوتي لدى متعلمي العربية في الهند.

٤-٩: التحقق من صدق البيانات وصحة التحليل

في إطار المنهجية المختلطة التي تبناها هذا البحث، القائمة على التكامل بين التحليل الكمي عبر اختبارات الأداء الصوتي، والتحليل النوعي من خلال المقابلات والملاحظات الميدانية، برزت الحاجة إلى تعزيز موثوقية النتائج عبر تطبيق استراتيجية منهجية للتحقق من صحة البيانات، بوصفها أحد الركائز الأساسية للجودة البحثية، ولا سيما في الدراسات الصوتية والاجتماعية التي تتناول الأداء اللغوي في سياقه الواقعي.

أ. تشكيل لجنة تحقق أكاديمية

لتحقيق هذا الهدف، استعان الباحث بلجنة أكاديمية مكوّنة من خمسة أساتذة متخصصين في الصوتيات واللغويات التطبيقية من كلية MES Mampad، تضم المشرف الرئيس على البحث، والمشرف المساعد، وثلاثة أساتذة مختصين رشحهم قسم اللغة العربية بالتنسيق مع مركز البحوث بجامعة كاليكوت.

اتبعت اللجنة آليات دقيقة للمراجعة والتحقق، شملت ما يلي:

١. الاستماع المنهجي إلى التسجيلات الصوتية لعينة الدراسة ومقارنتها بنتائج التصنيف (إبدال/عدم إبدال).
٢. مراجعة الجداول الإحصائية المستخلصة من تحليل البيانات الأولية للتأكد من سلامة المعالجة.
٣. التحقق من دقة التصنيف الفونولوجي للأصوات المستهدفة وفق المعايير المحددة مسبقاً.

٤. التأكد من اتساق التحليل مع أهداف البحث وأسئلته، وتحقيق التوازن بين التفسير الكمي والمعطيات النوعية.

وقد وثّقت اللجنة نتائج عملها عبر إقرار رسمي موقع من جميع أعضائها، والمرفق في ملاحق هذه الأطروحة، تؤكد فيه سلامة إجراءات المراجعة ودقة التصنيفات، وتطابق التحليل مع التسجيلات الأصلية، بما يعكس درجة عالية من الموثوقية ويعزز مصداقية النتائج النهائية.

ب. مرجعية التحقق في الأدبيات العلمية

استند الباحث في اعتماد هذه المنهجية إلى ما ورد في دراسة د. وسام خيرى محمد مرسى، بعنوان: دراسة لغوية اجتماعية للعلاقة بين الطبقة الاجتماعية والمتغيرات الصوتية المختارة باللغة العربية القاهرية، القاهرة: الجامعة البريطانية،^(١) اعتمد فيها الباحث على مراجعة أكاديمية جماعية للتأكد من دقة التحليل الصوتي، وتعزيز الموثوقية العلمية للنتائج، وهو ما تم تطبيقه هنا بما يتوافق مع طبيعة البيانات المختلطة المستخدمة في هذا البحث.

ج. أهمية التحقق في البحث المختلط

تُبرز المنهجية المختلطة الحاجة إلى تنوع أساليب التحقق، وذلك لضمان الصدق الداخلي والخارجي للبحث، وقد تمثلت هذه الأساليب في:

- التحقق بالمصادر: مقارنة أداء المشاركين من متعلمي العربية مع أداء الناطقين الأصليين والأساتذة المختصين.

(١) (Khairy et al. 2020)

- التحقق بالأدوات: استخدام أكثر من أداة لجمع البيانات (اختبار صوتي، مقابلات، ملاحظة).

- التحقق الإحصائي والنوعي: إجراء تحليل كمي دقيق عبر جداول الإبدال وتحليل نوعي للأنماط الصوتية والوعي اللغوي.

إن هذا التحقق المنهجي المتعدد قد منح الدراسة تماسكاً علمياً، وساهم في تقديم نتائج دقيقة تمثل الظاهرة المدروسة بموضوعية وشمول.^(١)

٤-١٠ : حدود الدراسة والاعتبارات الأخلاقية

أولاً: حدود الدراسة

تخضع هذه الدراسة لعدة حدود يجب مراعاتها عند تعميم النتائج أو استخدامها في سياقات أخرى، وتتمثل هذه الحدود فيما يأتي:

الحدود المكانية: اقتصرَت الدراسة على ثلاث جامعات هندية فقط، تمثل مناطق جغرافية مختلفة في الهند، وهي: جامعة كاليكوت (جنوب الهند)، الجامعة المليية الإسلامية (شمال الهند)، وجامعة اللغات الأجنبية بحيدر آباد (جنوب الهند)، مما قد يؤثر في شمولية النتائج لجميع متعلمي العربية في الهند.

(١) (Khairy, Morsi, and Arabic 2020)، ص: (١٧٢)

الحدود الزمانية: تم جمع البيانات خلال مدة محددة امتدت لثلاثة أشهر، خُصص لكل جامعة شهر واحد فقط، ما يعني أن النتائج تعكس الأداء خلال فترة زمنية معينة قد تتغير باختلاف الفصول الدراسية أو الظروف التعليمية.

الحدود البشرية: اقتصرَت العينة على طلاب أقسام اللغة العربية في المراحل الجامعية (بكالوريوس، ماجستير، دكتوراه)، ولم تشمل المتعلمين في المعاهد أو المدارس، كما اقتصرَت على طلاب ينتمون إلى خلفيات لغوية محددة.

الحدود الموضوعية: ركز البحث على ظاهرة الإبدال الصوتي في أصوات محددة من الأصوات الصامتة والصائتة، ولم يتناول الظواهر الفونولوجية الأخرى كالإدغام أو الحذف أو الإضافة.

الحدود اللغوية: اقتصرَت الدراسة على تحليل النطق باللغة العربية الفصحى فقط، دون التطرق إلى اللهجات المحلية أو التأثيرات النحوية أو الدلالية، هذه الحدود لا تُعد نواقص، لكنها تحدد نطاق البحث وتساعد على فهم سياق النتائج ضمن إطارها الخاص.^(١)

ثانياً: الاعتبارات الأخلاقية

حرص الباحث على الالتزام بالأصول الأخلاقية المتعارف عليها في البحث العلمي، والتي تضمن احترام حقوق المشاركين وخصوصياتهم، وقد تمثل ذلك في النقاط التالية:

(١) (سالم ٢٠١٧، ص: (٢٨٥))

١. الموافقة المسبقة: حصل الباحث على موافقة خطية أو شفوية من جميع المشاركين في

الدراسة، بعد توضيح طبيعة البحث وأهدافه وآلية استخدام البيانات.

٢. السرية والخصوصية: التزم الباحث بعدم الإفصاح عن أي معلومات شخصية تتعلق

بالمشاركين، وتم استخدام الأسماء الرمزية بدلاً من الأسماء الحقيقية في الجداول أو

التحليلات.

٣. الحق في الانسحاب: تم إعلام المشاركين بحقوقهم الكامل في الانسحاب من الدراسة في أي وقت

دون أي تبعات.

٤. عدم الإضرار: راعى الباحث ألا تسبب أي من أدوات البحث ضيقاً أو حرجاً نفسياً أو اجتماعياً

للمشاركين.

٥. استخدام البيانات للأغراض العلمية فقط: أكد للمشاركين أن التسجيلات والمقابلات لن

تُستخدم إلا في سياق البحث الأكاديمي، ولن تُنشر أو تُشارك دون إذن مسبق.

وقد أوصى العديد من الباحثين بضرورة مراعاة هذه المبادئ الأخلاقية عند إجراء البحوث

الاجتماعية واللغوية، لما لها من أثر في تعزيز مصداقية البحث واحترام كرامة المشاركين.^(١)

(١) (عبيدات ٢٠١٦، ص: (٢٧٠))

٤-١١ : إجراءات جمع البيانات

تم تنفيذ إجراءات جمع البيانات في هذه الدراسة وفق خطوات منهجية دقيقة تضمن تحقيق أهداف البحث، وذلك ضمن إطار المنهج المختلط (النوعي والكمي). إذ استُخدمت أدوات متعددة شملت: الاختبارات الصوتية، المقابلات شبه المنظمة، الملاحظات الميدانية، والتسجيلات الصوتية، وقد تم جمع البيانات على النحو الآتي:

١. تحديد العينة: تم اختيار العينة عمدياً من ثلاث جامعات تمثل شمال وجنوب الهند، وهي: جامعة المليية الإسلامية (نيو دلهي)، وجامعة كاليكوت، والجامعة الإنجليزية الأجنبية بحيدر أباد.

٢. تنفيذ الاختبار الصوتي: تم توزيع قائمة الكلمات المختارة على المشاركين، حيث طُلب منهم نطق مفردات محددة تم إعدادها مسبقاً لاختبار نطق الأصوات الصامتة في المواقع المختلفة من الكلمة (بداية، وسط، نهاية)، ثم طُلب منهم قراءة جمل قصيرة تحتوي على هذه الأصوات في سياقٍ لغوي.

٣. تسجيل الأداء الصوتي: سُجِّل الأداء الصوتي باستخدام أجهزة تسجيل عالية الجودة، مع الالتزام بالهدوء والوضوح الصوتي أثناء التفاعل.

٤. إجراء المقابلات: أجريت مقابلات فردية مع مجموعة من الأساتذة وطلاب الدراسات العليا في الجامعات الثلاث، وركزت على تصوراتهم حول ظاهرة الإبدال الصوتي وعلاقته باللغة الأم.

٥. الملاحظات الميدانية: رافق الباحث تنفيذ الاختبارات والمقابلات بملاحظات مكتوبة تركز

على الاستجابات غير اللفظية للمشاركين، ونوعية التردد أو الطلاقة، والتباين الجغرافي في

الأداء.

وقد أكد الباحث أهمية التخطيط المسبق لجمع البيانات في البحوث المختلطة، لأنه يُسهم في تعزيز

التكامل بين الجانبين الكمي والنوعي من الدراسة.^(١)

٤-١٢: تحليل البيانات

اعتمد تحليل البيانات في هذا البحث على مزيج من الطريقتين الكمية والنوعية، تماشياً مع طبيعة

المنهج المختلط الذي يستند إليه البحث. وتم تقسيم عملية التحليل إلى مرحلتين أساسيتين:

أولاً: التحليل الكمي: تم تحليل البيانات الكمية المستخلصة من نتائج الاختبارات الصوتية

باستخدام البرنامج الإحصائي SPSS ، بهدف رصد نمط الإبدال الصوتي لدى متعلمي اللغة العربية

في الهند، وفقاً للفئات التالية:

١. تصنيف النطق إلى "مبدل" و"صحيح": حيث جرى تصنيف نطق كل صوت من الأصوات

الصامتة المستهدفة حسب موقعه في الكلمة إلى نطق سليم أو مبدل.

٢. استخدام الأساليب الإحصائية الوصفية: مثل التكرارات والنسب المئوية لقياس مدى

انتشار ظاهرة الإبدال في الأصوات المستهدفة.

(١) (م. محمد ٢٠٢٠، ص: ٢٤٥)

٣. تحليل الفروق بين الفئات: باستخدام اختبار ANOVA لتحليل الفروق الإحصائية في

معدلات الإبدال الصوتي بين طلاب الجامعات الثلاث، وكذلك بين الطلاب حسب متغيرات

الجنس، والمستوى التعليمي، واللغة الأم.

قد ساعد التحليل الإحصائي في الكشف عن العلاقات بين المتغيرات المدروسة وتفسيرها بصورة

علمية دقيقة، كما أوصى به عدد من المتخصصين في تحليل البحوث الصوتية الكمية.^(١)

ثانياً: التحليل النوعي: تم تحليل البيانات النوعية التي جمعت عبر المقابلات والملاحظات

الميدانية بالأسلوب التحليلي الاستقرائي، وذلك على النحو الآتي:

١. تفريغ المقابلات وتبويبها: تم تفريغ التسجيلات الصوتية للمقابلات مع الأساتذة والطلاب،

ثم تنظيمها وفق محاور محددة ترتبط بأسئلة البحث.

٢. تحليل مضمون الردود: ركّز التحليل على تحديد التفسيرات التي يقدمها المشاركون لظاهرة

الإبدال، وعلاقتها بعوامل مثل اللغة الأم، والمنهج الدراسي، وطريقة التدريس.

٣. مقارنة الأنماط اللغوية: تم الربط بين أداء المتعلمين في الاختبارات الصوتية وبين ما صرّحوا

به في المقابلات، ما ساعد على كشف أسباب الظاهرة من منظورهم وتجاربهم التعليمية،

وقد أكّد باحثون أن التحليل النوعي يُعدّ مكماً ضرورياً لفهم أعمق للنتائج الكمية، خاصة

في الدراسات التي تتناول الجوانب الاجتماعية والثقافية للظاهرة اللغوية.^(٢)

(١) (زيتون ٢٠١٨، ص: ٢٣١)

(٢) (بدوي، مناهج البحث في العلوم الإنسانية ٢٠١٦، ص: ١٩٠)

٥: الباب الخامس: نتائج البحث ومناقشتها

يُعد هذا الفصل من أهم فصول البحث، حيث يتضمن عرضاً تفصيلياً للنتائج التي تم التوصل إليها من خلال التحليل الصوتي الدقيق لنطق المشاركين الهنود من متعلمي اللغة العربية بوصفها لغة ثانية، وذلك بعد إخضاعهم لاختبار صوتي مصمّم بعناية يهدف إلى قياس ظاهرة الإبدال الصوتي في عدد من الفونيمات العربية الصامتة والصائتة. وقد رُوِيَ في تصميم هذا الاختبار تنوع مواقع الأصوات المستهدفة داخل الكلمة (أول، وسط، آخر)، والتمثيل المتوازن للمتغيرات الجغرافية (شمال الهند وجنوبها)، مما يسمح بتحقيق الأهداف الرئيسة للبحث من جهة، وتوفير بنية كمية وتحليلية متكاملة من جهة أخرى.

استند الباحث في تحليل البيانات إلى المنهج المختلط، الذي يجمع بين الأساليب الكمية والنوعية في معالجة الظاهرة اللغوية، وذلك بهدف الوصول إلى تفسير علمي دقيق لظاهرة الإبدال، سواء من حيث معدلات الحدوث أو العوامل المؤثرة. كما تمّ توزيع الجداول والنتائج وفق الأهداف البحثية الثمانية التي وُضعت مسبقاً، بحيث يتناول كل محور من محاور الفصل هدفاً محدداً، مع تقديم تفسير لغوي واجتماعي مدعوم بالدراسات السابقة.

وتُبرز هذه النتائج الفروقات الواضحة بين أداء المتعلمين في شمال الهند ذوي الخلفية اللغوية الآرية، وأداء نظرائهم في الجنوب ذوي الخلفية الدرافيدية، حيث تتجلى ظاهرة الإبدال بشكل متفاوت يعكس أثر اللغة الأم، وموقع الصوت في الكلمة، ومدى تكراره أو صعوبته الإدراكية والفيسيولوجية. وقد أكد العديد من الباحثين أهمية هذا التباين في الأداء الصوتي بين الناطقين

بلغات مختلفة عند تعلم اللغة العربية، مشيرين إلى أنّ للغة الأم أثراً بارزاً في عملية اكتساب أصوات اللغة الثانية، خصوصاً إذا كانت الأصوات غير موجودة في المخزون الصوتي للغة الأولى، كما أشار إلى ذلك.^(١)

وُضعت نتائج النطق في سياق مقارنة مع أداء متحدثين أصليين باللغة العربية، والذين مثّلوا المرجعية الصوتية القياسية في هذا البحث. كما تمّ الاستناد إلى تسجيلات صوتية دقيقة، ومراجعتها من قبل لجنة أكاديمية متخصصة لضمان موضوعية النتائج ودقتها، في ضوء ما أكّد عليه خالد عبد الفتاح محمد في كتابه "مناهج البحث العلمي: النظرية والتطبيق" من ضرورة التحقق من صدق الأدوات وتحكيم البيانات الصوتية في الدراسات التجريبية.^(٢)

ويمكن القول إنّ النتائج المتحصّلة تمثل قاعدة تحليلية غنية، تتقاطع فيها العوامل الصوتية والاجتماعية والجغرافية والتعليمية، وهو ما يثري التفسير العلمي للظاهرة محل الدراسة. كما تُعد هذه النتائج مقدّمة ضرورية لمناقشة أوسع ستُقدّم في الفصل اللاحق، بهدف تفسير الأنماط الظاهرة وتقديم التوصيات المناسبة في ضوء المعطيات الصوتية واللغوية والاجتماعية.

(١) (عبيدات ٢٠١٦، ص: ٢٨٩)

(٢) (خ. محمد ٢٠٢٠، ص: ٢١٦)

٥-١ : أنماط الإبدال الصوتي في الصوامت

يمثل هذا القسم المحور الأول من فصول تحليل النتائج، ويهدف إلى استقصاء أنماط الإبدال الصوتي في الأصوات الصامتة لدى متعلمي اللغة العربية من الناطقين باللغات الهندية، من خلال فحص أدائهم في الكلمات المفردة التي تحتوي على الفونيمات العربية المستهدفة. وقد تم تصميم اختبار صوتي يتضمن كلمات مختارة بعناية، بحيث تتوزع فيها هذه الأصوات في مواقع مختلفة من الكلمة (البداية، الوسط، والنهاية)، مما يتيح إمكانية ملاحظة الفروق النطقية والأبدال التي قد تحدث لدى المتعلمين، وتحديد مدى ثباتها أو تكرارها في سياقات متنوعة.

وتُعد هذه المرحلة من التحليل مدخلاً أساسياً لفهم الخصائص الصوتية لمتعلمي اللغة العربية في بيئة هندية، حيث تختلف البنية الفونولوجية للغات الهندية المحلية - سواء كانت آرية كاللغة الهندية (Hindi) والأردية (Urdu)، أو درافيدية كالمالايالام (Malayalam) والتاميلية (Tamil) - عن نظيرتها في اللغة العربية، لا سيما فيما يخص بعض الأصوات غير الموجودة في النظام الصوتي للغتهم الأم، مثل: /θ/ (ث)، /ð/ (ذ)، /ʔ/ (ع)، /ɣ/ (غ)، /q/ (ق)، /ʃ/ (ش)، وغيرها من الأصوات المفخمة والمهموسة.

وقد أثبتت العديد من الدراسات الصوتية والتطبيقية أن اختلاف النظام الصوتي بين اللغة الأم واللغة المستهدفة يؤدي غالباً إلى صعوبات نطقية، ينتج عنها ما يُعرف بالإبدال الصوتي، أي

استبدال الفونيم المستهدف بفونيم آخر قريب في الصفات الصوتية أو أكثر ألفة للمتكلم، كما أشار إلى ذلك الباحث ذوقان عبيدات وآخرون في كتابهم البحث العلمي: مفاهيمه، أدواته، أساليبه.^(١)

١-١-٥: الفونيمات الصامتة المستهدفة وبدائلها

استناداً إلى نتائج الدراسة الاستكشافية والملاحظات الأولية، تم تحديد أحد عشر صوتاً صامتاً عربياً معرضاً للإبدال من قبل المتعلمين الهنود، وقد تم رصد هذه الإبدالات من خلال الاستماع إلى تسجيلاتهم وتحليل إنتاجهم الصوتي في السياقات المختارة، ويُبين الجدول الآتي توصيف هذه الأصوات من حيث صفاتها الصوتية ومخارجها، إلى جانب الفونيمات البديلة الشائعة التي استخدمها المشاركون:

جدول (١-٥): صفات ومخارج الأصوات الصامتة المستهدفة والبديلة

الصوت الأصلي	المخرج	الصفات الصوتية	الصوت البديل	مخرجه	صفاته	ملاحظات على سبب الإبدال
/θ/ ث	لثوي أمامي	مهموس احتكاكي	/s/ س	لثوي أمامي	مهموس احتكاكي	تشابه في المخرج والصفة – غياب /θ/ في اللغات الهندية
/h/ ح	حلقي	مهموس احتكاكي	/h/ هـ	حلقي	مهموس احتكاكي	صعوبة التحكم في شدة – /h/ اعتماد على الصوت الأخف
/ð/ ذ	لثوي أمامي	مجهور احتكاكي	/z/ ز	أسناني أمامي	مجهور احتكاكي	الصوت /ð/ غير موجود في المالايالامية والتاميلية
/ʔ/ ع	حلقي	مجهور احتكاكي	/ʔ/ همزة	حلقي	وقفي مهموس	إدراك الصوت كـ "ضغط صوتي" غير قابل للنطق الواضح

(١) (عبيدات ٢٠١٦، ص: ٢١٣)

الاعتماد على /g/ كبديل صوتي أسهل	وقفي مجهور	لهوي	/g/ جيم أعجمية	مجهور احتكاكي	لهوي خلفى	/ɣ/ غ
تشابه كبير في المخرج – سهولة في النطق	مهموس وقفي	لهوي خلفى	/k/ ك	مهموس وقفي	لهوي خلفى	/q/ ق
صعوبة التفخيم لدى المتعلمين – الاعتماد على التاء	مهموس وقفي	لثوي مرقى	/t/ ت	مجهور وقفي	لثوي مفخم	/ṭ/ ط
إبدال شائع – غياب الضاد في الهندية	مجهور وقفي	لثوي مرقى	/d/ د	مجهور وقفي	لثوي مفخم	/ḍ/ ض
التشابه السطحي بين الصوتين	مجهور احتكاكي	أسناني	/z/ ز	مجهور احتكاكي	لثوي مفخم	/ẓ/ ظ
صعوبة التفخيم – استخدام /s/ المرادف	مهموس احتكاكي	لثوي مرقى	/s/ س	مهموس احتكاكي	لثوي مفخم	/ṣ/ ص
تأثير الإنجليزية – وجود /v/ في الكلمات الأجنبية	مجهور احتكاكي	شفوي أمامي	/v/ ف	مجهور انزلاقي	شفوي خلفى	/w/ و (انزلاقي)

تُظهر هذه البدائل الصوتية ميول المتعلمين إلى استخدام أصوات أقرب إلى مخزونهم الصوتي الأصلي، أو أقل طلباً من حيث الجهد العضلي والمهاري، وهو ما ينسجم مع مبدأ "الجهد الأقل" في التحدث، كما طرحه عدد من الباحثين في علم اللغة النفسي.

يُشير هذا التوصيف المقارن إلى أن معظم الأبدال الصوتية المسجلة لدى المشاركين ترتبط بأصوات غير موجودة في النظام الصوتي للغاتهم الأم، مما يدفعهم إلى تعويض النقص عبر استخدام بدائل صوتية متقاربة في الصفات من حيث الجهازة، والهمس، وطبيعة المخرج، ونوع الصوت، وقد وجدنا أن معظم البدائل المختارة تنتهي إلى أصوات مألوفة في اللغات الهندية، لا سيما في اللغة الهندية

والأردية، وهو ما يتماشى مع ما أشار إليه عبد الرحمن أيوب في دراسته عن التداخل الصوتي في تعليم العربية للناطقين بغيرها، حيث أكد أن "غياب بعض الفونيمات في اللغة الأم يدفع المتعلمين إلى استحضار بدائل أقرب إلى إدراكهم السمعي وحركتهم النطقية".^(١)

وتُظهر البدائل الصوتية أيضاً ميولاً إلى "التخفيف الفونولوجي"، وهي ظاهرة معروفة في علم الأصوات التطبيقية، تحدث عندما يواجه المتعلم صوتاً يُعد ثقيلًا من حيث الموقع أو المخرج أو الحركات العضلية المطلوبة، فيلجأ إلى صوت أخف أو أكثر شيوعاً، كما في إبدال (ق/ك) بـ (ك/ك)، (ث/θ) بـ (س/s)، (ع/ع) بـ (ء/ʔ)، وهي كلها أصوات أكثر انتشاراً في البيئات اللغوية الهندية، وفق ما بينه الشنطي في دراسته حول تعليم الأصوات العربية في البيئات متعددة اللغات.^(٢)

إنّ هذا النمط من الإبدال لا يُعد عشوائياً أو فردياً، بل هو مؤشر دقيق على تفاعل الجهاز النطقي للمتعلم مع البيئة الصوتية الجديدة، وهو ما يدعم فرضية أن اكتساب الفونيمات الأجنبية يتأثر بثلاثة مستويات: الإدراك الصوتي، والقدرة الفسيولوجية على الإنتاج، ومدى التعرّض الكافي للسمع والتقليد، كما توصل إلى ذلك عبده الراجحي في تحليله لعملية اكتساب الأصوات لدى متعلمي العربية في أفريقيا.^(٣)

وتأسيساً على ما سبق؛ فإن تحليل هذه الأصوات وفق خصائصها ومقارنة بدائلها يُشكّل خطوة تمهيدية لفهم أوسع لأنماط الإبدال، التي سيتم عرضها في الأقسام التالية من هذا الفصل. وسوف

(١) (أيوب، اللغة والتطور ١٩٦٩م، ص: ٩٨)

(٢) (الشنطي ٢٠١٧، ص: ١٧٢)

(٣) (الراجحي، علم الأصوات ٢٠٠١، ص: ٢٣١)

يتم لاحقاً تفصيل نسب الإبدال لكل صوت من هذه الأصوات، ومواقع حدوثه داخل الكلمة، وتباين الأداء بين المشاركين من شمال وجنوب الهند، مع بيان الدلالات التربوية واللسانية لهذه الظاهرة، في ضوء الدراسات السابقة والنظريات الصوتية الحديثة.

تُبرز المعطيات السابقة أن اختيار الفونيمات المستهدفة لم يكن اعتباطياً، بل بُني على ملاحظات دقيقة سابقة للدراسة، واستند إلى الفروق بين النظام الصوتي العربي واللغات الهندية المستخدمة من قبل المشاركين. وقد تمّ التحقق من هذه الفروقات عبر اختبار ميداني مصمم بعناية، يغطي مختلف مواقع الصوت في الكلمة، مما أتاح رصد أنماط الإبدال الصوتي لدى المتعلمين الهنود بصورة كمية ونوعية.

كما أوضح التوصيف المقارن بين الأصوات الأصلية وبدائلها الاتجاهات الصوتية العامة التي يميل إليها المتعلم في حال واجه صعوبة في إنتاج الفونيم العربي المستهدف، وهي اتجاهات تقوم على القرب الصوتي، أو الجهد الأدنى، أو الألفة السمعية، أو سهولة المخرج. وهذه الاتجاهات تُسهم في بناء قاعدة تحليلية تستند إليها المقارنة في الفصول التالية، كما تفتح المجال أمام تفسير الظاهرة في ضوء النماذج الإدراكية والنطقية المختلفة.

انطلاقاً من هذا الأساس النظري والتحليلي، ننتقل الآن إلى القسم التفصيلي من هذا الفصل، والذي يُعنى بتحليل أنماط الإبدال الصوتي حسب كل صوت صامت مستهدف، وفقاً لبيانات النطق المسجلة والمحللة إحصائياً، ونبدأ بالصوت الأول /θ/ (الثاء).

٥-٢: الصوت (ث/θ/)

يُعدّ الصوت (ث/θ/) من الأصوات الاحتكاكية المهموسة والمخرجة من طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا، وهو صوت غير موجود في كثير من اللغات الهندية، مما يجعله عرضة للإبدال عند متعلمي اللغة العربية من المتحدثين بتلك اللغات. ويتمثل هذا الإبدال غالباً في تحويله إلى أحد الأصوات القريبة من حيث المخرج أو الصفات، مثل (ت/ t/) أو (س/ s/)، نتيجة لتداخل النظام الصوتي للغة الأم مع اللغة الهدف، أو لتطبيق مبدأ "الجهد الأقل" في النطق، كما أوضح ذلك تمام حسان في دراسته.^(١)

١. نتائج اختبار المفردات:

تم تحليل أداء المشاركين في نطق الصوت (ث/θ/) من خلال مجموعة مكونة من اثني عشرة كلمة تتضمن هذا الصوت في مواقع مختلفة من الكلمة (البداية، الوسط، النهاية)، وقد شارك في الاختبار ستون متعلماً من شمال الهند وستون من الجنوب. يظهر الجدول التالي نسب الإبدال لكل كلمة:

يُعدّ الصوت θ/ (ث) من الأصوات الاحتكاكية المهموسة، ذات المخرج الأسنان، ويُصنّف ضمن الأصوات غير الموجودة في معظم اللغات الهندية، سواء الآرية أو الدرافيدية، ونتيجة لذلك؛ يُواجه متعلمو العربية من هذه الخلفيات اللغوية صعوبة ملحوظة في إنتاجه، ما يؤدي غالباً إلى استبداله

(١) (حسان، اللغة العربية مبناها ومعناها ٢٠٠٦، ص: ١٦٢)

بصوت /s/ (س)، نظراً للتقارب النسبي في الصفة (احتكاكي مهموس) واليسر في النطق، كما أشار

إلى ذلك عبد الحميد محمد في كتابه "الصعوبات الصوتية لدى الناطقين بغير العربية" (١).

تم تحليل أداء المشاركين في نطق الصوت (ث /θ/) من خلال مجموعة مكونة من اثني عشرة كلمة

تتضمن هذا الصوت في مواقع مختلفة من الكلمة (البداية، الوسط، النهاية). وقد شارك في الاختبار

ستون متعلماً من شمال الهند وستون من الجنوب. يظهر الجدول التالي نسب الإبدال لكل كلمة:

جدول (٥-٢): نسب إبدال الصوت (ث /θ/) في الكلمات المفردة

الكلمة	نسبة الإبدال - شمال الهند (%)	نسبة الإبدال - جنوب الهند (%)	المتوسط (%)
ثواب	٨٠,٠٠	٧٠,٠٠	٧٥,٠٠
ثيب	٧٥,٠٠	٦٦,٦٧	٧٠,٨٣
ثابت	٨٣,٣٣	٧٥,٠٠	٧٩,١٧
ثمود	٦٦,٦٧	٦٦,٦٧	٦٦,٦٧
جاثوم	٨٣,٣٣	٧٦,٦٧	٨٠,٠٠
تأثير	٨٠,٠٠	٧٠,٠٠	٧٥,٠٠
ماثل	٧٥,٠٠	٦٦,٦٧	٧٠,٨٣
تلعثم	٨٠,٠٠	٧٠,٠٠	٧٥,٠٠
تلوث	٧٣,٣٣	٧٠,٠٠	٧١,٦٧
حديث	٧٦,٦٧	٧٣,٣٣	٧٥,٠٠
تثليث	٨٠,٠٠	٦٠,٠٠	٧٠,٠٠
حدث	٧٣,٣٣	٧٠,٠٠	٧١,٦٧

(١) (ع. محمد ٢٠٠٩، ص: ٦٥)

يتبين من الجدول أن نسب الإبدال ترتفع في الكلمات التي يقع فيها الصوت في بداية الكلمة، مثل "ثواب" و"ثابت"، حيث بلغت النسبة ٨٠٪ و ٨٣,٣٣٪ على التوالي في شمال الهند، و ٧٠٪ و ٧٥٪ في جنوب الهند، أما في الكلمات التي يقع فيها الصوت في وسط أو نهاية الكلمة مثل "جاثوم" و"تلوث"، فقد ظلت النسب مرتفعة كذلك، وهو ما يدل على أن المتعلمين لا يجدون فرقاً كبيراً في صعوبة نطق الصوت بناءً على موقعه في الكلمة، بل إن المشكلة تتعلق بطبيعة الصوت نفسه وندرته في لغاتهم الأصلية، كما يؤكد ذلك عبد الصبور شاهين في كتابه علم الصوتيات.^(١)

٢. نتائج اختبار الصوت (ث /θ/) في الجُمْل (السياق التركيبي):

كما تم اختبار نطق الصوت (ث /θ/) ضمن جمل تحتوي على مفردات مستهدفة مثل: "ثريا"، "ثلاثة"، و"غيث". وتوضح النتائج نسب الإبدال التالية:

جدول (٥-٣): نسب إبدال الصوت (ث /θ/) في الجمل (السياق التركيبي)

الكلمة	عدد الإبدال - شمال الهند	عدد الإبدال - جنوب الهند	نسبة الإبدال - شمال الهند (%)	نسبة الإبدال - جنوب الهند (%)	المتوسط (%)
ثريا	٤٨	٤٢	٨٠,٠٠	٧٠,٠٠	٧٥,٠٠
ثلاثة	٤٥	٤٠	٧٥,٠٠	٦٦,٦٧	٧٠,٨٣
غيث	٥٠	٤٥	٨٣,٣٣	٧٥,٠٠	٧٩,١٧

تشير النتائج إلى أن السياق التركيبي لا يُقلِّل من نسبة الإبدال، بل في بعض الأحيان تزيد النسبة كما في كلمة "غيث" التي سجلت أعلى نسب الإبدال (٨٣,٣٣٪ في الشمال و ٧٥٪ في الجنوب). وهذا

(١) (شاهين، علم الصوتيات ١٩٩٤، ص: ١٠١)

يعكس أن المتعلمين لا يستفيدون من السياق في تحسين نطقهم لهذا الصوت، ما يدل على رسوخه كعائق إدراكي ومخرجي في آن واحد.

التحليل والمناقشة لإبدال صوت الثاء:

يُظهر الجمع بين بيانات المفردات والسياق أن الصوت (ث /θ/) يعاني من إبدال شديد لدى المتعلمين الهنود، ويُعدّ من أكثر الأصوات عرضة للتغيير في النظام الصوتي للغة الثانية. ويرتبط هذا الإبدال بمجموعة من العوامل، أهمها:

١. غياب الصوت من النظام الصوتي للغة الأم، خاصة في المالايالامية والهندية، مما يفسر محاولات الاستعاضة عنه بأصوات أخرى مألوفة.

٢. تشابه الصوت (ث /θ/) مع أصوات أخرى من حيث المخرج أو الطريقة، كالصوت (ت /t/) في بعض اللهجات الهندية.

٣. الجهد العضلي المطلوب لإنتاجه، وهو ما يدفع المتعلمين إلى تبني بدائل أسهل من حيث الأداء الحركي، كما تشير إليه فرضية "الجهد الأقل" التي طبقت في دراسات عديدة حول تعليم اللغات الثانية.^(١)

٤. ضعف الوعي الصوتي، حيث لا يتعرف المتعلم بسهولة على الفرق الدقيق بين الصوت الهدف والبديل المستخدم.

يمثل الصوت (ث /θ/) حالة نموذجية لصوت مبدل وظيفياً عند متعلمي العربية من الناطقين بغيرها، ويُوصى بتكثيف التدريبات المعتمدة على التمييز السمعي والتدريب النطقي الموجه، مع اعتماد أمثلة سياقية متكررة، لتثبيت هذا الصوت وتعزيز حضوره في الجهاز النطقي للمتعلم.

(١) (عثمان ٢٠١٠، ص: ١٣٨)

٣-١-٥: الصوت (/ħ/) (ح)

يُصنّف الصوت (/ħ/) في العربية ضمن الأصوات الحلقية المهموسة، وهو صوت رخو خالٍ من الجهر والتفخيم، يخرج من الحلق ويتميّز بكونه غير موجود في معظم اللغات الهندية. وتُعدّ الأصوات الحلقية، ومنها (/ħ/)، من الأصوات التي يصعب على متعلمي اللغة العربية من الناطقين بغيرها إتقان نطقها، إذ لا يقابلها في لغاتهم أصوات مماثلة من حيث المخرج أو الخصائص، مما يؤدي إلى إبدالها أو تحويلها إلى أصوات حلقية أخرى مثل (/ħ/) أو إلى حذفها أحياناً، وقد أكد الباحثون في علم الصوتيات العربية أن الصوت (/ħ/) "أكثر ما يعاني غير العرب في ضبطه صوتياً"^(١).

أولاً: الصوت (/ħ/) في المفردات

تمثّل الحاء /ħ/ أحد الأصوات الحلقية المهموسة في اللغة العربية، والتي لا يوجد لها نظير دقيق في العديد من اللغات الهندية، خصوصاً المالايالامية والهندية، مما يجعلها من أكثر الأصوات صعوبة في النطق لدى الناطقين بغير العربية. وتُظهر نتائج هذا الصوت تباينات لافتة، وهو ما نستعرضه فيما يلي من خلال جدول النسب المئوية للإبدال، تليه مناقشة تحليلية:

جدول (٤-٥): نسب إبدال الصوت (/ħ/) في الكلمات المفردة

الكلمة	شمال الهند (%)	جنوب الهند (%)	المتوسط (%)
حامد	١٠٠	٩٠	٩٥
حيوان	٩٠	١٠٠	٩٥
حوت	١٠٠	٩٠	٩٥
حديث	١٠٠	٨٠	٩٠
يحاول	٩٠	٨٠	٨٥
يحمي	٩٠	٧٠	٨٠

(١) (حسان، اللغة العربية مبناها ومعناها ٢٠٠٦، ص: ١٧٢)

٩٠	٩٠	٩٠	وحوش
٨٥	٨٠	٩٠	محمد
٩٥	٩٠	١٠٠	رياح
٩٥	١٠٠	٩٠	مريح
٩٥	٩٠	١٠٠	لوح
٨٥	٨٠	٩٠	راجع

تعكس البيانات الواردة نسب إبدال عالية جداً للصوت /h/ لدى كلا المجموعتين من المشاركين (شمال الهند وجنوبها)، حيث تتراوح النسب بين ٧٠٪ و ١٠٠٪، مما يدل على أن الحاء من أكثر الأصوات العربية عرضة للإبدال لدى المتعلمين الهنود. وقد بلغ المتوسط العام لإبدال الصوت في المفردات ٩٠٪، وهو معدل مرتفع جداً يدل على إخفاق شبه جماعي في إنتاج الصوت بصورة سليمة.

١. التحديات الإدراكية وصعوبة المخارج:

يُعزى هذا الإبدال إلى صعوبة الصوت من ناحية المخارج؛ فالصوت /h/ يُنتج من الحنجرة بضغط خفيف للهواء عبر الحلق، وهو غير موجود في اللغات الهندية، ما يجعل تمثيله الإدراكي عند المتعلم ضعيفاً، ومن ثم؛ يكون الإبدال بأصوات أكثر شيوعاً في لغتهم الأم أمراً شائعاً، كأن يُنطق /h/ بـ /k/ أو حتى يُهمل تماماً.

٢. أثر اللغة الأم:

وفقاً لنظرية الانتقال الصوتي التي طوّرها Flege عام (١٩٩٥)،^(١) فإن المتعلمين غالباً ما يعتمدون على أصوات مشابهة في لغتهم الأم عند تعلم أصوات لغة ثانية، وهو ما يفسّر إحلال ه/h مكان ح/h في العديد من الحالات، لأن ه/h موجود بكثرة في الهندية والمالايالامية ويُعتبر أقرب صوت له إدراكياً.

٣. السياق الصوتي للكلمة:

يُلاحظ أن الإبدال كان أعلى في الكلمات التي يبدأ بها الصوت (مثل "حامد"، "حوت"، "حديث")، مما يشير إلى أن البداية الصوتية للكلمة تُعد موضعاً حساساً للخطأ، بينما يقل الإبدال نسبياً في الوسط أو النهاية (كما في "محمد"، "مريح"، "لوح"). يتوافق ذلك مع دراسات تؤكد أن الموقع في الكلمة يؤثر على دقة النطق.^(٢)

٤. التباين الجغرافي:

رغم التقارب العام في نسب الإبدال بين الشمال والجنوب، إلا أن هناك بعض الفروق الدقيقة:

- أظهر الشمال نسباً أعلى في بعض الكلمات مثل "حديث" (١٠٠٪) و"محمد" (٩٠٪).
- بينما تفوق الجنوب في كلمات مثل "حيوان" و"مريح" بنسبة (١٠٠٪).

وهذا يدل على أن التوزيع الجغرافي ليس العامل الوحيد، بل تتقاطع معه عوامل مثل التعرض المكثف للغة، مستوى التعليم، والتدريب الصوتي.

(١) (Flege 1995)

(٢) (Best et al. 1995)

نتائج اختبار الجمل (السياق التركيبي):

تم فحص نطق الصوت نفسه ضمن سياقات تركيبية تشمل جملاً طبيعية تحتوي على الكلمات السابقة. النتائج كما يلي:

جدول (٥-٥): نسب إبدال الصوت (ح /h/) في الجمل (السياق التركيبي)

الكلمة ضمن الجملة	إبدال شمال الهند	نسبة الإبدال - شمال الهند (%)	إبدال جنوب الهند	نسبة الإبدال - جنوب الهند (%)	المتوسط
حمزة	٦٠	١٠٠,٠	٦٠	١٠٠,٠	١٠٠,٠
أحمد	٦٠	١٠٠,٠	٥٤	٩٠,٠	٩٥,٠
الصباح	٤٨	٨٠,٠	٥٤	٩٠,٠	٨٥,٠

تؤكد نتائج الجمل السياقية النمط نفسه من الإبدال العالي، مما يدل على أن السياق لا يُحسِّن من نطق الصوت (ح /h/)، بل إن المتعلمين يميلون إلى استبداله حتى في التراكيب اللغوية الكاملة، ما يدل على أن المشكلة تكمن في استيعاب المتعلم لطبيعة الصوت نفسه وليس فقط في موضعه.

التحليل والمناقشة لإبدال صوت (ح /h/)

تشير البيانات السابقة إلى أن الصوت (ح /h/) يقع ضمن قائمة الأصوات "الأكثر إبدالاً" لدى المشاركين في الدراسة. ويمكن تفسير هذه الظاهرة عبر النقاط الآتية:

١. غياب الصوت من الفونيمات الهندية: لا يوجد نظير دقيق لهذا الصوت في الهندية أو المالايالامية، ويصعب على الجهاز النطقي للمتعلمين تمثيله بدقة.
٢. تشابهه مع (هـ /h/) صوتياً: يستبدل كثير من المتعلمين الصوت (ح /h/) بالصوت (هـ /h/) لما بينهما من تشابه في الهمس والرخاوة، لكن الفارق الأساسي في المخرج لا يدرك بسهولة.^(١)

(١) (شاهين، علم الصوتيات ١٩٩٤، ص: ١١٦)

٣. نقص التمارين السمعية والنطقية: لا يحصل الطلاب غالباً على تدريب كافٍ على التمييز الدقيق بين الأصوات الحلقية في المواد التعليمية المعتادة.

٤. غياب الوعي الفونيمي: يعاني المتعلم من ضعف في إدراك الفروق الصوتية الدقيقة، ما يجعل التمييز بين (ح /h/) و(هـ /h/) شبه معدوم في كثير من الحالات.

يؤكد تحليل الأداء في المفردة والسياق أن الصوت (ح /h/) يُعدّ من أكثر الأصوات العربية تعرضاً للإبدال لدى طلاب الهند، بسبب خصائصه الصوتية الفريدة وموقعه النطقي في الحلق، وهو ما يستدعي معالجة تربوية مركزة تشمل التدريب السمعي، وتقوية الإدراك الفونيمي، وتعزيز الممارسة النطقية التفاعلية. ويُوصى بإدراج تمارين تفريقية بين (ح /h/) و(هـ /h/) في مناهج تعليم النطق العربية للناطقين بغيرها.

٥-٤: الصوت (ذ /ð/)

يُعد الصوت (ذ /ð/) من الأصوات الصامتة الاحتكاكية المهموسة بين الأسنان، وهو من الأصوات النادرة نسبياً في كثير من اللغات، ومنها اللغات الهندية المحلية، لا سيما المالايالامية والهندية الشمالية، مما يفسّر صعوبة اكتسابه لدى متعلمي العربية من تلك البيئات اللغوية. وقد أشار بعض الباحثين إلى أن الأصوات بين الأسنان ك(ذ /ð/)، و(ث /θ/) تُعد من أكثر الأصوات عرضة للإبدال في سياقات التعلّم الرسمي وغير الرسمي، نظراً لغيابها من منظومة الصوت الأصلية للدارس.

أولاً: عرض بيانات الإبدال في الكلمات المفردة

تمّ اختيار ١٢ كلمة مفردة تتضمن الصوت (ذ/ð/) في مواضع مختلفة (أول الكلمة، وسطها، وآخرها)، منها كلمات مثل: "ذلك"، "ذو مال"، "ذيل"، "ذرة"، "يتذوق"، "يذيب"، وغيرها. وقد تكررت هذه الكلمات على لسان المشاركين من شمال وجنوب الهند، بواقع ٦٠ مشاركاً من كل منطقة، ويوضح الجدول التالي عدد المشاركين الذين أبدلوا هذا الصوت في الكلمات المفردة:

جدول (٥-٦): نسب إبدال الصوت (ذ/ð/) في الكلمات المفردة

الكلمة	نسبة الإبدال (شمال)	نسبة الإبدال (جنوب)	المتوسط
ذلك	١٠٠,٠	٧٠,٠	%٨٥,٠
ذو مال	١٠٠,٠	٩٠,٠	%٩٥,٠
ذيل	١٠٠,٠	٨٠,٠	%٩٠,٠
ذرة	١٠٠,٠	٥٠,٠	%٧٥,٠
هذا	٨٠,٠	٧٠,٠	%٧٥,٠
يتذوق	٨٠,٠	٨٠,٠	%٨٠,٠
يذيب	٩٠,٠	٥٠,٠	%٧٠,٠
مذنب	٨٠,٠	٥٠,٠	%٦٥,٠
شاذ	٩٠,٠	٥٠,٠	%٧٠,٠
يلوذ	٨٠,٠	٩٠,٠	%٨٥,٠
لذيد	١٠٠,٠	٩٠,٠	%٩٥,٠
يشحذ	٦٠,٠	٨٠,٠	%٧٠,٠

تشير البيانات إلى أن النسبة العامة لإبدال الصوت (ذ/ة/) مرتفعة جداً لدى المشاركين من شمال الهند، حيث بلغت ١٠٠٪ في خمس كلمات من أصل اثنتي عشرة، وهي: "ذلك"، "ذو مال"، "ذيل"، "ذرة"، و"لذيد". أما أدنى نسبة فقد سجلت في كلمة "يشحد" بواقع ٦٠٪، مما يدل على صعوبة هذا الصوت حتى لدى الدارسين من الشمال الذين لديهم خلفيات لغوية أوسع في بعض الحالات، كالتعرض للإنجليزية.

وفي المقابل، فإن نسب الإبدال لدى المشاركين من جنوب الهند كانت أقل استقراراً، إذ تراوحت بين ٥٠٪ و ٩٠٪، وسُجلت أعلى نسبة في كلمتي "ذو مال" و"لذيد" (٩٠٪)، بينما كانت أدناها في كلمات "ذرة"، "يذيب"، "مذنب"، و"شاذ" (٥٠٪). هذا التباين يُعزى إلى تأثير المتعلمين بخصائص اللغة المالايالامية، التي تفتقر كلياً إلى الأصوات بين الأسنان، ما يجعل البدائل الصوتية (مثل /d/ أو /z/) أكثر شيوعاً لديهم.

ويظهر من المعطيات أيضاً أن موقع الصوت داخل الكلمة لم يكن العامل الوحيد في صعوبة النطق، إذ لوحظ ارتفاع نسبة الإبدال حتى في الكلمات التي يظهر فيها الصوت في أول الكلمة مثل "ذلك"، "ذو مال"، مما يُشير إلى أن سبب الصعوبة يعود إلى عدم وجود الصوت في اللغة الأم أكثر من كونه متعلقاً بالموقع داخل الكلمة، وهو ما تؤكدته دراسات تعلم الأصوات الثانية.^(١)

يتّضح أن الصوت (ذ/ة/) من أكثر الأصوات تعرّضاً للإبدال، وبلغت نسب الإبدال فيه في بعض الكلمات ١٠٠٪، ما يجعله ضمن قائمة "الأصوات الحرجة" التي تتطلب تدخلاً تعليمياً خاصاً.

١. هناك تفاوت طفيف بين أداء طلاب شمال الهند وجنوبها، لكنه لا يصل إلى مستوى الدلالة الإحصائية، مما يعزز أن غياب الصوت عن اللغة الأم هو العامل المؤثر الأبرز.

٢. ينبغي على معلمي العربية للناطقين بغيرها الانتباه إلى مثل هذه الأصوات، وتدريب الطلاب على إنتاجها عبر تقنيات الوعي الصوتي والمقارنة بين المخرجين.

(١) (حسان، اللغة العربية مبناها ومعناها ٢٠٠٦، ص: ٩٨)

ثانياً: بيانات الإبدال في السياق التركيبي

في هذا الجزء، تم تحليل أداء المشاركين في نطق الصوت (ذ/ð/) ضمن الجمل، وذلك لتحديد ما إذا كان للسياق النحوي أو التركيبي أثر في زيادة أو خفض معدلات الإبدال، مقارنةً بنطقه في المفردات المعزولة. تم توظيف ثلاث جمل تحتوي على هذا الصوت في مواقع مختلفة، وتم قياس عدد المشاركين الذين أبدلوا الصوت في كل حالة.

جدول (٥-٧): نسب إبدال الصوت (ذ/ð/) في (الجمل) السياق التركيبي

الكلمة من الجملة	النسبة شمال الهند (%)	النسبة جنوب الهند (%)	المتوسط
ذهبت	٧٠,٠	٧٠,٠	٧٠,٠
الأستاذة	٦٠,٠	٦٠,٠	٦٠,٠
التلاميذ	٨٠,٠	٨٠,٠	٨٠,٠

تشير النتائج إلى أنَّ السياق التركيبي لم يُحدث تغييراً جوهرياً في أنماط الإبدال مقارنةً بنطق الكلمات المفردة. فقد بلغت نسبة الإبدال في جملة "ذهبت" ٧٠ % لدى كلا الفريقين، وهي نسبة قريبة من تلك المسجلة في المفردات التي تحتوي على الصوت نفسه.

أما في جملة "الأستاذة"، فقد بلغت نسبة الإبدال ٦٠٪ لدى الطرفين، مما يُظهر استمرار صعوبة نطق الصوت رغم وجوده في وسط الكلمة داخل سياق نحوي. أما أعلى نسبة إبدال فقد سُجلت في جملة "التلاميذ" (٨٠٪)، والتي تُظهر مدى استمرارية الإبدال حتى في حال وجود سياق لغوي يساعد على توقع الكلمة.

وهذا يدلّ على أن السياق التركيبي لا يساهم بشكل فعّال في تقليل ظاهرة الإبدال، وهو ما يتوافق مع ما أورده رمضان عبد التواب، في فقه اللغة، من أن تمثّل المتعلّم للأصوات غير الموجودة في لغته الأم يحتاج إلى تدريب دقيق، ولا يعتمد فقط على إدراك المعنى أو البنية النحوية للجملة.^(١)

ومن الملاحظ أن تشابه نسب الإبدال بين المشاركين من الشمال والجنوب في هذا السياق، بخلاف التباين الذي ظهر أحياناً في الكلمات المفردة، يُشير إلى أن بعض العوامل المشتركة كوسائل التعليم أو التعرض للأصوات قد تكون مؤثرة بشكل جماعي في البيئتين.

أهم الاستنتاجات

١. يُعد الصوت (ذ/ة/) من الأصوات التي تُظهر مقاومة عالية للتعلم الصحيح سواء في المفردة أو الجملة، نتيجة غيابه عن النظام الصوتي للهجات الهندية.
٢. السياق التركيبي لا يؤدي دوراً جوهرياً في تحسين النطق، كما أن نسب الإبدال في الجمل تكاد تطابق نسب المفردات.

من الضروري دمج هذا الصوت في تدريبات مركّبة تجمع بين الإدراك السمعي والنطق العملي، مع الاستعانة بالوسائط البصرية والسمعية التي تُبرز مخرج الصوت ومكانه.^(٢)

(١) (عبد التواب، التطور اللغوي) (مظاهره وعمله وقوانينه) ١٩٩٧، ص: ١٧٢)

(٢) (ع. القاسمي، علم اللغة التعليمي ٢٠٠٤، ص: ٢٣٣)

٥-١-٥: الصوت (/s/) (ص)

الصوت (/s/) من الأصوات الصامتة الشديدة والمهموسة والمفخمة، ينتمي إلى الأصوات الأسنانية – اللثوية، ويمثل أحد الحروف المطبقة الثلاثة في اللغة العربية، وهي (ص، ض، ط). يتميز هذا الصوت بطبيعة نطقية تتطلب درجة عالية من التوتر العضلي، والقدرة على المحافظة على الإطباق الجزئي خلال مروره الهوائي، ما يجعله من الأصوات ذات الصعوبة النسبية في نطقها لدى المتعلمين الناطقين بغير العربية، خصوصاً في البيئات اللغوية التي تخلو من نظير مفخم له.

وتُشير الدراسات الصوتية إلى أن الأصوات المفخمة – بصفة عامة – تمثل تحدياً أمام الناطقين بلغات لا تحتوي على التفخيم، مثل اللغة المالايالامية (اللغة الأم لعدد من المشاركين في جنوب الهند)، إذ لا يُقابلها في هذه اللغة سوى أصوات مطبقة غير مفخمة،^(١) وتُظهر بيانات هذا البحث أن إبدال هذا الصوت يختلف من حيث النسبة والاتجاه بين المتعلمين في شمال وجنوب الهند، وهو ما يتطلب تحليلاً مفصلاً لمظاهره في السياقين: المفرد والتركيب.

١- نتائج إبدال صوت (/s/) في المفردات

يبين الجدول التالي عدد المشاركين الذين أبدلوا الصوت (/s/) في الكلمات المفردة، موزعة بين شمال وجنوب الهند، ثم تحويل الأعداد إلى نسب مئوية تسهيلاً للمقارنة:

(١) (عبدالعزیز ١٩٨١، ص: ١٢٣)

جدول (٨-٥): نسب إبدال الصوت (ص /s/) في الكلمات المفردة

الكلمة	نسبة شمال الهند (%)	نسبة جنوب الهند (%)	المتوسط (%)
صاحب	٨٠,٠	٧٠,٠	٧٥,٠
صوت	٤٠,٠	٩٠,٠	٦٥,٠
صيام	٩٠,٠	٦٠,٠	٧٥,٠
صربيا	٨٠,٠	٦٠,٠	٧٠,٠
أصابع	٩٠,٠	١٠٠,٠	٩٥,٠
لصوص	١٠٠,٠	٨٠,٠	٩٠,٠
بصيص	٧٠,٠	١٠٠,٠	٨٥,٠
بصلة	١٠٠,٠	٩٠,٠	٩٥,٠
غواص	٦٠,٠	٩٠,٠	٧٥,٠
مرصوص	٩٠,٠	٦٠,٠	٧٥,٠
حريص	٨٠,٠	٧٠,٠	٧٥,٠
النص	٧٠,٠	٨٠,٠	٧٥,٠

تُظهر البيانات تفاوتاً ملحوظاً في نسب الإبدال بين المشاركين من شمال وجنوب الهند. ففي حين تظهر نسب عالية لدى الطلاب في الجنوب في كلمات مثل "صوت" (٩٠٪) و"بصيص" (١٠٠٪)، فإن الشماليين تفوقوا في إبدال كلمات مثل "مرصوص" (٩٠٪) و"صيام" (٩٠٪). ويبدو أن المفردات التي تحتوي على أكثر من صامت مفخم أو على بناء صر في مركب (كالتضعيف أو الإدغام) تمثل تحدياً أكبر لدى المشاركين من الجهتين، وهو ما يفسّر التذبذب في نسب الإبدال. كما أن الكلمات المأخوذة من جذور فصيحة خالصة – غير دخيلة – تظهر تبايناً أقل نسبياً.

نتائج إبدال صوت (ص /س/) في السياق التركيبي

أما في سياقات الجملة، فإن البيانات تشير إلى نسب إبدال متفاوتة لكنها أقل تشتتاً مقارنة بالسياق المفرد، كما يتضح في الجدول التالي:

جدول (٥-٩): نسب إبدال الصوت (ص /س/) في الجمل (السياق التركيبي)

الكلمة	النسبة شمال الهند (%)	النسبة جنوب الهند (%)	المتوسط (%)
صالح	٨٠,٠	٧٠,٠	٧٥,٠
عصير	١٠٠,٠	٧٠,٠	٨٥,٠
حريص	٦٠,٠	٩٠,٠	٧٥,٠

تؤكد المعطيات أن الأداء الصوتي في السياق التركيبي لا يختلف كثيراً عن الأداء في الكلمات المعزولة، بل قد يتأثر إيجاباً أو سلباً بحسب درجة الوعي السياقي للمشاركين. فعلى سبيل المثال، بلغت نسبة الإبدال في كلمة "عصير" ١٠٠٪ في الشمال، ما يشير إلى صعوبة خاصة يواجهها هؤلاء المشاركون مع الأصوات المفخمة التي تأتي في بداية الكلمة أو تتوسطها بين أصوات لينية.

خلاصة تحليل صوت (ص /س/)

يُظهر تحليل الصوت (ص /س/) أن الإبدال فيه يرتبط بعوامل متعددة منها موقع الصوت في الكلمة، والبنية الصرفية، وطبيعة السياق النطقي، فضلاً عن الخلفية الفونولوجية للغة الأم، وتدعم هذه

النتائج ما ذهب إليه الباحثون من أن الأصوات المفخمة في اللغة العربية تمثل أحد التحديات الكبرى في تعليم العربية للناطقين بغيرها.^(١)

٥-١-٦ الصوت (/d/) (ض)

يُعد الصوت (/d/) من الأصوات الانفجارية المجهورة والمفخمة في العربية الفصحى، وهو صوت مميز وفريد في النظام الفونولوجي العربي، حتى سُميت اللغة بلغة الضاد لما له من ندرة وعدم وجوده في اللغات الأخرى، ومنها اللغات الهندية. يتم إنتاج هذا الصوت من خلال انطباق طرف اللسان على اللثة مع انحباس الهواء ثم انطلاقه فجأة، مع وجود صفة الجهر والتفخيم، مما يجعله من الأصوات الصعبة على الناطقين بغيرها، خصوصاً في بيئات لغوية لا تحتوي على نظير له.^(٢)

١. بيانات الأداء الصوتي في الكلمات المفردة

أظهرت نتائج اختبار النطق أن إبدال الصوت (/d/) كان مرتفعاً نسبياً بين المشاركين من شمال وجنوب الهند، مع تفاوت ملحوظ في النسب، كما يبيّنه الجدول الآتي:

جدول (٥-١): نسب الإبدال الصوتي للصوت (/d/) في الكلمات المفردة

الكلمة	نسبة الإبدال - شمال الهند (%)	نسبة الإبدال - جنوب الهند (%)	المتوسط (%)
ضار	١٠٠%	٣٠%	٦٥%
ضوء	٩٠%	٤٠%	٦٥%
ضيف	٩٠%	٥٠%	٧٠%
ضبط	٨٠%	٦٠%	٧٠%

(١) (محمد ٢٠٠٢، ص: ٢١٢)

(٢) (أنيس، الأصوات اللغوية ١٩٧٥، ص: ١٣٢)

مضاد	%٧٠	%٧٠	%٧٠
نضوج	%٩٠	%٤٠	%٦٥
يضاهاى	%٨٠	%٢٠	%٥٠
مرضعة	%٩٠	%٣٠	%٦٠
ماض	%٩٠	%٣٠	%٦٠
مرفوض	%١٠٠	%٢٠	%٦٠
مريض	%٦٠	%٧٠	%٦٥
غرض	%٨٠	%٤٠	%٦٠

يتضح من الجدول أن نسب الإبدال لدى المشاركين من شمال الهند كانت مرتفعة جداً، إذ تجاوزت ٨٠٪ في معظم الكلمات، بينما كانت أقل لدى مشاركي الجنوب، باستثناء بعض الكلمات مثل "مريض" و"مضاد" التي اقتربت فيها النسبة من ٧٠٪.

٢. بيانات الأداء الصوتي في السياق التركيبي

أما في الجمل، فقد سجّل المشاركون نسب إبدال متفاوتة أيضاً، كما هو موضّح في الجدول الآتي:

جدول (٥-١١): نسب الإبدال الصوتي للصوت (/d/) في الجمل (السياق التركيبي)

الكلمة في الجملة	نسبة إبدال شمال الهند	نسبة إبدال جنوب الهند	المتوسط(%)
ضاعت	%٧٠	%٤٠	%٥٥
نضال	%٧٠	%٦٠	%٦٥
أغراض	%١٠٠	%٧٠	%٨٥

ويلاحظ أن الجمل التي احتوت على صوت (ض /d/) شهدت نسب إبدال عالية كذلك، إذ بلغت ١٠٠٪ لدى المشاركين من الشمال في جملة "أغراض"، و ٧٠٪ في "ضاعت" و "نضال"، فيما كانت النسب أقل قليلاً لدى الجنوبيين، ما يؤكد استمرار الصعوبة في إنتاج هذا الصوت ضمن السياق التركيبي.

٣. تفسير نتائج إبدال صوت (ض /d/)

تشير هذه النتائج إلى أن الصوت (ض /d/) يمثل تحدياً نطقياً واضحاً لمعظم المشاركين، لا سيما من شمال الهند، حيث لا يوجد نظير دقيق له في لغاتهم الأم، ويفسّر هذا الإبدال من خلال عوامل عدة، أبرزها:

١. غياب الصوت في اللغة الأم: حيث لا تحتوي المالايالامية أو الهندية على صوت شديد ومفخم ومجهور مثل الضاد، فيلجأ المتعلمون إلى استبداله بأقرب صوت متاح في نظامهم الفونولوجي، غالباً (د) أو (ز).

٢. الصفات الفونولوجية المعقدة للصوت: إذ يجمع الضاد بين الجهر والانفجار والتفخيم، ما يجعله حملاً لعبءٍ نطقيٍّ ثَقِيلٍ، كما أشار إلى ذلك عبد الصبور شاهين في دراسته حول "الصوت العربي ومشكلاته عند الناطقين بغيرها"، حيث ذكر أن "الضاد من أكثر الأصوات إخفاقاً عند الأعاجم".^(١)

(١) (شاهين، دراسات في فقه اللغة ٢٠٠٣، ص: ٩٧)

٣. الموقع داخل الكلمة: لوحظ أن الكلمات التي جاء فيها الضاد في بداية الكلمة كانت أسهل من تلك التي جاء فيها في الوسط أو النهاية، ما يرجح وجود تأثير إدراكي حركي مرتبط بموقع الصوت داخل التركيب.

يظهر الصوت (ض /d/) ضمن قائمة الأصوات الحرجة التي يتكرر فيها الإبدال بشكل ملحوظ عند المتعلمين الهنود، وخاصة من شمال الهند. وتتطلب معالجته تركيزاً خاصاً في التدريب النطقي، لا سيما في السياقات التي يظهر فيها وسط الكلمة أو في نهايتها، ويقترح إعداد تدريبات صوتية مركزة على هذا الصوت في بيئات لغوية مدروسة.

٥-١-٧: الصوت (ط/ت/)

يُعدّ الصوت (ط/ت/) أحد الأصوات الانفجارية المجهورة المفخّمة، وهو من الأصوات التي تنتهي إلى مجموعة الصوامت المطبقة في اللغة العربية، ويتم نطقه من منطقة ما بين طرف اللسان وأصول الثنايا العليا، مع اعتماد على الجهر والإطباق. ويتميّز الصوت (ط/ت/) بخاصية الترقيق والتفخيم المرتبطين بالسياق الصوتي، وهو ما يضعه في مصافّ الأصوات ذات الطبيعة المعقدة من حيث الاكتساب والتلفظ، لا سيما لدى متعلمي اللغة العربية من الناطقين بلغات لا تحتوي على هذا النوع من الأصوات.

وقد أشار العديد من الدارسين إلى الصعوبات التي تواجه متعلمي العربية في إنتاج الأصوات المفخّمة بشكل دقيق. فكما يوضح السباعي، في كتابه: "علم الأصوات بين النظرية والتطبيق"، أن التفخيم والإطباق من الخصائص التي يصعب تمثيلها عند من لا توجد في لغاتهم الأم، مما يجعل أصواتاً مثل

(/t/ و /s/ و /d/) من أكثر الأصوات عرضة للإبدال أو التشويه،^(١) كما أن (Watson 2002)^(٢) تؤكد أن الأصوات المفخّمة تتطلب تحكماً عضلياً خاصاً، وهو ما لا يتوفر بسهولة لدى الناطقين بغير العربية، وخاصة أولئك القادمين من بيئات لغوية لا تعرف المفخّمات، كال كثير من اللغات الهندية. في هذا السياق؛ تهدف هذه الدراسة إلى تحليل نمط إبدال الصوت ط /t/ لدى طلاب هنود يتعلمون العربية كلغة ثانية، مع مراعاة الاختلاف الجغرافي بين شمال الهند وجنوبها، وتحديد ما إذا كان السياق المفرد أو التركيبي (الجمالي) يؤثر على دقة النطق.

١. تحليل إبدال صوت (ط/t/) في الكلمات المفردة

تم تضمين عدد من الكلمات المفردة التي تحتوي على الصوت (ط/t/) في مواقع مختلفة من الكلمة (أول، وسط، نهاية)، وقد طُلب من المشاركين نطق هذه الكلمات ضمن اختبار صوتي فردي. ويُعرض الجدول الآتي نسب الإبدال:

جدول (٥-١٢): نسب إبدال الصوت (ط/t/) في الكلمات المفردة

الكلمة	شمال الهند (%)	جنوب الهند (%)	المتوسط (%)
طالب	٥٠,٠	١٠٠,٠	٧٥,٠
طول	١٠٠,٠	٧٠,٠	٨٥,٠
طيب	٩٠,٠	٨٠,٠	٨٥,٠
طهي	٣٠,٠	١٠٠,٠	٦٥,٠
مطار	٩٠,٠	٧٠,٠	٨٠,٠

(١) (السباعي ٢٠٠٥، ص: ١١٢)

(٢) (Watson 2002)

متطور	١٠٠,٠	٧٠,٠	٨٥,٠
بطيء	٨٠,٠	١٠٠,٠	٩٠,٠
محطة	٧٠,٠	٥٠,٠	٦٠,٠
مطاط	٩٠,٠	١٠٠,٠	٩٥,٠
قوم لوط	٧٠,٠	٨٠,٠	٧٥,٠
محيط	٦٠,٠	٩٠,٠	٧٥,٠
منحط	٨٠,٠	١٠٠,٠	٩٠,٠

تُظهر البيانات تفاوتاً واضحاً في نسب الإبدال بين المشاركين من شمال الهند وجنوبها. حيث سجّل المشاركون من الجنوب نسب إبدال مرتفعة في معظم الكلمات، وقد بلغت ١٠٠٪ في كلمات مثل "طالب"، "طهي"، "مطاط"، "منحط"، ما يشير إلى غياب تمثيل صوت /t/ في لغاتهم الأم مثل المالايالامية. أما في الشمال، فمع أن النطق كان أفضل نسبياً، إلا أن هناك صعوبات بارزة، خاصة في الكلمات التي يقع فيها الصوت في بداية الكلمة مثل "طهي" (٣٠٪).

٢: تحليل النطق في السياق الجملي

أدرج الصوت ط/ت/ ضمن جمل قصيرة بهدف تحليل النطق في سياق طبيعي، لمعرفة ما إذا كان السياق التركيبي يساعد على تحسين النطق.

جدول (٥-١٣): نسب إبدال الصوت (ط/ت/) في الجمل (السياق التركيبي)

الكلمة في الجملة	شمال الهند (%)	جنوب الهند (%)	المتوسط (%)
طائر	٧٠,٠	٤٠,٠	٥٥,٠
سقوطاً	١٠٠,٠	٩٠,٠	٩٥,٠
المطاط	١٠٠,٠	١٠٠,٠	١٠٠,٠

الملاحظ أن نسب الإبدال لم تختلف كثيراً بين السياق المفرد والسياق الجملي، بل بقيت مرتفعة في كلا المجموعتين. إلا أن كلمة "طائر" شكّلت استثناءً لدى مجموعة الجنوب، حيث انخفضت نسبة الإبدال إلى ٤٠٪، وهو ما قد يعزى إلى التكرار التعليمي أو الاستماع المتكرر للكلمة في سياقات مألوفة.

يمكن القول إن الصوت ط/ت/ هو من أكثر الأصوات العربية تعقيداً بالنسبة للناطقين بغيرها من الهنود، سواء في الشمال أو الجنوب. وقد أظهرت النتائج أن طلاب الجنوب يعانون من صعوبة أكبر، تعود في الغالب إلى غياب الأصوات المفخّمة في لغاتهم الأم. كما أن السياق لم يكن ذا تأثير كبير في تحسين النطق، باستثناء حالات فردية.

وبناءً عليه؛ توصي الدراسة بضرورة التركيز على تدريب المتعلمين على نطق الأصوات المفخّمة، عبر التمارين الإيقاعية والمقارنة الصوتية، وإدخال وحدات خاصة بالصوتيات التطبيقية في مناهج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها.

٥-١-٨: الصوت (/z/) (ظ)

يُعد صوت الظاء /z/ من الأصوات العربية الفريدة التي تتسم بالقلقلة والصفير والرخاوة، وهو من الأصوات المفخمة المجهورة التي لا تقابلها نظائر دقيقة في كثير من اللغات غير السامية، ما يجعله من أكثر الأصوات عرضة للإبدال والتحوير لدى متعلمي العربية من الناطقين بغيرها،^(١) ويُصنف ظ/ز/ ضمن الأصوات الحلقية الإطباقية، ويشارك مع /ð/ و/ʔ/ في موقع النطق الخلفي، غير أن صفاته المفخمة تجعله أكثر صعوبة في النطق السليم، لا سيما عند المتعلمين من بيئات لغوية لا تحتوي على أصوات مفخمة مماثلة.^(٢)

وقد أظهرت دراسات متعددة أن هذا الصوت غالباً ما يُستبدل بـ /z/ أو /ð/ أو /s/ نتيجة لضعف التمييز السمعي أو لعدم توفر الصوت في النظام الصوتي للغة الأم.^(٣)

١. تحليل أداء المشاركين في الكلمات المفردة

تم عرض عدد من الكلمات التي تحتوي على صوت الظاء /z/ في مواقع مختلفة من الكلمة، وقد سُجلت نسب الإبدال بين المتعلمين من شمال الهند وجنوبها كما في الجدول التالي:

جدول (٥-١٤): نسب إبدال الصوت (/z/) في الكلمات المفردة

الكلمة	شمال الهند (%)	جنوب الهند (%)	المتوسط (%)
ظالم	٤٨	٣٦	٤٢,٠
ظواهر	٥٤	٤٢	٤٨,٠

(١) (ابن جني، سر صناعة الإعراب ١٩٨٥، ص: ١١٣)

(٢) (الهاشمي ١٩٩٩، ص: ٩٥)

(٣) (Trudgill 2003)، p. 78

٤٨,٠	٤٨	٤٨	ظيان
٣٠,٠	١٨	٤٢	ظهر
٣٩,٠	٢٤	٥٤	مظاهر
٤٨,٠	٤٢	٥٤	منظومة
٣٣,٠	١٨	٤٨	تنظيم
٤٢,٠	٤٨	٣٦	منظمة
٣٩,٠	٢٤	٥٤	ألفاظ
٤٥,٠	٣٠	٦٠	محفوظ
٥١,٠	٤٢	٦٠	تحفيظ
٤٢,٠	٣٠	٥٤	لحظ

يتضح من البيانات أعلاه أن نسب الإبدال في شمال الهند تتراوح بين (٣٦٪ - ٦٠٪)، بينما تتراوح في الجنوب بين (١٨٪ - ٤٨٪)، ما يدل على تفاوت نسبي في درجة الإتقان، حيث يميل طلاب الشمال إلى نطق الظاء بنسبة أعلى، بينما يواجه طلاب الجنوب صعوبة أكبر، خصوصاً في الكلمات التي ترد فيها الظاء في نهاية الكلمة مثل "لحظ" و"ظهر".

ويُلاحظ أن الكلمات ذات التواتر العالي مثل "محفوظ" و"تحفيظ" تحقق نسب نطق أفضل من الكلمات الأقل شيوعاً مثل "ظيان" و"ألفاظ"، مما يشير إلى تأثير التكرار والتعرض اللغوي على تعلم هذا الصوت.

٢. تحليل الأداء في الجمل السياقية

تم تضمين ثلاث جمل تحتوي على الصوت /z/، وسُجّلت نسب الإبدال كما يلي:

جدول (٥-١٥): نسب إبدال الصوت (ظ/z/) في الجمل (السياق التركيبي)

الكلمة	شمال الهند (%)	جنوب الهند (%)	المتوسط (%)
ظهر	٦٠	٣٦	٤٨,٠
محفوظ	٦٠	٢٤	٤٢,٠
حفظ	٦٠	٣٠	٤٥,٠

تشير بيانات السياق الجملي إلى أن نسب الإبدال بقيت مرتفعة نسبياً، حيث استقرت عند ٦٠٪ في شمال الهند لكل الكلمات، بينما تراوحت في الجنوب بين ٢٤٪ و ٣٦٪، مما يعكس استمرار الصعوبة في النطق السليم حتى في الجمل.

وهذا يُشير إلى أن وجود الظاء في سياق جملي لا يضمن بالضرورة تحسن الأداء، وربما يعود ذلك إلى ضغط الإيقاع أو تشتت الانتباه داخل السياق، أو إلى أن المتعلمين لا يمتلكون نمطاً صوتياً راسخاً لهذا الصوت، ما يجعلهم غير قادرين على استدعائه آلياً أثناء الكلام المتصل.

خلاصة تحليل إبدال صوت /z/

تؤكد نتائج هذا التحليل أن صوت الظاء /z/ من أكثر الأصوات عرضة للإبدال عند المتعلمين الهنود الناطقين باللغات الدرافيدية أو الهندو-آرية، وذلك لعدة أسباب، أبرزها:

- غياب الصوت من النظام الفونولوجي الأم.
- قلة التكرار في المدخلات اللغوية.
- الارتباك بينه وبين أصوات مشابهة من حيث الرخاوة أو الجهر.

يبدو أن طلاب شمال الهند حافظوا على أداء أكثر ثباتاً حتى في سياقات الجملة، بينما واجه طلاب جنوب الهند مزيداً من التحديات، خصوصاً في النطق ضمن سياق الكلام، ولهذا لا بد من التدريب المكثف على التمييز السمعي بين الأصوات المفخّمة وغير المفخّمة، واستخدام وسائط سمعية/مرئية تظهر فيها الظاء بشكل بارز، وتركيز التمارين على سياقات الجمل، وليس الكلمات المعزولة فقط، لضمان ترسيخ النمط الصوتي الصحيح، واعتماد أنشطة تكرارية لكلمات تحتوي على الظاء في مواضع متنوعة (البداية، الوسط، النهاية).

٥-١-٩: الصوت (ع/٢/)

يُعدّ الصوت (ع/٢/) من الأصوات الحلقية العربية الشديدة الخصوصية، إذ يتم إنتاجه من الجذر الحلقى الأدنى، ويتطلب مهارة عضوية ومعرفية عالية لاكتسابه. وقد وُصف هذا الصوت في الدراسات الصوتية بأنه "صوت احتكاكي حلقى مجهور"، وهو غير موجود في معظم اللغات الهندية، ما يجعله عقبة شائعة لدى المتعلمين الناطقين بغير العربية، خصوصاً في البيئات التعليمية غير المنغمسة لغوياً.^(١)

ويشير الباحثون إلى أن غياب الصوت ع/٢/ من أنظمة الصوت الأم يُفضي إلى استبداله بأصوات قريبة في المخرج أو السمة، أو إلى حذفه، لا سيما في مواقع معينة من الكلمة أو الجملة.^(٢)

١. أداء الصوت (ع/٢/) في الكلمات المفردة

تم تحليل نطق ١٢ كلمة تحتوي على الصوت (ع/٢/) في مواضع مختلفة، واحتُسبت نسب الإبدال في كل من شمال الهند وجنوبها، كما يُبيّن الجدول الآتي:

جدول (٥-١٦): نسب إبدال الصوت (ع/٢/) في الكلمات المفردة

الكلمة	شمال الهند (%)	جنوب الهند (%)	المتوسط (%)
عادي	٧٠	١٠٠	٨٥,٠
عون	٨٠	٩٠	٨٥,٠
عيد	١٠٠	٧٠	٨٥,٠
عمل	٩٠	٧٠	٨٠,٠

(١) (Ladefoged and Maddieson 1996b), p. 189.

(٢) (الشقيري ٢٠١٢، ص: ٩٨)

٧٥,٠	٧٠	٨٠	تعامل
٧٥,٠	٨٠	٧٠	معول
٧٥,٠	٦٠	٩٠	معين
٨٥,٠	٨٠	٩٠	معمل
١٠٠,٠	١٠٠	١٠٠	طماع
٧٠,٠	٧٠	٧٠	شموع
٨٥,٠	٨٠	٩٠	سميع
١٠٠,٠	١٠٠	١٠٠	شمع

تُظهر النتائج بوضوح أن الصوت (ع /٢/) يُعد من أكثر الأصوات تعرضاً للإبدال الصوتي، حيث وصلت النسبة إلى ١٠٠٪ في كلمتي "طماع" و"شمع"، ما يعني أن جميع المشاركين من كلا الإقليمين أخطأوا في نطق هذا الصوت في هاتين الكلمتين.

في كلمات أخرى مثل "عادي" و"عيد" و"سميع"، تجاوزت نسب الإبدال ٨٥٪، مما يدل على عمق الصعوبة الإدراكية والإنتاجية لهذا الصوت، سواء أكان في بداية الكلمة أو وسطها أو نهايتها.

وتُظهر النتائج أن الفروقات بين شمال الهند وجنوبها طفيفة، رغم أن طلاب الجنوب أظهروا نسب إبدال أعلى في الكلمات الابتدائية مثل "عادي"، بينما سجّل الشمال نسباً مرتفعة في الكلمات المتوسطة مثل "معين" و"معمل".

الكلمات الطويلة والمعقدة مقطعيّاً مثل "تعامل" و"معول" لم تسلم من الإبدال، ما يشير إلى أن تركيب الكلمة لا يخفف من الصعوبة، بل قد يزيدها..

٢. أداء الصوت /٢/ في السياق الجملي

فيما يلي نتائج اختبار الأداء في الجمل التي تحتوي على الصوت (ع/٢/) في بنية طبيعية:

جدول (٥-١٧): نسب إبدال الصوت (ع/٢/) في الجمل (السياق التركيبي)

الكلمة في السياق	شمال الهند (%)	جنوب الهند (%)	المتوسط (%)
علينا	١٠٠	١٠٠	١٠٠,٠
دعا	١٠٠	٩٠	٩٥,٠
طلع	٩٠	١٠٠	٩

خلافًا لما هو متوقع من دور السياق في تخفيف حدة الإبدال، تُظهر البيانات أن نسب الإبدال في السياق الجملي كانت مرتفعة للغاية، بل بلغت ١٠٠٪ في كلمة "علينا" لدى كلا الفريقين، ويُعد هذا مؤشراً على أن السياق التركيبي والدلالي لم يكن كافياً لتقليل الأخطاء، مما يؤكد أن هذا الصوت يحتاج إلى تدريب خاص ومكثف يتجاوز التكرار والتعرض السياقي.

حتى الكلمات الشائعة دينياً أو تعليمياً مثل "علينا" و"دعا" و"طلع" لم تُنطق نطقاً سليماً من قبل معظم المشاركين، ما يدل على رسوخ الإبدال وعدم استقرار التمثيل الصوتي في ذهن المتعلم.

خلاصة تحليل الإبدال في الصوت ع/٢/

- يُعدّ الصوت /٢/ من أصعب الفونيمات العربية على المتعلمين الهنود، حيث بلغت نسبة الإبدال فيه إلى ١٠٠٪ في عدد من الكلمات.

- لم يُظهر السياق التركيبي (الجملة) أي تحسّن في الأداء، بل بقيت نسب الإبدال مرتفعة جداً، مما يؤكد أن السياق وحده لا يعالج المشكلة الصوتية.
- لا توجد فروقات حاسمة بين شمال الهند وجنوبها، ما يدل على أن الصعوبة عامة وشاملة بغض النظر عن الخلفية الإقليمية.
- التكرار أو الألفة الظاهرية لم تكن كافية، إذ أن حتى الكلمات الشائعة أو القصيرة كـ"شمع" و"علينا" لم تُنطق بشكل صحيح.

وللوصول لنتائج أفضل لابد على القائمين على البرامج التعليمية للغة العربية تصميم تمارين نطق خاصة بالصوت /٢/ تبدأ بمقارنة إدراكية مع أصوات شبيهة، وتوظيف الفيديوهات ثلاثية الأبعاد التي تُظهر المخرج الصوتي الدقيق، ودمج الصوت /٢/ ضمن تدريبات إدراكية وتمثيلية لتحفيز الاستيعاب العضلي للمخرج، وإعطاء وقت أطول لهذا الصوت في مناهج تعليم العربية، مع تمارين تدريجية تبدأ بالحركات القصيرة وتنتهي بسياقات الجملة.

١٠-١-٥: الصوت (/ɣ/) (/g/)

يُعدّ الصوت (/ɣ/) (/g/) من الأصوات الحلقية المجهورة، الاحتكاكية، المنفردة، ويصنف ضمن مجموعة الأصوات الصعبة نسبياً للمتعلّمين الناطقين بغير العربية، خصوصاً في البيئات التي لا تحتوي أنظمتها الصوتية على ما يقارب هذا الصوت. ويُلاحظ أن العديد من متعلّمي العربية من جنوب آسيا يبدلون هذا الصوت بأصوات قريبة من حيث مكان المخرج أو طبيعة الجهر، كالقاف /q/ أو الجيم /dʒ/ أو الكاف /k/، وذلك تبعاً للخصائص الصوتية في لغاتهم الأم.^(١)

ولأن الصوت /ɣ/ (/g/) غير موجود في المالايالامية والعديد من لغات شبه القارة الهندية، فإنه غالباً ما يتعرض للإبدال أو التشويه أو حتى الحذف في سياقات مختلفة، مما يجعله محوراً مهماً في تحليل الأداء الفونولوجي للمتعلّمين في بيئات تعليمية متعددة اللهجات والخلفيات.

١. أداء المشاركين في الكلمات المفردة

يُظهر الجدول التالي نسب الإبدال في نطق الصوت /ɣ/ (/g/) في الكلمات المفردة لدى مجموعتين من المشاركين (شمال وجنوب الهند):

جدول (٥-١٨): نسب إبدال الصوت (/ɣ/) (/g/) في الكلمات المفردة

الكلمة	شمال الهند (%)	جنوب الهند (%)	المتوسط (%)
غادر	٤٨,٣	٦٠,٠	٥٤,٢
غريب	٥٣,٣	٤٥,٠	٤٩,٢
غيم	٦٠,٠	٥٤,٠	٥٧,٠

(١) (الحسن، مبادئ اللسانيات ٢٠١٢، ص: ١٧٨) (Ladefoged and Maddieson 1996b) p. 34

٦٠,٠	٦٠,٠	٦٠,٠	غار
٥٤,٢	٦٠,٠	٤٨,٣	مغادرة
٣٩,٠	٣٦,٠	٤٢,٠	مغترب
٥١,٢	٥٤,٠	٤٨,٣	مغنطيس
٦٠,٠	٦٠,٠	٦٠,٠	صمغ
٤٥,٠	٤٨,٠	٤٢,٠	رغيف
٥٧,٠	٦٠,٠	٥٤,٠	غلاف
٦٠,٠	٦٠,٠	٦٠,٠	غنم
٦٠,٠	٦٠,٠	٦٠,٠	غيوم

تشير البيانات إلى أن نسبة الإبدال في الكلمات المفردة كانت متفاوتة بين شمال وجنوب الهند. حيث سجّل المشاركون من جنوب الهند أداءً أفضل نسبياً في كلمات مثل "غريب" (٤٥٪) و"مغترب" (٣٦٪)، مقارنة بشمال الهند، بينما كان الأداء متقارباً في كلمات مثل "غار"، "صمغ"، "غنم"، و"غيوم" حيث بلغت النسبة في كل من المجموعتين ٦٠٪.

يمكن تفسير هذا التفاوت على أساس التعرض السمعي والبيئة التعليمية، فالكلمات التي تكون مألوفة أكثر في الاستخدام اليومي لدى الطلاب، أو تلك التي تحتوي على صوت /g/ في موقع صوتي أكثر وضوحاً (كالبدائية)، يسهل نطقها بشكل صحيح، بينما الكلمات الطويلة أو التي يأتي فيها /g/ في وسط الكلمة أو آخرها قد تواجه مشكلات نطقية أكثر، فتستبدل بصوت /g/.

٢. أداء المشاركين في السياق الجملي

جدول (٥-١٩): نسب إبدال الصوت (غ/ي/) في الجمل (السياق التركيبي)

الكلمة ضمن الجملة	شمال الهند (%)	جنوب الهند (%)	المتوسط (%)
غادر	٦٠,٠	٥٤,٠	٥٧,٠
غلاف	٦٠,٠	٦٠,٠	٦٠,٠
مغترب	٤٨,٣	٤٢,٠	٤٥,٢

في السياق الجملي، حافظت النسب على نمطٍ قريب من الأداء في الكلمات المفردة، لكن يُلاحظ أن الأداء في "مغترب" كان أقل نسبياً، مما يشير إلى أن السياق النحوي وتداخل الكلمات في الجمل قد يسهم في زيادة صعوبة النطق الصحيح، خاصةً إذا كانت الجملة طويلة أو تتطلب انتقالاً سريعاً بين الأصوات.

خلاصة التحليل

- النسبة الأعلى من النطق الصحيح للصوت غ/ي/ سُجّلت في الكلمات التي تبدأ به وتكون قصيرة نسبياً، مما يدعم فرضية أن موقع الصوت في الكلمة يؤثر على درجة إتقانه.
- يُظهر طلاب جنوب الهند أداءً أفضل في بعض الكلمات، مما قد يُعزى إلى وجود استراتيجيات صوتية تعويضية أكثر مرونة، أو برامج تعليمية محلية تركز على الأصوات الصعبة.

- الصوت غ/ڤ في سياق الجملة يكشف عن انخفاض طفيف في دقة النطق، مما يشير إلى

تأثير السياق التركيبي على الأداء الصوتي.

١١-١-٥: الصوت (ق/ڤ)

يُعدّ الصوت ق/ من الأصوات الحنجرية الشديدة المجهورة، ويُصنف ضمن الأصوات الخلفية التي غالباً ما تمثل صعوبة بالغة لدى متعلمي العربية من الناطقين بغيرها، لا سيما إذا لم يتوفر لها مقابل دقيق في لغاتهم الأم، كما هو الحال لدى الناطقين بالملايالاامية، ويُنطق هذا الصوت من أقصى اللسان مع الحنك اللين، ويرتبط غالباً بالتفخيم والتوتر العضلي، مما يجعله حساساً للإبدال عند غير العرب. وتشير الدراسات الصوتية الحديثة إلى أن الأصوات الحنجرية والخلفية تُعد من أبرز التحديات في اكتساب الأصوات.^(١)

١. تحليل نسب الإبدال في الكلمات المفردة

جدول (٥-٢٠): نسب إبدال الصوت (ق/ڤ) في الكلمات المفردة

الكلمة	شمال الهند (%)	جنوب الهند (%)	المتوسط (%)
قارعة	٩٠	٤٠	٦٥,٠
قوس	٨٠	٩٠	٨٥,٠
قيام	٩٠	٨٠	٨٥,٠
قمر	٩٠	٧٠	٨٠,٠
ساقط	٨٠	٩٠	٨٥,٠
يقود	٧٠	٦٠	٦٥,٠

(١) (الهاشي ١٩٩٩، ص: ٥٩)

شقيق	٩٠	٧٠	٨٠,٠
عقرب	١٠٠	١٠٠	١٠٠,٠
براق	٨٠	٩٠	٨٥,٠
مرزوق	٦٠	٧٠	٦٥,٠
رشيق	٤٠	٣٠	٣٥,٠
عاشق	١٠٠	١٠٠	١٠٠,٠

تشير البيانات إلى أن الصوت /ق/ تعرّض لنسب إبدال مرتفعة في عدد من الكلمات، خصوصاً في البيئات التي يأتي فيها الصوت في أول الكلمة كما في "قارعة" و"قيام" (٩٠٪) لدى شمال الهند، مما يكشف عن صعوبة النطق في الموضع الابتدائي. كما سُجلت نسب إبدال مرتفعة في الكلمات المتوسطة والطويلة مثل "شقيق" و"براق".

من جهة أخرى، نلاحظ أن نسبة الإبدال انخفضت نسبياً في بعض الكلمات مثل "رشيق" (٤٠٪ شمالاً، ٣٠٪ جنوباً)، وهو ما يُعدّ أداءً نسبياً أفضل مقارنة بكلمات أخرى، أما "عاشق" و"عقرب" فقد سجلتا ١٠٠٪، مما يدل على تعدّد نطق القاف في تلك الكلمات أو الوقوع في أخطاء شاملة في النطق، هذا يشير إلى أن التباين في الإبدال لا يقتصر على موقع القاف، بل يرتبط بنوع الكلمة، ومدى شيوعها، ومدى تعرّض المتعلمين لها في البيئة التعليمية.

٢. تحليل نسب الإبدال في الجمل (السياق التركيبي)

جدول (٥-٢١): نسب إبدال الصوت (ق/ق/) في الجمل (السياق التركيبي)

الكلمة	شمال الهند (%)	جنوب الهند (%)	المتوسط (%)
قاسم	٩٠	٨٠	٨٥,٠
القلق	٩٠	٩٠	٩٠,٠
مرزوق	٧٠	٦٠	٦٥,٠

تشير هذه النسب كذلك إلى الإبدال الصوتي ضمن السياق الجملي، ففي سياقات الجملة استمرت نسب الإبدال في الظهور بوضوح، حيث بلغت في "قاسم" ٩٠٪ في الشمال و ٨٠٪ في الجنوب، وهي نسبة مرتفعة نسبياً على الرغم من كون الكلمة اسم علم شائع، ويبدو أن وجود القاف في بداية الكلمة لم يساعد كثيراً في تخفيض نسبة الخطأ.

أما كلمة "القلق"، فرغم تكرار القاف فيها، إلا أن نسبة الإبدال لم تنخفض (٩٠٪) في كلا الفريقين، مما يشير إلى أن التكرار قد يكون عبئاً إضافياً على النطق بدلاً من أن يكون عاملاً مساعداً، وفي كلمة "مرزوق"، كانت النسب أقل نسبياً، ما قد يعكس تفاعلاً مختلفاً مع الكلمة في سياقها الجملي، رغم أن القاف فيها يقع في نهاية الكلمة.

مما هو واضح فقد سجّل طلاب شمال الهند نسب إبدال أعلى في معظم الكلمات، مما يتناقض مع المتوقع من كونهم أكثر تعرضاً للفصحى، ويحتاج ذلك إلى تفسير تربوي أو فسيولوجي إضافي، أما الكلمات التي احتوت على القاف في المواضع النهائية مثل "رشيق" و "مرزوق" سجّلت نسب إبدال

أقل، بينما كانت أعلى عند المواضع الابتدائية في "قاسم" و"قارعة"، وقد تكرر الصوت /ق/ في كلمة مثل "القلق" لم يقلل من الإبدال، مما يدحض الفرضية القائلة بأن التكرار وحده يحسن الأداء، وإذا ما قارنا بين الصوت في المفرد والجملة نكتشف أن النطق في سياقات الجملة لم يكن دائماً أفضل، بل أظهر تفاوتاً واضحاً في كلمات مثل "قاسم" و"القلق"، مما يدل على أن السياق وحده لا يضمن الأداء السليم، وفي المقابل؛ حققت بعض الكلمات المفردة نتائج أفضل (أقل إبدالاً)، لا سيما إن كانت مألوفة أو قصيرة نسبياً.

يشير هذا إلى ما ذهب إليه الباحثون من أن الأداء الصوتي لا يتحسن بالضرورة في السياقات المتصلة، بل قد يزداد تعقيداً بسبب ضغط الإيقاع والتواصل الدلالي.^(١)

يتضح من تحليل نتائج الإبدال في الصوت /ق/ أن المشاركين من الناطقين بغير العربية يواجهون صعوبات ملحوظة في إنتاج هذا الصوت، تتفاوت تبعاً لموقعه في الكلمة والسياق التركيبي الذي يرد فيه. وقد برزت نقاط الضعف بشكل خاص في الكلمات التي يبدأ فيها الصوت أو يكرّر، كما أن اختلاف البيئة الجغرافية والتعليمية بين شمال الهند وجنوبها أسهم في هذا التفاوت.

لذا توصي هذه الدراسة بتعزيز التدريب الموجه على الأصوات الحنجيرية في مواضعها المختلفة داخل الكلمة، وتصميم تمارين نطق مركزة على الكلمات التي تحتوي على تكرار أو توالي للأصوات الصعبة، والاهتمام بإدخال الأصوات الصعبة في سياقات مألوفة لضمان اكتسابها تدريجياً.

(١) (Best et al. 1995)(Flege 1995)

يُعدّ الصوت /w/ (الواو) من الأصوات الانزلاقية، ويُصنف في اللغة العربية ضمن ما يُعرف بأشباه الصوائت^(١)، نظراً لما يتمتع به من خصائص صوتية تجمع بين الساكن والمتحرك، خاصة تقاربه مع الحركة الضم (u)، حيث يُنطق بانزلاق الشفتين من وضعية التقريب نحو المقطع التالي، دون إحداث إعاقة تامة لجريان الهواء كما هو الحال في الأصوات الساكنة الكاملة.

هذا الصوت يُنتج بآلية صوتية تعتمد على الجهورية والاستدارة الشفوية، ويقع في ملتقى الأصوات الصائتة والساكنة، مما يجعله ذا طبيعة مزدوجة صوتياً. ومن هنا، فقد يُسبب هذا الصوت ارتباكاً إدراكياً ونطقياً لدى متعلمي العربية من الناطقين بغيرها، خصوصاً حين لا يكون هناك مقابل مباشر له في لغاتهم الأم.

وقد لاحظ الباحث، من خلال تحليله لأداء عدد من المتعلمين الهنود، أن الصوت /w/ غالباً ما يُستبدل بالصوت /v/ في النطق، سواء في الكلمات الإنجليزية مثل wow التي تُنطق غالباً /vaʊ/ بدلاً من /waʊ/، أو في الكلمات العربية التي تبدأ أو تحتوي على واو، كما في "وردة" التي تُنطق /vardah/ بدلاً من /wardah/، ما يؤكد وجود تداخل صوتي واضح بين النظام الفونولوجي للغة الأم (L1 interference) والنظام الصوتي للعربية.

يمكن تفسير هذا الإبدال من خلال نظرية التداخل اللغوي، والتي تشير إلى أن المتعلمين يعتمدون على أصوات لغتهم الأم عند محاولة إنتاج أصوات اللغة الثانية، خاصة إذا لم يكن الصوت

(١) (Pinto 2020)، (Ladefoged 2001)

المستهدف موجوداً في النظام الصوتي الأصلي،^(١) ويُعدّ الصوت /w/ غائباً أو نادراً في كثير من اللهجات الهندية، وخاصة المالايالامية والهندية القياسية، حيث تُستخدم أصوات احتكاكية مثل /v/ بدلاً منه، مما يؤدي إلى أخطاء شائعة لدى متعلمي العربية والإنجليزية على السواء.^(٢)

ويؤكد هذا الاستبدال ما ذهب إليه "Yavas" من أن الأصوات التي تقع في مناطق تماس إدراكي أو سمعي مع أصوات قريبة في اللغة الأم تُنتج على نحو خاطئ بنسبة أكبر من الأصوات البعيدة فونيتيكياً.^(٣)

جدول (٥-٢٢): نسب إبدال الصوت (و/و) في الكلمات المفردة

الكلمة	شمال الهند (%)	جنوب الهند (%)	المتوسط (%)
وادي	١٠٠ %	١٠٠ %	١٠٠,٠
ويكأنه	١٠٠ %	١٠٠ %	١٠٠,٠
ويل	١٠٠ %	١٠٠ %	١٠٠,٠
وعد	١٠٠ %	١٠٠ %	١٠٠,٠
ودود	٤٠ %	٣٠ %	٣٥,٠
شفوي	١٠٠ %	١٠٠ %	١٠٠,٠
رويداً	١٠٠ %	١٠٠ %	١٠٠,٠
عمود	٠ %	٠ %	٠,٠
كاكاو	٠ %	٠ %	٠,٠
آووا	٠ %	٠ %	٠,٠
أحيوا	٠ %	٠ %	٠,٠

(١) (Flege 1995)

(٢) (Kortmann and Szmrecsanyi 2004) p. 1007 ,

(٣) (Yavas and Yildirim 2011)

قالوا	%٠	%٠	٠,٠
-------	----	----	-----

يلاحظ أن الواو في أول الكلمة تشمل الكلمات: وادي، ويكأنه، ويل، وعد، ودود، في هذه المجموعة، سجلت الكلمات الأربع الأولى نسبة إبدال ١٠٠٪ في شمال وجنوب الهند، ما يعني أن جميع المشاركين استبدلوا الواو عند النطق، الاستثناء هو "ودود"، حيث انخفضت نسبة الإبدال إلى ٤٠٪ في الشمال و ٣٠٪ في الجنوب، هذا يشير إلى أن موقع الصوت في بداية الكلمة يُعد من أضعف المواضع من حيث القدرة على إنتاج /w/ نطقاً سليماً، وربما يرتبط ذلك بالتأثير القوي للفونيمات البديلة في اللغة الأم، مثل /v/ أو حذف الصوت تماماً.

أما في وضع الواو في وسط الكلمة؛ فتشمل الكلمات: شفوي، رويداً، والمفاجئ هنا أن نسبة الإبدال في كلمتي "شفوي" و "رويداً" كانت ١٠٠٪، رغم أن الواو في موضع وسطي، هذا يعكس أن الواو الانزلاقية حتى عندما لا تكون في الصدر، تبقى عرضة للإبدال، ربما بسبب تأثير السياق المقطعي أو ضعف التعرض السمعي للكلمات.

أما في حال الواو في نهاية الكلمة، فتشمل الكلمات: عمود، كاكاو، آووا، أحيوا، قالوا، وجميع هذه الكلمات سجلت ٠٪ نسبة إبدال في الشمال والجنوب، ما يعني أن الواو النهائية نُطقت نطقاً سليماً تماماً من قبل جميع المشاركين.

يمكن تفسير ذلك بأن الواو الطويلة في نهاية الكلمة أقرب إلى حركات المد وتُشبه الفونيمات الموجودة في اللغة الأم (مثل المالايالامية أو الهندية)، مما يجعل إدراكها وإنتاجها أسهل.

ويلاحظ أن الفروقات بين الشمال والجنوب محدودة جداً في هذا الاختبار، حيث تشابهت نسب الإبدال في معظم الكلمات، فالكلمة الوحيدة التي أظهرت تبايناً نسبياً هي "ودود" (٤٠٪ شمالاً مقابل ٣٠٪ جنوباً)، وهي نسبة غير كافية لتشكيل فرق دال إحصائياً، وهذا يُشير إلى أن الصعوبة في نطق /w/ لا تعود إلى الفروق الجغرافية بقدر ما تعود إلى السمات الفونولوجية المشتركة للغات الهندية عموماً.

تُظهر هذه النتائج أن الصوت /w/ يتعرض بنسبة كبيرة إلى الإبدال بـ /v/، خاصة في بداية الكلمة، وهو ما يتفق مع ملاحظات سابقة على النطق الإنجليزي لدى الهنود حيث تُنطق كلمات مثل welcome بـ /velkəm/ و wow بـ /vaʊ/، ويرتبط ذلك بنظرية التداخل الصوتي التي تؤكد أن الأصوات الغائبة عن لغة المتعلم يتم تعويضها بأقرب صوت متاح في لغته الأم.^(١)

خلاصة التحليل

تُعد الواو في بداية الكلمة من أكثر المواضع عرضة للإبدال، حيث تجاوزت نسبة الخطأ ١٠٠٪. حتى في الموضع الوسيط، لم تنخفض نسبة الإبدال عن ١٠٠٪، مما يدل على عمق الصعوبة الإدراكية والإنتاجية.

في المقابل؛ كان أداء المشاركين مثالياً في الموضع النهائي، حيث لم تُسجَل أية حالات إبدال، ويُعزى ذلك إلى التداخل الإيجابي مع حركات المد في اللغة الأم.

(١) (Yavas and Yildirim 2011)

الفروق بين الشمال والجنوب ضئيلة، مما يدل على أن الإبدال في هذا الصوت ظاهرة ممنهجة غير مرتبطة بالمنطقة بقدر ما هي مرتبطة بالنظام الفونولوجي الأصلي.

جدول (٥-٢٣): نسب إبدال الصوت (/و/) في الجمل (السياق التركيبي)

الكلمة في الجملة	شمال الهند (%)	جنوب الهند (%)	المتوسط (%)
ودود	١٠٠%	٧٠%	٨٥,٠
أولاد	٨٠%	٨٠%	٨٠,٠
يهو	٥٠%	٤٠%	٤٥,٠

كلمة "ودود" كانت ضمن كلمات المفردات أيضاً، وسجلت فيها نسبة إبدال ٤٠٪ في الشمال و ٣٠٪ في الجنوب، مما يعني أن الإبدال ارتفع في السياق الجملي بشكل حاد، خاصة في الشمال (من ٤٠٪ إلى ١٠٠٪)، هذا يعكس أن السياق الجملي لم يُساعد المتعلمين على تحسين الأداء، بل زاد من تعقيد النطق، ويُحتمل أن تشتت الانتباه أو التركيز على المعنى الكامل للجملة أدى إلى ضعف التركيز الصوتي على هذا الفونيم تحديداً، وهو ما تؤكدته نظرية "Best et al"^(١) في أن الأداء الصوتي في الجمل يتأثر بعوامل إدراكية ومعرفية تتجاوز حدود التعرف الفردي على الصوت.

أما الكلمة: أولاد، فالإبدال متساوٍ: ٨٠٪ في الشمال والجنوب، لأن كلمة "أولاد" تُعد من الكلمات الأساسية المتكررة في البيئة التعليمية، لكن نسبة الإبدال ظلت مرتفعة (٨٠٪)، مما يشير إلى أن

(١) (Best et al. 1995)

وجود الواو في موضع وسطي بعد همزة وصل ربما أربك الأداء الصوتي. كما أن النطق الطبيعي السريع للجملة قد يضعف وضوح هذا الصوت الانزلاقي عند أغلب المتعلمين.

أما كلمة: "بهو" فالإبدال في الشمال: ٥٠٪، والإبدال في الجنوب: ٤٠٪، فهذه الكلمة تُعد من الكلمات المقترضة أو القريبة في النطق من بعض الكلمات في لغات الهند، مما قد يُفسر انخفاض نسبي في الإبدال مقارنةً بالكلمات الأخرى. وجود الواو في النهاية وضمن مقطع مفتوح يُسهّل نطقه، وقد يكون لهذا علاقة بما سجّل سابقاً من نتائج جيدة للواو في نهاية الكلمة (٠٪ إبدال في المفردات مثل: "قالوا"، "كاكاو").

تُظهر نتائج الدراسة أن صوت الواو /w/ يُعد من أكثر الأصوات العربية عرضة للإبدال لدى متعلمي العربية من الناطقين باللغات الهندية، خصوصاً في موقع الصدر (أول الكلمة)، حيث بلغت نسبة الإبدال ١٠٠٪ في معظم الكلمات مثل "وادي"، "ويكأنه"، "ويل"، و"وعد"، لدى المشاركين من شمال الهند وجنوبه على السواء. ويُعد هذا النمط دالاً على صعوبة إنتاج هذا الصوت حين يأتي في بداية الكلمة، الأمر الذي يُعزى إلى غيابه شبه الكامل أو اختلاف تمثيله الصوتي في اللغة الأم، مما يؤدي إلى استبداله غالباً بصوت /v/ كما هو ملحوظ أيضاً في نطقهم للغة الإنجليزية.^(١)

وقد لاحظ الباحث -من خلال التحليل- أن نسبة الإبدال انخفضت في الكلمات التي يقع فيها صوت الواو في نهاية الكلمة، كما في "قالوا"، "أحيوا"، "أووا"، حيث لم تسجل أية حالات إبدال، ما يدل على

(١) (الحسن، الصوتيات العربية: مدخل تطبيقي تعليمي ٢٠١٢، ص: ١٥١)

أن الواو الممدودة النهائية تُدرك بوصفها حركة طويلة /u/، وهي موجودة في بعض الأنظمة الصوتية للغات الهندية، وهو ما يساعد على نطقها بصورة أقرب إلى العربية.^(١)

أما في الكلمات التي تتوسطها الواو مثل "شفوي" و "رويداً"، فقد سجلت نسب إبدال بلغت ١٠٠٪، ما يشير إلى أن الموضع الوسيط لا يقل صعوبة عن الموضع الابتدائي، وربما يعود ذلك إلى طبيعة المقاطع الصوتية المركبة التي تربك المتعلمين عند الأداء النطقي، لا سيما إذا لم يكن لديهم إدراك دقيق لطبيعة هذا الصوت باعتباره شبه صائت، يختلف عن /v/ و /u/ في نفس الوقت.^(٢)

وعند الانتقال إلى السياق الجملي، لم يتحسن الأداء بل لوحظ أن الإبدال ظل مرتفعاً، بل تزايد في بعض الكلمات مقارنة بالكلمات المفردة. فقد ارتفعت نسبة الإبدال في كلمة "ودود" إلى ١٠٠٪ في الشمال و ٧٠٪ في الجنوب، مقارنة بـ ٤٠٪ و ٣٠٪ فقط في المفردة. أما في "أولاد"، فقد ثبت الإبدال عند ٨٠٪ في الفريقين. وتوضح هذه النتائج أن السياق الجملي لم يُسهم في تحسين الأداء الصوتي كما هو متوقع في بعض الدراسات، بل على العكس، يبدو أن الضغط الناتج عن إنتاج الجملة الكاملة أدى إلى تراجع دقة النطق للفونيم المستهدف، وهو ما يؤكد الحملات حين أشار إلى أن التداخل الصوتي في الأداء السياقي قد يكون أقوى بسبب تعدد المهام الإدراكية لدى المتعلم.^(٣)

(١) (السباعي ٢٠٠٥، ص: ٢١٥)

(٢) (أنيس، الأصوات اللغوية ١٩٧٥، ص: ٨٧)

(٣) (الحملات ١٩٩٣، ص: ٢٠١)

وتُفسَّر هذه الظاهرة في ضوء نظرية التداخل الصوتي، والتي ترى أن المتعلم يُسقط النظام الصوتي
لُغته الأم على اللغة المستهدفة، فيستبدل الأصوات الغريبة عليه بأصوات مألوفة لديه،^(١) ونظراً
لعدم وجود صوت /w/ في كثير من اللغات الهندية أو تمثيله بشكل قريب من /v/، فإن المتعلم لا
يملك مرجعية عضوية أو إدراكية سليمة لهذا الصوت، مما يؤدي إلى إنتاجه بصورة خاطئة أو
استبداله بصورة ممنهجة، وهي سمة من سمات المرحلة الانتقالية في تعلم النطق.^(٢)

إن هذا التباين في أداء المتعلمين حسب موضع الصوت في الكلمة، وطبيعة السياق (مفردة أم
جملة)، يشير إلى أهمية تصميم أنشطة نطقية تراعي التدرج من المفرد إلى السياق، وتوظف التكرار
السمعي والنمذجة الحركية والبصرية، كما أوصى بذلك عبد العزيز بشكع في كتابه "أصوات اللغة
العربية: عرض وتحليل وتطبيق".^(٣)

يمكننا استخلاص ما يأتي:

١. صوت الواو /w/ يُعد من الأصوات المعقدة في اكتسابها بسبب طبيعته شبه الصائتة، وغياب
نظيره في اللغات الهندية.

٢. تمثل الواو الصدرية تحدياً واضحاً، إذ سجّلت أعلى نسب الإبدال.

٣. الموضع النهائي للواو كان الأسهل على المتعلمين، بسبب تشابهه مع الحركات الطويلة في لغتهم
الأم.

(١) (الهاشمي ١٩٩٩، ص: ١٥٥)

(٢) (الراجحي، علم الأصوات ٢٠٠١، ص: ١٣٤)

(٣) (بشكع ٢٠١٠، ص: ١٦٥)

٤. السياق الجملي لم يُحسن الأداء، بل أظهر أن الأداء السياقي أكثر ضعفاً بسبب التداخل المعرفي واللغوي.

٥. الفروق الجغرافية بين الشمال والجنوب كانت محدودة، مما يؤكد أن الظاهرة تعود لعوامل لغوية إدراكية أكثر من كونها بيئية أو تعليمية.

٥-٢: أنماط الإبدال الصوتي في الصوائت

تُعد الصوائت (Vowels / الحركات) عنصراً أساسياً في النظام الصوتي للغة العربية، وتشمل الفتحة /a/، والضممة /u/، والكسرة /i/، فضلاً عن الظواهر المرتبطة بها مثل السكون، والتضعيف، واللام المغلظة. وتتميز هذه الصوائت بخصائص صوتية تختلف عن الصوامت، أبرزها اعتمادها الكلي على جريان الهواء بحرية دون إعاقة، واعتمادها على موقع اللسان وشكل الفم دون احتكاك أو انفجار، مما يجعلها أكثر عرضة للتأثر بالنظام الصوتي للغة الأم.

وقد أشار الدكتور عبد الصبور شاهين في كتابه^(١) "علم الصوتيات" إلى أن "الصوائت هي أكثر الأصوات اللغوية خضوعاً للتغير بين المتكلمين، وتأثراً بالفروق اللهجية واللغوية"، وهو ما يجعلها من أبرز المظاهر الصوتية التي تكشف عن درجة التداخل اللغوي بين اللغة الأم واللغة الثانية.^(٢)

ويؤكد علي ناصر في كتابه "الأساس المعرفي للازدواجية في اللغة العربية" إلى أن الصوائت القصيرة هي الأكثر عرضة للخطأ والإبدال لدى متعلمي العربية من الناطقين بغيرها،^(٣) بينما يرى آخر أن

(١) (شاهين، علم الصوتيات ١٩٩٤، ص: ٥٥)

(٢) (Flege 1995)

(٣) (Ibrahim 2009)

التضعيف يُشكل تحدياً خاصاً للمتحدثين بلغات لا تتضمن ظاهرة التشديد، كحال العديد من اللغات الآسيوية.^(١)

من هنا؛ فإن صوائت العربية، بوصفها نظاماً حساساً ومعقداً، تُشكل تحدياً كبيراً أمام المتعلمين الهنود، خاصةً في ظل اختلاف التوزيع الصوتي والخصائص المقطعية بين العربية واللغات الهندية، كاللغة المالايالامية في الجنوب والأردية أو الهندية في الشمال. وقد أكدت العديد من الدراسات اللغوية أن متعلمي العربية في السياقات الأجنبية يُظهرون نمطاً متكرراً من الإبدال الصوتي للصوائت، يُعزى إلى عدم وجود مكافئ دقيق في لغتهم الأم.^(٢)

١. عرض بيانات إبدال الأصوات الصائتة

في ضوء ما سبق، أُجري اختبار صوتي على مجموعة من الطلاب الهنود الناطقين بغير العربية من ولايتي شمال الهند وجنوب الهند، بهدف تحليل معدلات الإبدال الصوتي في الصوائت العربية الأساسية، وقد جاءت النتائج كما هو موضح في الجدول الآتي:

جدول (٥-٢٤): نسب إبدال الصوائت في الكلمات المفردة

الصوت	الكلمة	شمال الهند (%)	جنوب الهند (%)
الفتحة /a/	عَدَم	٨٠٪	٩٠٪
	غَرَض	٨٠٪	٩٠٪
	رَمْضَان	٨٠٪	٩٠٪
السكون	سَمْع	٧٠٪	٨٠٪

(١) (Altaha 1995)

(٢) (الحسن، الصوتيات العربية: مدخل تطبيقي تعليمي ٢٠١٢، ص: ١١٩)

شمع	%٧٠	%٨٠
صفع	%٧٠	%٨٠
مطّاط	%٩٠	%٩٠
صَبَّار	%٧٠	%٨٠
عُشُّ	%٠	%٠
الله	%١٠٠	%٥٠
الهم	%١٠٠	%٤٠
لله	%٠	%٠
التضعيف		
اللام المغلظة		

يتضح لنا من هذا الجدول ما يأتي:

أولاً: الفتحة /a/

سجّلت الفتحة نسبة إبدال مرتفعة بلغت ٨٠٪ في الشمال و ٩٠٪ في الجنوب، مما يدل على صعوبة نطق الفتحة العربية بوضوح ودقة لدى كلا المجموعتين، وتحديدًا طلاب الجنوب، وترتبط هذه الصعوبة بما يُعرف بـ التمثيل الصوتي الغامض للحركات القصيرة في لغات مثل المالايالامية، حيث لا توجد حركة مطابقة تماماً للفتحة العربية، أو يتم استبدالها بأصوات قريبة كالكسرة أو الضمة.^(١)

(١) (أنيس، الأصوات اللغوية ١٩٧٥، ص: ٩٢)

وقد أشار بعض الباحثين إلى أن الحركات القصيرة، بسبب طبيعتها السريعة وعدم استقلالها في النطق، تُعد من أبرز التحديات في تعليم النطق العربي للناطقين بغيره، ما يفسر ارتفاع نسب الإبدال^(١).

ثانياً: السكون

تُظهر نتائج السكون نسب إبدال بلغت ٧٠٪ في الشمال و ٨٠٪ في الجنوب، وهي نسب دالة على أن الوقف على الساكن النهائي في الكلمة يُمثل تحدياً للمتعلمين.

ويُعزى هذا إلى أن كثيراً من اللغات الهندية لا تُنتج السكون بوصفه ظاهرة صوتية مستقلة، بل تعتمد على إنهاء المقطع بحركة أو بمد صوتي. وبالتالي، فإن محاولة المتعلم نطق "شمع" أو "صمغ" بسكون في النهاية يُعد غريباً على نظامه النغمي، ما يؤدي إلى الإبدال أو الإضافة^(٢)، كما نبه "عبد العزيز بشكع" إلى أن "السكون العربي لا يظهر إدراكياً عند الناطقين بغير العربية إلا بتدريب سمعي مكثف"^(٣).

(١) (الحسن، الصوتيات العربية: مدخل تطبيقي تعليمي ٢٠١٢، ص: ٧٣)

(٢) (الهاشي ١٩٩٩، ص: ١١٨)

(٣) (بشكع ٢٠١٠، ص: ٩٦)

ثالثاً: التضعيف (الشدة)

تراوحت نسب الإبدال في الكلمات التي تحتوي على تضعيف بين ٩٠٪ ("مطّاط") و ٧٠-٨٠٪ ("صَبَّار")، بينما كانت ٠٪ في كلمة "عُشُّ"، ما يُشير الانتباه إلى أثر البنية المقطعية وحركة الصوت على النطق.

فالتضعيف يتطلب تشديداً عضلياً واحتباساً مؤقتاً للهواء الصوتي، وهي مهارة غير مألوفة في معظم اللغات الهندية، حيث لا يُوجد ما يقابل الشدة في شكل واضح، ويؤكد إبراهيم أنيس أن الشدة أو التضعيف ظاهرة عربية صرفة "ترتبط بالوظيفة الصرفية والدلالية، ولا يُفهم المعنى بدونه"، مما يجعلها تحدياً مضاعفاً.

أما انخفاض الإبدال إلى ٠٪ في كلمة "عُشُّ"، فيُعزى إلى أن نطق هذه الكلمة جاء في نهاية مغلقة بمقطع بسيط وواضح، ويبدو أن التكرار أو الارتباط الديني أو السمعي لهذه الكلمة أسهم في تثبيت نطقها بشكل صحيح.

رابعاً: اللام المغلظة

سجّلت الكلمات التي تحتوي على اللام المفخّمة أعلى نسبة إبدال في الجدول، "الله": ١٠٠٪ في الشمال، ٥٠٪ في الجنوب، "اللهم": ١٠٠٪ في الشمال، ٤٠٪ في الجنوب، "لله": ٠٪ في الفريقين. هذا التباين الكبير يُشير إلى أن المتعلمين، خصوصاً من الشمال، يُخطئون في نطق اللام المفخمة ويميلون إلى ترقيقها، إما بسبب غياب ظاهرة التفخيم في لغاتهم، أو بسبب الخلط بين السياق الصوتي والمقام الديني للكلمة.

ويرى الهاشي أن اللام المفخمة لا يُمكن إدراكها دون إدراك السياق الفونولوجي المحيط بها، كما هو الحال في كلمة "الله"، حيث تأتي اللام بعد فتحة، مما يجعل تفخيمها إلزامياً،^(١) ويُعزز هذا التحليل ما ذكره "عبد الله الحسن" الذي أشار إلى أن التفخيم ظاهرة "تنغيم تراكمية" يصعب تعلّمها دون إدراك التوازن الصوتي بين الحروف.^(٢)

أما كلمة "لله"، فقد سُجلت دون أي إبدال، ويُحتمل أن ذلك يعود إلى كثرة استخدامها الديني وتعود المتعلمين على سماعها ونطقها في الأدعية والنصوص القرآنية، ما منحها ثباتاً نطقياً أعلى. تُظهر البيانات أن جميع أنواع الصوائت المدروسة (الفتحة، السكون، التضعيف، اللام المغلظة) تعاني من نسب إبدال مرتفعة، مما يدل على ضعف إدراك المتعلمين لهذه العناصر الصوتية الدقيقة.

كان أداء طلاب الجنوب أضعف عموماً من طلاب الشمال، خصوصاً في الفتحة والسكون، بسبب تأثير لغاتهم الأم (مثل المالايالامية) التي تختلف كثيراً عن النظام الفونولوجي العربي.

الكلمات الشائعة دينياً أو ذات السياق المألوف (مثل "لله"، "عش") أظهرت أداءً أفضل، مما يدل على أثر التكرار والسياق الديني والسمعي في ترسيخ النطق السليم.

تؤكد هذه النتائج الحاجة إلى تصميم تدريبات إدراكية ونطقية مركزة لكل فئة صوتية، تبدأ من الحركات وتنتهي بالمقاطع المعقدة، مع الاستعانة بالتمثيل البصري والسمعي والحركي.

(١) (الهاشي ١٩٩٩، ص: ١٩١)

(٢) (الحسن، الصوتيات العربية: مدخل تطبيقي تعليمي ٢٠١٢، ص: ١٣٠)

تُظهر نتائج اختبار الكلمات المفردة أن الصوائت العربية، ولا سيما الفتحة والسكون والتضعيف، لا تزال تمثل تحدياً نطقياً واضحاً لدى المتعلمين الهنود، الناطقين بغير العربية، وذلك على الرغم من اختلاف خلفياتهم الجغرافية (شمالاً وجنوباً). وقد كشفت النسب المرتفعة للإبدال في كل فئة صوتية عن عمق الفجوة الإدراكية والفونولوجية بين النظام الصوتي للعربية والأنظمة الصوتية للغات المحلية كالمالايالامية والهندية والأوردو.

إن ارتفاع نسب الإبدال في الفتحة، والتي بلغت ٨٠٪ في الشمال و ٩٠٪ في الجنوب، يؤكد أن غياب التمثيل الصريح للحركات القصيرة في لغة المتعلم يُعد سبباً رئيساً في صعوبة نطق هذه الحركات بدقة. فالفتحة صوت زمني قصير وغير مستقر، لا تتماثل مع حركاتٍ مماثلة في اللغات الهندية، ما يؤدي إلى تقريبه من أصوات أخرى، كأن يُنطق /a/ على هيئة /i/ أو /u/، في نوع من التعويض الصوتي الناجم عن أثر اللغة الأم.^(١)

أما السكون فقد ظهرت نسب إبداله واضحة في كلا المجموعتين، مع زيادة نسبية في الجنوب، مما يعكس إشكالية التعامل مع نهاية المقطع الساكن، حيث تميل لغات جنوب الهند إلى إنهاء المقاطع بحركات وليس بسكون صريح. وقد أكدت دراسات عربية أن "السكون العربي يُعد من الظواهر الصوتية الصعبة في الإدراك والتمثيل لدى المتعلمين من الناطقين بغير العربية".^(٢)

(١) (الهاشي ١٩٩٩، ص: ١٢٧)

(٢) (أنيس، الأصوات اللغوية ١٩٧٥، ص: ٩٩)

وفيما يتعلق بالتضعيف، فإن الأداء غير المستقر لدى المتعلمين (مع استثناء كلمة "عُشُّ" التي نُطقت بشكل صحيح)، يُشير إلى صعوبة تمثيل الشدة بوصفها ظاهرة مزدوجة (احتباس + تكرار)، وهو أمر غير مألوف في كثير من لغات المتعلمين، وهذه الظاهرة، رغم وضوحها في العربية، لا تجد لها مقابلاً صريحاً في لغات الهند، مما يؤدي إلى إهمال التضعيف أو تضعيف غير مبرر.^(١)

أما ظاهرة اللام المغلظة، فقد كشفت عن تفاوت مذهل في الأداء، إذ حقق طلاب الشمال نسب نطق صحيحة تصل إلى ١٠٠٪، بينما سجل طلاب الجنوب إبدالاً عالياً (٥٠٪ - ٦٠٪). ويُحتمل أن يكون ذلك عائداً إلى السمعية الدينية العالية لدى طلاب الشمال نتيجة التعرض الأكبر للغة العربية في السياقات القرآنية. أما طلاب الجنوب، فتقل فرصهم في الاستماع المتكرر لكلمات مفخمة دينية، مما يفسر هذا الإخفاق. كما أن التفخيم والتفخيم الجزئي في الصوتيات يُعدّ من الظواهر التي لا تستوعبها اللغات المالايالامية بنفس الطريقة التي تُدرّس بها العربية.^(٢)

ويتضح من هذه النتائج أن التكرار والتعرض السمعي في البيئة التعليمية والدينية له دورٌ حاسم في ترسيخ النطق الصحيح، كما هو الحال في الكلمات ذات الاستخدام المتكرر مثل "الله" و"لله". وهذه الملاحظة تتسق مع ما أكدّه إبراهيم أنيس بأن "تثبيت الأداء الصوتي يتم بالتكرار السمعي والإدراكي قبل النطقي".

(١) (الحسن، الصوتيات العربية: مدخل تطبيقي تعليمي ٢٠١٢، ص: ١٤٠)

(٢) (بشكع ٢٠١٠، ص: ١٧٢)

كما تدعم النتائج الحاجة إلى مراجعة طرائق تدريس الصوائت، بحيث لا تقتصر على التلقين أو النماذج النظرية، بل تشمل تدريباً وظيفياً إدراكياً سمعياً ونطقياً من خلال التكرار والمقارنة والربط الحسي. ومن المهم التركيز على التمييز السمعي للحركات والسكون والتضعيف والتفخيم، من خلال وسائل بصرية ومقاطع صوتية معزولة.

تُبرهن نتائج هذا الاختبار على أن إبدال الصوائت يُعد من أكثر الظواهر الفونولوجية تعقيداً في اكتساب العربية لغةً ثانية، ويعود ذلك إلى التباين الجذري بين النظام الفونولوجي العربي واللغات المحلية الهندية، وقد كشفت الدراسة عن أهمية العوامل البيئية والدينية والجغرافية في تشكيل الأداء الصوتي للمتعلمين، حيث امتاز طلاب الشمال بتعرض سمعي أكبر من طلاب الجنوب لبعض المفردات، ما انعكس على تباين دقة النطق.

تكمن صعوبات الصوائت لدى متعلمي العربية الناطقين بغيرها في أن كثيراً منها غير موجود بصورتها الوظيفية في لغاتهم الأم، ما يجعلهم أكثر عرضة للإبدال أو الإهمال عند النطق، خصوصاً في البيئات غير العربية (مثل كيرالا)، ويُظهر علم الأصوات الإدراكي أن الحركات القصيرة والمغناة تتطلب تدريباً دقيقاً لتمييزها، وقد أشار (Hockett) إلى أن تعلم الصوائت من أصعب ما يواجه متعلمي اللغات الثانية.^(١)

(١) (Bloomfield's, Hockett' and Lehmann', n.d)

٥-٣: التباين الجغرافي في الإبدال الصوتي

تلعب العوامل الجغرافية دوراً محورياً في تشكيل الفروقات النطقية بين متعلمي اللغة الثانية، إذ إن التوزيع الجغرافي غالباً ما يكون مصحوباً باختلافات في اللهجات المحلية، واللغات الأم، وأنماط التعليم، والاحتكاك اللغوي، وهو ما يؤثر مباشرة في اكتساب النطق الصحيح للأصوات الجديدة، وقد تناولت دراسات سابقة هذا الأثر من منظور علم اللغة الاجتماعي، منها ما أكد أن "التمايز الجغرافي يصاحب التمايز اللساني في كل المجتمعات متعددة اللغات.^(١)

تتباين في الهند الأوضاع اللغوية بين شمال البلاد وجنوبها بشكل لافت؛ حيث تسود في الشمال لغات من الفرع الهندو-آري مثل الهندية والأردية والبنجابية، بينما تنتشر في الجنوب لغات درافيدية مثل المالايالامية والتاميلية والتيلغو، وهذا التباين لا ينعكس فقط في المعجم وبنية الجملة، بل يمتد إلى النظام الفونولوجي نفسه، من حيث عدد الفونيمات وتمثيلها المخرجي، وهو ما يجعل بعض الأصوات العربية أصعب نطقاً في منطقة دون أخرى. على سبيل المثال، تفتقر العديد من اللغات الجنوبية إلى مقابلات دقيقة للأصوات الحلقية أو المفخمة، بخلاف بعض اللغات الشمالية المتأثرة بالقرآن واللغة الأردية.

وقد هدفت هذه الدراسة في هذا المحور إلى قياس مدى تأثير البعد الجغرافي (شمال الهند مقابل جنوبها) في نسب الإبدال الصوتي عند نطق الأصوات العربية، وذلك من خلال مقارنة أداء المشاركين في منطقتين جغرافيتين، وفق اختبار موحد للأصوات المستهدفة في المفردات والجُمْل.

(١) (Labov 2007)

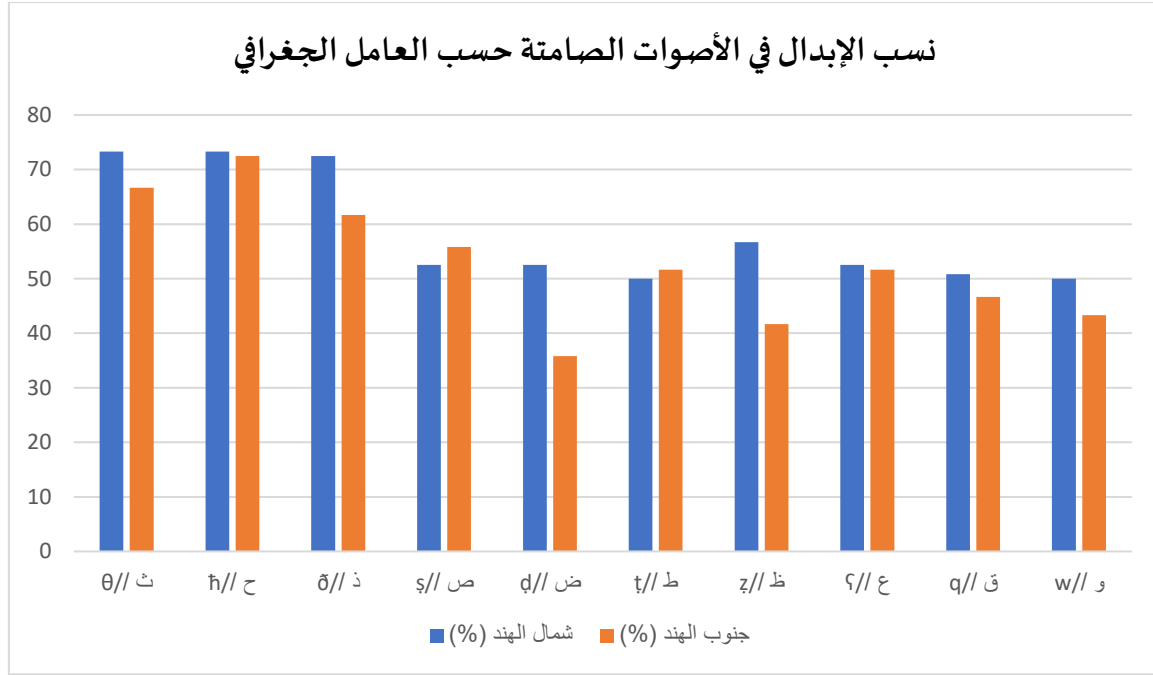
وقد تمّ حساب النسب المئوية للإبدال لكل صوت حسب الموقع الجغرافي، وتم تحليل الفروقات الكمية بهدف تفسيرها لغوياً وفونولوجياً.

١- تحليل التباين في الأصوات الصامتة

فيما يلي جدول يوضّح نسب الإبدال الصوتي للأصوات الصامتة لدى المشاركين من شمال وجنوب الهند، مرتبة حسب الأداء النطقي في كل منطقة ومتوسط التكرار الكلي:

جدول (٥-٢٥): نسب الإبدال في الأصوات الصامتة حسب العامل الجغرافي

الصوت	شمال الهند (%)	جنوب الهند (%)	المتوسط (%)
ث // θ	٧٣,٣٣	٦٦,٦٧	٧٠,٠
ح // h	٧٣,٣٣	٧٢,٥٠	٧٢,٩٢
ذ // ð	٧٢,٥٠	٦١,٦٧	٦٧,٠٨
ص // s	٥٢,٥٠	٥٥,٨٣	٥٤,١٧
ض // d	٥٢,٥٠	٣٥,٨٣	٤٤,١٧
ط // t	٥٠,٠٠	٥١,٦٧	٥٠,٨٣
ظ // z	٥٦,٦٧	٤١,٦٧	٤٩,١٧
ع // ʿ	٥٢,٥٠	٥١,٦٧	٥٢,٠٨
ق // q	٥٠,٨٣	٤٦,٦٧	٤٨,٧٥
و // w	٥٠,٠٠	٤٣,٣٣	٤٦,٦٧



يعرض الجدول والرسم البياني أعلاه؛ نسب الإبدال الصوتي للأصوات الصامتة المستهدفة لدى المشاركين من شمال وجنوب الهند، موزعة حسب كل صوت. يُظهر الجدول فروقاً لافتة بين المجموعتين الجغرافيتين، تُعزى إلى الفروقات في النظام الصوتي للغات المحلية التي ينتمي إليها المتعلمون في كل منطقة، ويتضح ما يأتي:

أولاً: الأصوات المهموسة الاحتكاكية

١. الثاء / θ / سجلت نسبة إبدال مرتفعة في الشمال (٧٣,٣٣٪) مقارنة بالجنوب (٦٦,٦٧٪).

ويُعزى ذلك إلى غياب هذا الصوت تماماً في كلا النظامين الصوتيين للهند، لكن تأثير اللغة

الأردية في الشمال (التي تضم صوتاً قريباً مثل /tʰ/) قد يفسر النسبة الأعلى.^(١)

(١) (الهاشي ١٩٩٩، ص: ٧٧)

٢. الحاء /h/ بلغت نسبة الإبدال فيه (٧٣,٣٣٪) في الشمال و(٧٢,٥٪) في الجنوب، وهي من أعلى

النسب المسجلة، مما يعكس صعوبة إنتاج الصوت الحنجري في كلا المنطقتين، لندرة ما

يقابله في اللغات المحلية.^(١)

٣. الذال /ð/ أُبدل بنسبة (٧٢,٥٪) في الشمال و(٦١,٦٧٪) في الجنوب، ما يُشير إلى تأثير ملموس

للغة الأردنية في الشمال، والتي تحتوي على /z/ كبديل قريب، بينما تُحيل المالايالامية غالباً هذا

الصوت إلى /d/ أو /z/، مع صعوبة إدراكية وسمعية واضحة.^(٢)

ثانياً: الأصوات المفخمة

١. الطاء /t/ يظهر تفاوت طفيف في نسب الإبدال (٥٠٪ شمالاً و٥١,٦٧٪ جنوباً). يشير هذا إلى

صعوبة الصوت في كلا المنطقتين، لغيابه الواضح في المالايالامية ولوجود مقابلات غير مفخمة

في الشمال مثل /t/.

٢. الضاد /d/ نسبة الإبدال أعلى في الشمال (٥٢,٥٪) منها في الجنوب (٣٥,٨٣٪)، وهو ما قد

يُفسر بتأثير التعليم القرآني في الجنوب الذي يركّز على النطق السليم، في حين يميل المتعلمون

في الشمال إلى إبدال /d/ بـ /d/، وهو صوت شائع في لغاتهم الأم.^(٣)

٣. الظاء /z/ سجلت نسبة (٥٦,٦٧٪) في الشمال و(٤١,٦٧٪) في الجنوب، ما يشير مجدداً إلى أثر

محدود للتدريب الصوتي في الجنوب، رغم وجود صعوبة في كلا السياقين.

(١) (السباعي ٢٠٠٥، ص: ١٠٨)

(٢) (الحسن، مبادئ اللسانيات ٢٠١٢، ص: ١٢٦)

(٣) (عبدالتواب، من فقه اللغة ١٩٩٦، ص: ١٤٢)

٤. الصاد /s/ كانت نسب الإبدال معتدلة (٥٢,٥٪ شمالاً، ٥٥,٨٣٪ جنوباً)، مع تفوق طفيف في

الإبدال الجنوبي، ويعود ذلك إلى ميل المالايالامية إلى الصوت /s/ الذي لا يُفخَّم، ما يؤثر على

إنتاج /s/ بشكل دقيق.^(١)

ثالثاً: الأصوات الحلقية

١. العين /ʕ/ نسبة الإبدال كانت قريبة جداً (٥٢,٥٪ في الشمال، ٥١,٦٧٪ في الجنوب). ويُعد هذا

الصوت من أكثر الأصوات العربية صعوبة عند المتعلمين الناطقين بغيرها العربية، نظراً لعدم

وجود مكافئ دقيق له في اللغات الهندية.^(٢)

٢. الغين /ɣ/ لم يُدرج في الجدول هنا، لكن من الملاحظ من النتائج السابقة أنه أيضاً من الأصوات

الحلقية الصعبة في كلا المنطقتين.

٣. القاف /q/ أبدل بـ /k/ بنسبة (٥٠,٨٣٪) في الشمال و(٤٦,٦٧٪) في الجنوب، ما يُظهر صعوبة

متوسطة ترتبط باختلاف مخرج الصوتين، رغم تشابه الصفات الانفجارية.

رابعاً: أشباه الصوائت (/w/)

الواو /w/ نُطقت بشكل خاطئ في الشمال بنسبة (٥٠٪) وفي الجنوب بنسبة (٤٣,٣٣٪). وتُشير هذه

النسبة إلى أن بعض المتعلمين لا يميزون بين الواو الانزلاقية /w/ والحركة الطويلة /ū/، وهو خطأ

شائع في بيئات تعلم العربية كلغة ثانية.^(٣)

(١) (الشقيري ٢٠١٢، ص: ٩١)

(٢) (كينون ١٩٨٢، ص: ١١٣)

(٣) (الحملوي ١٩٩٣، ص: ١٦٧)

تُظهر نتائج جدول أن المتعلمين من شمال الهند أكثر عرضة للإبدال في الأصوات الصامتة بنسبة إجمالية أعلى، رغم أن بعض الأصوات كانت أكثر صعوبة في الجنوب. ويمكن ربط ذلك بكون اللغات الهندو-آرية أكثر تأثراً بالتركيب السندسكريتية واللفظيات المغولية، بينما تتميز اللغات الدرافيدية ببنية مقطعية مختلفة، تؤثر في النطق والإدراك. وهذا يؤكد أن الجغرافيا ليست مجرد بعد مكاني، بل تمثل سياقاً لغوياً واجتماعياً يؤثر في تعلم اللغة الثانية من نواحٍ متعددة.

٢. تحليل التباين في الأصوات الصائتة

تعد الأصوات الصائتة (الحركات القصيرة والطويلة والتضعيف والسكون) من أكثر العناصر الصوتية تأثراً باللغة الأم عند تعلّم لغة ثانية، ويعود ذلك إلى كونها ذات طبيعة متغيرة بحسب السياق الصوتي المحيط، ولارتباطها الوثيق بالإدراك السمعي الدقيق والتمييز الدقيق بين المدّ والقصر، وبين السكون والتشديد. ويتفاقم هذا التحدي حين لا تتوافر هذه الفروق الصوتية الدقيقة في النظام الفونولوجي للغة الأم.

في شمال الهند، حيث تسود اللغات الهندو-آرية مثل الهندية والأردية، توجد حركات قصيرة وطويلة، لكن غالباً ما يتم إهمال التمييز الدقيق بينها في الأداء الشفهي، كما أن التضعيف غالباً ما يُعوّض بإطالة زمن الحرف أو تغييره إلى حرفين متجاورين، بينما يُعد السكون بنية صوتية غير مكتملة الوظائف. أما في جنوب الهند، فإن اللغات الدرافيدية مثل المالايالامية والتاميلية تتصف بنظام مقطعي ثابت لا يعتمد بوضوح على الفوارق الزمنية الدقيقة بين الحركات القصيرة والطويلة، مما يؤدي إلى غياب التناظر الصوتي بين الصوائت العربية والصوائت في هذه اللغات.

ويُعدّ هذا الاختلاف الجغرافي في اللغات الأم عاملاً حاسماً في نسب الإبدال الصوتي، حيث لا يُسهم فقط في تغيير جودة النطق، بل أيضاً في خلل إدراكي يُؤثر على الأداء اللغوي كله، كما تؤكد الدراسات الصوتية الحديثة.^(١)

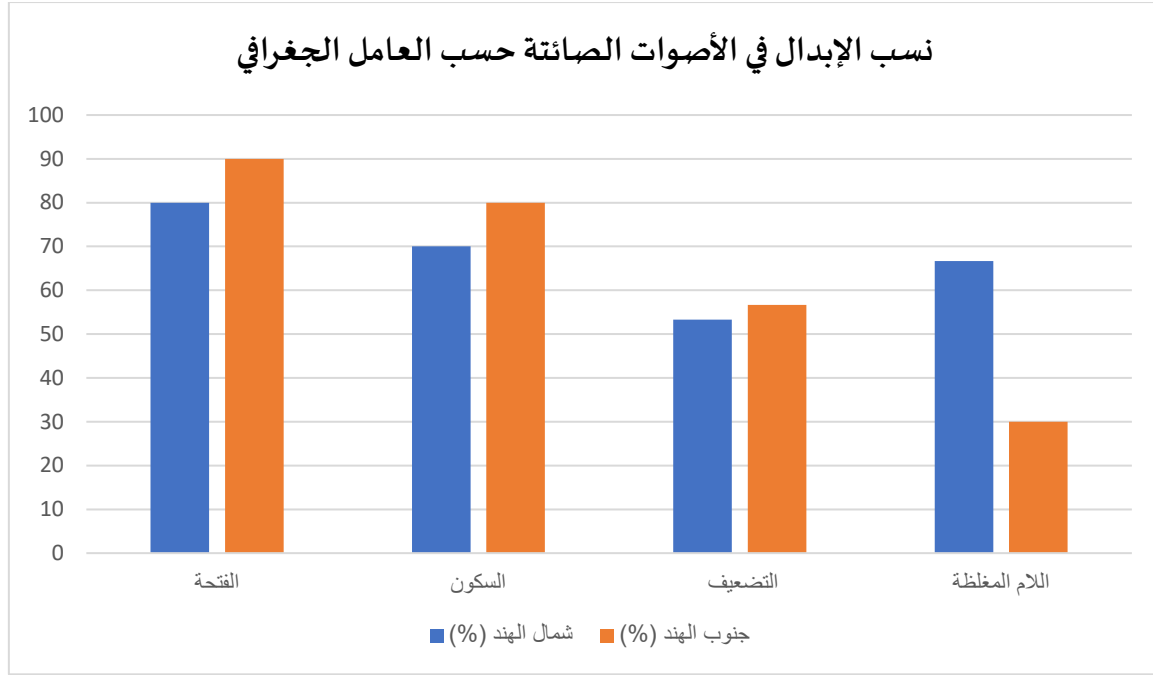
وانطلاقاً من هذه المعطيات، قامت هذه الدراسة بتحليل نُطق مجموعة من الصوائت العربية (الفتحة، السكون، التضعيف، اللام المفخّمة) من قِبل المتعلمين في شمال الهند وجنوبها، بهدف رصد مدى تأثير البُعد الجغرافي في نسب الإبدال، واستجلاء الفروقات الإدراكية والنطقية بين البيئتين.

يُبيّن الجدول التالي نسب الإبدال الصوتي في كل من شمال وجنوب الهند وفق الأداء في اختبار المفردات والجُمْل، ويشكّل هذا الجدول قاعدة التحليل الكمي للمقارنة الجغرافية في الأداء الصوتي:

جدول (٥-٢٦): نسب الإبدال في الأصوات الصائتة حسب العامل الجغرافي

الصوت	شمال الهند (%)	جنوب الهند (%)	المتوسط (%)
الفتحة	٨٠,٠٠	٩٠,٠٠	٨٥,٠٠
السكون	٧٠,٠٠	٨٠,٠٠	٧٥,٠٠
التضعيف	٥٣,٣٣	٥٦,٦٧	٥٥,٠٠
اللام المغلظة	٦٦,٦٧	٣٠,٠٠	٤٨,٣٣

(١) (Flege 1995)



يتضمن الرسم البياني المبين نتائج جدول (٥-٢٦) نسب الإبدال في أربعة أنماط صوتية صائتة هي: الفتحة، المسكون، التضعيف، واللام المفخمة، كما نُطقت من قبل المتعلمين في شمال الهند وجنوبها. يعكس الجدول الفروقات الجغرافية في الأداء، ويوضح التأثير البيئي واللغوي في اكتساب المتعلمين لهذه الصوائت، ومن خلال البيانات أعلاه يتضح الآتي:

أولاً: الفتحة /a/

يتضح أن نسبة الإبدال في الفتحة كانت عالية جداً، وبلغت حدّها الأقصى لدى المشاركين من جنوب الهند، مما يشير إلى صعوبة في إنتاج الفتحة بشكل مطابق للفصحى، ويرجع ذلك غالباً إلى اختلاف نظم الحركات في المالايالامية والتاميلية التي تُركّز على نظام مقطعي متوازن لا يُميّز بين الحركات القصيرة بنفس دقة العربية. وهذا ما يؤكده باحثون في اللسانيات التطبيقية (Best, Flege)

بأن المتعلمين ينزعون إلى استبدال الأصوات غير الموجودة في لغتهم الأم بأقرب ما يُماثلها من الفونيمات المحلية.^(١)

ثانياً: السكون

السكون من أكثر الصوائت تأثراً باللغة الأم، خاصة أن السكون لا يُوظف بنفس الدقة في معظم اللغات الهندية، مما يجعل المتعلمين يعانون من نطقه بدقة، وقد ينعكس ذلك في نطق الحرف متحركاً أو إدخال حركة تلقائية عليه.

ثالثاً: التضعيف

تشير النتائج إلى ارتفاع نسبة الإبدال في التضعيف، حيث يُواجه المتعلمون تحديات في تمييز الحرف المشدّد زمنياً عن غيره. ويعود ذلك إلى أن نظام التضعيف في العربية يقوم على إطالة زمن النطق الصوتي مع غلق كامل للمخرج في الصوامت المشددة، وهي ظاهرة غير مألوفة في النظام الفونولوجي للهندية أو المالايالامية.

رابعاً: اللام المفخمة

يُعد صوت اللام المفخمة من أكثر الأصوات الصائتة تأثراً بالبيئة الجغرافية، حيث جاءت نسبة الإبدال في جنوب الهند أقل من نظيرتها في الشمال، مما يُظهر ضعفاً عاماً في تمييز الترقيق والتفخيم

(١) (Flege 1995)، (Best et al. 1995)

لدى جميع المشاركين. ويعزو الباحثون هذا القصور إلى غياب ظاهرة التفخيم في لغاتهم الأم، كما أشار إلى ذلك عادة خطاب وجلال التميمي في دراستهم حول تأثير اللغة الأم على نطق العربية.^(١)

يعكس الجدول تأثيراً واضحاً للبعد الجغرافي واللغوي على نطق الأصوات الصائتة. فقد تبين أن المتعلمين من جنوب الهند أظهروا نسب إبدال أعلى في الفتحة والتضعيف، بينما كان متعلمو شمال الهند أقل دقة في السكون واللام المفخمة. ويرجع هذا التباين إلى الاختلافات في النظام الفونولوجي المحلي، ومستوى التعرض للغة العربية في البيئات التعليمية المختلفة بين المنطقتين.

٥-٤: أثر موقع الصوت داخل الكلمة

يُعدّ موقع الصوت في الكلمة عاملاً محورياً في الأداء النطقي للمتعلمين، إذ يترتب عليه تغيرات إدراكية وفسولوجية تؤثر في دقة إنتاج الأصوات. وقد أكدت الدراسات الصوتية الحديثة أن الأصوات الواقعة في موقع البداية عادة ما تحظى بتركيز إدراكي أعلى، بينما تقل درجة الانتباه والإنتاج الصحيح في موقعي الوسط والنهاية،^(٢) ويزداد أثر هذا العامل عندما تكون اللغة المستهدفة (العربية في هذه الحالة) ذات نظام صوتي يختلف جذرياً عن اللغة الأم للمتعلمين (المالايالامية أو الهندية)، مما يؤدي إلى تفاوت واضح في نسبة الإبدال باختلاف موضع الصوت.

وفي ضوء هذا الاعتبار، تمّ تصميم اختبار المفردات بحيث يحتوي كل صوت من الأصوات الصامتة المدروسة على ١٢ كلمة، موزعة إلى أربع كلمات في كل موقع (أول، وسط، نهاية). وتم رصد نسبة الإبدال لكل كلمة على حدة، ثم حساب المتوسط لكل موقع. تهدف هذه المرحلة إلى فحص العلاقة

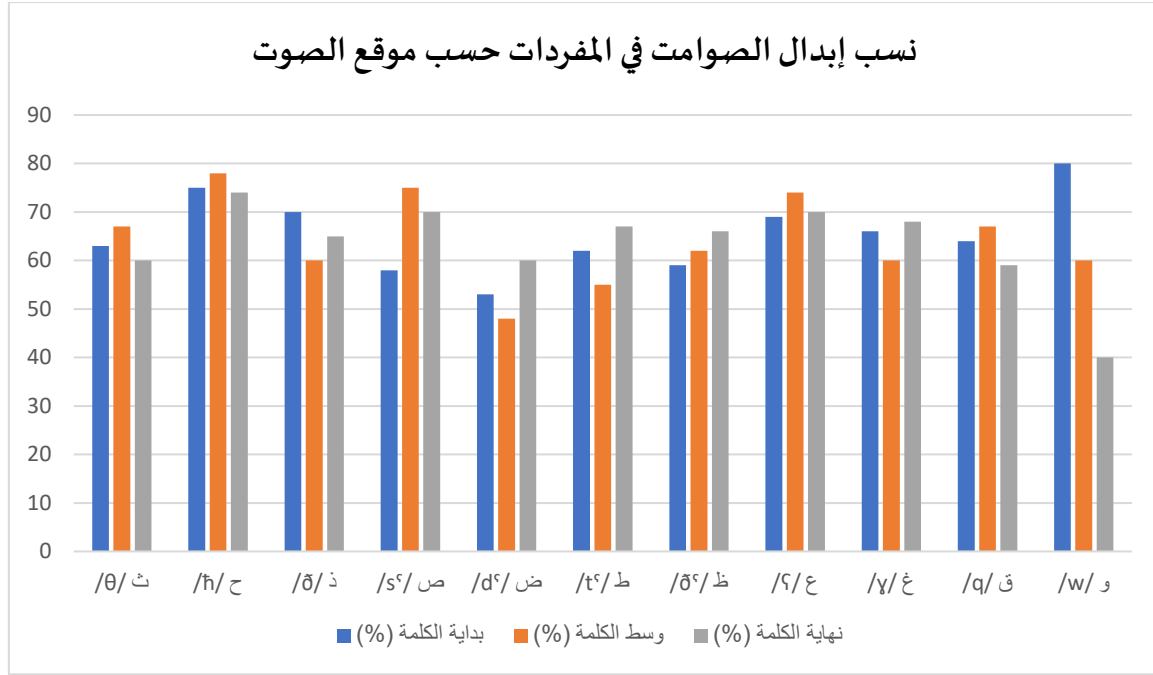
(١) (Khattab and Al-Tamimi 2014)

(٢) (Best et al. 1995)، (Flege 1995)

بين موقع الفونيم داخل الكلمة وبين احتمالية استبداله، وبالتالي بيان ما إذا كانت بنية الكلمة تؤثر في أداء المتعلم.

جدول (٥-٢٧): نسب إبدال الصوامت في المفردات حسب موقع الصوت

الصوت	بداية الكلمة (%)	وسط الكلمة (%)	نهاية الكلمة (%)
ث / θ /	٦٣	٦٧	٦٠
ح /ħ/	٧٥	٧٨	٧٤
ذ /ð/	٧٠	٦٠	٦٥
ص /sʕ/	٥٨	٧٥	٧٠
ض /dʕ/	٥٣	٤٨	٦٠
ط /tʕ/	٦٢	٥٥	٦٧
ظ /ðʕ/	٥٩	٦٢	٦٦
ع /ʕ/	٦٩	٧٤	٧٠
غ /ɣ/	٦٦	٦٠	٦٨
ق /q/	٦٤	٦٧	٥٩
و /w/	٨٠	٦٠	٤٠



يتضمن الرسم البياني بيانات جدول (٥-٢٧) حيث يوضح أن نسب الإبدال في الصوامت تختلف

باختلاف موقع الصوت في الكلمة (بداية، وسط، نهاية) على النحو الآتي:

- أعلى نسب الإبدال في بداية الكلمة: برز صوت /و/ بنسبة (٨٠٪) وصوت /ح/ بنسبة (٧٥٪)، يليه /ذ/ (٧٠٪) و/ع/ (٦٩٪)، يشير ذلك إلى صعوبة النطق التمهيدي لبعض الأصوات، خاصة الانزلاقية (/و/) والحلقية (/ح/، /ع/)، التي تتطلب تحكماً دقيقاً في المخارج منذ بدء النطق.

- أعلى نسب الإبدال في وسط الكلمة: ظهرت في /ح/ (٧٨٪)، /ص/ (٧٥٪)، و/ع/ (٧٤٪)، وهي أصوات تتأثر بالسياق الصوتي المسبق واللاحق، مما يجعل وسط الكلمة بيئة أكثر عرضة للتغيرات الصوتية، ارتفاع النسبة في /ص/ و/ع/ يعكس تحدياً في الحفاظ على الصفات الصوتية وسط التتابع المقطعي.

- أعلى نسب الإبدال في نهاية الكلمة: تبرز /ح/ (٧٤٪)، /ص/ و/ع/ (٧٠٪)، و/غ/ (٦٨٪).

النهاية المقطعية قد تمثل تحدياً في الأصوات التي تتطلب انغلاقاً أو تضيقاً محدداً قبل انقطاع الهواء، ما يزيد من احتمالية الإبدال، ويمكن ملاحظة الآتي:

١. الأصوات الحلقية (/ح/، /ع/) والصفيرية المفخمة (/ص/) من بين الأكثر تعرضاً للإبدال في أكثر من موقع.

٢. الصوت /و/ يسجل أعلى نسبة في البداية وأدنى نسبة في النهاية (٤٠٪)، مما يدل على اختلاف واضح في أدائه تبعاً للموقع.

٣. بعض الأصوات مثل /ض/ و/ط/ و/ظ/ تسجل نسباً متوسطة نسبياً، مما قد يشير إلى استقرار أكبر أو إلى تشابه بدائلها مع الأصل.

يبين الجدول أن الموقع المقطعي للصوت يلعب دوراً مهماً في تحديد احتمالية الإبدال، مع ملاحظة أن الوسط غالباً بيئة أكثر حساسية للتغيير، وأن الأصوات الحلقية والانزلاقية والمفخمة هي الأكثر تعرضاً للإبدال لدى العينة.

الاستنتاجات النظرية والتربوية

١. تأثير الموقع في تعقيد النطق: يزداد احتمال الإبدال في وسط الكلمة، نظراً لتعقيدات السياق الصوتي المحيط، يليه بداية الكلمة، ثم النهاية.

٢. الصوت /و/ حالة استثنائية: يُظهر تفاوتاً ملحوظاً بين المواقع، ما يستوجب تدريبات نطقية خاصة للصوامت الانزلاقية في المواضع الأولية.

٣. الأصوات المفخمة مثل /ص/ و/ض/ و/ظ/ تشكّل تحدياً في جميع المواضع، وهو ما يدعم

ضرورة تخصيص تمارين مركزة عليها ضمن برامج تعليم العربية للناطقين بغيرها.

يعرض الجدول أعلاه توزيع نسب الإبدال الصوتي للأصوات الصامتة لدى المشاركين في الكلمات

المفردة حسب موقع الفونيم في الكلمة (أولها، وسطها، نهايتها). ويهدف هذا التحليل إلى الكشف

عن العلاقة بين الموقع التركيبي للصوت داخل الكلمة وبين درجة تعرّضه للإبدال.

أولاً: الأصوات الأعلى إبدالاً في بداية الكلمة

يتصدر صوت /w/ (واو) نسبة الإبدال في بداية الكلمة بنسبة بلغت ٨٠٪، وهي أعلى نسبة في

الجدول. يعود ذلك إلى الطبيعة الانزلاقية لهذا الصوت، وافتقاره إلى الثبات في الوعي الصوتي لدى

متعلمي العربية من الناطقين بغيرها، خاصةً من الناطقين باللغات التي لا تحتوي على أصوات شبه

صامتة مماثلة. كما أن بداية الكلمة تمثل موضعاً مكشوفاً في النطق، ما يزيد من وضوح الإبدال

عند وقوع الخطأ.

وقد أشار كمال بشر إلى أن "الصوامت الشبيهة كالواو والياء أكثر عرضة للاضطراب في البيئات

النطقية الطرفية، وخاصة الابتدائية، لما تحتاجه من توافق عضلي خاص".^(١)

ومن الأصوات الأخرى التي ظهر فيها الإبدال بشكل واضح في بداية الكلمة:

(١) (بشر، علم الأصوات ٢٠٠٠، ص: ١٦١)

/h/ (حاء): ٧٥٪، /ð/ (ذال): ٧٠٪، /ʕ/ (عين): ٦٩٪، وهذا يشير إلى صعوبة الأصوات الحلقية أو الضعيفة التباين في الإدراك السمعي، خاصة في بدايات الكلمات، حيث تكون بحاجة إلى مهارة عضلية وإدراكية دقيقة.

ثانياً: الأصوات الأعلى إبدالاً في وسط الكلمة

يُعد وسط الكلمة الموقع الأكثر عرضة للإبدال في عدد من الأصوات، مثل: /h/ (حاء): ٧٨٪، /s/ (صاد): ٧٥٪، /ʕ/ (عين): ٧٤٪، ويُعزى ذلك إلى ظاهرة الإدغام السياقي، حيث تتأثر الأصوات بما قبلها وما بعدها، ما يُضعف القدرة على تمييزها نطقياً، كما أوضح تمام حسان في قوله: "إن الوسط الصوتي هو الموقع الذي تتشابه فيه الحركات العضلية النطقية، وتزداد فيه احتمالات التشويه الصوتي".^(١)

ثالثاً: الأصوات الأعلى إبدالاً في نهاية الكلمة

تباينت نسب الإبدال في نهاية الكلمة بين الأصوات، إذ لم تكن النهاية موقعاً مريحاً لجميع الأصوات، إلا أنها عموماً أقل عرضة للإبدال من الوسط. ومن أبرز الأصوات ذات النسبة المرتفعة في الذيل الصوتي: /s/ (صاد): ٧٠٪، /h/ (حاء): ٧٤٪، /ʕ/ (عين): ٧٠٪، /ð/ (ظاء): ٦٦٪، بينما انخفضت نسبة الإبدال في صوت /w/ إلى ٤٠٪، مما يعكس قدرة المتعلمين على تأمين النطق الصحيح حين يكون الصوت في الذيل الصوتي للكلمة، بعيداً عن الضغط التنغيبي للبداية والوسط.

(١) (حسان، اللغة العربية مبناها ومعناها ٢٠٠٦، ص: ٢١٠)

رابعاً: الأصوات المفخمة والتحدي العام

أظهرت الأصوات المفخمة (كالضاد /dʒ/، والطاء /tʃ/، والظاء /ðʒ/) معدلات إبدال متفاوتة في المواقع الثلاثة، وكان أكثرها صعوبة في الوسط، مثل الضاد التي بلغت نسبتها فيه ٤٨٪. هذا التحدي يرتبط بتضييق مخرج اللسان المطلوب في التفخيم، والذي يصعب تنفيذه بدقة أثناء تتابع الأصوات، ويُجمع الباحثون على أن "الأصوات المفخمة تشكل عائقاً صوتياً للمتعلمين غير العرب، نظراً لانعدام نظائرها الدقيقة في معظم اللغات الأخرى، وخاصة الهندية والمالايالامية"^(١).

يتضح من تحليل الجدول أن موقع الصوت في الكلمة يؤثر بوضوح على احتمالية إبداله، حيث يُعد وسط الكلمة أكثر المواضع عرضة للإبدال في غالبية الأصوات المدروسة، كما أن الأصوات الحلقية والانزلاقية والمفخمة تمثل تحدياً كبيراً في المواضع الابتدائية، ويستدعي ذلك تصميم أنشطة تدريبية تعتمد على التكرار النطقي في المواقع الثلاثة لتعزيز الدقة والتثبيت الفونولوجي.

أثر موقع الصوت في إبدال الأصوات الصائتة

تُعد الأصوات الصائتة (الحركات القصيرة والطويلة، السكون، التضعيف، التفخيم) من العناصر الحساسة في البنية الصوتية للغة العربية، إذ ترتبط بدرجة كبيرة بالتموج اللحني للكلمة وبنظام المقاطع. وغالباً ما تكون هذه الأصوات عرضة للتبدل أو الإهمال أو التغيير عند تعلم اللغة الثانية، وخاصة لدى المتكلمين بلغات تختلف نظمها المقطعية عن العربية، كما في اللغات الدرافيدية مثل المالايالامية.

(١) (الحملاوي ١٩٩٣، ص: ١٨٨)

ويؤكد رمضان عبد التواب أن "الحركات هي أكثر عناصر الكلمة عرضة للخطأ عند الناطقين بغير العربية، لا سيما عندما تأتي في مواقع ضعيفة أو تلي صوامت مشددة أو مفخمة"،^(١) كما يشير تمام حسان إلى أن "مواضع الأصوات داخل الكلمة تلعب دوراً أساسياً في تسهيل النطق أو تعقيده، إذ تمثل البداية موقعاً قوياً في الإدراك، بينما يمثل الوسط موضع التداخل والتراكب الصوتي".^(٢)

أما الهاشمي فقد ألمح إلى أن "الصوائت القصيرة تفقد صفاتها الأصلية إذا لم تكن مسبقة بصامت واضح التحديد، وهذا ما يظهر غالباً في الحركات الابتدائية عند المتعلمين"،^(٣) ويقول إبراهيم أنيس "إن السكون في العربية يلعب دوراً تمييزياً، بينما في لغات أخرى قد يُلغى لحساب النغمة أو الإيقاع"،^(٤) وتؤكد فاطمة الزهراء الأنصاري أن "التضعيف يمثل صعوبة نطقية متكررة لدى الدارسين من بيئات لغوية لا تمارس شد الصوت"، ودعت إلى تدريبات إيقاعية خاصة به،^(٥) وقد أشار عبده الراجحي إلى أن "المفخّمات تظل بحاجة إلى تدريب عضلي خاص لدى متعلمي العربية من غير أهلها، خصوصاً إذا كانت في موقع غير بارز".^(٦)

وبهذا يتضح أن الصوائت (الحركات) تلعب دوراً مركزياً في البنية الفونولوجية للغة العربية، وتُعد من أكثر العناصر الصوتية حساسية في نطق المتعلمين الأجانب، نظراً لطبيعتها الزمنية وانتقالها الانسيابي بين المقاطع. وتُعرف الصوائت بأنها أصوات مجرى الهواء فيها مفتوح نسبياً، وتتميز

(١) (عبد التواب، التطور اللغوي (مظاهره وعمله وقوانينه) ١٩٩٧، ص: ١٢١)

(٢) (حسان، اللغة العربية مبناها ومعناها ٢٠٠٦، ص: ١٨٥)

(٣) (الهاشمي ١٩٩٩، ص: ٩٥)

(٤) (أنيس، الأصوات اللغوية ١٩٧٥، ص: ١٠٧)

(٥) (الأنصاري ٢٠٠٨، ص: ٢٣٤)

(٦) (الراجحي، علم الأصوات ٢٠٠١، ص: ١٤٢)

بخلوها من العوائق الصوتية الواضحة، ما يجعلها عرضة للاضطراب والتأثر بدرجة عالية عند تعلمها كلغة ثانية.

في ضوء ذلك؛ يُفترض في أي تحليل صوتي أن يُراعى موقع الفونيم داخل الكلمة – سواء أكان في أولها، وسطها، أو نهايتها – نظراً لما لهذا العامل من أثر في مستوى التوتر العضلي، وطبيعة الانتقال الصوتي، ومدى بروز الفونيم سمعياً. وقد أثبتت دراسات عديدة في علم اللغة النفسي والصوتي أن الموقع الصوتي يؤثر على درجة الاكتساب الصوتي لدى المتعلمين، حيث تُظهر الأصوات في موقع البداية درجة وضوح أعلى، بينما تتعرض الأصوات في الموقعين الأوسط والنهاية لمستويات أعلى من الإبدال أو النسيان.

غير أن تحليل الصوائت في هذه الدراسة لم يُعتمد فيه مقياس موقع الصوت، وذلك لاعتبارات منهجية ترتبط بطبيعة العينة المختارة، حيث تبين من خلال جرد الكلمات التي خضعت للاختبار أن الغالبية العظمى من الصوائت المدروسة وُضعت في مواقع وسطية داخل الكلمات، كما هو الحال في كلمات مثل: "شمع"، "صمغ"، "رمضان"، "صَبَّار"، "اللهم"، وغيرها. وبالتالي، لم يكن من الممكن إحصائياً إجراء مقارنة دقيقة بين نسب الإبدال في أول الكلمة، وسطها، ونهايتها، كما هو الحال في تحليل الأصوات الصامتة.

وقد أظهرت نتائج المقابلات التي أُجريت مع مجموعة من المعلمين والخبراء في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها أن هذه الإشكالية لم تكن فنية فقط، بل تعود في جوهرها إلى نمط إدراكي خاص بالصوائت لدى المتعلمين الهنود. فقد أشار العديد من المعلمين إلى أن الطلبة غالباً ما يُخطئون في

نطق الحركات لا بسبب ظاهرة صوتية مستقرة يمكن تصنيفها ضمن "الإبدال"، بل نتيجة غياب التعرض السمعي الكافي للفونيمات العربية الدقيقة، خاصة في بيئات لغوية لا تحتوي على مقابلات واضحة لتلك الحركات، مثل المالايالامية والهندية.

ورغم ذلك؛ لاحظ بعض المعلمين وجود أنماط إبدالية منتظمة في نطق الحركات عند المتعلمين، لا سيما في:

- تفكيك التضعيف (مثل: "مطّاط" تُنطق "مطاط")،
- واستبدال السكون بالفتحة ("شمع" تُنطق "شمع")،
- وإبدال الفتحة بالسكون في كلمات ثلاثية (مثل: "عرق" تُنطق "عرق").

وهذا ما يشير إلى أن هناك نوعين من الأخطاء: أخطاء إدراكية ناتجة عن ضعف في التلقي، وأخرى تركيبية ناتجة عن تدخل لغوي منظم، يمكن تصنيفه ضمن أنماط "الإبدال الصوتي" عند تعلم العربية.

وفي هذا السياق؛ يشير "عبد العلي الودغيري" إلى أن الصوائت العربية تمثل "المطب الصوتي الأكبر" أمام المتعلمين الأجانب، ليس فقط بسبب اختلافها عن حركات لغتهم الأم، بل لأنها لا تنفرد بصوت مستقل يمكن إدراكه بوضوح دون تدريب، بل تعتمد على الزمن، والنبر، والسياق.^(١)

وعليه؛ فإن عدم تحليل أثر الموقع في هذه الدراسة لا يعود إلى إغفال منهجي، بل إلى عدم توازن مواقع الفونيمات في العينة المختارة، فضلاً عن طبيعة الصوائت الزمنية التي تجعل تحليلها ضمن

(١) (الودغيري ٢٠٠٨، ص: ٢٠٣)

المواقع الصوتية تقليدياً أمراً لا يُعطي نتائج دقيقة مثلما هو الحال في الصوامت. لكن المؤشرات النوعية والكمية التي ظهرت من خلال تحليل أداء المتعلمين تفتح الباب أمام توصية تربوية مهمة بضرورة تصميم أنشطة صوتية تتضمن الحركات في مواقع مختلفة، وتوظيف الاستماع المكثف كنشاط محوري في التعليم الصوتي.

خلاصة أثر موقع الصوت في الكلمة على الإبدال الصوتي

تكشف نتائج تحليل الإبدال الصوتي في هذا البحث أن لموقع الصوت داخل الكلمة (أول الكلمة، وسطها، نهايتها) أثراً واضحاً في أداء المتعلمين الناطقين بغير العربية، ولا سيما في نطق الأصوات الصامتة. فقد أظهرت البيانات الكمية أن نسبة الإبدال ترتفع في معظم الأصوات الصامتة عندما تأتي في وسط الكلمة، تليها نهاية الكلمة، بينما تقل بشكل ملحوظ عندما يكون الصوت في بداية الكلمة. ويتماشى هذا النمط مع ما توصلت إليه دراسات سابقة في اللسانيات التطبيقية، إذ يشير الدارسون إلى أن "بداية الكلمة غالباً ما تحظى بتركيز إدراكي أكبر من المتعلمين، ما يجعلها أقل عرضة للخطأ مقارنة بالموقعين الآخرين،^(١) ويُعزى ارتفاع نسب الإبدال في الموقع الوسيط تحديداً إلى عدة عوامل صوتية وإدراكية:

- ازدواج التركيب الصوتي في الحروف المجاورة،
- ضعف النبر والإبراز في هذا الموضع،

(١) (الحسن، مبادئ اللسانيات ٢٠١٢، ص: ١٥٤)

• ونقص الوعي الفونولوجي بالتغيرات السياقية داخل البنية الكلامية، كما يّـن ذلك عفيفي

في دراسته عن أخطاء النطق عند متعلمي العربية.

أما فيما يتعلق بالأصوات الصائتة، فقد تبين أن أغلب الحركات المستخدمة في عينة البحث وردت في مواقع وسط الكلمة، مما حال دون تقديم تحليل إحصائي كامل لأثر الموقع على نمط الإبدال، كما هو الحال مع الصوامت، ورغم ذلك؛ فإن المقابلات النوعية التي أُجريت مع أساتذة اللغة العربية كشفت أن المتعلمين الهنود يُظهرون صعوبات بارزة في التمييز بين الحركات القصيرة، خصوصاً الفتحة والسكون، وفي نطق الظواهر المرتبطة بها كالتضعيف. وقد أجمع المشاركون على أن هذه الأخطاء لا ترجع إلى الموقع بقدر ما تعكس قصوراً إدراكياً ناتجاً عن غياب التعرض السمعي الكافي للفونيم العربي، وعدم وجود مقابل دقيق لبعض الصوائت العربية في اللغة الأم (المالايالامية أو الهندية)، ما يجعل من الصعب على المتعلم التمييز بين الأصوات الدقيقة والانسائية بطبيعتها، كما ذهب إلى ذلك الودغيري في حديثه عن الصوائت باعتبارها "المطب الصوتي الأكبر في تعليم العربية للناطقين بغيرها"

وقد تميّز التضعيف في هذا السياق بخصوصية لافتة، إذ أظهر المتعلمون ميلاً واضحاً إلى تفكيك الحرف المشدد إلى حرفين مستقلين، وهو ما يُعد نوعاً من الإبدال التركيبي الناتج عن غياب الوعي الفونولوجي بالتضعيف كظاهرة تركيبية وصوتية معاً.

وبناءً على هذه النتائج، يُمكن القول إن:

١. موقع الصوت الصامت داخل الكلمة يؤثر تأثيراً مباشراً على نسب الإبدال،

٢. بينما الصوائت تتأثر أكثر بالعوامل الإدراكية والمقابل الصوتي في اللغة الأم، وليس بموقعها في الكلمة.

٣. لذا، فإن أي برامج تعليمية تُعنى بتقويم النطق الصوتي للمتعلمين الهنود مطالبة بأن تولي اهتماماً خاصاً بموقع الحرف داخل الكلمة بالنسبة للصوائت، مع التركيز على الأنشطة السمعية والمقارنة الفونولوجية فيما يخص الصوائت، إضافة إلى تقديم الحركات ضمن أنماط تركيبية متدرجة من حيث الطول والنبر والموقع.

٥-٥: العوامل المؤثرة في الإبدال الصوتي

تُعدّ ظاهرة الإبدال الصوتي من أكثر الظواهر شيوعاً لدى متعلمي اللغات الثانية، ويزداد هذا التحدي حين تكون اللغة الهدف كالعربية، ذات نظام صوتي غني ودقيق في مميزاته الفونولوجية، وتكشف نتائج الدراسة الميدانية الخاصة بالمتعلمين الهنود من شمال الهند وجنوبها، أن عملية الإبدال لا تخضع لنمط واحد من التأثير، بل تتعدد فيها العوامل بحسب نوع الصوت (صامت أو صائت)، وموقعه في الكلمة، وتكراره في السياق، ومدى تقاربه أو تباعده مع أصوات اللغة الأم، إلى جانب العوامل الإدراكية والمعرفية الخاصة بالمتعلم.

أظهرت البيانات الميدانية أن كل صوت مستهدف في هذه الدراسة تأثر بجملة من المحفزات الخاصة، يمكن تصنيفها وفق المحاور الآتية:

١. العوامل الفسيولوجية: مثل الجهد العضلي والمواضع الصوتية غير المألوفة للمتعلم.

٢. العوامل الإدراكية: مثل صعوبة التمييز السمعي أو الإحساس بالفروقات بين الأصوات المتقاربة.

٣. التداخل اللغوي: ويشمل تأثير نظام اللغة الأم الهندية (مثل المالايالامية أو الهندية) في نطق الأصوات العربية.

٤. التمثيل العقلي للغة الثانية: ويتعلق بكيفية إدماج المتعلم للصوت الجديد داخل نظامه الفونولوجي الداخلي.

٥. مبدأ الجهد الأقل: حيث يلجأ المتعلم لا شعورياً إلى الأصوات الأسهل إنتاجاً أو الأقرب إلى أصوات لغته الأولى.

٦. ندرة التعرض السمعي: وهو ما ظهر جلياً في ضعف التمييز بين الحركات القصيرة والطويلة أو بين السكون والتضعيف.

وتبعاً لهذه العوامل، فإن تحليل كل صوت على حدة يُظهر أن الإبدال ليس اعتباطياً، بل يتبع أنماطاً يمكن تفسيرها بناءً على المؤثرات سالفة الذكر.

١- العوامل المؤثرة في إبدال الأصوات الصامتة

من خلال الجدول أدناه يتم عرض الأصوات المستهدفة وبدائلها والعامل المؤثر في ظاهرة الإبدال لكل صوت، ونوع هذا العامل، كما هو موضح في الجدول الآتي:

جدول (٥-٢٨): العوامل المؤثرة في إبدال الأصوات الصامتة المستهدفة

الصوت	البديل	نوع الإبدال	العامل المؤثر	نوع العامل
/θ / ث	/s/ أو /t/	استبدال تبايني واضح	تداخل لغوي - غياب في المالايالامية	لغوي/إدراكي
/h/ ح	/h/	استبدال جزئي أو حذف	ضعف إدراك الفونيم الحلقي /h/	إدراكي/فيزيولوجي
/ð/ ذ	/d/ أو /z/	استبدال إدراكي متكرر	غياب الفونيم في L1 (المالايالامية)	لغوي
/ʕ/ ع	/ʔ/	حذف أو استبدال صوتي	عدم التمييز الإدراكي للحروف الحلقية	إدراكي
/ʁ/ غ	/g/ أو /k/	استبدال صريح	غياب الصوت /ʁ/ في النظام الصوتي الأم	لغوي
/q/ ق	/k/ أو /g/	استبدال ثابت	تقارب النطق مع صوت موجود في L1	لغوي/تدخلي
/t/ ط	/t/	إبدال تفخيم	قصور إدراكي في التمييز بين المفخم والمرقق	إدراكي
/d/ ض	/d/ أو /z/	إبدال تفخيم	خلل في إدراك التفخيم والتقابل الصوتي	إدراكي
/z/ ظ	/z/ أو /dʒ/	إبدال تقريبي	غياب الصوت في L1، مع استبداله بأقرب صوت ممكن	لغوي
/s/ ص	/s/	استبدال خفيف	ضعف التمييز بين التفخيم والترقيق	إدراكي
/w/ و	/v/	خلط صوتي	تشابه صائت وصامت في L1 - نقص في التمييز السياقي	لغوي/إدراكي

يبين هذا الجدول أبرز الأصوات الصامتة المستهدفة في الدراسة وكيفية تعرضها للإبدال الصوتي من قبل متعلمي اللغة العربية في الهند، مع التركيز على تحديد نوع الصوت البديل والعوامل المسؤولة عن هذا الإبدال. وقد أظهرت النتائج أن:

- التداخل اللغوي بين العربية والمالايالامية كان عاملاً حاسماً، خصوصاً في الأصوات غير الموجودة في اللغة الأم للمشاركين، مثل (/θ/, /ð/, /ʕ/, /ʁ/).
- القصور الإدراكي لعب دوراً كبيراً في إبدال الأصوات ذات الخصائص الصوتية الدقيقة مثل الحروف المفخمة (/t/, /d/, /s/, /z/)، إذ يصعب على المتعلمين تمييز درجات التفخيم والترقيق لعدم وجود تقابل دقيق لها في لغتهم الأم.
- العوامل الفسيولوجية مثل صعوبة إخراج بعض الأصوات الحلقية (/h/, /ʕ/) كانت واضحة، خاصة مع الأصوات التي تتطلب ضغطاً هوائياً خاصاً أو مرونة عضلية معينة غير مدربة عند الناطقين بالمالايالامية.
- التقارب الصوتي دفع بعض المتعلمين لاستخدام أصوات قريبة من الحرف العربي المستهدف، كما في استبدال /q/ بـ /k/ أو /g/، ما يشير إلى تأثير "الجهد الأدنى" أو ميل الدماغ إلى استخدام أقرب صوت مألوف.

٢- العوامل المؤثرة في إبدال الأصوات الصائتة:

يبين الجدول الآتي الأصوات الصائتة المستهدفة

جدول (٥-٢٩): العوامل المؤثرة في إبدال الأصوات الصائتة المستهدفة

الصوتي	البديل	نوع الإبدال	العامل المؤثر	نوع العامل
/a/ الفتحة	/ə/ أو /æ/	استبدال غير مقصود في أغلب الأحيان	غياب الحركة القصيرة /a/ بصيغتها الدقيقة في L1 + التشويش بين الفتحة والسكون	إدراكي / لغوي
٠ (تضعيف) الشدة	تفكيك الشدة أو حذفها	إبدال تركيبى ظاهر	عدم وجود التضعيف في L1 + الجهد العضلي المطلوب للتشديد	فيزيولوجي / إدراكي
٠ السكون	فتحة أو حذف	استبدال مركزي	صعوبة إدراك السكون كنقطة توقف في النطق، وتفسيره كغياب صوت لا كحالة فونولوجية	إدراكي / لغوي
ل مفخمة اللام المغلظة	/l/ مرققة أو محايدة	إبدال واضح	غياب مفهوم التفخيم في لام الجلالة لدى غير العرب	إدراكي / لغوي

يعرض الجدول أن معظم أنماط الإبدال في الأصوات الصائتة (الحركات) لدى المتعلمين الهنود تعود

إلى مشكلات إدراكية مرتبطة بالفروق الصوتية الدقيقة بين العربية والمالايالامية. وتتلخص أهم

النتائج والتحليلات كما يلي:

- غياب الحركة القصيرة بصيغتها العربية الدقيقة في L1 أدى إلى إبدالات غير واعية، حيث يتم التفريق بين الفتح والسكون والضم بدرجات تختلف عن النظام العربي، ما يسبب ارتباكاً عند النطق خصوصاً في الكلمات الثلاثية.
- التضعيف يمثل أكثر الظواهر الصرفية تعقيداً في النطق، حيث أظهر المشاركون صعوبة في التشديد السليم، وغالباً ما تم تفكيك الحرف المشدد إلى حرفين متماثلين خاليين من الضغط الفونولوجي المطلوب.
- السكون، وهو توقف حركي في النطق، لم يُفهم في سياق نطقي دقيق، بل تم تفسيره كـ "فراغ صوتي"، مما أدى إلى ملئه بصائت قريب كـ /a/، وهذا يُعد نوعاً من "الإبدال الاستدراكي" الناجم عن نقص التدريب السمعي.

تحليل العوامل المؤثرة في الأصوات المستهدفة

تشير البيانات المستخلصة من أداء متعلمي اللغة العربية في الهند إلى وجود أنماط واضحة من الإبدال الصوتي في الصوائت (الحركات)، سواء القصيرة (/a/ الفتحة، /u/ الضمة، /i/ الكسرة) أو الطويلة (/a:/، /u:/، /i:/)، إضافة إلى ظواهر مركبة مثل التضعيف (ّ) والسكون (ْ) واللام المفخمة. ويُمكن تفسير هذه الأنماط في ضوء عدة عوامل صوتية وإدراكية وبيئية.

١. ضعف التمييز الإدراكي للصوائت القصيرة

تعاني معظم اللغات الهندية، ومنها المالايالامية والهندية، من ضعف التمثيل الصوتي للصوائت القصيرة بالطريقة التي تتميز بها اللغة العربية. فالصوت (/a/) مثلاً يُنطق أقرب إلى (/ə/) أو (/æ/)،

مما يؤدي إلى تكرار نمط الإبدال عند متعلمي العربية، كما في كلمة (عَرَق) التي تتحول إلى نطق غير دقيق. يفسّر "تمام حسان: في كتابه: *"اللغة العربية معناها ومبناها"*، هذا الإشكال بوصفه ضعفاً في "التقابل السمعي بين الحركات القصيرة"، مما يؤدي إلى التباس دائم بين الفتحة والسكون أو الكسرة والضمّة.^(١)

٢. قصور التدريب السمعي قبل النطق

يرتبط الإبدال في الحركات أيضاً بضعف التهيئة السمعية لدى المتعلمين، إذ لم يتعرضوا كفاية إلى النماذج الصوتية العربية في السياقات الطبيعية، مما جعلهم يُنتجون الصوائت على أساس ما يُشبهها في لغاتهم الأم. ويُشير السباعي في كتابه *"علم الأصوات بين النظرية والتطبيق"*، إلى أن "غياب التفاعل السمعي الكافي مع النسق الصوتي للغة الجديدة يؤدي إلى تشويش في الإدراك، يتبعه إخفاق في الأداء الصوتي".^(٢)

٣. الجهد العضلي في نطق التضعيف

التضعيف (ّ)، والذي يُمثّل أحد التعقيدات الصوتية في العربية، لا يوجد في المالايالامية بصورة مماثلة، ما يجعل المتعلمين الهنود يميلون إلى تفكيك الحرف المشدد إلى حرفين، دون تحميله القيمة الفونولوجية الكاملة. وقد لاحظ الباحثون في المقابلات أنّ "أغلب الطلاب لا يفهمون ما المقصود بالتضعيف، ويفكونه في النطق باعتباره تكراراً"، وهذا يُعد دليلاً على إبدال بنيوي ظاهر ناتج عن

(١) حسان، اللغة العربية مبناها ومعناها ٢٠٠٦، ص: ١١٣)

(٢) (السباعي ٢٠٠٥، ص: ١٥٨)

قصور في إدراك الظاهرة، وليس فقط عن خطأ عرضي. ويؤكد د. رمضان عبد التواب أن التضعيف "ظاهرة عضوية تعتمد على زمن النطق ونقل الشدة إلى العضو المنفذ، وهو ما يصعب على من لا يمتلك هذه التقنية في لغته الأم".^(١)

٤. صعوبة تمثيل السكون في النظام العقلي

السكون (ْ) في العربية لا يُمثل فراغاً، بل هو توقف مقصود ومنضبط زمنياً وصوتياً، في حين أن كثيراً من متعلمي العربية يظنون أن السكون هو "عدم نطق"، فيملأونه بصائت افتراضي، غالباً ما يكون الفتحة (/a/). وهذا الإبدال يُفسّر في ضوء النظرية الإدراكية الصوتية، حيث يرى الباحثون أن "غياب المعنى السمعي الدقيق للسكون يجعل المتعلم يستعيز عنه بصوت حركي، خصوصاً إذا كان السياق يتطلب ذلك لتجنب الوقف أو التقطع".

٥. اللام المفخمة: غياب التفخيم مقابل الترقيق

يُعد نطق اللام في لفظ الجلالة (الله، اللهم) تحدياً إضافياً للمتعلمين، إذ أن التفخيم صفة غير موجودة في أصوات اللغة الأم، ما يؤدي إلى ترقيقها، أو نطقها نطقاً محايداً. ويعود ذلك إلى غياب المقابل الصوتي المباشر في لغاتهم الأم، وعدم إدراك وظيفة التفخيم في تحقيق المعنى الصوتي والإيقاعي، كما يشير مرسى، في كتابه: "مدخل إلى علم الأصوات الوظيفي" إلى أن "غياب التفخيم في اللغات المحايدة يؤدي إلى إبدال أو تسطيح القيمة الفونولوجية للصوت المفخم".^(٢)

(١) (عبد التواب، التطور اللغوي) (مظاهره وعمله وقوانينه) ١٩٩٧، ص: ١٧٧)

(٢) (مرسى ٢٠١٠، ص: ٥٧)

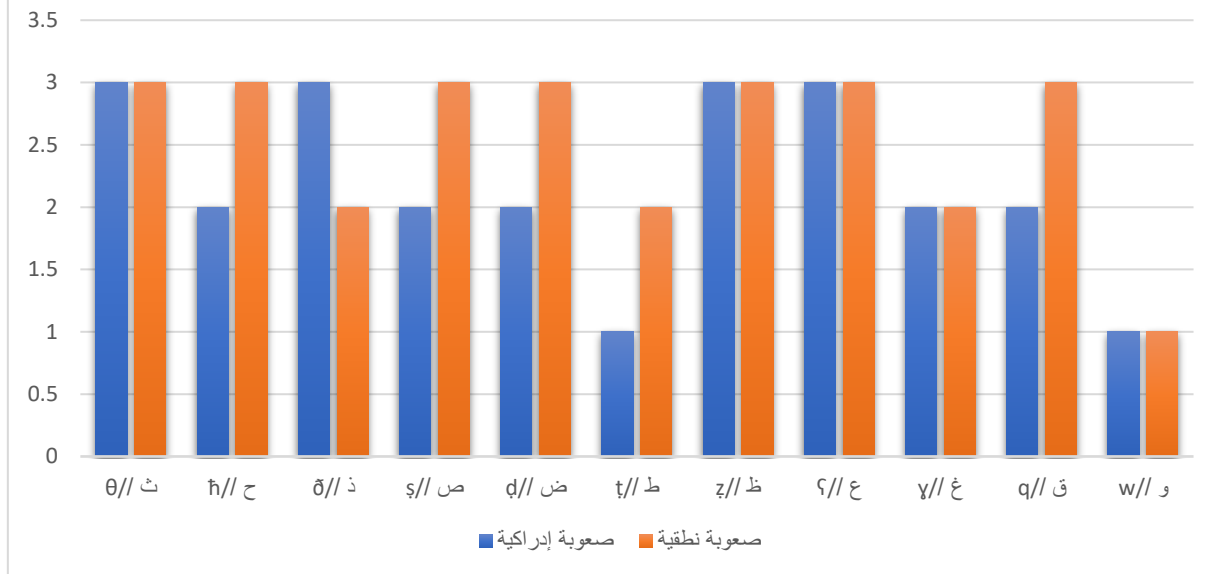
يتبين من هذا التحليل أن ظاهرة الإبدال الصوتي في الصوائت لدى متعلمي العربية في الهند لا تقتصر على أخطاء عرضية أو عشوائية، بل ترتبط بعمليات إدراكية ولغوية معقدة، تؤثر فيها اللغة الأم، ونمط التلقي السمعي، والنظام التعليمي المستخدم. وقد ظهر أن هناك إبدالات غير واعية ناتجة عن نقص التعرض للنموذج الصوتي العربي الصحيح، وإبدال مقصودة بنيوياً، كما في تفكيك التضعيف، بسبب عدم وجود الظاهرة في اللغة الأم، ومحاولات تعويضية كما في ملء السكون بصائت متوقع، كل ذلك يستوجب مراجعة طرق تدريس العربية للناطقين بغيرها، والتركيز على تدريب الأذن السمعية، وضبط مخرجات الصوت، خصوصاً في الحالات الزمنية كالمدة، والتضعيف، والسكون، وللتوضيح أكثر سيتم تصميم جدول ورسم توضيحي يبين مستويات العوامل الإدراكية والنطقية لكل صوت كما يأتي:

جدول (٥-٣): العوامل الإدراكية والفسولوجية المؤثرة في الإبدال الصوتي

الصوت	نوع الصوت	صعوبة إدراكية	صعوبة نطقية	سبب الإبدال الرئيس
ث / θ /	صامت احتكاكي مهموس	عالية	عالية	غياب في اللغة الأم وصعوبة مخارج أمامية دقيقة
ح / h /	صامت حلقي مهموس	متوسطة	عالية	الجهد العضلي المطلوب وطول المسار الهوائي
ذ / ð /	صامت احتكاكي مجهور	عالية	متوسطة	التشابه الإدراكي مع /d/ في لغات المتعلمين
ص / s /	صامت مفخم	متوسطة	عالية	ثقل النطق في المفخمات مع غياب المماثل في L1
ض / d /	صامت مفخم مجهور	متوسطة	عالية	صعوبة المزج بين الجهر والتفخيم

ط /t/	صامت مفخم مهموس	منخفضة	متوسطة	الجهد العضلي في إغلاق اللسان مع التفخيم
ظ /z/	صامت مفخم مجهور	عالية	عالية	التشابه الإدراكي مع /z/ وصعوبة التفخيم
ع /ʕ/	صامت حلقي مجهور	عالية	عالية	غياب النظير الحلقي في لغات L1 وصعوبة التحكم
غ /ɣ/	صامت لهوي مجهور	متوسطة	متوسطة	التشابه مع /g/ في الإدراك وصعوبة الاحتكاك المستمر
ق /q/	صامت لهوي انفجاري	متوسطة	عالية	الجهد المطلوب في الإغلاق الخلفي
و /w/	شبه صائت	منخفضة	منخفضة	تأثير أنماط التوزيع الصوتي في L1

الصعوبات الإدراكية والنطقية المؤثرة في الإبدال



يبين الجدول والرسم التوضيحي أعلاه متوسطات الصعوبة الإدراكية والنطقية للأصوات الصامتة المستهدفة، وفق ترميز رقمي يتراوح بين (١ = منخفض، ٢ = متوسط، ٣ = مرتفع). ويظهر بوضوح أن بعض الأصوات مثل (ث / θ /)، (ظ / z /)، (ع / ʕ /) سجلت أعلى درجة صعوبة إدراكية ونطقية معاً، ما يعكس غيابها التام عن المخزون الصوتي للغات الأم للمتعلمين وصعوبة

مخارجها. كما أن أصواتاً أخرى مثل (ح /h/) و(ض /d/) و(ص /s/) أظهرت صعوبة نطقية مرتفعة رغم أن صعوبتها الإدراكية متوسطة، مما يشير إلى أن التحدي الرئيس في هذه الحالات يرتبط بالجانب الفسيولوجي لا بالإدراك السمعي وحده.

في المقابل، لوحظ أن الأصوات (ط /t/) و(و /w/) تمثل أقل مستويات الصعوبة في كلا البعدين، ويرتبط ذلك بوجود بدائل قريبة في اللغات الأم للمتعلمين أو تقارب صفاتها الصوتية مع أصوات مألوفة لديهم، ما يسهل إدراكها وإنتاجها.

يشير هذا التوزيع إلى أن معالجة الإبدال الصوتي تستلزم خططاً تعليمية تراعي التمييز بين الصعوبة الناتجة عن الإدراك السمعي وتلك الناتجة عن المخرج الصوتي، بحيث يتم تعزيز الوعي السمعي للأصوات الغائبة، وتدريب الأجهزة النطقية على الأداء الحركي المطلوب للأصوات عالية الجهد.

٥-٦: أثر اللغة الأم واستراتيجيات الاكتساب ومبدأ الجهد الأقل

تلعب ثلاثة عوامل محورية دوراً رئيساً في تفسير ظاهرة الإبدال الصوتي لدى متعلمي اللغة العربية من الناطقين باللغات الهندية والمالايالامية، وهي: اللغة الأم (L1)، واستراتيجيات اكتساب اللغة الثانية (L2)، ومبدأ الجهد الأقل.

إذ تشير الدراسات الصوتية إلى أن النظام الفونولوجي للغة الأم قد يحدث تأثيراً مباشراً في نطق الفونيمات الجديدة، مما يؤدي إلى ما يُعرف بالتداخل الصوتي، وهو ما يؤكد الحملوي، في "فقه اللغة العربية" حين أشار إلى أن "نطق الحروف لا يتشكّل في الذهن فحسب، بل تحكمه عضلات اعتادت على إنتاج أصوات بعينها في اللغة الأم".^(١)

(١) (الحملوي ١٩٩٣، ص: ٨٨)

من جهة أخرى، تمثل استراتيجيات المتعلمين في اكتساب اللغة الثانية – سواء عبر التلقين، أو المحاكاة، أو الوعي الصرفي – عاملاً حاسماً في تمكين النطق أو تعطيله، وهو ما يناقشه د. الهزايمة، في "اكتساب اللغة الثانية" بقوله: "إن تعثر النطق لا يُعزى دائماً إلى الفروق بين اللغتين، بل إلى أنماط التعليم واختلاف نماذج الإدخال الصوتي".

أما مبدأ "الجهد الأقل" فقد نال اهتماماً خاصاً لدى فقهاء العربية واللسانيين، إذ يرى ابن جني في "الخصائص" أن "اللسان يطلب الخفة في النطق، ويميل إلى الأسهل منهاجاً"،^(١) وهو ما يتوافق مع ما قرّره "السباعي"^(٢) من أن "المتعلمين عادة ما يستبدلون الصوت الثقيل بصوت آخر مألوف وسهل من لغتهم الأم".

ولتوضيح تأثير كل عامل من العوامل الثلاثة على الأصوات المدروسة، تم إعداد الجدول الآتي:

جدول (٥-٣١): العوامل المؤثرة في الإبدال الصوتي حسب نوع الصوت

الصوت المستهدف	نوع الصوت	العامل المؤثر الأبرز
/θ / (ث)	صامت	اللغة الأم
/ħ / (ح)		اللغة الأم + الجهد الأقل
/ð / (ذ)		اللغة الأم
/ʕ / (ع)		اللغة الأم + الجهد الأقل
/ʁ / (غ)		اللغة الأم + الجهد الأقل
/q / (ق)		اللغة الأم + الجهد الأقل
/t / (ط)		اللغة الأم + الجهد الأقل

(١) (ابن جني، الخصائص ١٩٥٨، ج ١، ص: ١١٤)

(٢) (السباعي ٢٠٠٥، ص: ١٦٤)

اللغة الأم + الجهد الأقل		/d/ (ض)
اللغة الأم		/z/ (ظ)
اللغة الأم + الجهد الأقل		/s/ (ص)
طريقة الاكتساب		/w/ (و)
اللغة الأم	صائت	/a/ (الفتحة)
طريقة الاكتساب		التضعيف
اللغة الأم		السكون
اللغة الأم + طريقة الاكتساب		اللام المفخمة

يمكن من خلال قراءة الجدول بيان العوامل المؤثرة في الإبدال الصوتي حسب نوع الصوت المدروس ويمكن التفصيل من خلال تحديد مدى أثر كل عامل على كل صوت كما يأتي:

١. أثر اللغة الأم في الإبدال الصوتي

يُعد تأثير اللغة الأم من أبرز أسباب الإبدال الصوتي عند متعلمي اللغة الثانية، وتشير الدراسات إلى أن غياب بعض الأصوات في النظام الفونولوجي للغة الأم يؤدي بالمتعلمين إلى استبدالها بأصوات موجودة لديهم، سواء في المخرج أو في الصفة. ومن الأصوات التي تبين تأثرها باللغة الأم في هذه الدراسة: /θ/ (ث)، /ð/ (ذ)، /z/ (ظ)، /a/ (الفتحة)، /i/ (الكسرة)، السكون، اللام المفخمة. يذكر الهاشمي في كتابه "الصوتيات العربية" أن الأصوات المهموسة غير الموجودة في بعض اللغات الآسيوية - مثل /θ/ و /ð/ - غالباً ما تُستبدل بأصوات قريبة (ك /s/ أو /d/)،^(١) نتيجة لغيابها في

(١) (الهاشمي ١٩٩٩، ص: ٨٥)

النظام الصوتي الأصلي للمتعلم، كما يؤكد صالح الشقيري في "الصوتيات اللغوية التطبيقية أن الأصوات المفخمة والغامضة ك /z/ و /s/ يصعب على المتعلم إدراكها وتمييزها إذا لم تكن ضمن جهازه الصوتي الأصلي، مما يقود إلى تبسيطها أو إبدالها.^(١)

أما على مستوى الحركات، فإن اللغة الأم تؤثر على إدراك الفروق بين الحركات القصيرة والطويلة، كما في الفتحة والضمة والكسرة، وهو ما يؤكد محمد السباعي في كتابه "علم الأصوات بين النظرية والتطبيق"، حيث يشير إلى أن "ضعف التمييز بين الحركات يرجع إلى فقدان تلك الفوارق في اللغة الأم، مما يؤدي إلى استبدالها أو نطقها بطريقة غير دقيقة".^(٢)

وفيما يتعلق بالسكون واللام المفخمة، فقد أوضح كمال الحسن في "مبادئ اللسانيات" أن غياب مفهوم السكون أو لام الجلالة المفخمة في بعض اللغات الأم يجعل النطق بها تحدياً صوتياً كبيراً للمتعلمين، وقد يؤدي إلى تعويضها بنطق غير سليم أو بتفخيم غير موضعه.^(٣)

٢. أثر مبدأ الجهد الأقل في الإبدال الصوتي

يُفسّر مبدأ الجهد الأقل كثيراً من الظواهر الصوتية الناتجة عن الصعوبة الفسيولوجية في نطق بعض الأصوات، إذ يميل المتعلم إلى الاقتصاد في الجهد العضلي والصوتي عند إنتاج الأصوات غير المألوفة. وتشير البيانات إلى أن هذا العامل يلعب دوراً كبيراً في إبدال الأصوات التالية: /h/ (ح)، /ʔ/ (ع)، /ʕ/ (غ)، /q/ (ق)، /t/ (ط)، /d/ (ض)، /s/ (ص)، يشير تمام عبد العزيز في كتابه "الصوت

(١) (الشقيري ٢٠١٢، ص: ١١٨)

(٢) (السباعي ٢٠٠٥، ص: ١٥٣)

(٣) (الحسن، مبادئ اللسانيات ٢٠١٢، ص: ٦٤)

والنطق في اللغة " إلى أن الحروف الحلقية تتطلب جهداً عضلياً كبيراً في إنتاجها، لذا يعتمد الناطقين بغير العربية إلى استبدالها بحروف أقل مشقة في النطق. وهذا ينطبق على الأصوات /t/ و /d/ و /h/ و /w/ ^(١).

كما يلاحظ أن الأصوات المفخمة ك /t/ و /d/ تُستبدل غالباً بنظيراتها غير المفخمة لتقليل الجهد، وهو ما تؤكدته دراسة عبده الراجحي في "دراسات في علم اللغة"، حيث يرى أن الإبدال قد يكون استجابة فيزيولوجية لتسهيل النطق ^(٢).

٣. أثر طريقة الاكتساب والاستراتيجيات التعليمية

تلعب طريقة الاكتساب دوراً مهماً في تطور النطق لدى المتعلم، خاصة إذا كانت بيئة التعلم لا تتيح تعرضاً كافياً للأصوات العربية، أو إذا غلب عليها التعليم النظري دون تدريب نطقي كافٍ. وقد ظهر تأثير هذا العامل في: /w/ (و)، التضعيف، اللام المفخمة (بجانب تأثير اللغة الأم).

يشير أحمد محمد قدور في كتابه "علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية" إلى أن غياب التكرار السمعي والتغذية الراجعة الفورية يؤدي إلى رسوخ أنماط نطق خاطئة. وهذا ما يفسر صعوبة نطق التضعيف أو اللام المفخمة إذا لم تُدرّس صوتياً عملياً ^(٣).

(١) (ت. عبدالعزيز ١٩٧١، ص: ١٠٩)

(٢) (الراجحي، دراسات في علم اللغة ١٩٩٥، ص: ٧٦)

(٣) (قدور، علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية ٢٠٠٩، ص: ١٣٢)

كما أن نطق الصوت /w/ بوصفه صوتاً انزلاقياً قد يواجه صعوبة عند بعض المتعلمين الذين لا توجد في لغاتهم الأم أصوات شبه صائتة، ويؤكد رشيد بلحاج في "الصوتيات التعليمية" على أهمية التدرّب العملي لنطق هذه الأصوات في برامج تعليم العربية للناطقين بغيرها.^(١)

يتّضح من خلال التحليل السابق أن ظاهرة الإبدال الصوتي لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها في الهند لا ترتبط بعامل واحد منفرد، بل تنشأ نتيجة تفاعل معقد بين عدة عوامل لسانية وفسيولوجية وتعليمية، أبرزها: تأثير اللغة الأم، ومبدأ الجهد الأقل، واستراتيجيات الاكتساب.

فقد أظهرت الأصوات (ث / θ /)، (ذ / ð /)، (ظ / z /)، والحركات القصيرة مثل (فَ / a /)، (فُ / u /)، (فِ / i /) حساسية واضحة تجاه تأثير اللغة الأم، نتيجة غياب هذه الفونيمات أو اختلاف تمثيلها في اللغات الهندية الأم، ما يُصعّب على المتعلمين إدراكها وإنتاجها بدقة.

أما الأصوات المفخّمة والحلقية، مثل (ع / ʕ /)، (ح / h /)، (ط / t /)، (ص / s /)، (غ / ɣ /)، (ق / q /)، فقد بدا أن مبدأ الجهد الأقل يؤثر فيها بوضوح، إذ يلجأ المتعلم إلى بدائل صوتية أكثر سهولة من حيث الأداء العضلي أو الإدراكي، مثل استبدال (ق / q /) بـ (ك / k /) أو (غ / ɣ /) بـ (ج / dʒ /)، في محاولة لتجاوز صعوبات النطق أو ضبط المخرج.

وفيما يخصّ التعلّم والاكتساب، فقد ظهرت تأثيراته جليّة في بعض الأصوات والسياقات، خصوصاً في نطق (و / w /) في المواضع الانزلاقية، والتضعيف (مثل: صَبَّار)، واللام المفخّمة (كما في: الله)، حيث يرتبط الأداء الصوتي بدرجة التعرض، ونمط التدريس، ووجود ممارسات صوتية متكررة. كما

(١) (بلحاج ٢٠١٤، ص: ٨٩)

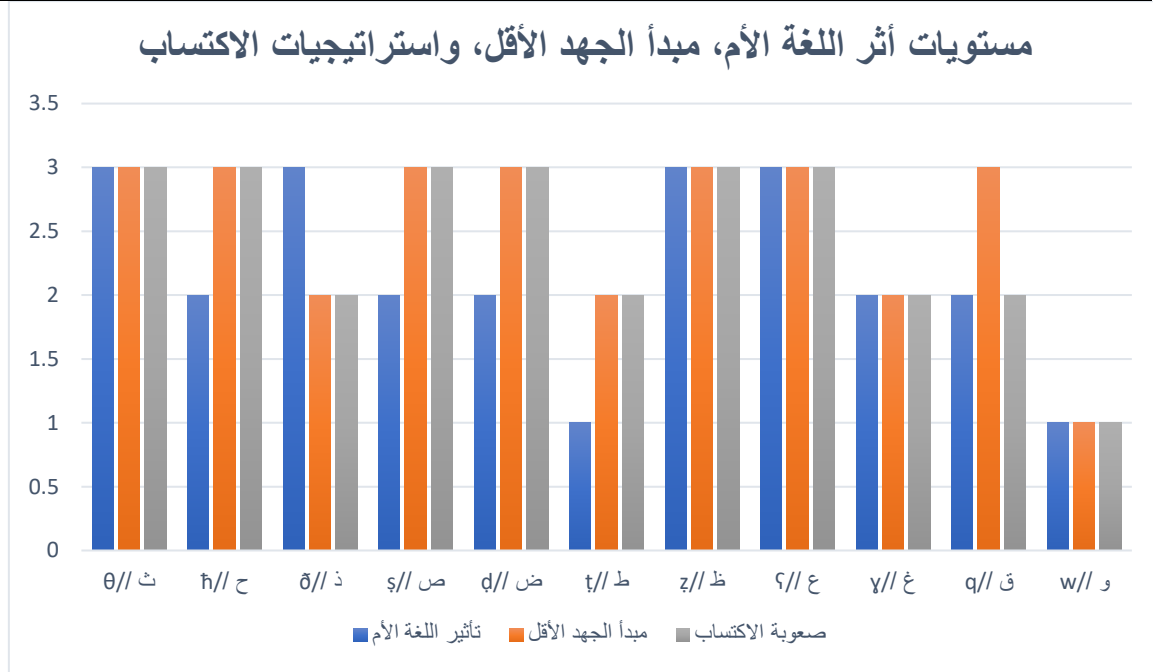
يسهم ضعف التدريب على الاستماع والتمييز السمعي في صعوبة إنتاج هذه الأصوات بصورة صحيحة.

إن هذا التحليل يؤكد أن الإبدال الصوتي لا يُمكن تفسيره بمعزل عن السياق اللغوي والاجتماعي والتعليلي للمتعلم، وأن تحقيق الفهم المتكامل له يتطلب دمج المنظور الكمي القائم على البيانات، بالمنظور النوعي المستند إلى النظريات الصوتية واللسانية. وبذلك، يكون هذا القسم قد أسهم في تحقيق أحد الأهداف الرئيسية للدراسة، والمتمثل في تفسير ظاهرة الإبدال الصوتي تفسيراً علمياً منضبطاً، قائماً على تصنيف الأصوات وتحليل العوامل المؤثرة فيها، ولتوضيح مستويات أثر اللغة الأم، ومبدأ الجهد الأقل، واستراتيجيات الاكتساب بالنسبة للأصوات الصامتة، وجب تصميم جدول ورسم بياني توضيحي يبين هذه المستويات؛ كما يأتي:

جدول (٥-٣٢): أثر اللغة الأم، مبدأ الجهد الأقل، واستراتيجيات الاكتساب

الصوت	تأثير اللغة الأم	مبدأ الجهد الأقل	صعوبة الاكتساب	ملاحظات
ث /θ/	مرتفع	مرتفع	مرتفع	يُستبدل غالباً بـ /s/ أو /t/ لتقارب المخرج وسهولة النطق
ح /h/	متوسط	مرتفع	مرتفع	يُستبدل بـ /h/ لسهولة الجهرية وعدم الحاجة لمخرج حلقي عميق
ذ /ð/	مرتفع	متوسط	متوسط	يُستبدل بـ /d/ أو /z/ تبعاً للبيئة الصوتية
ص /s/	متوسط	مرتفع	مرتفع	يُستبدل بـ /s/ للتخلص من ثقل التفخيم
ض /d/	متوسط	مرتفع	مرتفع	التحول إلى /d/ نتيجة صعوبة الجمع بين الجهر والتفخيم
ط /t/	منخفض	متوسط	متوسط	يقترّب نطقه من /t/ لسهولة النطق

ظ /z/	مرتفع	مرتفع	مرتفع	يقترّب من /z/ أو /dʒ/ تبعاً للمتعلم
ع /ɛ/	مرتفع	مرتفع	مرتفع	يستبدل بـ /ɛ/ أو يُحذف لغياب النظير الحلقي
غ /ɣ/	متوسط	متوسط	متوسط	التحول إلى /g/ أو /k/ نتيجة قرب المخرج
ق /q/	متوسط	مرتفع	متوسط	يُنطق كـ /k/ أو /g/ خاصة في اللهجات الهندية
و /w/	منخفض	منخفض	منخفض	التأثير أقل وضوحاً لوجود شبه الصائت في l1



يوضح الجدول والرسم التوضيحي المرتبط به أثر ثلاثة عوامل رئيسة في بروز الإبدال الصوتي لدى المتعلمين، وهي: تأثير اللغة الأم، ومبدأ الجهد الأقل، وصعوبة الاكتساب، وذلك وفق ترميز رقمي يتراوح بين (١ = منخفض، ٢ = متوسط، ٣ = مرتفع).

تشير النتائج إلى أن الأصوات (ث / θ /)، (ظ / z /)، (ع / ʕ /) جاءت في أعلى المستويات عبر جميع العوامل الثلاثة، ما يدل على أن غيابها عن النظام الفونولوجي للغات الأم للمتعلمين، وارتفاع الجهد العضلي المطلوب في إنتاجها، وصعوبة اكتسابها في بيئة تعلم غير طبيعية، كلها عوامل متضافرة تسهم في ارتفاع معدلات الإبدال.

كما أظهرت الأصوات (ح /h/)، (ص /s/)، (ض /d/) قيمةً مرتفعة لمبدأ الجهد الأقل وصعوبة الاكتساب، حتى وإن كان تأثير اللغة الأم عليها متوسطاً، مما يشير إلى أن صعوبة إنتاجها مرتبطة أكثر بخصائصها النطقية (المخارج والصفات) من ارتباطها بالجانب الإدراكي اللغوي.

في المقابل سجل الصوتان (ط /t/) و(و /w/) أدنى الدرجات على المستويات الثلاثة، ويرتبط ذلك بوجود بدائل أو نظائر في لغات المتعلمين، مما يقلل من الأثر التراكمي للعوامل الثلاثة، ويحد من وقوع الإبدال.

تؤكد هذه النتائج على أن معالجة الإبدال الصوتي لا يمكن أن تقتصر على تدريب النطق فقط، بل يجب أن تدمج بين تقوية التمييز السمعي، وخفض الجهد النطقي، وتبني استراتيجيات اكتساب نشطة، خاصة للأصوات التي تتأثر بالعوامل الثلاثة مجتمعة.

بناءً على تحليل النتائج الخاصة بالأهداف الستة للدراسة، يتضح أن ظاهرة الإبدال الصوتي لدى متعلمي اللغة العربية من الناطقين بغيرها في الهند تخضع لتفاعل معقد بين عوامل لغوية وفسولوجية وإدراكية، تتفاوت حدتها باختلاف نوع الصوت وموضعه في الكلمة، والخلفية اللغوية للمتعلم، والبيئة التعليمية التي يكتسب فيها العربية. فقد أظهرت البيانات أن الأصوات الصامتة، ولا سيما تلك الغائبة عن النظام الفونولوجي للغات الأم، هي الأكثر عرضة للإبدال، في حين جاءت الصوائت أقل تأثراً ولكنها ليست بمنأى عن التغيير. كما أبرزت النتائج فروقاً جغرافية ملحوظة بين شمال الهند وجنوبها، وتبايناً في أثر موقع الصوت داخل الكلمة، إلى جانب دور بارز للعوامل الإدراكية ومبدأ الجهد الأقل واستراتيجيات الاكتساب. وتوفر هذه المعطيات أساساً متيناً للانتقال إلى مناقشة النتائج، بغية تفسيرها في ضوء الأطر النظرية والمقاربات البحثية السابقة، واستجلاء أبعادها التطبيقية في مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها.

٥-٧: مناقشة النتائج

تُعدّ مناقشة النتائج مرحلة محورية في الدراسات العلمية، إذ تنتقل فيها التحليلات من مستوى الوصف الإحصائي والتفسير الجزئي إلى مستوى التفسير الكلي وربط المعطيات بالأطر النظرية والسياقات البحثية العامة، وفي هذه الدراسة التي تناولت ظاهرة الإبدال الصوتي لدى متعلمي اللغة العربية من الناطقين باللغات الهندية في الهند، تم بناء التحليل وفق منهج كمي وصفيّ مقارن، واعتمدت النتائج على تحليل نطق مجموعة من الأصوات الصامتة والصائتة في السياقين الفردي والجُملي، مع ربط الأداء الصوتي بالعوامل الجغرافية، والموقع التركيبي للصوت، والسمات الفيسيولوجية والإدراكية للمتعلمين، فضلاً عن أثر اللغة الأم واستراتيجيات التعلم.

وقد هدفت الدراسة إلى استقصاء ستة محاور رئيسية:

١. تحليل أنماط الإبدال الصوتي في الأصوات الصامتة.
٢. تحليل أنماط الإبدال الصوتي في الأصوات الصائتة.
٣. رصد أثر العامل الجغرافي (بين شمال الهند وجنوبها) في تباين الأداء الصوتي.
٤. دراسة تأثير موقع الصوت في الكلمة (أول، وسط، آخر) على حدوث الإبدال.
٥. تحليل أثر العوامل الفيسيولوجية والإدراكية في نطق الأصوات العربية.
٦. تحديد العوامل المفسرة لظاهرة الإبدال، مثل اللغة الأم، واستراتيجيات الاكتساب، ومبدأ الجهد الأقل.

أُجريت مناقشة كل محور من هذه المحاور استناداً إلى جداول تحليلية دقيقة، واستُحضرت في المقارنة نتائج دراسات سابقة، إلى جانب نظريات لسانية وصوتية حديثة، مثل نظرية التوافق الصوتي، ونظرية التحويل اللساني، ومبدأ الاقتصاد الجسدي في النطق، ونظرية التعلم السمعي الحسي.

سعت المناقشة -أيضاً- إلى إبراز أوجه التشابه والاختلاف بين نتائج هذه الدراسة والدراسات المماثلة، وتقديم تفسير علمي لتفاوت نسب الإبدال بين المناطق الجغرافية، أو بين الأصوات الصامتة والصائتة، أو بين المواقع المختلفة داخل الكلمة، وتم تناول الأبعاد التربوية لهذه النتائج من خلال توصيات تتعلّق بطرائق التعليم والتقويم الصوتي، وتطوير محتوى المناهج الصوتية للناطقين بغير العربية.

إجمالاً؛ فإن هذه المناقشة تمثل العمود الفقري التحليلي للدراسة، إذ إنها لا تكتفي بوصف الظاهرة، بل تسعى إلى تأصيلها، وتفسيرها، وربطها بسياقاتها التعليمية والاجتماعية والجغرافية، بما يُسهم في بناء فهم أعمق لآليات الإبدال الصوتي لدى المتعلّمين الهنود، ويقدم رؤية علمية وتربوية قابلة للتطبيق في برامج تعليم العربية للناطقين بغيرها.

أ. أنماط الإبدال الصوتي في الصوامت لدى المتعلمين الهنود

تشير نتائج التحليل الكمي والوصفي لأداء المشاركين في نطق الأصوات الصامتة العربية إلى أن ظاهرة الإبدال الصوتي تُعدّ من أبرز الظواهر الفونولوجية المصاحبة لاكتساب اللغة العربية كلغة ثانية لدى الناطقين باللغات الهندية، سواء في شمال الهند أو جنوبها، وقد كشفت النتائج عن نمط

واضح من التباين الصوتي المرتبط بعدة عوامل: صوتية، إدراكية، فيزيولوجية، وسياقية، ويؤكد هذا التباين تحقق الأهداف الأولى والثانية والخامسة من الدراسة، كما يمهد لتحقيق بقية الأهداف المتعلقة بالعوامل التفسيرية لاحقاً.

١. (ث/θ) – الصوت الأسنان الميموس

أظهرت نتائج تحليل نطق الصوت (ث/θ) ارتفاعاً ملحوظاً في نسب الإبدال لدى المتعلمين الهنود، حيث تجاوزت ٨٠٪ في أغلب الكلمات، سواء في السياق المفرد أو السياق التركيبي، وهو ما يشير إلى صعوبة إدراك هذا الصوت وتمثيله نطقياً، ويُعزى ذلك إلى غياب (ث/θ) من النظام الصوتي للغات الهندية، مما يدفع المتعلمين إلى استبداله بأصوات أكثر ألفة مثل (ت/٤) أو (س/س)، لتقاربها في بعض السمات، وقد أشار عبد الحميد محمد إلى أن غياب الصوت من الفونيمات الأم هو السبب الرئيس للإبدال، لا سيما عند تعلّم لغة أجنبية تحتوي على أصوات غير مألوفة.^(١)

وتدعم هذه النتائج ما طرحه تمام حسان، الذي بيّن أن الأصوات غير الموجودة في الذاكرة السمعية للمتعلّم تتطلب تدريباً عضلياً وإدراكياً خاصاً، ولا يُعوّض غيابها بممارسة عابرة أو سياق مألوف،^(٢) وقد ثبت في هذه الدراسة أن السياق التركيبي لم يكن له أثر إيجابي في تحسين نطق الصوت، إذ ظلت معدلات الإبدال مرتفعة حتى في الجمل، ما يدل على أن الخلل يرتبط بالبنية الإدراكية لا بالموضع النحوي للكلمة.

(١) (محمد ع.، الصعوبات الصوتية لدى الناطقين بغير العربية، ٢٠٠٩، صفحة ص: ١٣٢)

(٢) (حسان، اللغة العربية مبناها ومعناها، ٢٠٠٦، صفحة ص: ٢١٠)

كما أشار عبد الصبور شاهين إلى أن الأصوات التي لا تقابلها وحدات نطقية في اللغة الأم يصعب تمثيلها صوتياً، حتى مع التكرار، وتظل عُرضة للإبدال أو التحوير،^(١) وانسجماً مع ذلك، لم تُظهر المقارنة بين شمال الهند وجنوبها فروقاً جوهرية، مما يؤكد أن التحدي متعلق بالبنية الفونولوجية المشتركة للغات الهندية، لا بالبيئة الجغرافية أو التعليمية.

(ح/هـ) – الصوت الحلقي المهموس

بيّنت نتائج الأداء الصوتي للفونيم (ح/هـ) أن المتعلمين الهنود يواجهون صعوبة كبيرة في إنتاجه، حيث تجاوزت نسب الإبدال ٧٠٪ في السياقات المفردة، وارتفعت في الجمل لتصل أحياناً إلى ١٠٠٪، مما يدل على تعقيد إدراكه الحركي والصوتي، ويرجع ذلك إلى غياب هذا الصوت الحلقي من منظومة الأصوات الهندية، حيث لا تتوفر أصوات مشابهة له من حيث المخرج أو الصفة، فيلجأ المتعلم إلى استبداله بأصوات قريبة نسبياً مثل (هـ/هـ) أو (خ/خ)، نتيجة لغياب المطابقة الفونولوجية في اللغة الأم.

وقد أشار إبراهيم أنيس إلى أن الأصوات الحلقيّة تمثل صعوبة خاصة للناطقين بغير العربية، لما تتطلبه من تحكم دقيق في عضلات الحلق، وهي منطقة لا تنشط في نطق الأصوات الهندية غالباً،^(٢) كما أكد تمام حسان أن إنتاج الأصوات الحلقيّة يحتاج إلى وعي إدراكي مسبق بالمكان الدقيق للمخرج داخل القناة الصوتية، وهو ما يفتقده المتعلم غير العربي تلقائياً.^(٣)

(١) (شاهين ع.، علم الصوتيات، ١٩٩٨، صفحة ص: ٩٥)

(٢) (أنيس، الأصوات اللغوية، ١٩٧٥، صفحة ص: ١٠٤)

(٣) (حسان، اللغة العربية مبناها ومعناها، ٢٠٠٦، صفحة ص: ٢١٥)

وتشير مقارنة البيانات بين المشاركين من شمال الهند وجنوبها إلى تقارب في نسب الإبدال، ما يدل على أن الصعوبة متعلقة ببنية اللغة الأم وليس بالبيئة الجغرافية، وهو ما يؤكد الشاوي في دراسته عن التداخل الفونولوجي بين العربية واللغات الهندية، إذ يرى أن الأصوات الحلقية من أكثر الأصوات عرضة للإبدال أو التشويه الصوتي لدى الهنود، نظراً لعدم تمثيلها في نظامهم الفونولوجي.^(١)

(ذ/ð) – الصوت بين الأسنان المجهر

أظهرت نتائج الدراسة أن الصوت (ذ/ð) يُعد من أكثر الأصوات التي تواجه المتعلمين الهنود صعوبةً في النطق، حيث تجاوزت نسب الإبدال ٨٥٪ في معظم الكلمات، وظهرت معدلات مرتفعة حتى في السياقات التركيبية، مما يدل على غياب الإدراك الفونولوجي لهذا الصوت، وقد تبين من خلال التحليل أن المشاركين استبدلوا هذا الصوت غالباً بـ (د/د) أو (ز/ز)، نظراً لتقاربهما من حيث الجهر أو المخرج، مما يعكس اعتماد المتعلم على أصوات مألوفة في لغته الأم لتعويض الصوت المفقود.

أشار أحمد مختار عمر إلى أن الصوت (ذ/ð) غريب على المتكلمين باللغات التي تفتقر إلى الأصوات بين-الأسنانية، مما يفسر ارتفاع معدلات الإبدال لديه مقارنة بأصوات أخرى،^(٢) كما ذكر إبراهيم

(١) (الشاوي، ٢٠١٧، صفحة ص: ١١٧)

(٢) (عمر أ.، علم الأصوات، ٢٠٠٥، صفحة ص: ١٣٧)

أنيس أن غياب هذا الصوت عن النظام الصوتي للغات الهندية يجعل المتعلم يميل إلى تعويضه بصوت أكثر شيوعاً وأقل تعقيداً من حيث الحصر بين الأسنان.^(١)

ويلاحظ من خلال المقارنة الجغرافية أن نسب الإبدال بين المشاركين من شمال وجنوب الهند متقاربة إلى حد بعيد، مما يشير إلى أن أصل المشكلة يعود إلى الفجوة الفونولوجية بين العربية واللغات الهندية، وليس إلى عوامل تعليمية أو بيئية، وقد أكد عبد الصبور شاهين أن مثل هذه الأصوات تتطلب تدريباً إدراكياً وعضلياً خاصاً، لأنها لا تعتمد فقط على السمع، بل على المهارة في وضع اللسان بين الأسنان، وهي مهارة غير مألوفة للناطقين باللغات الهندية.^(٢)

(ص/س/) – الصوت الاحتكاكي المهموس المفخم

أظهرت نتائج الدراسة أن الفونيم (ص/س/) يُعد من أكثر الأصوات عرضة للإبدال بين المتعلمين الهنود، خاصة في السياقات المفردة، حيث تجاوزت نسب الإبدال في بعض الكلمات ٧٠٪، وكان الصوت البديل الأكثر شيوعاً هو (س/س/)، نتيجة للتقارب بين الصوتين من حيث المخرج، مع غياب سمة التفخيم في الصوت البديل، وقد أشار بعض المشاركين كذلك إلى صعوبة إدراك الفرق بين (س/س/) و(ص/س/)، خصوصاً عند عدم وجود تدريب دقيق على التفخيم وتمييز الصفات.

يؤكد الدكتور عبد الصبور شاهين أن صوت (ص/س/) يختلف عن (س/س/) في كونه مفخماً ذا صفات صوتية متميزة، ولا يمكن اكتسابه تلقائياً دون تمرين واعٍ على مخرجه وصفاته،^(٣) كما أوضح

(١) (أنيس، الأصوات اللغوية، ١٩٧٥، صفحة ص: ١١١)

(٢) (شاهين ع.، علم الصوتيات، ١٩٩٨، صفحة ص: ٩٩)

(٣) (شاهين ع.، علم الصوتيات، ١٩٩٨، صفحة ص: ٩٩)

تمام حسان أن التفخيم في (/s/) يُشكل عائقاً إدراكياً ونطقياً أمام المتعلم غير العربي، خاصة في

حال عدم وجود مقابل له في لغته الأم، مما يدفعه إلى استخدام (/s/) كبديل طبيعي.^(١)

من جهة أخرى، يشير كمال بشر إلى أن اعتماد المتعلمين على أصوات لغتهم الأولى عند إنتاج أصوات

اللغة الثانية هو سلوك شائع، ويُفسّر نسبة الإبدال العالية في (/s/) بسبب وجود (/s/)

كمقابل مباشر له في الهندية والمالايالامية، دون أن يصاحبه عنصر التفخيم.^(٢)

أما عن التوزيع الجغرافي، فقد تبين أن نسب الإبدال كانت أعلى في جنوب الهند مقارنة بالشمال،

مما قد يُعزى إلى اختلاف أساليب التعليم أو تباين الوعي الصوتي في البيئات التعليمية، إلا أن

العامل الحاسم يظل في غياب سمة التفخيم من النظام الصوتي في اللغات الأم للمتعلمين.

(ض/d/) – الصوت الانفجاري المفخّم المجهور (الضاد)

تُعد الضاد (/d/) من أبرز الأصوات التي تميّز اللغة العربية، وقد كشفت الدراسة الحالية أن

هذا الصوت يُشكل تحدياً كبيراً للمتعلم الهندي، حيث تجاوزت نسبة الإبدال ٧٠٪ في بعض

المفردات، وكان البديل الأكثر شيوعاً هو (/d/) أو أحياناً (/z/) أو (/z/) تبعاً لدرجات التداخل

الفونولوجي أو الإدراك الخاطئ للفونيم.

وقد أشار الدكتور تمام حسان إلى أن الضاد العربية صوت شديد الانفجار ومفخم، لا يوجد له

نظير حقيقي في كثير من اللغات، مما يجعل اكتسابه صعباً على الناطقين بغيرها، وهو ما يؤدي

(١) (حسان، اللغة العربية مبناها ومعناها، ٢٠٠٦، صفحة ص: ٢٢٩)

(٢) (بشر، علم الأصوات، ٢٠٠٠، صفحة ص: ١٨٠)

غالباً إلى تمثيله بأصوات أكثر ألفة وسهولة،^(١) كما بيّن عبد الصبور شاهين أن الضاد تمثل "مأزقاً فونولوجياً" في اكتساب العربية للناطقين بغيرها، وذلك لتعقيد مخرجها بين جانبي اللسان والحنك الأعلى، ولعدم وجود مقابل لها في اللغات الهندية.^(٢)

من جانب آخر؛ أوضح كمال بشر أن التفريق بين (ض/d/) و(د/d/) يتطلب قدرة إدراكية دقيقة وتمريناً مستمراً، إذ إن الفونيم البديل غالباً ما يُنتج بنفس الطريقة التي يُنتج بها الدال، دون الالتفات إلى التفخيم الجانبي الذي يميز.^(٣)

بالمقارنة بين المشاركين من شمال الهند وجنوبها، لوحظ أن نسب الإبدال متقاربة، ما يؤكد أن طبيعة الصوت نفسه هي العامل الأساسي في صعوبة اكتسابه، وليس العامل الجغرافي أو نوع المؤسسة التعليمية.

(ط/t/) – الصوت الانفجاري المجهور المفخم

كشفت نتائج الدراسة أن الفونيم (ط/t/) يُعد من الأصوات الصامتة التي تُواجه صعوبات نطقية ملحوظة لدى المتعلمين الهنود، حيث بلغت نسب الإبدال في بعض المفردات أكثر من ٦٠٪، وتفاوتت بين استبداله بصوت (ت/t/) في الغالب، أو أحياناً (د/d/) في بعض السياقات الصوتية، مما يعكس ميل المتعلمين إلى تعويض الصوت غير المألوف بأقرب صوت مألوف في لغتهم الأم، سواء من حيث الانفجار أو من حيث وضع اللسان.

(١) (حسان، اللغة العربية مبناها ومعناها، ٢٠٠٦، صفحة ص: ٢٢٥)

(٢) (شاهين ع.، علم الصوتيات، ١٩٩٨، صفحة ص: ١١٥)

(٣) (بشر، علم الأصوات، ٢٠٠٠، صفحة ص: ١٧٥)

ويرى الدكتور عبد الصبور شاهين أن الصوت (/ط/) يتطلب درجة من التفخيم لم تألفها معظم اللغات الهندية، فهو صوت مجهور انفجاري لثويّ مفخم، يجمع بين ميزات معقدة نسبياً، ولهذا يُستبدل غالباً بصوت (/ت/) غير المفخم والذي يُعد أكثر سهولة في التنفيذ،^(١) وبين كمال بشر أن المتعلم الهندي قد لا يُميز بين (/ت/) و(/ط/) إدراكياً، خاصة في حالة عدم وجود تدريب سمعي مركز على الفروق الدقيقة في التفخيم.^(٢)

وفي السياق نفسه؛ يشير إبراهيم أنيس إلى أن ظاهرة إبدال الطاء بالتاء تُعد من أبرز الأمثلة على التداخل الفونولوجي السلبي الناتج عن غياب الصوت المستهدف من المخزون الصوتي للغة الأم، مما يؤدي إلى وقوع الخطأ تلقائياً عند النطق.^(٣)

أما من حيث التوزيع الجغرافي؛ فإن الفروق بين الشمال والجنوب في إنتاج الصوت (/ط/) لم تكن كبيرة، مما يؤكد أن الإشكال يرتبط بالمنظومة الفونولوجية العامة المشتركة بين المجموعتين، لا بالبيئة التعليمية أو اللهجة المحلية.

(ظ/ز) - الصوت الاحتكاكي المفخم المجهور

أظهرت نتائج الدراسة أن أداء المتعلمين الهنود للفونيم (ظ/ز) يشهد نسب إبدال مرتفعة، بلغت في بعض المفردات أكثر من ٦٥٪، حيث تكررت صور الإبدال إلى أصوات (/ز/)، (/ذ/)، وأحياناً

(١) (ع. شاهين، دراسات صوتية ١٩٨٢، ص: ١١٣)

(٢) (بشر، علم الأصوات ٢٠٠٠، ص: ١١٧)

(٣) (أنيس، الأصوات اللغوية ١٩٧٥، ص: ١٢٠)

(ض/d/) أو (د/d/)، وفقاً لمدى اقتراب هذه الأصوات من حيث الجهر والمخرج، وقد ساهم غياب هذا الصوت من اللغات الهندية، بالإضافة إلى ضعف التمييز السمعي، في تعزيز هذا الإبدال.

وقد أشار الدكتور إبراهيم أنيس إلى أن (ظ/z/) صوت نادر عالمياً، يحتل موضعاً صعباً بين الأصوات، إذ يجمع بين الجهر والاحتكاك والتفخيم، وهي صفات لا تجتمع كثيراً في اللغات الأخرى، مما يجعل هذا الصوت تحدياً للمتعلم غير العربي،^(١) ويضيف تمام حسان أن الصوت (ظ/z/) لا يجد ما يقابله في النظم الصوتية للهندية أو المالايالامية، لذلك يلجأ المتعلمون إلى بدائل مألوفة مثل (ز/z/) أو (ذ/ð/)، وهو ما يُلاحظ بكثرة في كلامهم.^(٢)

كما نوه كمال بشر إلى أن عدم التفريق بين (ظ/z/) و(ض/d/) أو (ز/z/) يعود إلى تشابهها الجزئي في بعض السمات الصوتية (الجهر، القرب من المخرج)، إلى جانب غياب التدريب النطقي المنهجي في بعض البيئات التعليمية.^(٣)

أما من حيث التوزيع الجغرافي، فقد أظهرت البيانات أن نسب الإبدال متقاربة بين المشاركين من شمال الهند وجنوبها، ما يرجّح أن الصعوبة تعود إلى غياب هذا الصوت عن اللغات الأم أكثر من كونها متعلقة بالبيئة التعليمية أو المنهج المستخدم.

(١) (أنيس، الأصوات اللغوية، ١٩٧٥، صفحة ص: ١٢١)

(٢) (حسان، اللغة العربية مبناها ومعناها، ٢٠٠٦)

(٣) (بشر، علم الأصوات، ٢٠٠٠، صفحة ص: ١٧٠)

(ع/٢) - الصوت الحلقى المجهور

يمثل الصوت (ع/٢) واحداً من أبرز التحديات الصوتية لتعلمي العربية من الناطقين باللغات الهندية، إذ أظهرت نتائج الدراسة أن نسبة الإبدال فيه كانت مرتفعة، متجاوزة ٧٥٪ في الكلمات المفردة، وبلغت ذروتها في السياقات التركيبية، لا سيما حين وقع في وسط الكلمة أو نهايتها، وغالباً ما يستبدل المتعلمون هذا الصوت ب(ع/٢) أو يُحذف كلياً، ما يعكس غياب هذا الفونيم من منظومة الأصوات الهندية، وعدم وجود مقابل له من حيث المخرج أو الصفة، وقد أشار إبراهيم أنيس إلى أن الصوت (ع/٢) من الأصوات الحلقية التي لا وجود لها في كثير من اللغات، وأن صعوبة إنتاجه تعود إلى موقعه العميق في الحلق، بالإضافة إلى افتقاره إلى نظير واضح في لغات مثل الهندية والتاميلية والمالايالامية،^(١) كما أوضح عبد الصبور شاهين أن المتعلمين غالباً ما يُهملون هذا الصوت أو يستبدلونه بالهمزة أو بأي صوت قريب في السمع، نتيجة لضعف التمييز الإدراكي له وصعوبة اكتسابه بدون تدريب مقصود.^(٢)

وقد أكدت الدراسة أن السياق النحوي أو التركيبي لم يسهم في تحسين الأداء، بل ظلت معدلات الإبدال مرتفعة، مما يعكس أن المشكلة أعمق من أن تُعالج بالاعتیاد أو كثرة التكرار، ويعزو كمال بشر ذلك إلى أن مثل هذه الأصوات التي تقع في مؤخرة الجهاز الصوتي لا تُدرك بسهولة ولا تُحاكى سريعاً، وتحتاج إلى تدريب نطقي مركز.^(٣)

(١) (أنيس، الأصوات اللغوية، ١٩٧٥، صفحة ص: ١١٣)

(٢) (شاهين ع.، علم الصوتيات، ١٩٩٨، صفحة ص: ١٠٢)

(٣) (بشر، علم الأصوات، ٢٠٠٠، صفحة ص: ١٥٦)

وتجدر الإشارة إلى أن الفروق بين شمال الهند وجنوبها لم تكن كبيرة فيما يخص هذا الصوت، مما يعزز القول بأن الصعوبة ناتجة عن التركيب الفونولوجي العام للغات الهندية، وليس عن عوامل جغرافية أو تعليمية محلية.

(غ/ڤ) - الصوت الحلقي المجهور

أظهرت نتائج الدراسة أن الفونيم (غ/ڤ) يُعد من الأصوات الصعبة على المتعلمين الهنود، حيث سجلت نسب الإبدال فيه معدلات مرتفعة، تجاوزت ٧٠٪ في بعض المفردات، وبقيت النسبة مرتفعة حتى في السياق التركيبي، وغالباً ما وقع الاستبدال إما بصوت قريب من حيث الجهر مثل (خ/ڤ)، أو بصوت شفهي مثل (ج/ڤ أو /dʒ/)، تبعاً للغة الأم للمتعليم.

وقد أوضح إبراهيم أنيس أن الصوت (غ/ڤ) من الأصوات الحلقية المجهورة التي لا تقابلها أصوات مشابهة في اللغات الهندية، لا من حيث المخرج ولا من حيث درجة الجهر، مما يجعله عرضةً للإبدال أو التشويه،^(١) كما أشار عبد الصبور شاهين إلى أن الأصوات المجهورة الحلقية تفتقر إلى مرجع نطقي واضح في العديد من اللغات الآسيوية، ما يُضعف التمييز السمعي لها لدى المتعلم غير العربي، ويُعقد عملية اكتسابها نطقياً.^(٢)

(١) (أنيس، الأصوات اللغوية، ١٩٧٥، صفحة ص: ١١٨)

(٢) (شاهين ع.، دراسات صوتية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٢، صفحة ص: ١٠٥)

يؤكد كمال بشر في تحليله لتعلم الأصوات غير الشائعة أن الصوت (/ʎ/) يتميز باهتزاز الأوتار الصوتية مع مخرج حلقي احتكاكي، وهو ما يجعله مركباً نطقياً صعباً، لا سيما على المتعلمين من بيئات لغوية لا تعرف هذا النمط من الأصوات.^(١)

وقد أظهرت مقارنة الأداء بين شمال الهند وجنوبها تقارباً في نسب الإبدال، مما يدل مرة أخرى على أن سبب الضعف في إنتاج هذا الصوت يعود إلى الطبيعة الصوتية المشتركة للغات الهندية، وليس إلى تفاوت بيئي أو تربوي.

(ق/ق) – الصوت اللهوي المجهور أو الشديد

جاءت نتائج الأداء الصوتي للفونيم (ق/ق) لتكشف عن معدلات إبدال مرتفعة لدى المتعلمين الهنود، خصوصاً في السياق المفرد، حيث لوحظ أن نسبة الإبدال تجاوزت ٦٥٪ في بعض المفردات، وتنوّعت أشكال الإبدال بين (ك/ك) في الغالب، أو (/ʎ/) أو حتى حذف الصوت نهائياً، خاصة في آخر الكلمة، ويُعزى ذلك إلى غياب هذا الصوت الشديد الانفجاري من أنظمة النطق في معظم اللغات الهندية، إذ يُستبدل عادةً بما هو أكثر شيوعاً وسهولة من حيث المخرج والجهد النطقي.

وقد أشار الدكتور تمام حسان إلى أن الصوت (ق/ق) يتميز بانفجار قوي وانغلاق كامل في مؤخرة اللسان مع اللهاة، وهو مخرج لا يتوفر في اللغات الهندية، ما يجعل المتعلم يجد صعوبة في إتقانه دون تدريب نطقي متخصص،^(٢) وذهب كمال بشر إلى أن استبدال القاف بالكاف هو من أبرز

(١) (بشر، علم الأصوات، ٢٠٠٠، صفحة ص: ١٦٢)

(٢) (حسان، اللغة العربية مبناها ومعناها، ٢٠٠٦، صفحة ص: ٢٢١)

مظاهر التداخل الصوتي عند الناطقين بغير العربية، خصوصاً إذا كان الصوت البديل موجوداً في لغاتهم الأصلية.^(١)

أما إبراهيم أنيس، فقد أوضح أن القاف صوت غير شائع في اللغات الهندية، ويُعد من الأصوات ذات العلامة في العربية، ما يجعله مؤشراً صريحاً على مهارة النطق وتمثل الخصائص الصوتية للغة الهدف،^(٢) وتُظهر المقارنة بين المشاركين من شمال الهند وجنوبها أن نسبة الإبدال متقاربة جداً، مما يُشير إلى أن المشكلة لا ترتبط بالموقع الجغرافي بل بالافتقار الفونولوجي المشترك لهذا الصوت في جميع اللغات الهندية المستخدمة لدى العينة.

(و/و) – الصوت شبه الصائت الشفوي

تُظهر بيانات الدراسة أن الفونيم (و/و) لم يكن من بين الأصوات عالية الإبدال مقارنةً بأصوات أخرى، حيث سجّل المشاركون نسب أداء أفضل، خاصة في المفردات التي يظهر فيها الصوت في بداية الكلمة، ومع ذلك؛ رُصدت بعض الإبدالات في السياق الوسطي أو النهائي، خصوصاً حين ترافق الصوت (و/و) مع حركات طويلة أو مجاورته لأصوات مفخمة، حيث استُبدل أحياناً بـ (ب/ب) أو (ف/ف) بصورة أقل شيوعاً.

(١) (بشر، علم الأصوات، ٢٠٠٠، صفحة ص: ١٦٥)

(٢) (أنيس، الأصوات اللغوية، ١٩٧٥، صفحة ص: ١١٩)

فصل كمال بشر خصائص هذا الصوت، وبين أنه من الأصوات شبه الصائتة، ويُشبه من الناحية الفونولوجية الحركة الضمة، ولكنه يُنطق بمخرج شفوي انزلاقي، وهو موجود في كثير من اللغات العالمية، الأمر الذي يُفسّر انخفاض معدلات الإبدال نسبياً بين المتعلمين.^(١)

غير أن تمام حسان يشير إلى أن الإشكال في نطق (/w/) لا يكمن في وجوده أو غيابه في اللغة الأم، بل في تداخله أحياناً مع حركات مجاورة أو وقوعه في مواضع ضعيفة النبر، مما يُربك بعض المتعلمين في إنتاجه بدقة، خاصة في الجمل الطويلة أو التراكيب الصوتية المعقدة.^(٢)

أما عبد الصبور شاهين، فقد لاحظ أن بعض الدارسين الهنود ينطقون (/w/) بصوت أكثر انغلاقاً يشبه الحرف الصائت (u)، مما يحدث نوعاً من الغموض الصوتي، يُعزى إلى تأثير نظام الحركات في لغاتهم الأم.^(٣)

وعند المقارنة بين المشاركين من شمال الهند وجنوبها، وُجد أن أداء الشماليين أفضل نسبياً في نطق هذا الصوت، وقد يعود ذلك إلى وجود هذا الفونيم في لغاتهم الأم بشكل أكثر استقراراً.

كشفت نتائج تحليل الأداء الصوتي للمتعلمين الهنود أن الأصوات الصامتة التي شملها البحث تفاوتت من حيث نسب الإبدال، وذلك تبعاً لعوامل متعددة تشمل: غياب الصوت من اللغة الأم، درجة تعقيد صفاته الصوتية (كالجهر، التفخيم، الشدة، المخرج)، ومدى التشابه مع أصوات بديلة مألوفة في لغات المتعلمين، وقد ظهر نمط واضح من الاستبدال يعتمد على الميل الفيسيولوجي نحو

(١) (بشر، علم الأصوات ٢٠٠٠، ص: ١٨٣)

(٢) (حسان، اللغة العربية مبناها ومعناها، ٢٠٠٦، صفحة ص: ٢٣١)

(٣) (شاهين ع.، علم الصوتيات، ١٩٩٨، صفحة ص: ١٢٠)

التيسير الصوتي، إلى جانب التداخل الفونولوجي بين النظام الصوتي العربي والنظام الصوتي للهندية والمالايالامية.

وبالنظر إلى طبيعة الأصوات المستهدفة، يمكن تصنيفها على النحو الآتي:

أصوات حلقيّة:

وهي الأصوات التي يُنتجها المتكلم من الحلق وتشمل: (/h/ح)، (/ʕ/ع)، (/ɣ/غ)، (/q/ق)؛ هذه الأصوات سجلت أعلى نسب الإبدال، بسبب غيابها التام أو اختلاف صفاتها في اللغات الهندية، إضافة إلى صعوبة إخراجها فيزيولوجياً، وقد لاحظنا أن (/ʕ/ع) و (/ɣ/غ) على وجه الخصوص كانا يُبدلان غالباً بأصوات احتكاكية مجاورة ك (/ʔ/ء) أو (/h/ه) أو (/k/ك).

أصوات أسنانية احتكاكية مهموسة:

(ث/θ) و (ص/s) و (س/s)؛ من بين هذه، برز (ث/θ) كأكثرها عرضة للإبدال، غالباً إلى (س/s) أو (ت/t)، نظراً لانعدام نظيره في اللغات الأم، ما يجعل تعلّمه يتطلب تدريباً دقيقاً على صفتي الهمس والاحتكاك.

أصوات أسنانية احتكاكية مجهورة ومفخمة:

(ظ/z)، و (ض/d)، و (ذ/ð)؛ تُظهر النتائج أن هذه الأصوات الثلاثة كثيراً ما يُستعاض عنها بأصوات أكثر ألفة مثل (ز/z)، أو (د/d)، أو (س/s)، تبعاً لقربها من المخرج وغياب خصائص كالتفخيم أو الجهر من النظام الصوتي الهندي.

أصوات انفجارية مفخمة:

(ط/٤/)، و(ق/ق/)؛ وقد برز صوت (ط/٤/) كأقل هذه الأصوات إبدالاً نسبياً، ربما بسبب وجود أصوات شبيهة له في بعض لهجات الهندية، بينما استُبدل (ق/ق/) غالباً بـ(ك/ك/).

أصوات شفوية وشبه صائتة:

(و/و/)؛ سُجّلت نسب منخفضة من الإبدال، خصوصاً في المواقع الأولية للكلمات، مع تكرار بعض الإبدالات الطفيفة في الموقعين الوسيط والنهائي، مما يشير إلى درجة مقبولة من التمكن لدى المتعلمين.

يمكن القول إن الأصوات المفخمة والحلقية كانت الأصعب أداءً، بينما الأصوات الشفوية والانزلاقية كانت الأسهل، مما يؤكد أن العامل الفيسيولوجي والتداخل الفونولوجي هما المحركان الأساسيان لظاهرة الإبدال لدى هذه الفئة من المتعلمين، وتدعو هذه النتائج إلى ضرورة إعادة النظر في مناهج تعليم النطق للناطقين بغير العربية، والتركيز على الأصوات الصعبة من حيث التمييز والإنتاج، من خلال إدماج التدريبات الصوتية العملية والنماذج الإدراكية في برامج التأهيل الصوتي.

ب. أنماط الإبدال الصوتي في الصوائت لدى المتعلمين الهنود

تُعدّ الصوائت عنصراً محورياً في النظام الصوتي للغة العربية، لما تمثله من دور وظيفي في التمييز الدلالي بين المفردات، إضافة إلى كونها أكثر العناصر الصوتية حساسية للتأثر باللغة الأم لدى متعلمي العربية من الناطقين بغيرها، وتشمل الصوائت التي تناولتها هذه الدراسة: الفتحة (/a/)، والسكون (غياب الحركة)، والتضعيف (الشدة)، واللام المغلظة (اللام المفخمة)، وقد أظهرت النتائج الإحصائية ارتفاعاً واضحاً في نسب الإبدال لدى المتعلمين الهنود، لا سيما في مناطق الجنوب، ما يعكس أثر التباعد الفونولوجي بين العربية واللغات الأم، ويؤكد أهمية الخلفية اللغوية في تشكيل الأداء النطقي.

أولاً: الفتحة (/a/)

أظهرت الفتحة معدلات إبدال مرتفعة بلغت ٨٠٪ في شمال الهند، و ٩٠٪ في الجنوب، وهي نسب تدل على أن هذا الصوت القصير يُمثل تحدياً إدراكياً ونطقياً، ويرى إبراهيم أنيس أن الحركات القصيرة في العربية "أصوات زمنية لا تستقل بذاتها من الناحية الإيقاعية، بل تتبع ما قبلها وما بعدها، مما يجعلها غير واضحة إدراكاً ونطقاً للمتعلمين من الناطقين بغير العربية.^(١)

(١) (أنيس، الأصوات اللغوية، ١٩٧٥، صفحة ٩٢)

كما يشير عبد الله الحسن إلى أن الفتحة، نظراً لطبيعتها القصيرة وغموض تمييزها في السمع، تُعد من أكثر الصوائت إرباكاً للمتعلمين، لا سيما من خلفيات لغوية آسيوية، حيث "تغيب المقابلات الدقيقة للحركات العربية، أو تُستبدل بحركات متقاربة لكن ذات صفات صوتية مختلفة"^(١). وتتفاقم هذه الصعوبة في المناطق الجنوبية من الهند، حيث تسود لغات درافيدية مثل المالايالامية، التي تفتقر إلى التمييز بين الحركات القصيرة بدقة مماثلة للعربية، ما يؤدي إلى التقريب الصوتي بين الحركات أو استبدالها بأقرب ما يتوفر في المخزون الفونولوجي للغة الأم.

ثانياً: السكون

سجلت فئة السكون نسب إبدال بلغت ٧٠٪ في الشمال و ٨٠٪ في الجنوب، وهي مؤشرات قوية على وجود خلل إدراكي في تمثيل مفهوم السكون بوصفه ظاهرة صوتية قائمة بذاتها، فكما أوضح سامي الهاشبي، "لا يُعدّ السكون جزءاً من النظام المقطعي في كثير من اللغات غير السامية، بل تميل المقاطع إلى الانتهاء بحركة صوتية، وهو ما يجعل نطق الكلمات العربية المنتهية بحرف ساكن، ك(شمع)، غريباً على النسق الإيقاعي للغة الأم"^(٢).

يُعزز عبد العزيز بشكع هذا التحليل حين يرى أن "السكون ليس ظاهرة نطقية فقط، بل هو إدراكي بالأساس، ويتطلب تدريباً سمعياً واعياً ومتكرراً ليتكوّن في النظام الإدراكي للمتعلمين"^(٣).

(١) (الحسن ع، ٢٠١٢، صفحة ١١٧)

(٢) (الهاشبي س، ١٩٩٩، صفحة ١١٨)

(٣) (بشكع، ٢٠١٠، صفحة ٨٤)

ثالثاً: التضعيف (الشدة)

بلغت نسب الإبدال في التضعيف ٩٠٪ في "مطّاط"، و ٧٠-٨٠٪ في "صَبَّار"، في حين لم تُسجَل أي حالات إبدال في "عُشٌّ". هذا التفاوت يُظهر أن التضعيف لا يُدرك على نحو موحد لدى المتعلمين، خصوصاً أن إنتاجه يتطلب احتباساً مؤقتاً للهواء وتكراراً سريعاً للصوت المشدد، وهي آلية غير مألوفة في معظم اللغات الهندية، وقد ذهب إبراهيم أنيس إلى أن "الشدة في العربية تحمل قيمة صرفية وصوتية لازمة، وفقدانها يفضي إلى اضطراب في البناء الدلالي للكلمة".^(١)

كما يرى عبد الله الحسن أن التضعيف من بين أبرز السمات الصوتية التي تميّز اللغة العربية، لكنه لا يجد ما يقابله من الناحية الوظيفية في معظم اللغات الهندو-آرية أو الدرافيدية، مما يجعله عرضة للإهمال أو الإبدال، أما الاستثناء في نطق "عُشٌّ" بشكل صحيح، فقد يُعزى إلى كثافة استخدامها في النصوص الدينية أو سهولة بنيتها الصوتية، مما رسّخها في الذاكرة السمعية للمتعلم.

رابعاً: اللام المغلظة (اللام المفخمة /l/)

أظهرت هذه الفئة تفاوتاً لافتاً، حيث سُجّلت نسبة إبدال قدرها ١٠٠٪ في كلمة "الله" في الشمال، و ٥٠٪ في الجنوب، وفي "اللهم" بلغت ١٠٠٪ في الشمال و ٤٠٪ في الجنوب، بينما خلت "لله" من أي إبدال. ويُعزى هذا التباين إلى طبيعة المفردة وسياقها السمعي والديني، إذ يرى الهاشمي أن "التفخيم

(١) (أنيس، الأصوات اللغوية، ١٩٧٥، صفحة ١٤٧)

لا يُفهم بوصفه صفة معزولة، بل يُكتسب من السياق الفونولوجي المحيط، خصوصاً حين تأتي اللام بعد فتحة، كما في 'الله'.^(١)

يضيف بشكع أن التفخيم "لا يُعد جزءاً من النظام الفونولوجي في لغات كالمالايالامية، ما يجعل المتعلمين يميلون إلى ترقيق الأصوات المفخمة، لعدم امتلاكهم الوعي النغمي اللازم لإنتاجها"، ويبدو أن عدم تسجيل إبدال في "لله" يرتبط بالسماع المتكرر لها في السياق الديني، ما أدى إلى تثبيت نطقها الصحيح في الذاكرة السمعية.^(٢)

تشير البيانات إلى أن جميع الصوائت المدروسة تعاني من نسب إبدال مرتفعة، مما يعكس الضعف الإدراكي والفونولوجي لدى المتعلمين في تمثيل هذه الفئات الصوتية، ويُلاحظ أن طلاب الجنوب كانوا أكثر عرضة للإبدال من زملائهم في الشمال، وهو ما يمكن تفسيره بتأثير لغتهم الأم (المالايالامية) التي تختلف بُنياتها الصوتية جذرياً عن العربية.

ويُسجّل بوضوح أن الكلمات ذات الاستخدام الديني المرتفع (مثل "لله" و"عُشُّ") قد حققت أداءً نطقياً أفضل، مما يُبرز أهمية التكرار السمعي والتعرض النصي في تحسين النطق، وقد أكد إبراهيم أنيس هذا المعنى بقوله: "الضبط الصوتي لا يتم إلا بعد المرور بمرحلة سمعية طويلة، ترسخ النمط الصوتي في ذهن المتعلم".^(٣)

(١) (الهاشي س.، ١٩٩٩، صفحة ١٩١)

(٢) (بشكع، ٢٠١٠، صفحة ١٧٢)

(٣) (أنيس، الأصوات اللغوية، ١٩٧٥، صفحة ١٥٨)

ج. أثر التباين الجغرافي في أنماط الإبدال الصوتي لدى المتعلمين الهنود

يلعب العامل الجغرافي دوراً جوهرياً في تشكيل الأداء اللغوي لدى متعلمي اللغة الثانية، وهو ما أثبتته الدراسات اللسانية المعاصرة التي تناولت العلاقة بين الموقع الجغرافي والخصائص الصوتية للأداء اللغوي، وتُبين نتائج هذه الدراسة أن اختلاف الموقع الجغرافي بين شمال الهند وجنوبها يؤدي إلى فروقات معتبرة في أنماط الإبدال الصوتي لدى متعلمي اللغة العربية، وذلك نتيجة لاختلاف الخلفيات الفونولوجية للغات الأم السائدة في كل منطقة، ففي حين تنتشر اللغات الهندو-آرية مثل الهندية والأردية والبنجابية في الشمال، تسود في الجنوب اللغات الدرافيدية مثل المالايالامية والتاميلية، وهي لغات تختلف اختلافاً كبيراً في بنيتها الصوتية والوزنية والمقطعية عن العربية.

وقد أشار ويليام لايوف (Labov) إلى هذه الظاهرة مؤكداً أن التمايز الجغرافي في المجتمعات المتعددة اللغات لا يُنتج لهجات فحسب، بل يعيد تشكيل النمط الصوتي والسلوكي للغة المنطوقة، إذ إن "البيئة الجغرافية ليست مجرد وعاء مكاني، بل حاملة للتقاليد التعليمية والاجتماعية التي تُعيد إنتاج اللغة".^(١)

وقد عزز هذا الرأي اللغوي الفرنسي أنطوان ميه بقوله: "اللغة ظاهرة اجتماعية لا يمكن فصلها عن محيطها الجغرافي والاجتماعي؛ إذ تُعيد البيئات المتغيرة إنتاج اللغة وتشكيلها بحسب خصائصها الثقافية والتاريخية".^(٢)

(١) (Labov 2010)

(٢) (Zian 2018)

أولاً: التباين الجغرافي في الأصوات الصامتة

تُشير بيانات الجدول سابقاً إلى تباين واضح في نسب الإبدال الصوتي للأصوات الصامتة بين متعلمي العربية في شمال الهند وجنوبها، وقد شملت هذه الفروقات الأصوات المهموسة الاحتكاكية، والمفخمة، والحلقية، وأشباه الصوائت.

الأصوات الاحتكاكية المهموسة:

(θ / ث) ، [ħ / ح] ، [ð / ذ]؛ جاءت نسب إبدال الثاء (θ / ث) مرتفعة، حيث بلغت ٧٣,٣٣٪ في الشمال و٦٦,٦٧٪ في الجنوب، وهي نسب تُعزى إلى غياب هذا الصوت في معظم اللغات الهندية، ما يدفع المتعلمين إلى استبداله بأصوات قريبة إدراكياً كـ ([s / س] أو [ʃ / ت])، وقد أوضح إبراهيم علام أن "غياب صوت الثاء عن النظام الصوتي في لغات شبه القارة الهندية يجعل تعلّمه صعباً، ويؤدي إلى إبداله بأقرب صوت ممكن من حيث الوضوح والمخرج".^(١)

أما صوت الحاء ([ħ / ح])، فقد تجاوزت نسبة الإبدال فيه ٧٢٪ في كلا المنطقتين، مما يدل على تعقيد الصوتي، ويرى خليل أحمد حسن أن "الأصوات الحنجرية قليلة الوجود في أنظمة اللغات العالمية، وتُمثّل عقبة فعلية في النطق والتعليم لدى المتعلمين غير العرب،^(٢) وبالنسبة إلى صوت الذال ([ð / ذ])، فإن المتعلمين في الشمال أظهروا أداءً أفضل نسبياً، وهو ما فسّره عارف علي بتأثير اللغة الأردية التي تتضمن أصواتاً شبيهة تُسهّل على المتعلمين تقبّل الذال أو تمييزه سمعياً.^(٣)

(١) (علام، ٢٠١٠، صفحة ١٠٨)

(٢) (حسن خ.، ٢٠٠٧، صفحة ١٦١)

(٣) (عارف، ٢٠١٢، صفحة ٢٩)

الأصوات المفخمة: /t/ [ط]، /d/ [ض]، /z/ [ظ]

تُظهر البيانات أن الأصوات المفخمة كانت أكثر عرضة للإبدال في الشمال، مقارنة بالجنوب، وقد أشار عبد العزيز بن عثمان إلى أن "التفخيم يمثل ظاهرة صوتية نادرة عالمياً، ويُعد غريباً على نظام معظم اللغات الهندية، مما يدفع المتعلمين إلى ترقيق الصوت واستبداله بأقرب صوت غير مفخم".^(١)

أما التفسير لانخفاض نسب الإبدال في الجنوب، فيرجعه جلال التميمي وعادة خطاب في دراستهما المشتركة إلى أن "برامج تعليم التجويد المنتشرة في مدارس كيرالا، ولا سيما ذات الطابع الديني، تسهم في تنمية الوعي الصوتي وتدريب المتعلم على النطق المفخم بطريقة وظيفية"

الأصوات الحلقية: /ʕ/ [ع]، /q/ [ق]

تشير النتائج إلى صعوبات كبيرة في نطق الأصوات الحلقية، لا سيما العين /ʕ/ [ع] والقاف /q/ [ق]، وقد بينت نيفين عبد الخالق أن "صوت العين يُعدّ من أكثر الأصوات غموضاً على المستوى الإدراكي، ويُستبدل غالباً بأصوات حلقية أو لثوية، أو يُهمل نهائياً".^(٢)

أما صوت القاف /q/ [ق]، فغالباً ما يُستبدل بـ /k/ [ك]، نتيجة تقارب الصفات الانفجارية بينهما رغم اختلاف المخرج، وهذا النمط من الإبدال يعكس ما يُعرف في الصوتيات بتأثير "السمات المشتركة بين الأصوات" على التصحيح الإدراكي للمتعلم.

(١) (عثمان، الفونولوجيا العربية: مقارنة لسانية تطبيقية، ٢٠١٥، صفحة ١٠٧)

(٢) (عبد الخالق، ٢٠١٣، صفحة ١٣٣)

أشباه الصوائت: [w/و] ([و])

سُجِّلَت نسب مرتفعة من الخطأ في نطق الواو ([w/و])، ويرجع ذلك كما يذكر عبد الستار حجازي إلى اللبس بين الواو الانزلاقية والحركة الطويلة /ū/ [و]، نتيجة غياب التدريب على التمييز بين الأصوات الصامتة وشبه الصائتة في المناهج المخصصة للناطقين بغير العربية.^(١)

ثانياً: التباين الجغرافي في الأصوات الصائتة

تُشير بيانات الجدول الخاص بالتباين الجغرافي سابقاً إلى اختلافات واضحة في نسب إبدال الصوائت بين الشمال والجنوب، وكان أكثرها وضوحاً في نطق الفتحة، والسكون، والتضعيف، واللام المفخمة.

• الفتحة /a/

بلغت نسبة الإبدال في الفتحة ٩٠٪ في الجنوب، مقابل ٨٠٪ في الشمال، مما يعكس صعوبة التمييز الزمني والدقيق للحركات القصيرة، وقد أشار بيتر فليج (Flege) في دراسته الرائدة إلى أن "غياب التمييز بين الحركات القصيرة والطويلة في اللغة الأم يؤدي إلى تسوية صوتية تُفضي إلى إبدالٍ أو دمجٍ نطقي غير دقيق"^(٢)

(١) (حجازي ع.، ١٩٩٩، صفحة ١٢١)

(٢) (Flege 1995)

• السكون

سُجِّلَ السكون بوصفه أكثر الصوائت عرضة للإبدال في الجنوب، وهو ما يُعزى إلى غياب هذه الظاهرة في اللغة المالايالامية، وتشير فاطمة الزهراء نيهان إلى أن "السكون يُمثل انقطاعاً زمنياً لا تُدرکه كثير من اللغات، مما يؤدي إلى إقحام حركة أو تحوير الصامت اللاحق".^(١)

• التضعيف

يرى جون ماك كارثي أن التضعيف يُعد ظاهرة متميزة في العربية، ترتبط بمضاعفة الزمن المقطعي للصوت، وهي بنية غريبة على معظم أنظمة اللغات الهندية.

• اللام المفخمة /ل/

سُجِّلَت أعلى نسب إبدال للام المفخمة في الشمال (٦٦,٦٧٪)، مقابل انخفاضها إلى ٣٠٪ في الجنوب، على عكس المتوقع، ويُرجَّح هذا إلى تأثير التعليم الديني، حيث تبين أن مؤسسات التعليم في الشمال تولي عناية أقل لبرامج التلاوة الصوتية مقارنة بالمدارس الدينية في كيرالا، وقد أشار عبد الله سالم إلى أن "الاختلاف في المناهج بين المؤسسات الإسلامية التقليدية والمدارس الحكومية يخلق فجوة في أداء الأصوات المفخمة".^(٢)

تُظهر النتائج وجود فروق جغرافية دالة في معدل الإبدال الصوتي بين مجموعتي الشمال والجنوب، كما تكشف عن أثر منتظم لموقع الصوت في الكلمة ولفئة الصوت

(١) (الأنصاري، ٢٠٠٨، صفحة ٩٨)

(٢) (سالم ع.، ٢٠٢٠، صفحة ١٤٩)

(صوامت/صوائت/فئات فرعية)، وتتوافق هذه الأنماط مع التفسير الإدراكي-النطقي المؤطر بمبدأ الجهد الأقل وأثر اللغة الأم، وبناءً على ذلك، تُقبل الفرضية العامة كما تُقبل الفرضيات الفرعية المتعلقة بأثر الإقليم وموقع الصوت وفئته، وتُدعم المعطيات النوعية التفسير المقترح

د. أثر موقع الصوت داخل الكلمة على ظاهرة الإبدال الصوتي

يُعدّ موقع الفونيم داخل الكلمة من العوامل الحاسمة في تحديد دقة النطق وجودته لدى متعلمي اللغة الثانية، فقد أظهرت الدراسات الصوتية أنّ الأصوات التي ترد في بداية الكلمة تحظى غالباً بتركيز إدراكي أعلى من المتكلم والمستمع على حدّ سواء، في حين تكون الأصوات في الوسط أكثر تعرضاً للتشويه الصوتي نتيجة لاحتكاكها بسياقات مقطعية متوالية، أما الأصوات في نهاية الكلمة فقد تكون عرضة للضعف أو الحذف بحسب نمط الكلام وسرعته.

وقد أشار سامي الهاشمي إلى هذه الظاهرة موضحاً أنّ "الوسط الصوتي هو أكثر المواقع تعرضاً للاضطراب النطقي، نظراً لتشابك السياقات الصوتية فيه من حيث التنغيم والتتابع الحركي".^(١) ويؤكد تمام حسان أنّ "موضع الفونيم داخل الكلمة يُعد عاملاً بنيوياً يؤثر في درجة وضوح الصوت وسهولة أدائه"، لافتاً إلى أنّ التراكيب المتلاحقة في وسط الكلمة غالباً ما تُضعف من وضوح النطق.^(٢)

(١) (الهاشمي س.، ١٩٩٩، صفحة ١٤٤)

(٢) (حسان، اللغة العربية مبناها ومعناها، ٢٠٠٦، صفحة ٩٨)

تتماهى هذه الرؤية النظرية مع التصميم المنهجي للدراسة الحالية، إذ تم توزيع الأصوات الصامتة في الاختبار الصوتي على ثلاثة مواقع داخل الكلمة (البداية، الوسط، والنهاية)، وتم تحليل نسب الإبدال الصوتي في كل موضع على حدة.

تحليل الأصوات الصامتة حسب الموقع في الكلمة

اعتمد الجدول الخاص بالموضوع سابقاً على رصد نسب الإبدال الصوتي للأصوات الصامتة المدروسة في مواضعها المختلفة داخل الكلمة، وقد كشفت النتائج عن ملامح واضحة في نمط الإبدال، وفق التوزيع التركيبي:

١. الموضع الابتدائي: أعلى نسب الإبدال

تصدّر الصوت شبه الصائت /w/ (واو) قائمة الأصوات الأكثر تعرضاً للإبدال في بداية الكلمة بنسبة بلغت ٨٠٪، وهو ما يُعزى إلى صعوبات التنسيق العضلي المطلوب لإنتاج هذا الصوت الانزلاقي في الموضع الابتدائي، ويُفسّر كمال بشر هذه الظاهرة بقوله: "الصوامت الشبيهة كـ /w/ و /z/ تُعد من أكثر الأصوات اضطراباً عند النطق بها في بداية الكلمة، نظراً لحاجتها إلى توافق دقيق في الجهاز النطقي".^(١)

كما سجّلت نسب مرتفعة في نطق صوت /h/ (حاء) بنسبة ٧٥٪، و /ð/ (ذال) بنسبة ٧٠٪، و /ʕ/ (عين) بنسبة ٦٩٪ في ذات الموقع، وجميعها أصوات حلقيه معروفة بصعوبتها عند المتعلمين من الناطقين بغير العربية، وقد نبّه عبد الصبور شاهين إلى أن "الأصوات الحلقيه تُمثّل حاجزاً إدراكياً

(١) (بشر، علم الأصوات، ٢٠٠٠، صفحة ١٣١)

عند المتعلمين الأجانب، لا سيما إذا وردت في مطلع الكلمة، لعدم وجود ما يُقابلها بدقة في اللغات الأم".^(١)

٢. الموضع الوسيط: أكثر المواضع عرضة للإبدال

أظهرت البيانات أن وسط الكلمة يُمثل النقطة الأضعف في البنية الصوتية، حيث سُجلت نسب إبدال بلغت ٧٨٪ في صوت /h/، و ٧٥٪ في /s/ (صاد)، و ٧٤٪ في /ʔ/ يُفسّر ذلك بالضغط السياقي الواقع على الفونيم الواقع بين صوتين آخرين، وقد أشار تمام حسان إلى أن "الموضع الوسيط في الكلمة هو الأكثر اختناقاً حركياً، ويُنتج فيه المتعلم أعلى نسب من الأخطاء نتيجة تشابك الحركات".^(٢)

ويُعزز هذا الطرح حسن شحاتة، موضحاً أن "الأداء الصوتي في وسط الكلمة يتطلب توازناً دقيقاً بين مرونة الجهاز النطقي وسرعة الإلقاء، ما يضاعف من احتمالية الإبدال أو التشويه".^(٣)

٣. الموضع النهائي: تحسّن نسبي في الأداء

رغم استمرار الإبدال في نهاية الكلمة، إلا أن بعض الأصوات أظهرت أداءً أفضل، حيث انخفضت نسبة إبدال /w/ إلى ٤٠٪، بينما بقيت نسب الإبدال مرتفعة نسبياً في ح/h/ (٧٤٪) و ع/ʔ/ و ض/s/.

(١) (شاهين ع.، دراسات صوتية، ١٩٨٢، صفحة ١٢٢)

(٢) (حسان، اللغة العربية مبناها ومعناها، ٢٠٠٦، صفحة ١١٣)

(٣) (شحاتة ح.، ٢٠٠٠، صفحة ٨٩)

(٧٠٪ لكل منهما)، ويرى عبده الراجعي أن "الصوت في ذيل الكلمة يحظى بمدة زمنية أطول للنطق،

ويقلّ فيه التوتر العضلي، مما يمنح المتعلم فرصة للتحكم الصوتي.^(١)

٤. الأصوات المفخمة: التحدي المتكرّر

أظهرت الأصوات المفخمة /d^ɟ/ (ضاد)، /t^ɬ/ (طاء)، /ð^ɟ/ (ظاء) نسباً متفاوتة من الإبدال، إلا أن أكثرها اضطراباً كان في الموضع الوسيط، كما في الضاد بنسبة ٤٨٪، وقد أشار إبراهيم أنيس إلى أن "إنتاج الصوت المفخم يحتاج إلى اتساع الفم وارتفاع مؤخرة اللسان وشد عضلي خاص، مما يجعله

أكثر تعقيداً في الموضع الوسيط بين حركتين".^(٢)

الصوائت وتغيّر الأداء حسب الموقع

على الرغم من أن الصوائت لم تُحلل إحصائياً حسب موضعها، نظراً لتركيزها في الموضع الوسيط في كلمات العينة، إلا أن المقابلات النوعية مع المعلمين كشفت مظاهر متكررة من الاضطراب في نطق الصوائت بحسب موقعها، منها: استبدال السكون بالفتحة في نهاية الكلمة، وتفكيك التضعيف عند وقوعه في الوسط، واضطراب التمييز السمعي للفتحة في الموضع الابتدائي.

وقد فسّر عبد العلي الودغيري هذه الصعوبات بقوله: "الصوائت العربية لا تُدرك إدراكاً معزولاً، بل في سياقات نطقية محيطية، وكلما تراجعت عن الموضع البارز، ازداد احتمال اضطرابها".^(٣)

(١) (الراجعي، علم الأصوات، ٢٠٠١، صفحة ١٦٢)

(٢) (أنيس، الأصوات اللغوية، ١٩٧٥، صفحة ١٤١)

(٣) (الودغيري، ٢٠٠٨، صفحة ٧٣)

كما تؤكد فاطمة الزهراء الأنصاري أن التضعيف في وسط الكلمة "يتداخل مع الحركات السابقة واللاحقة، ويحتاج إلى تدريب إيقاعي خاص لفصله عن السياق دون أن يُفكّكه المتعلم".^(١)

هـ. العوامل المؤثرة في الإبدال الصوتي

تُعدّ عملية اكتساب النطق الصحيح في اللغة الثانية (L2) من أكثر جوانب التعلّم اللغوي تأثراً بالعوامل الإدراكية والقدرات الفسيولوجية، فالإدراك السمعي يمثل المدخل الأول لتكوين التصوّر الصوتي الصحيح، في حين تحدد القدرات الفسيولوجية مدى تمثّل الأصوات على المستوى النطقي. وتؤكد دراسات علم اللغة النفسي واللسانيات التطبيقية أن المتعلم في بداية تعرضه لنظام صوتي جديد يعتمد على ما يُعرف بـ "التمائل الإدراكي"، أي محاولة إسقاط الصوت الجديد على أقرب صوت مألوف في نظامه الصوتي السابق، مما يُفضي إلى ظاهرة "الإبدال الصوتي".

يشير "Best" إلى أن غياب التمييز الدقيق للفونيم الجديد أو عدم وجود مقابل له في النظام الصوتي للغة الأم يُعدّ من أبرز العوامل المؤدية إلى الإبدال، ويُعزز "Flege" هذا الرأي ضمن نظريته في اكتساب النطق، مشيراً إلى أن المتعلم غير القادر على تمييز الصوت الهدف إدراكياً سيقوم تلقائياً بربطه بأقرب صوت يعرفه.^(٢)

(١) (الأنصاري، ٢٠٠٨، صفحة ١٠٧)

(٢) (Best et al. 1995)، (Flege 1995)

في السياق العربي؛ أكد تمام حسان أن "غياب التمثيل السمعي الدقيق للبنية الصوتية في اللغة العربية لدى المتعلم الأجنبي يؤدي إلى اضطراب نطقي ناتج عن اختلاط الأصوات أو إسقاطها على مثيلاتها في اللغة الأم".^(١)

أما من الناحية الفسيولوجية، فقد أوضح عبد العال السباعي أن بعض الأصوات في العربية تتطلب جهداً عضلياً معقداً وتحكماً دقيقاً في المخرج والزمن الصوتي، مثل (ح /h/) و(ع /ʕ/) و(ص /s/) و(ط /t/)، وهو ما لا يتوفر تلقائياً عند المتعلم إلا بالتدريب النطقي المنهجي.

العوامل الفسيولوجية والإدراكية

أظهرت النتائج أن أصواتاً مفخّمة مثل (ض /d/)، (ظ /z/)، (ص /s/)، (ط /t/) تعرضت لنسب إبدال مرتفعة، تُعزى إلى صعوبات في إنتاجها فسيولوجياً، إذ تتطلب هذه الأصوات رفع مؤخرة اللسان وشدّ عضلي دقيق في منطقة الفم والحنجرة، ويُعلّق محمد سعيد على هذه المسألة قائلاً: "الأصوات الحنجرية والمفخمة من أكثر الأصوات صعوبةً لدى الناطقين بغير العربية، لأنها تقع خارج النطاق النطقي المؤلف لديهم"^(٢)

أما من الناحية الإدراكية، فإن أصواتاً مثل (ذ /ð/)، (ث /θ/)، (ظ /z/) تُعد غير موجودة في المالايالامية والهندية، مما يسبب اضطراباً في التمييز السمعي، ويؤدي إلى استبدالها بأصوات قريبة

(١) (حسان، اللغة العربية مبناها ومعناها، ٢٠٠٦، صفحة ١١٧)

(٢) (سعيد، ٢٠١٢، صفحة ١٤٥)

ك (د/د)، (ت/ت)، (ز/ز)، وقد أشار عبد الله الحسن إلى أن "المتعلمين حين يفتقرون إلى التمييز الإدراكي للأصوات غير المألوفة، يقومون بإسقاطها على أقرب مقابل موجود في ذاكرتهم الصوتية".^(١)

العوامل البيئية والاجتماعية

سُجلت نسب إبدال مرتفعة في نطق صوت (ق/ق)، رغم شيوعه في التلاوة القرآنية، حيث يُستبدل غالباً بـ(ك/ك)، ويُعزى ذلك إلى غياب هذا الصوت في الممارسات اليومية للمتعلمين أو في نماذج النطق المقدمة لهم، وقد أشار Labov إلى أن "الانتظام الاجتماعي في النطق يرتبط بالسياق البيئي ومدى شيوع الصوت في المحيط".^(٢)

كما يؤكّد عبده الراجحي أن "التحولات الصوتية ليست دائماً نتيجة لضعف عضلي، بل قد تنتج عن انتقال خصائص النطق من المعلم إلى المتعلم، حين يغيب النموذج الصوتي السليم".^(٣)

العوامل التعليمية

سُجلت أصوات مثل (ع/ع) و(غ/غ) نسب إبدال عالية رغم وجود أصوات مقاربة لها في اللغة الأم، ويُعزى ذلك إلى غياب التدريب الصوتي المنتظم، مما يمنع المتعلم من إدراك الفروقات الدقيقة بين الصوت الهدف والمقابل القريب، وقد أكدت أن "غياب التدريب السمعي واللفظي المنهجي يؤدي إلى تثبيت الإبدال الصوتي، مما يجعله صفة مستقرة يصعب تجاوزها في المراحل المتقدمة"

(١) (الحسن ع.، علم اللغة النفسي، ٢٠٠٦، صفحة ٨٣)

(٢) (Labov 2004)

(٣) (الراجحي، دراسات في علم اللغة، ١٩٩٥، صفحة ١٣٣)

ويُعزز ذلك تأثير "الإملاء على النطق"، حين يظن المتعلم أن النطق صحيح لمجرد مطابقته للإملاء، متجاهلاً الفروقات الفونولوجية الدقيقة.

التداخل من اللغة الأم

أظهرت البيانات أن أصواتاً كـ (ث /θ/) و (ذ /ð/) تُستبدل غالباً بأصوات موجودة في اللغة الأم، مثل (ت /t/) و (د /d/)، وتُعد هذه الظاهرة نموذجاً لما يُعرف بـ "التحويل السلبي"، حين يُستدعى النظام الصوتي الأصلي للتعامل مع صعوبة إنتاج الفونيم الهدف، ويؤكد "Terence Odlin" ذلك بقوله: "عندما يغيب الفونيم الهدف في النظام الصوتي للغة الأم، يلجأ المتعلم تلقائياً إلى أقرب صوت مألوف ضمن مخزونه الفونولوجي".^(١)

عامل الجهد العضلي

تميل الأصوات التي تتطلب مجهوداً عضلياً كبيراً، مثل (ض /d/)، (ط /t/)، (ق /q/)، إلى الإبدال بأصوات يسهل نطقها، مثل (د /d/)، (ت /t/)، (ك /k/)، وقد ذكر محمد الجوهري أن "الناطق بلغة أجنبية يميل إلى تقليل الجهد النطقي متى ما كان الصوت الهدف ثقيل الأداء أو يتطلب مرونة عضلية غير معتادة".^(٢)

ضعف الوعي الفونولوجي: أظهرت المقابلات أن العديد من المتعلمين لا يلحظون الإبدال الذي يحدث في نطقهم، مما يكشف عن غياب الوعي الفونولوجي، وقد أشار Yavaş إلى أن "ضعف الإدراك

(١) (Odlin 1989)

(٢) (الجوهري، ١٩٩٥، صفحة ١٦٥)

الفونولوجي يحول دون اكتساب التمييز بين الفونيمات في اللغة الثانية، ويُثبت أنماط الإبدال بشكل غير واعٍ^(١).

تبيّن من خلال هذا المحور أن الإبدال الصوتي ليس ظاهرة عشوائية أو ناتجة عن ضعف فردي، بل هو نتيجة تفاعل معقد بين ستة أنماط من العوامل المؤثرة:

١. العوامل الفسيولوجية (تعقيد المخرج، الجهد العضلي).

٢. العوامل الإدراكية (غياب التمييز السمعي).

٣. العوامل البيئية (غياب الصوت في المحيط).

٤. العوامل التعليمية (ضعف التدريب المنهجي).

٥. تأثير اللغة الأم (التحويل السلبي).

٦. ضعف الوعي الفونولوجي.

تُبرز هذه النتائج الحاجة إلى خطط تدريب صوتي متخصصة تُراعي هذه الأبعاد، وتُعزز من كفاءة المتعلم عبر مراحل إدراكية ولفظية متكاملة، كما يُوصى بإجراء اختبارات إدراكية قبل الشروع في التعليم النطقي، لتحديد الأصوات الأكثر عرضة للإبدال، وضبط التدخل التربوي بناءً على ذلك.

و. أثر اللغة الأم واستراتيجيات الاكتساب ومبدأ الجهد الأقل

تُعدّ ظاهرة الإبدال الصوتي إحدى أكثر الظواهر بروزاً لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى، إذ تُعبّر عن تفاعل عميق بين البنية الإدراكية والصوتية لدى المتعلم من جهة، وبين النظام

(١) (Yavas and Yildirim 2011)

الفونولوجي للغة الأم (L1) ومكونات اللغة الهدف (L2) من جهة أخرى، وقد أكدت الدراسات اللسانية أن الإبدال الصوتي لا يُعد خطأ عرضياً، بل هو ناتج عن منظومات تفسيرية متداخلة تشمل: تأثير اللغة الأم، واستراتيجيات الاكتساب، ومبدأ الجهد الأقل، وهو ما يُفسر تفاوت الأداء الصوتي بين المتعلمين في سياقات لغوية مختلفة.

تُبرز هذه الظاهرة إذاً مجموعة من المحددات الصوتية التي تؤثر على نطق الفونيمات العربية، لا سيما تلك غير الموجودة في اللغات الهندية واللغات الدرافيدية، حيث يُعاني المتعلمون من صعوبات إدراكية ونطقية متفاوتة تعكس مدى تعقيد الاندماج الصوتي في اللغة الثانية.

وقد كشفت بيانات الدراسة أن العوامل الثلاثة الآتية تشكل محاور تفسيرية رئيسة في الإبدال:

١. اللغة الأم (L1): بما تحمله من نظام فونولوجي ومخزون صوتي يؤثر على إدراك الأصوات الجديدة وتمثيلها ذهنياً.

٢. مبدأ الجهد الأقل: باعتباره عاملاً فيسيولوجياً يُفسر ميل المتعلمين إلى تبسيط الأصوات أو استبدالها بأخرى أسهل نطقاً.

٣. استراتيجيات الاكتساب: بوصفها محدداً تعليمياً يؤثر على دقة النطق وتثبيت الأخطاء أو تصحيحها.

وستُنَاقش فيما يلي هذه العوامل الثلاثة بصورة مفصلة، مع ربطها بالأصوات المحددة الواردة في الجدول الخاص، وتوثيقها بالمراجع العلمية.

أولاً: تأثير اللغة الأم (L1)

١. التداخل الفونولوجي

تُعدّ الأصوات غير الموجودة في اللغة الأم – مثل (ث /θ/)، (ذ /ð/)، و(ظ /z/) – من أبرز الأصوات عرضةً للإبدال الناتج عن التداخل الصوتي، إذ يستعيز المتعلم عنها بأصوات قريبة في المخرج أو الصفة، وهذا التداخل ناجم عن إسقاط البنية الصوتية الأصلية على اللغة الثانية، وقد أشار الهاشي إلى هذه الظاهرة بقوله: "الأصوات غير المألوفة في جهاز النطق الأصلي للمتعلم تُستبدل غالباً بأصوات مألوفة وسهلة النطق"،^(١) كما أكد الشقيري أن الأصوات المفخمة – ك(ص /s/)، (ط /t/)، (ض /d/) – تواجه مقاومة إدراكية، تؤدي إلى تسويتها بأصوات مرققة.^(٢)

٢. أثر اللغة الأم في الحركات والسكون

أشارت البيانات إلى صعوبات ملحوظة في نطق الحركات القصيرة: (فتحة /a/)، (ضمّة /u/)، (كسرة /i/)، نتيجة لاختلاف البنية المقطعية في اللغات الأم، وهو ما يسبب إبدالاً أو خلطاً بين هذه الحركات.

علّق السباعي على هذه الظاهرة بقوله: "ضعف التمييز بين الحركات القصيرة والطويلة يرجع إلى غياب تلك الفوارق في اللغة الأم"،^(٣) أما السكون واللام المفخمة (كما في كلمة الله)، فهما مفهومان غير متجذرين في بعض اللغات الهندية، مما يسبب ارتباكاً نطقياً، وقد أشار الحسن إلى أن "إدراك

(١) (الهاشي س.، ١٩٩٩، صفحة ٩٥)

(٢) (الشقيري، ٢٠١٢، صفحة ١١٣)

(٣) (السباعي، ٢٠٠٥، صفحة ٨٤)

السكون باعتباره حيزاً خالياً من الحركة، يشكل صعوبة واضحة"، وكذلك فإن نطق اللام المفخمة يتطلب جهداً دقيقاً غير معتاد.^(١)

ثانياً: مبدأ الجهد الأقل

يرتكز هذا المبدأ على التفسير الفيزيولوجي للإبدال الصوتي، حيث يُفضل المتعلم استخدام أصوات أسهل من حيث الجهد العضلي والتنفس النطقي، خاصة في غياب التدريب المهاري، وقد أظهرت الدراسة أن الأصوات التالية كانت الأكثر تأثراً بهذا المبدأ:

١. (ح /h/)، (ع /ʕ/)، (غ /ɣ/)

٢. (ق /q/)، (ط /t/)، (ض /d/)، (ص /s/)

وقد بين ابن جني أن "اللسان يطلب الخفة في النطق ويميل إلى الأسهل منهاجاً"،^(٢) ويؤكد الراجحي هذه النتيجة بقوله: "الإبدال في الأصوات الثقيلة هو استجابة لغوية طبيعية لحاجز فيزيولوجي"^(٣)

ثالثاً: أثر استراتيجيات الاكتساب

يرتبط أداء المتعلم في نطق الفونيمات الجديدة بطبيعة استراتيجيات الاكتساب، وخاصة درجة الاعتماد على السماع والتكرار، أو التلقين المجرد، وقد ظهر ذلك جلياً في أصوات مثل: (و /w/)، والتضعيف (كما في: مطّاط، صَبّار)، واللام المفخمة (كما في: اللهم).

(١) (الحسن ك..، الصوتيات العربية: مدخل تطبيقي تعليمي، ٢٠١٢، صفحة ١٢٩)

(٢) (ابن جني، الخصائص، ١٩٥٨، صفحة ٦٥)

(٣) (الراجحي، دراسات في علم اللغة، ١٩٩٥، صفحة ١٠١)

يُبرز بلحاج أهمية التدريب العملي المباشر، خاصة للأصوات المضعفة أو الانزلاقية، والتي يصعب التحكم بها إلا من خلال برامج صوتية ناطقة.^(١)

تشير نتائج التحليل إلى أن الإبدال الصوتي لدى متعلمي العربية لا ينبع من عامل منفرد، بل من تفاعل مركب بين: الأثر البنيوي للغة الأم (L1)، والميل الفيسيولوجي نحو التيسير الصوتي (مبدأ الجهد الأقل)، الفجوة بين التعلم النظري والتدريب السمعي/التفاعلي (استراتيجيات الاكتساب) وقد ساعد الجدول الخاص بتصنيف الأصوات بناءً على العامل الأكثر تأثيراً فيها، مما أتاح للباحث تقديم تفسير علمي متكامل مدعوم بأدلة كمية ونوعية، متجاوزاً الطرح الوصفي إلى طرح تفسيري منهجي، وبذلك يكون الهدف السادس من الدراسة قد تحقق في ضوء الربط بين المعطيات التطبيقية والأسس النظرية، مع تعزيز الوعي التربوي بالصعوبات الصوتية التي يواجهها متعلمو العربية الناطقون بغيرها في البيئات متعددة اللغات.

ز. التفسير العام لظاهرة الإبدال الصوتي

بعد الانتهاء من تحليل النتائج السابقة المتعلقة بالأصوات الصامتة والصائتة، وربطها بالعوامل الثلاثة الرئيسة (اللغة الأم، الجهد الأقل، وطريقة الاكتساب)، بات من الممكن تقديم تفسير علمي متكامل لهذه الظاهرة كما ظهرت في الأداء الصوتي للمشاركين في الدراسة، وسيتم بناء هذا التفسير من خلال دمج المعطيات الكمية التي أظهرتها الجداول الإحصائية (النسب المئوية، اختلاف الأداء بين الشمال والجنوب، السياق الصوتي... إلخ)، والمعطيات النوعية المستندة إلى المقارنة بين النظام

(١) (بلحاج، ٢٠١٤، صفحة ١١٩)

الصوتي للغة العربية ونظام اللغة الأم (المالايالامية أو الهندية)، مع توظيف مفاهيم علم الصوت والنظريات اللسانية، سيُعرض التفسير ضمن المحاور الثلاثة الآتية:

أولاً: تأثير اللغة الأم في توليد الإبدالات الصوتية

أظهرت النتائج أن كثيراً من الإبدالات ناتجة بشكل مباشر عن اختلاف النظام الفونولوجي للغة الأم، حيث يُلاحظ غياب بعض الأصوات العربية المستهدفة في المالايالامية أو الهندية، ما يدفع المتعلم إلى استبدالها بما هو أقرب إليها في لغته الأم، من ذلك:

١. الصوت (ث /θ/) تم استبداله غالباً بالصوت (س /s/) أو (ت /t/) في شمال الهند، نظراً لغياب

الصوت /θ/ من المنظومة الهندية، وقد أشار الهاشي في "الصوتيات العربية" إلى أن الأصوات

غير الموجودة في لغة المتعلم تُعد أكثر الأصوات عرضة للإبدال.^(١)

٢. الصوت (ذ /ð/) يُستبدل كثيراً بـ (د /d/)، كما أشار السباعي في "علم الأصوات" إلى أن الأصوات

بينية المخرج تُسبب لبساً بين النطق والتمييز السمعي لدى الناطقين بغير العربية^(٢).

٣. الصوت (ظ /z/) غالباً ما يُستبدل بالصوت (ز /z/) أو (ض /d/) بسبب تقاربها في الصفة

واختلاف درجة التفخيم، وهو ما يوافق ما ذكره الشاوي في التداخل الفونولوجي بين العربية

واللغات الهندية.

(١) (الهاشي ١٩٩٩، ص: ١٢٢)

(٢) (السباعي ٢٠٠٥، ص: ١٢٨)

يتضح إذاً أن غياب الصوت العربي من النظام الصوتي للغة الأم يُعد محفزاً قوياً للإبدال، ويؤكد أن اللغة الأم تلعب الدور الحاسم في توجيه عملية النطق لدى المتعلم، لا سيما في مرحلة الإنتاج الأولي.

ثانياً: الجهد الأقل وميله نحو التخفيف الصوتي

من خلال تحليل نتائج بعض الأصوات، تبين أن المتعلمين لجأوا إلى أصوات بديلة لسهولة نطقها وليس لغياب الصوت من لغتهم الأم، ويتضح ذلك في:

١. الصوت (ق /q/) الذي استُبدل بـ(ك /k/)، رغم وجوده في بعض اللهجات، إلا أن نطقه يتطلب جهداً حقيقياً أكبر، وقد فُسر ذلك بأنه نتيجة الميل الفطري نحو التيسير الصوتي.

٢. الصوت (ص /s/) المفخم يُستبدل بـ(س /s/) لتقليل الجهد الناتج عن التفخيم، وهو ما أشار إليه "الحملاني" في سياق شرح ظاهرة التبسيط الصوتي عند الأطفال والمتعلمين.^(١)

٣. الصوت (ض /d/) يُستبدل بـ(د /d/) في كثير من السياقات، بسبب الجهد العضلي المضاعف لنطق الضاد، والذي لا يوجد مثيل له في معظم اللغات.

وتُفسر هذه النتائج في ضوء مبدأ الجهد الأقل الذي صاغه (Zipf, 1949) في علم اللغة النفسي، والذي ينص على أن الإنسان في خطابه يسعى لتقليل الجهد العضلي والإدراكي قدر الإمكان.

(١) (الحملاني ١٩٩٣، ص: ٧٩)

ثالثاً: دور طريقة الاكتساب في رسوخ الإبدالات

ترتبط بعض الإبدالات بنمط التعليم الذي تعرض له الطالب أكثر من ارتباطها بالبنية الصوتية أو الجهد العضلي، كما في:

١. الصوت (ع / ʕ/) الذي كثيراً ما يُهمل أو يُستبدل بـ(ء / ʔ/) أو يسقط كلياً، رغم أنه ليس صعباً من حيث الموضع الصوتي، لكن ضعف التركيز عليه في الدروس يُضعف اكتسابه، وقد لاحظ الشقيري في كتابه "الصوتيات اللغوية التطبيقية" أن غياب النمذجة الصوتية السليمة يؤدي إلى ترسيخ النطق الخاطئ.^(١)

٢. الصوت (غ / ɣ/) كذلك يُستبدل غالباً بـ(ك / k/) أو (هـ / h/)، نتيجة ضعف التدريب السمعي على إدراك الفرق بين الغين والأصوات الخلفية الأخرى، خاصة في المرحلة الابتدائية التي تغلب عليها الطرق التقليدية في تعليم النطق.

٣. في حركات التضعيف (مثل صَبَّار) لوحظ غياب التمييز في الأداء، مما يدل على ضعف التلقي التكراري للنماذج الصوتية الصحيحة.

إن تفسير ظاهرة الإبدال الصوتي لدى المتعلمين الهنود يقتضي تجاوز التفسير الأحادي إلى مقارنة تكاملية، تستند إلى تفاعل ثلاثة مستويات رئيسية: الفونولوجيا الأم، والإدراك الحسي النطقي، والطريقة التعليمية، وتُظهر الدراسة أن كل صوت يخضع لمحدد خاص، وأن كثيراً من الأخطاء

(١) (الشقيري ٢٠١٢، ص: ٢٠٤)

يمكن تداركها ببرامج نطق مركّزة تأخذ بعين الاعتبار الجهد النطقي والفروق الفونولوجية وتنوع أنماط الاكتساب.

بعد استعراض النتائج وتحليلها ومقارنتها في ضوء الأهداف البحثية الستة، يتضح أن ظاهرة الإبدال الصوتي لدى متعلمي اللغة العربية في الهند ليست مسألة عرضية أو أخطاء فردية، بل هي نتاج تداخل معقد بين عوامل لغوية وفيسيولوجية وجغرافية وإدراكية، وقد كشفت المناقشة عن تفاوت في أنماط الإبدال بين الأصوات الصامتة والصائتة، وتفاوت آخر بين شمال الهند وجنوبها، مما يُبرز الأثر العميق للهجات المحلية واللغات الأم في تشكيل الأداء النطقي، كما أظهرت النتائج أن بعض الإبدالات تُعبّر عن اختلال في التمثّل الإدراكي للفونيم، بينما يشير بعضها الآخر إلى تأثير نماذج مكتسبة ومبادئ اقتصادية في إنتاج الصوت، كفكّ التضعيف، أو تحويل السكون إلى فتحة، أو استبدال الحروف الحلقية بحروف أكثر يسراً نطقياً.

استندت هذه المناقشة على الفرضية العامة التي ترى الإبدال الصوتي لدى متعلمي العربية في الهند ظاهرةً منتظمة تتشكّل بتفاعل عوامل إدراكية-نطقية وتعليمية؛ كما تُقرّر قبول الفرضيات الفرعية المتعلقة بأثر الإقليم (شمال/جنوب) وبأثر موقع الصوت في الكلمة وفتته، مع إسناد نوعي واضح من شواهد المقابلات والملاحظات، وفي المقابل؛ تُظهر البيانات مؤشرات أولية على تفاعلات بين بعض هذه العوامل، غير أنّها لا تتيح حكماً تعميمياً قاطعاً وتستدعي مزيداً من التحقق في أعمال لاحقة، وبناءً على ذلك؛ تُعيد النتائج النظر في بعض المسلّمات التقليدية في تدريس النطق العربي للناطقين بغيرها، وتدفع نحو تصوّر أشمل يراعي بنية اللغة الأم للمتعلّمين وطرائق التعلّم ومستوى التعرّض السمعي للنموذج الفصيح.

وعليه؛ فإنّ هذه الدراسة لا تقتصر على توثيق أنماط الإبدال الصوتي ورصد مظاهره الجزئية، بل تتجاوز ذلك إلى فتح أفقٍ نظريٍّ أوسع يُعيد تموضع الظاهرة ضمن سياق البحث اللساني التطبيقي، حيث يتقاطع البعد الصوتي-الإدراكي مع مكوّنات الهوية اللغوية والثقافية للمتعلمين. كما تُسهم النتائج في تعزيز الجهود الرامية إلى بناء مناهج نطقٍ عربيٍّ أكثر مرونة، تتبنّى مقاربةً تفاعليّة تدمج بين التحليل التجريبي للبيانات الصوتيّة والممارسات البيداغوجيّة الميدانيّة، ومن ثمّ؛ يغدو هذا البحث خطوة تأسيسيّة نحو بلورة نموذج تفسيريٍّ متكامل، يوفّق بين النظريّات اللسانيّة الحديثة ومتطلّبات التعليم الفعلي في البيئات متعدّدة اللغات، ويّتيح إمكانيّة تطوير أدواتٍ تشخيصيّة وتدريبية تستند إلى رصد الفروقات الصوتيّة الدقيقة وتستثمرها في خدمة الكفاية النطقية التواصلية.

تمثّل هذه الخلاصات منصّة معرفيّة صلبة للانتقال إلى فصل الخاتمة، حيث تُجمّع أبرز المستخلصات النظرية والعملية وتُعرض توصياتٍ تربويّة تطبيقية، إلى جانب مقترحاتٍ بحثيةٍ مستقبليةٍ لتطوير تعليم النطق على أسسٍ علميّة تراعي التباينات الصوتيّة والبيئية والاجتماعية لدى المتعلّمين.

الخاتمة

تكشف هذه الدراسة، من خلال تحليل معمّق لظاهرة الإبدال الصوتي في نطق الفونيمات العربية لدى المتعلمين الناطقين بغيرها في البيئة الهندية، أن هذه الظاهرة ليست عرضية ولا ناتجة عن عوامل طارئة، بل تمثل نسقاً منتظماً يعكس تفاعلاً معقّداً بين العوامل الفونولوجية والإدراكية والنطقية والتعليمية، وقد أتاح اعتماد منهج بحثي مختلط، يجمع بين المعطيات الكمية والتحليلات النوعية، فحص الظاهرة في مستوياتها المختلفة من خلال اختبار نطقي مسجّل ومقابلات شبه منظّمة وملاحظات ميدانية طبّقت على عيّنة مكوّنة من ستين مشاركاً، مع ضمان الصدق والموثوقية عبر التثليث المنهجي للأدوات والإجراءات.

دعمت النتائج الفرضية العامة التي تقرّر أنّ الإبدال الصوتي يتشكّل من تفاعل عوامل إدراكية-نطقية وتعليمية متأثرة ببنية اللغة الأم، وأنه ليس متجانساً في جميع البيئات، بل يخضع لتباينات جغرافية وفروق في موقع الصوت في الكلمة وفئته الصوتية، كما أكدت النتائج قبول الفرضيات الفرعية المرتبطة بهذه العوامل، في حين ظلّت مؤشرات التفاعل بين بعض المتغيرات بحاجة إلى مزيد من التحقق قبل الجزم بطبيعتها.

أظهر التحليل أن الصوامت العربية، ولا سيما الحلقية والمفخمة وبعض الانفجارية، تمثل بؤراً بارزة للإبدال نظراً لما تتطلبه من جهد نطقي عالٍ ودقة في الضبط الحركي، فضلاً عن غياب التعوّد عليها في اللغة الأم للمتعلمين، وقد كشفت المعطيات عن تكرار اضطراب هذه الأصوات على نحو يعكس ثقلها الحركي وصعوبتها الإدراكية، الأمر الذي يبرز الحاجة إلى تدريبات متدرجة تراعي الانتقال من

الأصوات الأسهل إلى الأكثر تعقيداً، كما بيّنت النتائج أن الصوائت بدورها شديدة التعرض للإبدال، نظراً لاختلاف الكمّ والكيفية عن نظائرها في النظم الصوتية المحلية، الأمر الذي يتطلب تدخلاً تدريبياً متخصصاً لضبط المدة الصوتية والجودة النطقية وتحقيق التوازن الصوتي في الأداء.

واتّضح أن التباين الجغرافي ينعكس بوضوح على الأداء الصوتي، إذ أظهرت المقارنات بين متعلمي الشمال والجنوب فروقاً معتبرة تُعزى إلى اختلاف الجذور اللسانية، وتباين البرامج التعليمية، ومستوى التعرّض للنموذج الفصيح، كما أوضحت النتائج أن موضع الصوت في الكلمة، وخاصة في الوسط، يرتبط بزيادة واضحة في نسب الإبدال بسبب احتدام التداخل الصوتي بين العناصر المجاورة وارتفاع متطلبات التحكم العضلي.

وأبرزت الدراسة كذلك أثر العوامل الفسيولوجية والإدراكية، حيث لوحظ انخفاض متفاوت في الوعي الفونولوجي لدى بعض المتعلمين، مما يعيق قدرتهم على إدراك الأخطاء النطقية وتصحيحها، إلى جانب التحديات الميكانيكية في إنتاج الأصوات بدقة، وأخيراً، تبين أن تأثير اللغة الأم ومبدأ الجهد الأقل يحفّزان المتعلم على استبدال الأصوات الأصعب بأخرى أكثر ألفة وسهولة في النطق، وهو ما يفسر كثيراً من الأنماط المرصودة ويوجّه نحو تصميم تدخلات تعليمية تتدرج في تقديم الأصوات غير المألوفة مع مراعاة قدرات المتعلمين.

تقدّم هذه الدراسة فهماً متكاملًا للإبدال الصوتي وعلاقته بالعوامل المحيطة، بما يدعم تطوير برامج أكثر فاعلية لتحسين نطق العربية للناطقين بغيرها.

التوصيات

بناءً على ما أظهرته نتائج هذه الدراسة من أنماط إبدال صوتي ممنهج في نطق الفونيمات العربية لدى متعلمي العربية الناطقين باللغات الهندية، وبالأستناد إلى التحليل الكمي والنوعي الموسّع للبيانات، يمكن تقديم التوصيات الآتية، موزعة وفق المستويات المؤسسية والعلمية ذات العلاقة:

أولاً: على مستوى صانعي القرار (وزارات التعليم والمؤسسات العليا):

توصى الجهات الرسمية المعنية بتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها بضرورة إعادة هيكلة المناهج الصوتية في ضوء نتائج الدراسات الميدانية التي تكشف الفروقات الفونولوجية بين العربية واللغات الأم للمتعلمين، ويتضمن ذلك إدراج وحدات تدريبية متخصصة في النطق تركز على الأصوات الإشكالية التي تكررت في هذه الدراسة، وتوفير دعم لوجستي لتحديث البرامج التدريبية الموجهة لمعلمي الأصوات من خلال برامج إعداد صوتي دقيق، يُراعي الفروق الجغرافية واللغوية للبيئة الهندية متعددة اللغات.

ثانياً: على مستوى المؤسسات التعليمية والمراكز اللغوية:

يوصى بتأسيس مختبرات صوتية تعليمية داخل معاهد ومراكز تعليم اللغة العربية، تكون مجهزة ببرمجيات تحليل النطق (مثل PRAAT أو ELAN) وأجهزة تسجيل عالية الدقة، وتُستخدم هذه المختبرات في تقديم تدريبات صوتية فردية تركز على نطق الفونيمات الأكثر عرضة للإبدال، كما يُقترح اعتماد آلية "التقييم التكويني للنطق" بشكل دوري لقياس مدى تحسّن الأداء الصوتي، وربط هذه النتائج بالتخطيط التعليمي الفردي.

ثالثاً: على مستوى الباحثين المتخصصين في علم اللغة التطبيقي:

ينبغي على الباحثين في ميدان تعليم العربية للناطقين بغيرها توجيه الجهود العلمية نحو إجراء دراسات مقارنة بين الفئات الجغرافية والاجتماعية في البيئات غير العربية، مع التركيز على الأصوات التي ظهرت بوصفها أكثر حساسية للتأثيرات اللغوية الأم، كما يُوصى ببناء كوربوس صوتي متدرّج يمثل أنماط النطق في مختلف المراحل التعليمية، بغرض إثراء قواعد البيانات المعجمية والصوتية التي يمكن الاستفادة منها في بناء مناهج نطقية قائمة على الدليل العلمي.

رابعاً: على مستوى المتعلمين ومطوري المحتوى التعليمي:

تُوصى فئة المتعلمين بتبني استراتيجيات تدريب صوتي يومي، تتضمن الاستماع النشط للنماذج الفصيحة، والتقليد النطقي الواعي، والتسجيل الذاتي، والمقارنة بين النطق الشخصي والنموذج الأصلي، كما يُوصى مصممو المحتوى الرقمي بإنتاج تطبيقات ذكية تفاعلية تركّز على التمارين الإدراكية والفونولوجية، وتقدم تقييماً فورياً لأداء المتعلم مع تغذية راجعة واضحة تعتمد على فروقات الفونيمات بين اللغات الأصلية والعربية.

المقترحات البحثية

تأسيساً على ما سبق من توصيات، وانطلاقاً من الحاجة المستمرة إلى تطوير أساليب تعليم النطق العربي في البيئات غير العربية، تقترح هذه الدراسة ما يلي:

١. تصميم دليل تدريبي صوتي:

إعداد دليل تدريبي نطقي متخصص يستند إلى نتائج الدراسة الحالية، ويُخصص للناطقين بالملايالية والهندية، ويتضمن أنشطة عملية تستهدف كل صوت معرّض للإبدال، مع شرح مرئي ومسموع لكيفية إنتاجه وتجاوزه.

٢. تطوير تطبيق إلكتروني قائم على الذكاء الاصطناعي:

اقترح بناء تطبيق تفاعلي ذكي قادر على التعرف التلقائي على أخطاء النطق الصوتي، وتصحيحها آنياً، بالاستناد إلى قاعدة بيانات محلية مستمدة من أداء المتعلمين الهنود في البيئة الصفية.

٣. إنشاء وحدة تعليمية قائمة على الوعي الصوتي:

اقترح تصميم وحدة تدريسية متخصصة في تنمية الوعي الفونولوجي، تُدمج في المرحلة التمهيديّة لتعلم العربية، بحيث تسبق تعلم المهارات المعجمية أو النحوية، وتُركّز على إدراك الاختلافات الصوتية الأساسية بين اللغتين.

٤. إجراء دراسة طولية تربط النطق بالأداء العام:

اقترح تنفيذ دراسة طولية متعددة المستويات، ترصد تطور النطق لدى المتعلمين عبر الزمن، وتقيس العلاقة بين جودة الأداء الصوتي ومدى تقدّم المتعلم في الفهم القرائي، والتعبير الكتابي، والاتصال الشفهي.

المراجع باللغة العربية

- إبراهيم السّمرائي. *التطور اللغوي التاريخي*. المجلد الطبعة الثانية. بيروت- لبنان: دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨١م-١٤٠١هـ
- إبراهيم أنيس. *الأصوات اللغوية*. القاهرة: مكتبة نهضة مصر ومطبعها بمصر، ١٩٧٥.
- —. *في اللهجات العربية*. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣.
- —. *من أسرار اللغة*. المجلد ٢. القاهرة: مكتبة أنجلو المصرية، مطبعة البيان العلمي، ١٩٦٦.
- إبراهيم محمد نجا. *اللهجات العربية*. القاهرة: دار الحديث، ٢٠١٦م.
- أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش بن أبي السرايا ابن يعيش. *شرح /مفصل للزمخشري*. بيروت - لبنان، قدم له: إميل بديع يعقوب: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م-١٤٢٢هـ
- —. *شرح الملوكي في التصريف*. المجلد الطبعة الأولى. حلب، تحقيق: د. فخر الدين قبّاوة: المكتبة العربية، ١٩٧٣م، ١٣٩٣هـ
- أبو الحسن علي الحسني الندوي. *المسلمون في الهند*. لكانا-الهند: ندوة العلماء، ١٩٧٦م.
- أبو الطيب اللغوي. *الإبدال*. تحرير عز الدين التنوخي. دمشق: مطبوعات المجمع العربي، ١٩٦٠-١٩٦١.
- أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المبرد. *الكامل في اللغة*. بيروت - لبنان، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم: مكتبة المعارف، ١٩٩٧م-١٤١٧هـ
- —. *لمقتضب*. القاهرة-مصر، تحقيق: الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٦٣م-١٣٨٨هـ
- أبو الفتح عثمان ابن جني. *الخصائص*. تحرير تحقيق: محمد علي النجار. القاهرة: دار الكتب المصرية، القسم الأدبي، ١٩٥٨.
- —. *سر صناعة الإعراب*. تحرير دراسة وتحقيق: حسن هندراوي. المجلد ١. دمشق: دار القلم، ١٩٨٥.

- أبو بشر عثمان بن قنبر سيبويه. *الكتاب*. بيروت- لبنان، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون: دار الجيل، ١٩٩١م-١٤١١هـ.
- أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه. *الكتاب*. المجلد الطبعة الأولى. بيروت، تعليق: إميل بديع يعقوب: دار الكتب العلمية، ١٩٩٩.
- أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ابن دريد. *جمهرة اللغة*. بيروت، تحقيق: رمزي منير بعلبكي: دار العلم للملايين، ١٩٨٧.
- أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء. *كتاب فيه لغات القرآن*. تحرير ضبطه وصححه: جابر بن عبد الله السريع. الرياض - السعودية: الكتاب إهداء من المحقق - جزاه الله خيرا - إلى المكتبة الشاملة، الكتاب غير مطبوع، وترقيم الصفحات موافق لنسخة المحقق، ١٤٣٥هـ.
- —. *معاني القرآن*. تحرير تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي. المجلد الطبعة الأولى. القاهرة-مصر: دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، ١٩٩٠م.
- أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله الطائي الجبائي ابن مالك. *تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد*. تحرير المكتبة العربية، وزارة الثقافة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، بالاشتراك مع المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية. القاهرة، مصر، حققه وقدم له: محمد كامل بركات، ١٩٦٧م-١٣٨٧هـ.
- أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي. *سر الفصاحة*. المجلد الطبعة الأولى. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٢م.
- أبي الحسن أحمد بن فارس الرازي اللغوي ابن فارس. *الصاحي في فقه اللغة العربية*. تحرير محمد الشويبي. بيروت: مكتبة المعارف، ١٩٦٤.
- —. *معجم مقاييس اللغة*. بيروت، تحقيق: عبد السلام هارون: دار الجيل، ١٩٩١م-١٤١١هـ.
- أبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي. *الإبدال والمعاقبة والنظائر*. دمشق، حققه وقدم له وشرحه: عزالدين التنوخي: المجمع العلمي العربي، ١٩٦٢م-١٣٨١هـ.

- أبي علي الحسين بن عبد الله ابن سينا. أسباب حدوث الحرف. تحرير تحقيق: محمد حسان الطيان، يحيى مير علم. دمشق: مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٨٣.
- أحمد إبراهيم مصطفى الهاشمي. الصوتيات العربية دراسة في أصوات العربية من حيث البناء والوظيفة. دار القلم، دمشق، ١٩٩٩.
- أحمد بن زين الدين بن محمد الغزالي المخدم. تحفة المجاهدين في أحوال البرتغاليين. كاليكوت، قدم له وحققه وعلق عليه: محمد سعيد الطريحي: مكتبة الهدى، ١٩٩٦ م.
- أحمد بن محمد الحملاني. في فقه اللغة العربية. ١٩٩٣.
- أحمد بن مرسل. مناهج البحث العلمي في علوم الإعلام والاتصال. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ٢٠٠٥ م.
- أحمد حسن أحمد الفقية. "تصميم البحث النوعي في المجال التربوي مع التركيز على بحوث تعليم اللغة العربية". *International Journal of Educational Psychological Studies*، ٢٠١٧ م.
- أحمد شفيق الخطيب. منهج البحث اللغوي بين النظرية والتطبيق. دار النهضة العربية، ١٩٩٧.
- أحمد علم الدين الجندي. اللهجات العربية في النظامين الصوتي والصرفي. القاهرة: الدار العربية للكتاب، ١٩٨٣ م.
- أحمد فارس الشدياق. سر الليالي في القلب والإبدال. الأستانة- تركيا: مطبعة العامرة السلطانية بالأستانة، ١٨٦٨ م- ١٢٨٤ هـ.
- أحمد مازن الشقيري. الصوتيات اللغوية التطبيقية. دار المعرفة، صنعاء، ٢٠١٢.
- أحمد محمد قدور. علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية. عالم الكتب الحديث، عمان، ٢٠٠٩.
- —. مبادئ اللسانيات. المجلد الطبعة الثانية. دمشق: دار الفكر، ١٩٩٩.
- أحمد محمد معتوق. الحصيلة اللغوية: أهميتها، مصادرها، وسائل تنميتها. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٦ م.
- أحمد مختار عبد الحميد عمر. البحث اللغوي عند العرب. المجلد الثامنة. الرياض: عالم الكتب، ٢٠٠٣.

- — دراسة الصوت اللغوي. القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٧.
- أحمد مختار عمر. علم الأصوات. القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٥.
- — علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية. ط٢. القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٩.
- أرسطو طاليس. فن الشعر مع الترجمة العربية القديمة وشروح الفارابي وابن سينا وابن رشد. تحرير عبد الرحمن بدوي. ترجمة عبد الرحمن بدوي. القاهرة، شارع عدلي باشا: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٣.
- إسلام ويب. "علوم القرآن... تعريفها، نشأتها، تدوينها." إسلام ويب، ٢٠٠٢١١.
- إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان القالي. الأملالي. القاهرة، عني بوضعها وترتيبها: محمد عبد الجواد الأصمعي: دار الكتب المصرية، ١٩٢٦ م، ١٣٤٤ هـ.
- السيد العربي يوسف. "أهداف تعلم اللغة العربية كلغة ثانية (للساطقين بغيرها)." مجلة كلية الآداب جامعة بورسعيد، ١، ٢٠١٤.
- الشنطي. الصوتيات وتعليم العربية لغير الناطقين بها. الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود، ٢٠١٧.
- الطيب عطاوي. "الفونيم عند مدرسة براغ." عود الند، ٢٠١٧ م.
- —. "الحركات ووظائفها الدلالية في النظم القرآني (آيات من سورة يوسف نموذجاً)." مجلة كيرالا، ١، ٢٠١٥، الإصدار مجلد ٤.
- العايش إيمان، عبادلية رزيقة. "إشكالية التداخل اللغوي بين الفصحى والعامية عند طلبة قسي اللغة والأدب العربي." الملتقى الدولي الافتراضي: خصائص اللغة العربية في الخطاب الجامعي والتربوي بين إكراه الواقع وهامش الاختراق، ٣٠ يونيو، ٢٠٢٢/٦/٣٠: ٢١.
- القيسي. الصوتيات التطبيقية وتعليم العربية لغير الناطقين بها. بغداد: دار الشؤون الثقافية، ٢٠١٨.
- أمينة طيبي. "الصوائت في التراث العربي." عود الند، مجلة ثقافية فصلية، ٢٠١٤، ٥.
- أنيس فريجة. اللهجات وأسلوب دراستها. بيروت: دار الجيل، ١٩٨٩ م-١٤٠٩ هـ.
- —. نظريات اللغة. المجلد ٢. بيروت: دار الكتاب اللبناني- بيروت، ١٩٨١.

- أيوب بن موسى الحسيني القريشي الكفوي أبو البقاء. *الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية*. بيروت، حققه عدنان الدرويش ومحمد المصري وأصدرته وزارة الثقافة السورية: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٨ م.
- أيوب تاج الدين الندوي. *الصحافة العربية في الهند: نشأتها وتطورها*. جامو كشمير: دار الهجرة، ١٩٩٧ م.
- برجشتراسر. *التطور النحوي للغة العربية، محاضرات ألقاها المستشر الأمانى "برجشتراسر"*. ترجمة د. رمضان عبد التواب. المجلد ٢. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٤ م.
- بسام بركة. *علم الأصوات العام: أصوات اللغة العربية*. بيروت، لبنان: مركز الإنماء القومي، ١٩٨٨.
- بشرى البلقلسي. "الاكتساب اللغوي: أسسه ومراحل". *مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث*، سبتمبر، ٢٠٢٢.
- بن زيان عبدالقادر. "البحث الصوتي عند ابن جني دراسة صوتية في مقدمة سر صناعة الإعراب في ضوء الدرس الصوتي الحديث". *مجلة دراسات وأبحاث: المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية*، إبريل، ٢٠٢٠ م: مجلد: (١٢)، العدد: (٢).
- بن علال آمال. *اكتساب اللغة عند الطفل: المراحل والنظريات من الولادة وحتى السنة السادسة*. تلمسان، جامعة أبي بكر بالقايد: كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، ٢٠١٥/٢٠١٦.
- بهية زخنين. *المنطلقات الصوتية للمباني المورفولوجية في كتاب الكافي في التصريف لأحمد بن يوسف أطفيش*. وهران: جامعة وهران - السانية، ٢٠١٠.
- تاراتشاند. *أثر الإسلام في الثقافة الهندية*. ترجمة ترجمة المحقق: أ.د محمد أيوب الندوي. المجلد لطبعة: الأولى. كيرالا: مؤسسة الفكر العربي، ٢٠١٦ م - ١٤٣٧ هـ.
- تغريد السيد عنبر. *دراسات صوتية*. القاهرة: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٨٩.
- تمام حسان. *اللغة العربية مبناه ومعناها*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦.
- —. *مناهج البحث في اللغة*. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٠.

- تمام عبدالعزيز. *الصوت والنطق في اللغة*. دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١.
- جان، Jean كانتينيو، Cantineau. *جان كانتينو، نقله إلى العربية وذيله بمعجم صوتي فرنسي-عربي: صالح القرمادي*. تونس: الجامعة التونسية، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، ١٩٦٦.
- جرجي زيدان. *اللغة كائن حي*. القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢ م.
- جعفر دك الباب. "مدخل إلى اللسانيات العامة والعربية المنهج الوصفي الوظيفي". *مجلة الموقف العربي*، تموز وأب، ١٩٨٢ م.
- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضير السيوطي. *الإتقان في علوم القرآن*. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤ م - ١٣٩٤ هـ.
- —. *المزهر في علوم اللغة وأنواعها*. تحرير محمد جادى المولى وآخرون. المجلد ١. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع دار الجيل، ١٩٩٨.
- —. *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*. القاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم: عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٤ م، ١٣٨٤ هـ.
- جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بنحبة بن منظور ابن منظور. *لسان العرب*. تحرير تحقيق، عبدالله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي. القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٠.
- جميل أحمد. *حركة التأليف باللغة العربية في الإقليم الشمالي الهندي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر*. دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٧٧ م.
- جرجي زيدان. *تاريخ آداب اللغة العربية*. مؤسسة هنداوي، ٢٠٠٥.
- جوزيف فندريس. *اللغة*. ترجمة عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٠ م.
- جون كينون. *مقدمة في الصوتيات*، ترجمة: محمد عناني. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٢.
- جوناثان كلر. *فردينان دي سوسير، تأصيل علم اللغة الحديث والعلامات*. تحرير ترجمة: محمود حمدي عبدالغني. الاسكندرية: مطابع إدارة المطبوعات والنشر، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠.

- حازم علي كمال الدين. *نظرية القوالب (من نظريات علم اللغة الحديث)*. القاهرة: مكتبة الآداب، بلا تاريخ.
- حسام محمد رمضان إبراهيم. "الإبدال الصوتي وأثره الدلالي في المعجم السوحيلي". *فيلولوجي*، ٣٠ يونيو، ٢٠٢٠ م: ٢٥ صفحة.
- حسين عبد القادر. *اللغة وتعلمها*. ٢٠١٣.
- حسينة بيغم تشارشيري. *تأثير دول الخليج لدراسة اللغة العربية في كيرالا مع إشارة خاصة لمالبيار (أطروحة دكتوراة)*. كاليكوت - كيرالا: مركز الأبحاث بجامعة كاليكوت، ٢٠١٦ م.
- حلبي خليل. *اللغة والطفل*. بيروت - لبنان: دار النهضة العربية، ١٩٨٦ م.
- حميد العزاوي. *علم اللغة الاجتماعي: نظرياته وتطبيقاته*. دار الرضوان للنشر، عمان، ٢٠١٧.
- خالد المزيني. *المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة*. المجلد ١. الدمام: دار ابن الجوزي، ٢٠٠٦.
- خالد عبد الفتاح محمد. *مناهج البحث العلمي: النظرية والتطبيق*. القاهرة، دار الفكر الجامعي، ٢٠٢٠.
- خليل إبراهيم العطية. *في البحث الصوتي عند العرب*. بغداد: منشورات دار الجاحظ للنشر، ١٩٨٣.
- د. أحمد الخاني. "تعريف اللغة". *شبكة الألوكة*، ٢٠١٦ ١١.
- ذوقان عبيدات. *البحث العلمي: مفاهيمه، أدواته، أساليبه*. عمان: دار الفكر، ٢٠١٦.
- ربيعي عليان، عثمان غنيم. *مناهج و أساليب البحث العلمي (النظرية و التطبيق)*. عمان - الأردن: دار صفاء للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠ م.
- ربيعي كمال. *الإبدال في ضوء اللغات السامية*. جامعة بيروت العربية، ١٩٨٠ م.
- رشيد بلحاج. *الصوتيات التعليمية*. دار الكتاب الجديد، بيروت، ٢٠١٤.
- رمزي البعلبكي. *معجم المصطلحات اللغوية بالعربية والإنجليزية*. لبنان: دار العلم للملايين، ١٩٩٠ م.
- رمضان عبد التواب. *التطور اللغوي (مظاهره وعلله وقوانينه)*. تحرير الشركة الدولية للطباعة. المجلد ٢. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٧.

- —. المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي. القاهرة: مكتبة الخانجي، الطبعة: الثانية، ١٩٨٥.
- —. من فقه اللغة. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٦.
- روي هجمان. اللغة والحياة الطبيعية البشرية. ترجمة د. داود حلي أحمد السيد. الكويت: جامعة الكويت، ١٩٨٩ م.
- زبيدة حنون. "البحث الصوتي عند ابن جني." مجلة اللغة العربية، ٢٠١٧، الإصدار ٣٧.
- زكريا حمدان. مناهج البحث العلمي في العلوم الاجتماعية والإنسانية. عمان: دار الشروق، ٢٠٠٩.
- زين الدين المخدم (في القرن السادس عشر) المخدم. تحفة المجاهدين. تحرير عمران أعظمي، إي. إسماعيل تحقيق: ايم عبدالقادر. نيودلهي، الهند: مطبوعة الخدمة القومية للكتب الخطية دهلي الجديدة، ٢٠١٤ م.
- ساجية قوباع و نصيرة تيفرين. الدراسة اللغوية عند فرديناند دي سوسير. البويرة: جامعة البويرة، ٢٠١٤.
- سعد الجرايني. البحث النوعي: الاستراتيجيات وتحليل البيانات. الرياض: دار جامعة الملك سعود للنشر، ٢٠٢٠ م.
- سعيد أحمد. علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية: دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠١٥.
- سميح عبد الله أبو مغلي. تعريب الألفاظ والمصطلحات وأثره في اللغة والأدب. عمان: دار البداية ناشرون وموزعون، ٢٠١٣.
- سيد سابق. العقائد الإسلامية. بيروت: دار الكتاب العربي، بلا تاريخ.
- سيروان عبد الزهرة الجنابي. "الاشتقاق عند ابن جني -دراسة تحليلية-." مجلة اللغة العربية وآدابها، حزيران، ٢٠٠٨.
- شعبان محمد اسماعيل. رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة. القاهرة- مصر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ٢٠٠١ م ١٤٢٢ هـ.

- شفيق عبد الجبار بنات، فؤاد عبدالمطلب عبدالمطلب. "الثنائية اللغوية بين اكتساب اللغة الأم وتعلم لغة أجنبية." *مجلة كلية المأمون الجامعة*، ٢٠١٥ م، الإصدار العدد: (السادس والعشرون).
- صالح بلعيد. *اللسانيات التطبيقية وتعليم اللغاتمدخل تعليمي تعلّمي*. الجزائر: دار هومة، ٢٠١٢.
- صالح بن عبد الله الديل. *مهارات البحث الاجتماعي وتقنياته*. الرياض- السعودية: دار العبيكان للنشر، ٢٠١٨ م.
- صباح حنا هرمز. *الثروة اللغوية للأطفال العرب ورعايتها*. الكويت: ذات السلاسل للطباعة والنشر، ١٩٨٣ م.
- صبحي الصالح. *دراسات في فقه اللغة*. المجلد الطبعة الثالثة. بيروت - لبنان: دار العلم للملايين، ٢٠٠٩.
- صبحي صالح. *دراسات في فقه اللغة*. المجلد ٩. بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٩.
- صبيح حمود التميمي. "علم الأصوات عند سيبويه للمستشرق الألماني أرتور شاده (١٩٥٢-١٨٨٣ م)، محاضرة برؤية استشرافية ومراجعة حديثة." *آداب/الرافدين*، ١٣، ٢٠١٠.
- صفاء صابر البياتي. *القلب والإبدال- عبد الملك الأصمعي (المتوفى سنة ٢١٦ هـ)*. دبي: مداد للنشر والتوزيع، ٢٠١٩.
- صلاح الخالدي. *مفاتيح للتعامل مع القرآن*. المجلد ٣. دمشق: دار القلم، ٢٠٠٣.
- صلاح الدين سعيد حسين. *التغيرات الصوتية في التركيب اللغوي (المقطع- الكلمة- الجملة)*، بحث معّد لنيل درجة الدكتوراة في اللغة العربية وآدابها. اللاذقية، سوريا: جامعة تشرين، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، ٢٠٠٩.
- صهيب عالم. *تاريخ اللغة العربية وواقعها في الهند*. المجلد الطبعة: (الثانية). الرياض: مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، ٢٠١٦ م-١٤٣٧ هـ.
- ضياء الدين الإصلاحي. *هندوستان عربون كي نظر مين (الهند) في عيون العرب*. ترجمة ترجمة: د. صهيب عالم. بيروت-لبنان: دار المصنفين اعظم، كراه، ٢٠١٤.
- ظهور أحمد أظهر. *أبو العلاء اللاهوري: حياته. نثره. شعره*. المجلد الطبعة: (الثانية). الرياض: دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، ١٩٨٣ م-١٤٠٤ هـ.

- عاطف مذكور. علم اللغة بين القديم والحديث. الدوحة: دار الثقافة والنشر والتوزيع، ١٩٨٦.
- عايض المزيني. مدخل إلى مناهج البحث في اللسانيات. الرياض: دار طبعة للنشر، ٢٠١٠.
- عبد الرحمن أيوب. التداخل اللغوي في تعلم اللغة العربية للناطقين بغيرها. القاهرة: دار النشر للجامعات، ٢٠١٢.
- —. اللغة والتطور. بغداد: جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٩م.
- عبد الرحمن بدوي. مناهج البحث في العلوم الإنسانية. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات، ٢٠١٦.
- —. موسوعة المستشرقين. المجلد الطبعة الثالثة. لبنان: دار العلم للملايين، ١٩٩٣م.
- عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، من ولد وائل بن حجر ابن خلدون. مقدمة ابن خلدون. بيروت: طبعت برخصة مجلس المعارف ولاية سوريا الجلييلة، بالمطبعة الأدبية في بيروت عام ١٨٧٩م، وطبعة ثانية عام ١٨٨٦م، ثالثة بالشكل الكامل عام ١٩٠٠م، ١٩٠٠.
- عبد الرحمن علوان. تصميم البحوث التربوية والنفسية. دار المسيرة، ٢٠٠٩م.
- عبد السلام هارون. قضايا صوتية في اللغة العربية. دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٧.
- عبد الصبور شاهين. دراسات في فقه اللغة. دار الشروق، ٢٠٠٣.
- —. دراسات صوتية، دار النهضة العربية، القاهرة. ١٩٨٢.
- —. علم الصوتيات. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩٤.
- —. في علم اللغة العام. بيروت- لبنان: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٤م.
- عبد العزيز بشكع. أصوات اللغة العربية: عرض وتحليل وتطبيق. ٢٠١٠.
- عبد العزيز بن عثمان. التداخل اللغوي. عالم الكتب الحديث، ٢٠١٠.
- عبد العلي الودغيري. الصوتيات العربية وتعلم اللغة الثانية. ٢٠٠٨.

- عبد الغفار حامد هلال. *اللهجات العربية نشأة وتطورا*. المجلد الطبعة (الثانية). القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٩٣م-١٤١٤هـ.
- عبد الفتاح الزهيري. *مناهج البحث في اللغة والآداب*. دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠١٢.
- عبد القادر فتح الله. *منهجية البحث في اللسانيات التطبيقية*. مكتبة الرشد، الرياض، ٢٠١٨.
- عبد الكريم البوغبيش. "دور القرآن الكريم في تطور اللغة العربية وآدابها". *مجلة ديوان العرب*، ٢٠١٠.
- عبد الكريم بورنان. "الاستبدال الصوتي وأثره الدلالي في اللغة العربية". *مجلة الأثر*، ديسمبر، ٢٠١٥م.
- عبد الله الدنان. "الإبداع واللغة العربية في المناهج الدراسية". *مجلة جامعة دمشق للعلوم الإنسانية والأساسية والتطبيقية*، حزيران، ١٩٨٦م.
- عبد الله بن برّي بن عبد الجبار المقدسي الأصل المصري ابن برّي. *متن الدرر اللوامع في أصل مقر الإمام نافع*. المجلد تحقيق: سليم بن محمد بن يوسف ربيع الجزائري. الجزائر: المؤسسة القرآنية، ٢٠٠٨م-١٤٢٩هـ.
- عبد الله بو خلخال. "ظاهرة الإبدال عند اللغويين والنحاة العرب". *مجلة الآداب*، ٢٠١٠م، الإصدار العدد: (٣).
- عبد الله محمود سالم. *مناهج البحث العلمي وتطبيقاتها في العلوم الاجتماعية*. القاهرة: دار النشر للجامعات، ٢٠١٧.
- عبد المنعم عبد الله محمد. *المقطع الصوتي في ضوء تراثنا اللغوي*. المجلد ١. القاهرة: مطبعة الجبلابي، ١٩٨٨م.
- عبد الواحد وافي. *علم اللغة*. المجلد الطبعة: (التاسعة). القاهرة: دار النهضة، ٢٠٠٤م.
- —. *نشأة اللغة عند الإنسان والطفل*. القاهرة: مطبعة العالم العربي، ١٩٩٢م.
- عبد الجليل بوخيرة. "التعليل بالتخفيف في أبواب (الإمالة والإبدال والإدغام) من كتاب سيبويه في ضوء الدرس الصوتي الحديث". *مجلة كلية الآداب واللغات*، ٢٠١٧.

- عبد الحميد النوري عبد الواحد. *السكون*. ٢٧ مايو، ٢٠١٨. *السكون* (alukah.net) (تاريخ الوصول ٠١ يونيو، ٢٠٢٤).
- عبد الحميد محمد. *الصعوبات الصوتية لدى الناطقين بغير العربية*. دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٩.
- عبد الرحمن الحاج صالح. *بحوث ودراسات في اللسانيات العربية*. الجزائر: موفم للنشر، ٢٠١٢.
- عبد العزيز. *الأصوات اللغوية*. دار الفكر، ١٩٨١.
- عبد العليم إبراهيم. *تيسير الإعرال والإبدال*. القاهرة: مكتبة غريب، ١٩٦٩ م.
- عبد الغني. *المنهج النوعي في البحث التربوي واللغوي*. بيروت: دار الروافد، ٢٠١٧.
- عبد الفتاح البركاوي. *مدخل إلى علم اللغة الحديث*. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، بلا تاريخ.
- عبد القادر بن عمر البغدادى. *خزانة الأدب، ولب لباب لسان العرب*. تحرير تحقيق وشرح: عبد السلام هارون. المجلد ٤. القاهرة: مكتبة الخانجي بالقاهرة، ٢٠٠٠.
- عبد القادر حسين. *فن البلاغة*. الرياض: عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٤ م.
- عبدالله أحمد جاد الكريم حسن. "أهم مظاهر المنهج التوليدي التحويلي عند سيبويه." *الألوكة الإلكترونية*، ٢٨ ديسمبر، ٢٠١٥ م-١٤٣٧ هـ.
- عبدالله أمين. *الاشتقاق*. المجلد الطبعة الثانية. القاهرة: مكتبة الخانجي بالقاهرة، الشركة الدولية للطباعة، ٢٠٠٠ م.
- عبدالله بن يوسف العنزي. *المقدمات الأساسية في علوم القرآن*. المجلد ١. ليدز: مركز البحوث الإسلامية ليدز، ٢٠٠١.
- عبدالله حسين. *المسألة الهندية*. المملكة المتحدة: مؤسسة هنداي عام ٢٠١٢، ١٩٤٨.
- عبده الراجحي. *اللهجات العربية في القراءات القرآنية*. الرياض، المملكة العربية السعودية: مكتبة المعارف، ٢٠٠٠ م-١٤٢٠ هـ.
- —. *دراسات في علم اللغة*. دار النهضة، بيروت، ١٩٩٥.
- —. *علم الأصوات*. ط ٣، بيروت: دار النهضة العربية، ٢٠٠١.

- —. *مناهج البحث في اللغة*. دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠١.
- عزت عبد الحميد زيتون. *البحث العلمي: أساسياته النظرية وأساليبه التطبيقية*. عمان: دار المناهج، ٢٠١٨.
- عصام نورالدين. *علم الأصوات اللغوية (الفونيتيكا)*. المجلد الطبعة الأولى. بيروت: دار الفكر اللبناني، ١٩٩٢.
- على الله أبو الوفا. *القول السديد في علم التجويد*. المنصورة: دار الوفاء، ٢٠٠٣.
- علي القاسمي. *الطفل واكتساب اللغة بين النظرية والتطبيق*. تيزي وزو، الجزائر: مجلة الممارسات اللغوية جامعة مولود معمري، ٢٠١١ م.
- —. *علم اللغة التعليمي*. مكتبة لبنان، ٢٠٠٤.
- —. *علم اللغة وتعليم اللغة*. دار إشبيليا، ٢٠٠٤.
- علي بن إسماعيل أبو الحسن ابن سيده. *المخصص*. تحرير عبدالسلام هارون. بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥.
- علي محمود النابي. *الكامل في النحو والصرف*. القاهرة: دار الفكر العربي، ٢٠٠٥ م.
- عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ الجاحظ. *البيان والتبيين*. المجلد الطبعة: (السابعة). القاهرة، تحقيق: عبد السلام هارون: مكتبة الخانجي، ١٩٩٨ م- ١٤١٨ هـ.
- غالب فاضل المطليبي. "دراسة في أصوات المد العربية". *منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية*، ١٩٨٤.
- غانم قدوري الحمد. *المدخل إلى علم أصوات العربية*. عمّان: دار عمار للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤.
- —. "فكرة الصوت الساذج وأثرها في الدرس الصوتي العربي". *مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية*، ٢٠٠٧، ٤٢، ٥٩.
- فاطمة الزهراء الأنصاري. *الصوتيات الوظيفية للغة العربية*. ٢٠٠٨.

- فاطنة أبو الغيث. "دواعي الإبدال في اللغة العربية." *عود الند مجلة ثقافية فصلية رقمية*، نوفمبر، ٢٠١١م.
- فرديناند دي سوسير. *محاضرات في الألسنية العامة*، ترجمة يوسف غازي مجيد نصر. الجزائر: المؤسسة الجزائرية للطباعة، ١٩٨٦.
- فريد الدين آيدن. *الأزمنة في اللغة العربية*. إسطنبول، تركيا: دار العبر للطباعة والنشر، ١/٠١/ يوليو/ ١٩٩٧م.
- فضيل دليو. *أسس البحث وتقنياته في العلوم الاجتماعية*. قسنطينة: ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٩٧م.
- فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي. *دراسات في علوم القرآن الكريم*. المجلد ١٢. حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، ٢٠٠٣.
- كبير بن عيسى. "القاف العربية (الصوت- الرسم- الدلالة)." *دار الكتب العلمية*، ١٩ أكتوبر، ٢٠٢٠م.
- كمال الحسن. *الصوتيات العربية: مدخل تطبيقي تعليمي*. ٢٠١٢.
- —. *مبادئ اللسانيات*. مكتبة الفلاح، الكويت، ٢٠١٢.
- كمال بشر. *دراسات في علم اللغة*. القاهرة - مصر: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٨م.
- —. *علم الأصوات*. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٠.
- —. *علم الأصوات*. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٠.
- ماجد الصايغ. *الأخطاء الشائعة وأثرها في تطور اللغة العربية*. المجلد الطبعة: (الأولى). بيروت، لبنان: دار الفكر اللبناني، ١٩٩٠.
- ماريو باي. *أسس علم اللغة*. تحرير ترجمة وتحقيق: أحمد مختار عمر. المجلد الطبعة: (الثامنة). الرياض، المملكة العربية السعودية: عالم الكتب، ١٩٩٨م- ١٤١٩هـ.

- مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير. *النهاية في غريب الحديث والأثر*. بيروت- لبنان، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي: المكتبة العلمية - بيروت، ١٩٧٩م-١٣٩٩هـ.
- مجمع اللغة العربية بالقاهرة. *المعجم الوسيط*. اسطنبول: المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، ١٩٧٢.
- محمد أحمد السباعي. *علم الأصوات بين النظرية والتطبيق*. دار المعرفية الجامعية، ٢٠٠٥.
- محمد أحمد سامي أبو عيد. "تحليل ظاهرتي الإتياع والإبدال في المحتسب لابن جني" رؤية صوتية معاصرة". *مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري*، ٢٠١٤، الإصدار العدد: العاشر: من الصفحة: (٢٢٣) إلى الصفحة: (٢٤٠).
- محمد أحمد محمد. *مناهج البحث العلمي: النظرية والتطبيق*. القاهرة: دار الفكر الجامعي، ٢٠٢٠.
- محمد الأنطاكي. *الوجيز في اللغة*. المجلد الطبعة: (الرابعة). لبنان: مكتبة دار الشرق، ١٩٦٩م-١٣٨٩هـ.
- —. *الوجيز في فقه اللغة*. لبنان: دار الشرق العربي، ١٩٦٩م-١٣٨٩هـ.
- محمد الصاوي. "اللسانيات ومناهج تعليم العربية لسانيات تشومسكي نموذجاً: دراسة تحليلية في اللسانيات التربوية". *كلية البحرين للمعلمين- جامعة البحرين- مملكة البحرين (كلية البحرين للمعلمين)*، يوليو ٢٠١٨م.
- محمد النيهان. *المدخل إلى علوم القرآن الكريم*. المجلد ١. حلب: دار عالم القرآن، ٢٠٠٥.
- محمد أمزوي. *أشباه الصوائت في اللغة العربية*. الجزائر: مكتبة عين الجامعة، قسم اللغة العربية، ٢٠٢٠.
- محمد بن أحمد الأزهرى. *تهذيب اللغة*. تحرير تحقيق: عبد العظيم محمود، مراجعة: محمد على النجار. القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٤.
- محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري. *صحيح البخاري*. المجلد ١. دمشق: دار ابن كثير، ٢٠٠٢.
- محمد بولخطوط. "الدرس الصوتي القديم بين الهند وإغريق والعرب". *مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب المجلد ٣ - العدد ٢٨، ٢٠١٩*.

- محمد. تعليم الأصوات العربية. مكتبة لبنان، ٢٠٠٢.
- محمد جواد النوري. علم الأصوات العربية. عمان: جامعة القدس المفتوحة، ١٩٩٦.
- محمد حسن باكلا، محيي الدين خليل الريح، جورج نعمة سعد، محمود إسماعيل صيني، علي القاسمي. معجم مصطلحات علم اللغة الحديث: عربي-إنكليزي وإنكليزي-عربي (بالعربية، والإنجليزية). لبنان- بيروت: مكتبة لبنان ناشرون بيروت، ١٩٨٣ م.
- محمد حسن باكلا؛ محيي الدين خليل الريح؛ جورج نعمة سعد؛ محمود إسماعيل صيني؛ علي القاسمي. معجم مصطلحات علم اللغة الحديث: عربي-إنكليزي وإنكليزي-عربي (بالعربية والإنجليزية). بيروت- لبنان، مراجعة: محمد حسن باكلا، كمال محمد بشر، عبد الحميد الشلقاني، محمود إسماعيل صيني، صالح جواد الطعمة: مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٨٣ م.
- محمد حسن عبد العزيز. الأصوات اللغوية. دار نهضة مصر، القاهرة، ٢٠٠٤.
- محمد حسن عبد العزيز. مناهج البحث اللغوي. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠١١.
- محمد رشاد الحمزاوي. المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية. المغرب: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - مكتب تنسيق التعريب، ١٩٨٠ م- ١٤٠٠ هـ
- محمد صديق حسن خان. العلم الخفاق من علم الاشتقاق. بيروت، ضبطه وعلق عليه: أحمد عبد الفتاح تمام: مؤسسة الكتب الثقافية، ٢٠١٢ م.
- محمد عبد الحميد. مناهج البحث العلمي: النظرية والتطبيق. القاهرة: دار الفكر الجامعي، ٢٠٢٠.
- محمد عبد الكريم الرديني. فصول في علم اللغة العام. الجزائر: دار الهدى، ٢٠٠٩.
- محمد عبد الواحد. الصوتيات العربية بين النظرية والتطبيق. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٨.
- محمد علي الخولي. الثنائية اللغوية. الأردن: دار الفلاح للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢ م.
- محمد كتي. اللغة العربية في كيرلا. دمشق - سوريا: مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٨٢ م.
- محمد محمود خالد إبراهيم. "الصوت اللغوي وظواهره في 'بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز". مجلة كلية دار العلوم، العدد ٧٦، أكتوبر، ٢٠٢٠ م.

- محمد محمود عبدالله. روضة الذاكرين في أحكام تلاوة الكتاب المبين. بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية، ١٩٨٩م - ١٤٠٩هـ.
- محمد نبيل جامع. البحوث النوعية ودراسة الحالة. الاسكندرية: قسم التنمية الريفية، كلية الزراعة، جامعة الاسكندرية بالشاطبي، ٢٠١٩.
- محمد يزيد سالم، محمد الأمين مصدّق. "جهود محمود السعران في تبسيط الدرس اللساني للقارئ العربي من خلال كتاب "علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي". "مجلة الآداب واللغات والعلوم الإنسانية، ١ يناير، ٢٠٢١.
- محمود السعران. علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي. بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨٠.
- محمود محمد عبدالله. اللغة العربية في باكستان. باكستان: منشورات وزارة التعليم الفيدرالي، ١٩٨٤م.
- محي الدين مستو - مصطفى ديب البغا. الواضح في علوم القرآن. دار الكلم الطيب - دار العلوم الإنسانية، ١٩٩٨.
- مرسي. مدخل إلى علم الأصوات الوظيفي. دار النشر الجامعي، ٢٠١٠.
- مصطفى حركات. الصوتيات والفونولوجية. الجزائر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٩٩٨.
- —. اللسانيات العامة وقضايا اللغة. المجلد ١. بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٩٨م.
- مصطفى صادق الرافعي. تاريخ آداب العرب. المملكة المتحدة: مؤسسة هندواي، ٢٠١٧م.
- مصطفى فهي. أمراض الكلام. القاهرة: مكتبة مصر، ١٩٩٨م.
- مصطفى محمد رزق السواحلي. مستقبل الكتابة العربية في ظل فوضى النقحرة ومحنة العريزي. القاهرة: جامعة الأزهر - كلية اللغة العربية، ٢٠١٥.
- مظفر عالم. المدارس الإسلامية في الهند بين الأمس واليوم. حيدرآباد: قسم الطباعة بجامعة اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية (EFLU)، ٢٠١٠م.
- ممتاز احمد سديدي الازهرى. الشيخ أحمد رضا خان البريلوي الهندي شاعراً عربياً. لاهور: مؤسسة الشرف، ٢٠٠٢م.

- منير عبد الحفيظ البعلبكي. *المورد قاموس إنكليزي عربي (بالعربية والإنجليزية)*. المجلد الطبعة الثامنة والثلاثون. لبنان: دار العلم للملايين، ٢٠١٧.
- موسى حرحوز. "الدراسة الحاسوبية الآلية في الدراسات الصوتية -حركة الفتحة العربية أنموذجا-". *مجلة إشكالات في اللغة والأدي*، ٢٠٢١ م: العدد (٥)، مجلد (١٠).
- ميجل سجوان، ووليم مكاي. *التعليم والثنائية اللغوية*. ترجمة ترجمة: إبراهيم القعيد، محمد عاطف مجاهد. الرياض: منشورات جامعة الملك سعود، ١٩٨٧ م.
- ميرفت عبد المنعم. "الحضارات القديمة في شبه الجزيرة العربية". *المرسال*، ٢٠٢١.
- ن.، & حجاج، ع خرما. "اللغات الأجنبية: تعليمها وتعلمها". *سلسلة عالم المعرفة - الكويت*، ١٩٨٨.
- نايف خرما. *أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة*. الكويت: عالم المعرفة، ١٩٧٨.
- نهاد الموسى. *نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث*. عمان: دار البشير، ومكتبة وسام، ١٩٨٧ م.
- نور الدين عتر. *علوم القرآن الكريم*. المجلد ١. دمشق: مطبعة الصباح، ١٩٩٣.
- نور الهدي لوشن. *مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي*. الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، ٢٠٠٨.
- نوزاد حسن أحمد. *المنهج الوصفي في كتاب سيبويه*. بغداد: دار دجلة، ٢٠٠٧ م.
- وحيد صفية. "أشكال التبدلات الصوتية في اللغات السامية". *مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية - سلسلة العلوم الإنسانية*، ٢٠٠٩، الإصدار مجلد ٣١.
- ولفكانغ روشيل. "النحاة العرب القدامى وعلم اللغة الحديث". *الاستشراق*، ٢، ١٩٩٠.
- وهبة الرحيلي. *التفسير المنير*. المجلد ٢. دمشق: دار الفكر المعاصر، ١٩٩٧.

المواقع الإلكترونية

- English for Arabic Speakers. *جدول الاصوات الانجليزية ورموزها بالعربية*. ٢٠١٦، ١٢ مارس.
www.englishforarabicspeakers.com/الاصوات-الانجليزية-ورموزها-بالعربية/ (accessed ٣ يناير ٢٠٢٤ م).
- Lee, Joseph J. "The Native Speaker: An Achievable Model?" *Asian EFL*, 2005.
- Library of Congress. *id.loc.gov*. *id.loc.gov*. *معلومات عن علم الأصوات للغة الإنجليزية على موقع*.
https://id.loc.gov/authorities/subjects/sh85043641.html (accessed ٣ يناير ٢٠٢٤ م، ٣١ أكتوبر ٢٠٢٠ م).
- 11 2016، شبكة الألوكة. "تعريف اللغة". الخاني، د. أحمد.
- يونيو (accessed alukah.net) السكون • مايو ٢٧، ٢٠١٨. *السكون*. عبدالواحد، عبدالحميد النوري
(٢٠٢٤، ٠١).
- *مجمع اللغة*. مجمع افتراضي مفتوح للغة العربية بإشراف أ.د. عبدالرزاق بن فراج (المدينة المنورة)
إبريل ٥، ٢٠١٤ م. *الافتراضي بالمدينة المنورة*.
https://web.archive.org/web/20180209064228/http://almajma3.blogspot.com/2014/05/blog-post_10.html (accessed ٦ فبراير ٢٠٢٤ م).
- —. إبريل ٥، ٢٠١٤ م. *مجمع اللغة الافتراضي بالمدينة المنورة*.
https://web.archive.org/web/20180209064228/http://almajma3.blogspot.com/2014/05/blog-post_10.html (accessed ٦ فبراير ٢٠٢٤ م).
- م. 2024. *الهند*. ويكيبيديا الموسوعة الحرة.
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%87%D9%86%D8%AF (accessed ١٠ أغسطس ٢٠٢٣ م).

المراجع باللغة الإنجليزية

- Ahmad, Aijazuddin. 2009. *Geography of the South Asian Subcontinent: A Critical Approach*. Concept Publishing Company.
- Alanazi, Mohammad S. 2024. "The Use of Modern Standard Arabic and Colloquial Arabic in Translation Tasks: A New Perspective." *Cogent Arts & Humanities* 11 (1). <https://doi.org/10.1080/23311983.2024.2366572>.
- Albaqawi, Najah. 2020. "Gender Variation in Gulf Pidgin Arabic."
- Alfaifi, Abdullah, and Fawaz Qasem. 2024. "Phonological Substitution Patterns in Yemeni Ibbi Arabic Child Speech: A Markedness and Natural Phonology Perspective." *Cogent Arts & Humanities* 11 (1). <https://doi.org/10.1080/23311983.2024.2360795>.
- AlGhamdi, Mohammed A. 2018. "Arabic Learners' Preferences for Instagram English Lessons." *English Language Teaching* 11 (8): 103–10.
- AM, LIBERMAN. 1985. "The Motor Theory of Speech Perception Revised." *Cognition* 21:1–36.
- Amayreh, Mousa M. 2000. "Phonetic Inventories of Young Arabic-Speaking Children A Measure of Phonological Complexity (Roughly) View Project." <https://www.researchgate.net/publication/289965841>.
- "Analogical Change." n.d.
- Asare, Thomas Abdull Jamel, and Elizabeth Orfson-Offei. 2023. "Substitution Phonological Patterns in the English Speech of Ghanaian Children." *Social Sciences & Humanities Open* 8 (1): 100631.
- Asher, Catherine B, and Cynthia Talbot. 2022. *India Before Europe*. Cambridge University Press.
- Association, International Phonetic. 1999. *Handbook of the International Phonetic Association: A Guide to the Use of the International Phonetic Alphabet*. Cambridge University Press.
- Badawi, ElSaid M. 1985. "Educated Spoken Arabic: A Problem in Teaching Arabic as a Foreign Language." *Scientific and Humanistic Dimensions of Language*, 15–22.

- Baker, Jean A. 2006. "Contributions of Teacher–Child Relationships to Positive School Adjustment during Elementary School." *Journal of School Psychology* 44 (3): 211–29.
- Catford, John Cunnison. 2001. *A Practical Introduction to Phonetics*. Oxford University Press.
- Cheng, Hsing-Fu, and Zoltán Dörnyei. 2007. "The Use of Motivational Strategies in Language Instruction: The Case of EFL Teaching in Taiwan." *International Journal of Innovation in Language Learning and Teaching* 1 (1): 153–74.
- Chomsky, Noam. 2006a. *Language and Mind*. Cambridge University Press.
- ———. 2006b. *Language and Mind*. Cambridge University Press.
- Clémentin-Ojha, Catherine. 2014. "'India, That Is Bharat...': One Country, Two Names." *South Asia Multidisciplinary Academic Journal*, no. 10.
- Creswell, John W, William E Hanson, Vicki L Clark Plano, and Alejandro Morales. 2007. "Qualitative Research Designs: Selection and Implementation." *The Counseling Psychologist* 35 (2): 236–64.
- Cummins, Jim. 2000. "Academic Language Learning, Transformative Pedagogy, and Information Technology: Towards a Critical Balance." *Tesol Quarterly* 34 (3): 537–48.
- Dallos, Rudi, and Arlene Vetere. 2005. *Researching Psychotherapy and Counselling*. McGraw-Hill Education (UK).
- Daniels, Peter T, and William Bright. 1996. *The World's Writing Systems*. Oxford University Press.
- Dictionary, Oxford English. 1989. "Oxford English Dictionary." *Simpson, Ja & Weiner, Esc* 3.
- Donegan, Patricia, and David Stampe. 2009. "Hypotheses of Natural Phonology." *Poznań Studies in Contemporary Linguistics* 45 (1): 1–31.
- Dyson, Tim. 2018. *A Population History of India: From the First Modern People to the Present Day*. Oxford University Press.
- Ellis, Rod. 1997a. "Second Language Acquisition." *The United States: Oxford* 98.
- ———. 1997b. "Second Language Acquisition." *The United States: Oxford* 98.
- Fikkert, Paula. 2007. "Acquiring Phonology." *Handbook of Phonological Theory*, 537–54.

- Fisher, Michael H. 2018. *An Environmental History of India: From Earliest Times to the Twenty-First Century*. Vol. 18. Cambridge University Press.
- Fishman, Joshua A. 1991. "Reversing Language Shift: Theoretical and Empirical Foundations of Assistance to Threatened Languages." *Multilingual Matters*.
- Fleetwood, D. 2020. "Non-Probability Sampling: Definition, Types, Examples, and Advantages." *Question Pro*.
- Fromkin, Victoria, Robert Rodman, and Nina Hyams. 2018. *An Introduction to Language (w/MLA9E Updates)*. Cengage Learning.
- Fromkin, Victoria, Robert Rodman, Nina Hyams, Mengistu Amberber, Felicity Cox, and Rosalind Thornton. 2017. *An Introduction to Language with Online Study Tools 12 Months*. Cengage AU.
- Gonen, Einat. n.d. "Imperfect Language Learning vs. Active Sound Change: The Shift [i]>[e] in the Verbal Pattern Hif'il in Modern Hebrew."
- Hancock, Beverley. 1998. "Trent Focus for Research and Development in Primary Health Care: An Introduction to Qualitative Research." *Trent Focus* 27.
- Hannahs, Stephen J, and Anna R K Bosch. 2018. *The Routledge Handbook of Phonological Theory*. Routledge Oxford.
- Hans, Wehr. 1952. "Arabisches Wörterbuch Für Die Schriftsprache Der Gegenwart." *Leipzig: Otto Harrassowitz*.
- Hirokawa, Keiko, John Swales, Linda A Moody Comments, Bernard A Mohan, Winnie Au, and Yeung Lo. n.d. "The Effects of Modifying the Formality Level of ESL Composition Questions 343 THE FORUM Women Students in Our Institutions: A Response to the U.N. Decade for Women (1976-1985) 347 'Academic Writing and Chinese Students: Transfer and Developmental Factors' 354 A Reader Reacts Joan Gregg Response to Gregg On Evidence for Cross-Cultural Rhetoric TESOL QUARTERLY."
- Howard, David M. 2006. "MICHAEL ASHBY & JOHN MAIDMENT, *Introducing Phonetic Science* (Introductions to Language and Linguistics). Cambridge: Cambridge University Press, 2005. Pp. 230. ISBN: 0-52-1004969 (Pbk)." *Journal of the International Phonetic Association* 36 (1): 103.

- Khairy, Wesam, Mohamed Morsi, and Cairene Arabic. 2020. "A Sociolinguistic Study of the Correlation between Social Class and Selected Phonological Variables A Sociolinguistic Study of the Correlation between Social Class and Selected Phonological Variables in Cairene Arabic." *Phonological Variables in Cairene Arabic*. Vol. 9.
- Koerner, E F Konrad. 1993. "Historiography of Phonetics: The State of the Art." *Journal of the International Phonetic Association* 23 (1): 1–12.
- Kuiper, Kathleen. 2010. *The Culture of India*. Britannica Educational Publishing.
- Ladefoged, Peter. 2001. "A Course in Phonetics . Los Angelos." CA: Harcourt College Publishers.
- Liberman, Alvin M, Franklin S Cooper, Donald P Shankweiler, and Michael Studdert-Kennedy. 1967. "Perception of the Speech Code." *Psychological Review* 74 (6): 431.
- Liberman, Alvin M, and Ignatius G Mattingly. 1985. "The Motor Theory of Speech Perception Revised." *Cognition* 21 (1): 1–36.
- Lowe, John J. 2015. *Participles in Rigvedic Sanskrit: The Syntax and Semantics of Adjectival Verb Forms*. OUP Oxford.
- Maiden, Martin. 2018. *Interactive Morphology: Metaphony in Italy*. Routledge.
- Marshall, Peter James. 2001. *The Cambridge Illustrated History of the British Empire*. Cambridge University Press.
- Mayring, Philipp. 2001. "Combination and Integration of Qualitative and Quantitative Analysis." In *Forum Qualitative Sozialforschung/Forum: Qualitative Social Research*. Vol. 2.
- Menn, Lise. 1983. "Development of Articulatory, Phonetic, and Phonological Capabilities." *Language Production* 2:3–50.
- Moleong, Lexi. 2010. "Metode Peneltian." *Jakarta: Rineka Cipta*.
- "Multisensory Processes 2." n.d.
- N. M. Arafa, Moner, Reda Elbarougy, A. A. Ewees, and G. M. Behery. 2018. "A Dataset for Speech Recognition to Support Arabic Phoneme Pronunciation." *International Journal of Image, Graphics and Signal Processing* 10 (4): 31–38. <https://doi.org/10.5815/ijigsp.2018.04.04>.

- Navarra, Jordi, and Salvador Soto-Faraco. 2007. "Hearing Lips in a Second Language: Visual Articulatory Information Enables the Perception of Second Language Sounds." *Psychological Research* 71 (1): 4–12. <https://doi.org/10.1007/s00426-005-0031-5>.
- Newman, Isadore, and Carolyn R Benz. 1998. *Qualitative-Quantitative Research Methodology: Exploring the Interactive Continuum*. SIU Press.
- Riemer, Svend. 1950. "Human Behavior and the Principle of Least Effort. An Introduction to Human Ecology. By George K. Zipf Addison-Wesley Press, Inc., Cambridge 42, Massachusetts. 1949. Pp. Xi+ 573." *Philosophy of Science* 17 (2): 204–5.
- Rousseau, Ronald. 2002. "George Kingsley Zipf: Life, Ideas, His Law and Informetrics." *Glottometrics* 3 (1): 11–18.
- Ryding, Karin C, and David J Mehall. 2005. *Formal Spoken Arabic Basic Course with MP3 Files*. Vol. 11. Georgetown University Press.
- Santosa, Riyadi. 2021. "Dasar-Dasar Metode Penelitian Kualitatif Kebahasaan." Surakarta: UNS Press.
- Singh, Shiv Sahay. 2013. "Language Survey Reveals Diversity. The Hindu, 22 July."
- Stake, Robert E, Norman K Denzin, and Yvonna S Lincoln. 1994. "Handbook of Qualitative Research." *NK Denzin & YS Lincoln (Eds.)* 244.
- Stewart, John Q. 1949. "Human Behavior and the Principle of Least Effort: An Introduction to Human Ecology. George Kingsley Zipf. Cambridge, Mass.: Addison-Wesley, 1949. Pp. Xi+ 573.(Illustrated.) \$6.50." *Science* 110 (2868): 669.
- Swan, Michael, and Bernard Smith. 2001a. *Learner English: A Teacher's Guide to Interference and Other Problems*. Vol. 1. Cambridge University Press.
- ———. 2001b. *Learner English: A Teacher's Guide to Interference and Other Problems*. Vol. 1. Cambridge University Press.
- Tashakkori, Abbas, and John W Creswell. 2007. "The New Era of Mixed Methods." *Journal of Mixed Methods Research*. Sage Publications.
- Trask, Robert Lawrence. 2004. *A Dictionary of Phonetics and Phonology*. Routledge.
- Vuong, Quan-Hoang, Viet-Phuong La, Thu-Trang Vuong, Manh-Toan Ho, Hong-Kong T Nguyen, Viet-Ha Nguyen, Hiep-Hung Pham, and Manh-Tung Ho. 2018. "An Open

Database of Productivity in Vietnam's Social Sciences and Humanities for Public Use." *Scientific Data* 5 (1): 1–15.

- Watt, Dominic. 2001. "Peter Ladefoged, Vowels and Consonants: An Introduction to the Sounds of Languages. Malden, MA & Oxford: Blackwell, 2001. Pp. Xxii+ 191. Pb.£ 19.99. ISBN 0-631-21412-7." *Journal of the International Phonetic Association* 31 (2): 269–73.
- Weijer, Jeroen van de. 2017. "Emergent Phonological Constraints-The Acquisition Of COMPLEX in English." *Acta Linguistica Academica. An International Journal of Linguistics (Until 2016 Acta Linguistica Hungarica)* 64 (1): 153–65.
- Wu, J, and R J Kaufman. 2006. "From Acute ER Stress to Physiological Roles of the Unfolded Protein Response." *Cell Death & Differentiation* 13 (3): 374–84.
- Zipf, George K. 1949. "Human Behavior and the Principle of Least Effort", Cambridge, Addison." Wasley Press.

الملحقات



Dr. Ghafoor Memorial
MES MAMPAD COLLEGE (AUTONOMOUS)
Accredited by NAAC with A+ Grade (CGPA 3.42) | Affiliated to University of Calicut
DBT - Star College

+919495290001
+919495435505
info@mesmampad.org
www.mesmampadcollege.edu.in
Mampad College P.O. - 676542
Malappuram, Kerala, India



إقرار لجنة التحقق من نتائج بيانات البحث

أقرت لجنة التحقق من البيانات التابعة لمركز البحوث بجامعة كاليكوت نتائج البحث للبيانات المقدمة من الباحث: عبد القادر أحمد عبد الله الحمزي، التي تخص بحثه في مرحلة الدكتوراة؛ الموسوم بعنوان: الإبدال الصوتي في الأصوات الصامتة والصائتة في اللغة العربية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها في الهند، بعد اطلاع اللجنة على التسجيلات الصوتية، والنتائج المكتوبة في أطروحته، بتاريخ: ٩/ فبراير/ ٢٠٢٤ م، بقسم اللغة العربية بكلية (إم إي إس ممباد)، كما أقرت اللجنة أدوات البحث المحددة، وطرق جمع البيانات التي رافقه فيها مشرف البحث المساعد رئيس قسم اللغة العربية الدكتور: سابق إم كي.

حضر مجلس الإقرار الأخوة:

١- الدكتور: إي بي محيي الدين كوتي، رئيس قسم اللغة العربية بجامعة كاليكوت، رئيس

المجلس.

٢- الدكتور: عبده بي، المشرف الرئيسي للبحث.

٣- الدكتور: سابق إم كي المشرف المساعد للبحث.

٤- الدكتورة: حسينة بيغم منسقة البحوث بالقسم

٥- الدكتور: منصور أمين عضو هيئة تدريس بالقسم

DATE :

Ref :

التاريخ :

الإشارة :

To Whom It May Concern,

This is to certify that **Mr. Abdulqader Ahmed Abdulla Al-Hamzi**, of Yemeni nationality, a research scholar in the (Autonomous) MES Mampad College, affiliated with the University of Calicut, India, and working on "Phonetic Substitution between Consonants and Vowels in Arabic for Native Speakers and Non-Native Speakers", visited the Department of Arabic, Faculty of Languages, Sana'a University, Sana'a, Republic of Yemen, in order to collect data for his research and have interviews with the faculty, scholars, and students during the period from 01 March 2022 to 15 April 2022. He also visited the central library of Sana'a University for the abovementioned purpose. This letter was issued to him upon his request.

With our best regards,

Associate Professor,
Abbas Mutahr
Vice Dean for Graduate Studies,



Republic of Yemen
University of Sana'a
Faculty of Education

المهوية
Mahweet

الصادر
الرقم: ٦١
التاريخ: ١٣/٥/٢٠٢٢
المرفقات: ١



الجمهورية اليمنية
جامعة صنعاء
كلية التربية المعاصرة

CERTIFICATE

This is to certify that Mr Abdulqader Ahmed Abdulla Al-Hamzi, Research scholar from MES Mampad College(Autonomous) affiliated to the university of Calicut and doing research on 'Phonetic Substitution between Consonants and Vowels in Arabic for Native Speakers and Non-Native Speakers' visited College of Education, Al Mahweet, University of Sana'a and the college library in order to collect the data and arranged some interviews with the faculty, scholars and students for the above purpose during the period 16th April 2022 to 30th May 2022

Faculty Dean



Mohamed Abdullah Al-Shalabi

Geographical location emerged as a significant factor in shaping substitution patterns, as did the position of the sound within the word. Perceptual and physiological factors were also found to reinforce the phenomenon. The study concludes with an integrative explanation linking the influence of the native phonological system, individual acquisition strategies, and the principle of least effort in speech production, accounting for the preference for easier-to-produce alternatives.

This research contributes to the field of applied phonetics by offering a precise, comparative description of substitution patterns in the Indian context. It further recommends the development of instructional materials that address individual and geographical differences, integrate auditory and articulatory training with ongoing pronunciation correction, and expand field studies to other linguistic environments in order to build a more comprehensive understanding of phonemic substitution in teaching Arabic to non-native speakers.

Abstract

This study examines the phenomenon of phonemic substitution in the pronunciation of Arabic by non-native learners in India, viewing it as a linguistic manifestation that reflects the complex interaction between the phonological structure of the learners' mother tongues and the phonological requirements of Arabic. The significance of this research lies in the scarcity of comprehensive scientific studies on this phenomenon, particularly those that account for both geographical and phonological variation among learners within the Indian context. The study aims to document substitution patterns in consonants and vowels, analyze the influence of geographical, structural, perceptual, and physiological factors, and formulate an integrative explanation that can inform pedagogical interventions for this phenomenon.

A mixed-methods approach (quantitative and qualitative) was adopted. The quantitative component measured substitution rates and analyzed their variations using statistical tools and graphical representations, while the qualitative component provided a detailed description and interpretation of the phenomenon in light of phonological and sociolinguistic theories. Data were collected from Arabic learners in both northern and southern India through pronunciation tests, audio recordings, and semi-structured interviews, allowing for a synthesis of numerical precision and descriptive depth.

The results revealed that consonant substitution displayed clear regularity, with higher rates occurring in sounds absent from the learners' native phonemic inventories. Vowel substitution was most frequent in the case of /a/, sukoon, and gemination, with certain religiously marked words showing greater stability.

CERTIFICATE

This is to certify that this thesis is entitled “*Phonological Substitution in Arabic Consonants and Vowels by Non-Native Arabic Learners*” submitted for the award of the Degree of Doctor of Philosophy in Arabic language & literature is a Bonafide study and research work done by Abdulqader Ahmed Abdullah Al-Hamzi under my guidance and supervision.

No part of this thesis has hitherto been submitted earlier for the award of any degree/ diploma in any university. It's also certified that any modification has been suggested by adjudicators in this thesis.


Prof. ABDU P

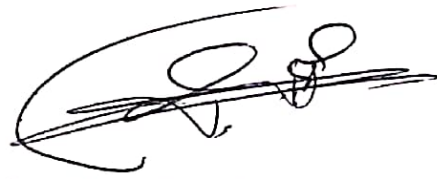
Professor (Rtd.), Department of Arabic
Sree Neelakanta Govt. Sanskrit College, Pattambi
Research Guide, PG & Research Department of Arabic
MES Mampad College (Autonomous) Mampad

Place: MES Mampad College
Date:

DECLARATION

I Abdulqader Ahmed Abdullah Al-Hamzi hereby declare that this thesis is entitled "*Phonological Substitution in Arabic Consonants and Vowels by Non-Native Arabic Learners*" has been written by me under the supervision of Prof. Abdu P, Professor (Rtd.), Department of Arabic, Sree Neelakanta Govt. Sanskrit College, Pattambi & Research Guide, PG & Research Department of Arabic, MES Mampad College (Autonomous), Mampad and co-supervision of Dr. Sabique M. K, Associate Professor in the Department of Arabic & Principal of MES Mampad College, in fulfilment of the requirements for the award of the Degree of Doctor of Philosophy in Arabic language and literature.

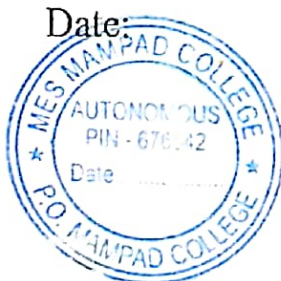
I also declare that this thesis is the result of my own effort and no part of this thesis has hitherto been submitted for the award of any Degree/ Diploma in any university.



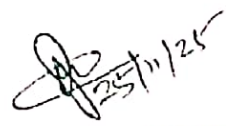
Abdulqader Ahmed Abdullah Al-Hamzi
Research Scholar

Place: MES Mampad College

Date:



PRINCIPAL
MES Mampad College
(Autonomous)
P.O. Mampad College



Prof. (Dr.) ABDU P (Rtd.)
Head, Dept. Of Arabic
Govt. Sanskrit College
Pattambi - 679306
Kerala, India

Phonological Substitution in Arabic Consonants and Vowels by Non-Native Arabic Learners

Thesis submitted to the University of Calicut in partial fulfilment of requirements for
the award of the degree of Doctor of Philosophy in Arabic Language and Literature

Submitted by:

Abdulqader Ahmed Abdullah Al-Hamzi

Supervision:

Main Supervisor:

Prof. ABDU P

Professor (Rtd), Department of Arabic
Sree Neelakanta Govt. Sanskrit College, Pattambi
Research Guide, PG & Research Department of Arabic
MES Mampad College (Autonomous) Mampad

Co-supervisor:

Dr. Sabique M. K.

Associate Professor, Department of Arabic
Principal, M.E.S. Mampad College, Malappuram, Kerala, India



**M.E.S. Mampad College
Department of Arabic
University of Calicut
2026**

